

# رَأْفَاتُ حَيْكَةِ إِمَامِهِ السَّيِّدِ

أَبْحَاثُ عِلْمِيَّةٍ فِي قَضِيَّةِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ

الشيخ

حسن عبد الله الهودار الأحسائي

# روافد مهدوية

أبحاث علمية في قضية الإمام المهدي عليه السلام

﴿الجزء الثاني﴾

تأليف

الشيخ حسن عبد الله الهودار الأحسائي

حرره وكتبه

الشيخ قاسم المشعل

راجعته وأشرف عليه

الشيخ أحمد حسين العبيدان



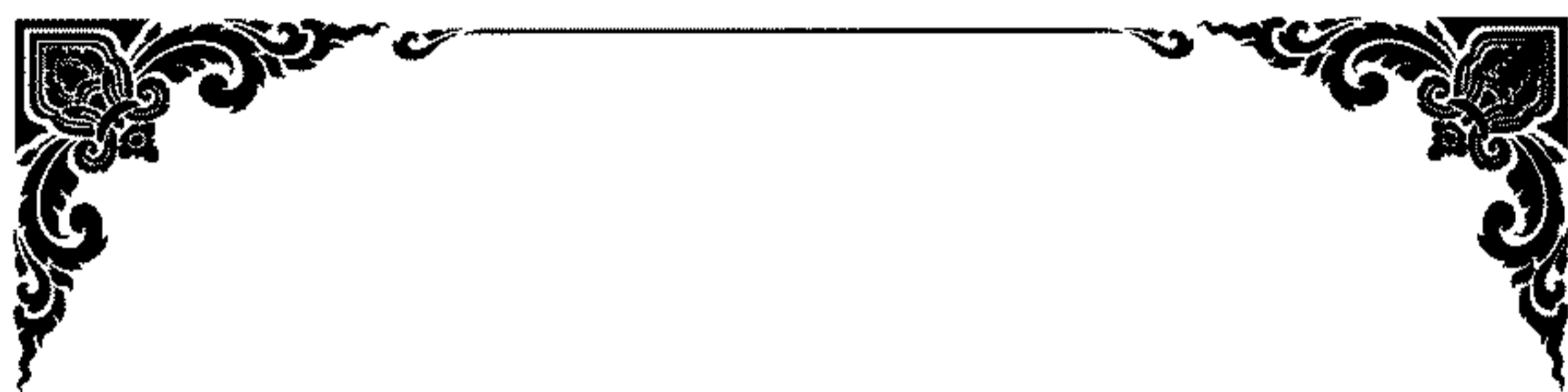
قسم الشؤون الدينية  
شعبة البحوث والدراسات

الحوادر الاحسائي، حسن عبد الله، مؤلف،  
روافد مهدوية: ابحاث علمية في قضية الامام المهدي عليه السلام /  
تأليف الشيخ حسن عبد الله الوادر الاحسائي ؛ حرره وكتبه الشيخ قاسم  
المشعل؛ راجعه واشرف عليه الشيخ احمد حسين العبيدان.  
- الطبعة الاولى- كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون  
الدينية، شعبة البحوث والدراسات، 2022 / 1443 للهجرة.  
386 صفحة ؛ 24 سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ 1028). (قسم الشؤون  
الدينية ؛ )، (شعبة البحوث والدراسات ؛ ).  
يتضمن ارجاعات ببيوجرافية.  
1. المهدي المنتظر، محمد بن الحسن بن علي (عليه السلام) الامام الثاني  
عشر، ولد 256 للهجرة.  
2. المهدوية.  
3. المهدوية - حديث.  
4. المهدوية -- دفع مطاعن.  
5. عقائد الشيعة الامامية. ا. المشعل، قاسم - محرر. ب. العبيدان، احمد بن  
حسين - مراجع. ج. العنوان.

BP194.1.H39 2022

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابع لقسم الشؤون الفكرية العتبة الحسينية  
﴿ تصميم واخراج: محمد صاحب المعمار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# الفصل الرابع

## الغيبة المهدوية



## الفصل الرابع: الغيبة المهدوية

- بعدها فرغنا من الفصل الثالث نبدأ البحث في الفصل الرابع وهو المرتبط بالغيبة المهدوية وسيكون البحث في عدة جهات:
- الجهة الأولى: حقيقة الغيبة المهدوية.
  - الجهة الثانية: تعدد الغيبة.
  - الجهة الثالثة: أسباب الغيبة.
  - الجهة الرابعة: الفائدة المهدوية في زمن الغيبة.
  - الجهة الخامسة: السفارة.
  - الجهة السادسة: الذرية في زمن الغيبة.
  - الجهة السابعة: أحداث الغيبة.
  - الجهة الثامنة: الوصايا في زمن الغيبة.

## الجهة الأولى: حقيقة الغيبة المهدوية

والبحث في هذه الجهة في عدة نقاط:

النقطة الأولى: معنى الغيبة المهدوية

لقد تواترت الأخبار عن أهل البيت عليهم السلام بوقوع الغيبة المهدوية حتى لم يبق أحد من المعصومين عليهم السلام من النبي صلى الله عليه وآله وحتى الإمام المهدي عليه السلام إلا ونبتاً بها، حتى باتت من القضايا المسلمة والواضحة لدى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما تكشف عنه بعض الأخبار، ولذا تجد الحميري يقول للإمام الصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، قد روي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحة كونها، فأخبرني بمن تقع؟

فقال عليه السلام: «إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم بالحق، بقية الله في الأرض وصاحب الزمان، والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»<sup>(١)</sup>.

إلا أن الكلام فعلاً في معنى هذه الغيبة المهدوية وما هو المقصود بها، فهل تعني غيبة الإمام عليه السلام بشخصه وجسده عن الناس وأنهم لا يتمكنون من رؤية شخصه وجسده ولو كان موجوداً معهم في مكان ما كالمسجد الحرام في موسم الحج مثلاً أو في الحضرة الحسينية في يوم عاشوراء مثلاً أو في الحضرة العلوية في يوم الغدير مثلاً، فهو يراهم ولكنهم لا يرونه؟ أو أنها تعني غيبته عليه السلام بعنوانه وهويته الحقيقية، فهو يعيش بين الناس، ويزاول

(١) كمال الدين، ص ٣٣.

حياته معهم بشكل طبيعي، ويلتقي بهم، ويراهم ويرونه، إلا أنهم لا يعلمون بأنه الإمام المهدي عليه السلام؟ فقد يلتقي به حجاج البيت الحرام ويصاحبونه، وهكذا قد يتشرف زوار العتبات المقدسة بلقياه ومصافحته، إلا أنهم لا يعلمون بأنه الإمام المهدي عليه السلام؟

وحيثما نريد الجواب عن ذلك فلا بد من أن نلقي نظرة على الأخبار الواردة عنهم عليهم السلام فعسى أن نتمكن من خلالها من إدراك حقيقة الغيبة، فإن هذه القضية لا طريق للبت والجزم فيها، وليس لدينا إلا ما ورد عنهم عليهم السلام، وإلا فالعقل يجيز كلتا الفرضيتين، وحيثما نلاحظ ونتتبع الأخبار يمكن أن نطرح عدّة احتمالات في ذلك:

#### الاحتمال الأول: الغيبة الشخصية

والمقصود بها: أنّ الإمام عليه السلام يغيب بشخصه عن الناس ولا يمكنهم رؤيته حتى لو كان موجوداً معهم في مكان واحد، فهو يراهم ولكنهم محجوبون عن رؤيته، وهذا الحجب تدخلت فيه يد الغيب والإعجاز حفظاً لحياته عليه السلام، وضرورة كونه الموعود السماوي.

وهذا ما تؤيده بعض الأخبار منها:

١- عن الريان بن الصلت قال: سئل أبو الحسن الرضا عليه السلام عن القائم عليه السلام فقال: «لا يرى جسمه ولا يسمى باسمه»<sup>(١)</sup>.

٢- عن عبيد بن زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام: «يفقد الناس إمامهم يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٣٣؛ كمال الدين، ص ٣٧٠.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٣٧؛ كمال الدين، ص ٣٤٦.



٣- عن صفوان بن مهران عن الصادق عليه السلام: «الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته»<sup>(١)</sup>.

#### الاحتمال الثاني: الغيبة العنوانية

والمقصود بها: أنّ الإمام عليه السلام يعيش حياته بشكل طبيعي مع الناس ويلتقي بهم، ويراهم ويرونه، ولكنهم لا يعرفونه بهويته الحقيقية؛ لكونه قد أخفى شخصيته وهويته الحقيقية عنهم حفاظاً على نفسه، فلا يعلمون بأنه الإمام المهدي عليه السلام. وهذا الاحتمال تؤيده بعض الأخبار أيضاً مثلاً:

١- عن محمد بن عثمان العمري قال: «والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه»<sup>(٢)</sup>.

٢- عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام: «إنّ في صاحب هذا الأمر سنناً من الأنبياء عليهم السلام، سنة من موسى بن عمران، وسنة من عيسى، وسنة من يوسف، وسنة من محمد صلوات الله عليهم، فأما سنة من موسى بن عمران فخائف يترقب، وأما سنة من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى، وأما سنة من يوسف فالستر، يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه، وأما سنة من محمد صلى الله عليه وآله فيتهدي بهداه ويسير بسيرته»<sup>(٣)</sup>.

٣- عن سدير الصيرفي عن الصادق عليه السلام: «إنّ في صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف، فقلت: فكأنك تخبرنا بغيبة أو حيرة؟ فقال: ما ينكر هذا الخلق الملعون أشباه الخنازير من ذلك؟ إنّ إخوة يوسف كانوا عقلاء ألباء أسباطاً أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلموه وخاطبوه وتاجروه وراودوه وكانوا إخوته وهو أخوهم لم يعرفوه حتى عرفهم بنفسه وقال

(١) كمال الدين، ص ٣٣٣.

(٢) كمال الدين، ص ٤٤٠؛ غيبة الطوسي، ص ٣٦٣.

(٣) كمال الدين، ص ٣٥٠.

لهم: أنا يوسف، فعرفوه حينئذ، فما تنكر هذه الأمة المتحيرة أن يكون الله (عز وجل) يريد في وقت من الأوقات أن يستر حجته عنهم؟! لقد كان يوسف النبي ملك مصر وكان بينه وبين أبيه مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه بمكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف، وأن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقه صاحب هذا الأمر يتردد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم لا يعرفونه حتى يأذن الله له أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف حين قال له إخوته: {أَتَيْتَكَ لِأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ} (١).

#### الاحتمال الثالث: الغيبة الشخصية والعنوانية

والمقصود بها: أن الإمام عليه السلام قد يستعمل كلا الأسلوبين في إخفاء هويته عن الناس بحسب ما تقتضيه الظروف وتحتّمه المصلحة، فقد يستعمل تارة أسلوب الغيبة العنوانية، فيعيش بين الناس مخفياً هويته الواقعية لأجل القيام ببعض المهام وإيصال بعض الأغراض للناس إذا استدعت المصلحة ذلك. وقد يستعمل في بعض الأحيان أسلوب الغيبة الشخصية، فيرى الناس ولا يرونه، ويحضر معهم ولا يشاهدونه، ولا ملزم لتعيين أحد الأسلوبين بخصوصه بعد إمكان كلتا الفرضيتين وتكافئ الأخبار الواردة في كلا الأسلوبين من ناحية السند والدلالة، فهذه الروايات بمجموعها تشير لوجود أسلوبين يزاولهما الإمام (عليه السلام) في غيبته، ولا منافاة ولا تعارض مستقرّ بين هذه الروايات كما يتضح عند التأمل، بل هي بصدد بيان أسلوبين وطريقتين لغيبته عليه السلام، فالاحتمال الثالث هو الأوفق بحسب الأخبار وإن كان الظاهر من كلمات جملة من الأعلام الذهاب إلى الاحتمال الثاني، وإليك بعض كلماتهم:

(١) غيبة النعماني، ص ١٦٨.

١- الصدوق: "وكما جاز أن يكون موسى عليه السلام في حجر فرعون يرّبه وهو لا يعرفه، ويقتل أولاد بني إسرائيل في طلبه، فكذلك جائز أن يكون صاحب زماننا موجوداً بشخصه بين الناس يدخل مجالسهم ويطأ بسطهم ويمشي في أسواقهم وهم لا يعرفونه إلى أن يبلغ الكتاب أجله"<sup>(١)</sup>.

٢- المفيد: "وكم ولي لله تعالى يقطع الأرض بعبادة ربه تعالى، والتفرد عن الظالمين بعمله، ونأى بذلك عن دار الظالمين، وتبعد بدينه عن محل الفاسقين، لا يعرف أحد من الخلق له مكاناً، ولا يدعي إنسان له لقاءً ولا معه اجتماعاً.. وكان من قصة يوسف بن يعقوب عليه السلام ما جاءت به سورة كاملة بمعناه، وتضمنت ذكر استتار خبره عن أبيه وهو نبي الله يأتيه الوحي منه سبحانه صباحاً ومساءً، وأمره مطوي عنه وعن إخوته وهم يعاملونه ويباعونه ويبتاعون منه ويلقونه ويشاهدونه فيعرفهم ولا يعرفونه"<sup>(٢)</sup>.

٣- المازندراني: "حتى يغيب هو عن أقربائه وعشيرته ويعتزل عن أوليائه وشيعته ظاهراً وهو معهم باطناً، حتى أنه يصاحبهم ويصاحبونه ويروونه ولكن لا يعرفونه بشخصه ونسبه وهو يعرفهم، وقد روي أنه بعد ظهوره يقول كثير من الناس رأيناه كثيراً"<sup>(٣)</sup>.

### النقطة الثانية: مكان الغيبة المهدوية

بعدما اتضحت حقيقة الغيبة المهدوية نطرح هنا سؤالاً يأتي على جميع الاحتمالات السابقة، فسواء قلنا بأن غيبته عليه السلام شخصية أو عنوانية أو كليهما، فهل له في غيبته مكان

(١) كمال الدين، ص ٢٨.

(٢) المسائل العشر في الغيبة، ص ٨٤.

(٣) شرح أصول الكافي، ج ٦، ص ٢٥٣.

معلوم ومحدد غاب فيه أو لا؟ وهل أشارت الروايات إلى موقع معين يغيب ويختفي فيه عن أعين الناس أو أنه ليس له مكان معلوم؟ أو أنه ينتقل من مكان لآخر بين فترة وأخرى بحسب ما تقتضيه الظروف والمصلحة؟ وإن شئت فقل: هل الإمام عليه السلام يسكن في مكان لم يستطع البشر اكتشافه والوصول إليه كالجزيرة الخضراء أو مثلث برمودا مثلاً كما قيل؟ أو أنه يعيش في مكان بمقدور الناس الوصول إليه إلا أنه ليس محظّ عناية واهتمام إلا قلة من الناس كالجبال والكهوف مثلاً؟ أو أنه يعيش في داخل الوسط الاجتماعي وبين ظهرائي الناس بيد أنهم لا يعلمون به؟

الظاهر من بعض الأخبار أنه عليه السلام يعيش في مكان بمقدور الناس الوصول إليه، وليس في عالم بعيد عن البشر أو في أرض لم يستطع أحد اكتشافها لحد الآن كما قد يدعي البعض ذلك ممن يقول بأنه عليه السلام يعيش في الجزيرة الخضراء أو مثلث برمودا، ويشهد لذلك بعض الأخبار منها:

- ١- التوقيع الصادر عنه عليه السلام للسفير محمد بن عثمان العمري: «فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه»<sup>(١)</sup>.
- ٢- عن أبي سهل النوبختي حين سئل فقيلاً له: "كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة على مكانه لعتي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه"<sup>(٢)</sup>.

(١) الغيبة، ص ٢٢٢.

(٢) الغيبة، ص ٢٤٠.

وبناءً على مثل هذه الأخبار يصعب التصديق بفكرة كونه عليه السلام يعيش في عالم منعزل عن هذا العالم أو في مكان لا يمكن للبشر الوصول إليه؛ فإنها واضحة في إمكان الوصول إلى مكانه لولا التكتّم والتقية.

وعلى كل حال فإذا اتضح ذلك نقول: بأنه توجد عدّة احتمالات في مكان غيبته عليه السلام:  
الاحتمال الأول: سامراء

أن يكون مقرّه في غيبته أرض سامراء، وهذا ما يؤيده عدّة أمور:  
الأول: مسقط رأسه؛ حيث إنّ سامراء هي الأرض التي أشرق فيها نوره المقدّس، وهي مسكن والديه.

الثاني: مشاهدته، فهناك جماعة كبيرة من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام قد تشرفوا برؤيته عليه السلام في دار أبيه بسامراء، وقد نقلنا بعض الأخبار الدالة على ذلك فيما سبق، ومنها خبر الأربعين رجلاً الذين تشرفوا بمشاهدته في اليوم الثالث من ولادته عليه السلام.

الثالث: تجهيزه لأبيه والصلاة عليه، وقد نقلت الأخبار بأنّ الإمام عليه السلام هو الذي صلّى على والده، وأنه منع عمّه جعفر من التقدّم والصلاة، وقد كانت هذه الواقعة في أرض سامراء.

الرابع: إجراءات السلطة العباسية، فلقد داهمت السلطة العباسية عدّة مرّات دار الإمام العسكري عليه السلام بغية إلقاء القبض على ولده الإمام المهدي عليه السلام، حتى ورد في بعض الأخبار أنهم رأوه ولكن لم يتمكنوا من الوصول إليه.

وبملاحظة مجموع هذه الشواهد يمكن أن يدعى بأنّ الإمام عليه السلام غاب في سامراء ولا يزال موجوداً هناك.

وهذا الاحتمال هو الذي يروّج له بعض أبناء العامة المشتّعين على الإمامية؛ حيث ألصقوا فيهم تهمة الاعتقاد بأنّ الإمام المهدي عليه السلام موجود في سامراء، وأنه غائب في

السرداب المعروف بسرداب الغيبة، وأن الشيعة تأتي لهذا السرداب كل يوم تستغيث بالمهدي وتدفع الأحماس له، وتنتظر ظهوره من ذلك السرداب، وسوف نتعرض لاحقاً لهذه الشبهة إن شاء الله تعالى والجواب عنها، إلا أننا فعلاً نقول بأن هذه الشواهد المذكورة كدليل على كون مقرّ الغيبة هو سامراء غير تامة؛ إذ أقصى ما تفيدته هو وجود الإمام عليه السلام في أيام حياة أبيه عليه السلام أو فترة بعد شهادته في أرض سامراء، وهذا لا يعني أن مقرّ الدائم في زمن الغيبة سامراء؛ إذ لا يوجد نص صريح على ذلك، فهذا الاحتمال ليس مقبولاً.

#### الاحتمال الثاني: طيبة

أن يكون مقرّ في زمن غيبته عليه السلام طيبة، وهي المدينة المنورة، وهذا الاحتمال تشهد له رواية أبي بصير الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام: «لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولا بد له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة، وما بثلاثين من وحشة»<sup>(١)</sup>. ولأجل هذا الخبر قال المجلسي: «فيدلّ على كونه عليه السلام غالباً فيها وفي حواليتها، وعلى أن معه ثلاثين من مواليه وخواصه، إن مات أحد قام آخر مقامه»<sup>(٢)</sup>.

ولكن قد يناقش هذا الاحتمال بأمرين بعد غمض النظر عن كون منشأ رواية واحدة لا تكفي لإثبات هذه القضية:

الأول: أن أقصى ما تفيدته هذه الرواية هو أن طيبة منزل للإمام عليه السلام في غيبته، ولكن لا تدلّ على كونها منزلاً دائماً له وطيلة أيام غيابه أو أكثر أيام غيبته، بل لعلّها تكون منزلاً له فترة من فترات الغيبة.

الثاني: على فرض دلالة الرواية على كون طيبة منزلاً دائماً للإمام عليه السلام فترة الغيبة، فهذا لا يعني كونها المنزل والمقرّ الوحيد له، بل من المحتمل أن تكون هي أحد منازل.

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٤٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٥٧.

### الاحتمال الثالث: الصحاري والجبال

أن يكون مقرّه ﷺ في غيبته الصحاري والجبال، وهذا ما يمكن استفادته من عدّة روايات منها:

١- جواب الناحية المقدّسة ﷺ لعلي بن مهزيار حينما تشرف الأخير ببلقائه في جبال الطائف وقال له: سيدي لقد بعد الوطن وطال المطلب. فقال ﷺ: «يا ابن المهزيار، أبي أبو محمد عهد إلي أن لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم ولهم الخزي في الدنيا والآخرة ولهم عذاب أليم، وأمرني أن لا أسكن من الجبال إلا وعرها، ومن البلاد إلا عفرها، والله مولاكم أظهر التقية فوكها بي فأنا في التقية إلى يوم يؤذن لي فأخرج، فقلت يا سيدي متى يكون هذا الأمر فقال: إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة...»<sup>(١)</sup>.

٢- عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: خرجت مع أبي عبد الله ﷺ فلما نزلنا الروحاء نظر إلى جبلها مطلقاً عليها فقال لي: «تري هذا الجبل؟ هذا جبل يدعى رضوى من جبال فارس أحبنا فنقله الله إلينا، أما إن فيه كلّ شجرة مطعم ونعم أمان للخائف مرتين، أما إن لصاحب هذا الأمر فيه غيبتين واحدة قصيرة والأخرى طويلة»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن إسماعيل بن جابر عن الباقر ﷺ: «يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشعاب وأوماً بيده إلى ناحية ذي طوى حتى إذا كان قبل خروجه أتى المولى الذي كان معه حتى يلقي بعض أصحابه فيقول كم أنتم هاهنا؟ فيقولون: نحو من أربعين رجلاً، فيقول: كيف أنتم لو رأيتم صاحبكم؟ فيقولون: والله لو ناوي بنا الجبال لناويناهامع،

(١) غيبة الطوسي، ص ٢٦٦.

(٢) غيبة الطوسي، ص ١٦٣.

ثم يأتيهم من القابلة ويقول: أشيروا إلى رؤسائكم أو خياركم عشرة، فيشيرون له إليهم، فينطلق بهم حتى يلقوا صاحبهم ويعددهم الليلة التي تليها...»<sup>(١)</sup>.

وهذا الاحتمال ليس ببعيد، ويؤيده طبيعة كتمان أمر الإمام عليه السلام وحفاظه على حياته، فإن ذلك مما يستدعي اللجوء إلى مثل هذه الأماكن التي تكون بعيدة عن عموم الناس ولا يرغب فيها إلا قلة منهم.

#### الاحتمال الرابع: التنقل

أن لا يكون هناك مقر ثابت له عليه السلام، بل أنه ينتقل من بلاد إلى بلاد ومن مكان لآخر بين فترة وأخرى متى ما استدعت المصلحة والحاجة ذلك، وهذا الاحتمال يساعد عليه أمور:

الأول: أخبار المشاهدة، حيث هناك الكثير ممن التقى به عليه السلام وقد كانت هذه اللقاءات في أماكن مختلفة.

الثاني: الروايات المختلفة في مقر سكناه، فتارة تذكر أن سكناه في المدينة، وأخرى جبل ذي طوى، وأخرى جبل رضوى، وأخرى الصحاري، فالتوفيق بينها يقتضي تعدد مقره وتنقله من مكان لآخر.

الثالث: إن بقاءه عليه السلام طيلة الغيبة في مكان واحد قد يعيق خفاءه، وقد يوجب مع الأيام كشف أمره، فقضية الكتمان وعدم ظهوره للناس تستدعي بحسب العادة تغييره لموقعه وتنقله من مكان لآخر بين فترة وأخرى.

الرابع: بعض الأخبار التي وصفته عليه السلام بالشريد وبالطريد وبالفرید لا يبعد ظهورها في تنقله من مكان لآخر.

(١) غيبة الطوسي، ص ١٨٧.



فعن الأصبع بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «صاحب هذا الأمر الشريد الطريد الفريد الوحيد»<sup>(١)</sup>.

والذي يبدو أن الاحتمال الرابع هو الأوفق.

### النقطة الثالثة: شبهة السرداب

ادّعى بعض العامة كذباً وزوراً بأن الإمامية يقولون بأن الإمام المهدي عليه السلام غاب في السرداب الموجود بسامراء، وأنه لا يزال موجوداً فيه، وأنهم يأتون كل يوم يستنجدون به ويطلبون منه الظهور لهم، وإليك بعض كلماتهم:

١- ابن خلكان: «والشيعة يقولون إنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر إليه، فلم يعد يخرج إليها، وذلك في سنة خمس وستين ومائتين وعمره يومئذ تسع سنين»<sup>(٢)</sup>.

٢- ابن تيمية: «ومن حماقتهم أيضاً أنهم يجعلون للمنتظر عدّة مشاهد ينتظرونه فيها، كالسرداب الذي بسامراء الذي يزعمون أنه غاب فيه ومشاهد آخر، وقد يقيمون هناك دابة إما بغلة وإما فرساً وإما غير ذلك ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك إما في طرفي النهار وإما في أوقات آخر من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا أخرج يا مولانا أخرج، ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم، وفيهم من يقول في أوقات الصلاة دائماً لا يصلي خشية أن يخرج وهو في الصلاة فيشتغل بها عن خروجه وخدمته، وهم في أماكن بعيدة عن مشهده كمدينة النبي صلى الله عليه وآله إما في العشر الأواخر من شهر رمضان وإما في غير ذلك يتوجهون إلى المشرق وينادونه»<sup>(٣)</sup>.

(١) كمال الدين، ص ٣٠٣.

(٢) وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٧٦.

(٣) منهاج السنة، ج ١، ص ٤٤-٤٥.

٣- ابن القيم الجوزية: "وأما الرافضة الإمامية فلهم قول رابع وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر من ولد الحسين بن علي لا من ولد الحسن الحاضر في الأمصار الغائب عن الأبصار الذي يورث العصا ويختم الفضا، دخل سرداب سامراء طفلاً صغيراً من أكثر من خمس مئة سنة فلم تره بعد ذلك عين ولم يحس فيه بخبر ولا أثر، وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخیل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم: أخرج يا مولانا أخرج يا مولانا، ثم يرجعون بالخبية والحرماني، فهذا دأبهم ودأبه. ولقد أحسن من قال:

ما آن للسرداب أن يلد الذي كَلَّمتموه بجهلكم ما آنا  
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا<sup>(١)</sup>.

٤- ابن خلدون: "الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري، ويلقبونه المهدي، دخل في سرداب بدارهم في الحلة وتغيب حين اعتقل مع أمه، وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيملاً الأرض عدلاً يشيرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي، وهم إلى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك، ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركباً فيهتفون باسمه ويدعون له للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الأمر إلى الليلة الآتية"<sup>(٢)</sup>.

٥- الزبيدي الحنفي: "والسردابية: قوم من غلاة الرافضة ينتظرون خروج المهدي من السرداب الذي بالري، فيحضرون فرساً ملجماً في كل يوم جمعة بعد الصلاة قائلين: يا إمام، باسم الله، ثلاث مرات"<sup>(٣)</sup>.

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ج١، ص١٥٢.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ج١، ص١٩٩.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، ج٣، ص٥٧.

٦- محمد بن عبد الوهاب: "قيل: أن سبب جمعهم بين الظهرين والمغربين طول الدهر مع اختيار التأخير فيهما هو: أنهم ينتظرون القائم المختفي في السرداب ليقتدوا به، فيؤخرون الظهر إلى العصر إلى قريب غروب الشمس فإذا يئسوا من الإمام واصفرت الشمس وصارت بين قرني الشيطان نقرؤا عند ذلك كنقر الديك، فصلوا الصلاتين من غير خشوع ولا طمأنينة فرادى من غير جماعة، ورجعوا خائبين خاسرين، نسأل الله العفو والعافية، وقد صاروا بذلك وبوقوفهم بالجبل على ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم ضحكة لأولى الألباب"<sup>(١)</sup>.

٧- عبد الله القميصي: "وإن أغبي الأغبياء، وأجمد الجامدين هم الذين غيبوا إمامهم في السرداب، وغيبوا معه قرآنهم ومصحفهم، ومن يذهبون كل ليلة بخيولهم وحميرهم إلى ذلك السرداب الذي غيبوا فيه إمامهم ينتظرونه وينادونه ليخرج إليهم، ولا يزال عندهم ذلك منذ أكثر من ألف عام"<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن هذه الأكذوبة:

أولاً: إن هذه الكلمات التي نقلناها عن القوم ما هي إلا فرية وكذبة واضحة من جملة الافتراءات والأكاذيب التي ألصقوها بالإمامية، وإلا فلا يوجد أحد من علمائنا إطلاقاً يقول بأن الإمام عليه السلام غاب في السرداب وأنه موجود فيه، بل ولا توجد في كتبنا رواية تدل على ذلك، بل الأخبار على عكس ذلك كما نقلنا بعضها في النقطة الثانية، ولو صدق هؤلاء المدعون في تهمتهم لأتوا بشاهد من كلام علمائنا أو رواية من كتبنا تشهد لهم في دعواهم، فما هذه إلا فرية افتراها بعضهم فتابعه البقية بلا فحص ومن غير تحقيق، ولذلك تجد

(١) رسالة في الرد على الرافضة، ج١، ص٣٣.

(٢) الصراع بين الإسلام والوثنية، ج١، ص٣٧٤.

التخبط واضحاً عندهم، فقائل يقول بأن السرداب في سامراء، وآخر في الحلة، وثالث في بغداد، بل وزاد بعضهم على الفرية افتراءات من فرية الخيول والحمير.

وثانياً: المعلوم من الروايات والمعروف بين العلماء بأن الإمام عليه السلام يخرج من أرض مكة المكرمة، فدعوى أنّ الشيعة يعتقدون بخروج المهدي من السرداب فرية أخرى، ولذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «إذا كان عند خروج القائم ينادي مناد من السماء: أيها الناس قطع عنكم مدة الجبارين وولي الأمر خير أمة محمد صلى الله عليه وآله فالحقوا بمكة، فيخرج النجباء من مصر والأبدال من الشام وعصائب العراق...»<sup>(١)</sup>.

وثالثاً: إنّ سبب اهتمام الشيعة بالسرداب ليس لكونه موضع غيبة الإمام عليه السلام أو مكان ظهوره كما قيل، بل لأنّ هذا السرداب قد عاش فيه ثلاثة من الأئمة، وهم الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام؛ حيث كانت بيوت العراق آنذاك تحتوي على سراديب من شدة الحرّ، فتشرف هذا السرداب بأنفاسهم الطاهرة، ولذا صار محطّ عناية الشيعة لأنه سرداب مبارك، وصاروا يزورون الإمام المهدي عليه السلام فيه لكونه منزلاً نزل، وليس لما توهم هؤلاء من كونه غائباً فيه، ولذا فالإمامية يزورن الإمام المهدي عليه السلام في كلّ مكان وليس في خصوص السرداب؛ لعقيدتهم بأنّ له إحاطةً شاملةً بهذا العالم، ولكن تتأكد الزيارة في السرداب لهذه الخصوصية التي نقلناها، وهذا ما ذكره بعض الأعلام:

١- الشهيد الأول: «ويستحب زيارة المهدي عليه السلام في كلّ مكان وكلّ زمان، والدعاء بتعجيل الفرّج عند زيارته، وتتأكد زيارته في السرداب بسرّ من رأى»<sup>(٢)</sup>.

٢- الجواهري: «وكذا يستحب مؤكداً زيارة الإمام المهدي الحجة صاحب الزمان أبي القاسم محمد بن الحسن عجل الله فرجه وسهل الله مخرجه ... ويستحب زيارته في كلّ

(١) الإختصاص، ص ٢٠٨.

(٢) الدروس، ج ٢، ص ١٦.

مكان وكلّ زمان والدعاء بتعجيل الفرج في زيارته، وتتأكد زيارته في السرداب المعروف بسرّ من رأى<sup>(١)</sup>.

ولذلك يقول العلامة الأميني في رده على ابن تيمية وجماعته في هذه الفرية: "وفرية السرداب أشنع وإن سبقه إليها غيره من مؤلفي أهل السنة، لكنه زاد في الطمور نغمات بضمّ الحمير إلى الخيول، وأدعائه اطراد العادة في كلّ ليلة، واتصالها منذ أكثر من ألف عام، والشيعنة لا ترى أنّ غيبة الإمام في السرداب، ولا هم غيبوه فيه، ولا إنه يظهر منه، وإنما اعتقادهم المدعوم بأحاديثهم أنه يظهر بمكة المعظمة تجاه البيت، ولم يقل أحد في السرداب: إنه مغيب ذلك النور، وإنما هو سرداب دار الأئمة بسامراء، وإنّ من المطرد إيجاد السرداب في الدور وقاية من قائل الحرّ، وإنما اكتسب هذا السرداب بخصوصه الشرف الباذخ لانتسابه إلى أئمة الدين، وإنه كان مبوء لثلاثة منهم كبقية مساكن هذه الدار المباركة، وهذا هو الشأن في بيوت الأئمة عليهم السلام ومشرفهم النبي الأعظم في أي حاضرة كانت، فقد أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. وليت هؤلاء المتقولون في أمر السرداب اتفقوا على رأي واحد في الأكذوبة حتى لا تلوح عليها لوائح الافتعال فتفضحهم، فلا يقول ابن بطوطة في رحلته ٢ ص ١٩٨: إنّ هذا السرداب المنوه به في الحلة. ولا يقول القرماني في (أخبار الدول): إنه في بغداد. ولا يقول الآخرون: إنه بسامراء. ويأتي القصيمي من بعدهم فلا يدري أين هو فيطلق لفظ السرداب ليستر سوءته. وإني كنت أتمنى للقصيمي أن يحدّد هذه العادة بأقصر من (أكثر من ألف عام) حتى لا يشمل العصر الحاضر والأعوام المتصلة به، لأنّ انتفائها فيه وفيها بمشهد ومرئى ومسمع من جميع المسلمين، وكان خيراً له لو

(١) الجواهر، ج ٢، ص ١٠٠.

عزاها إلى بعض القرون الوسطى حتى يجوز السامع وجودها في الجملة، لكن المائن غير متحفظ على هذه الجهات<sup>(١)</sup>.

ويرد الشيخ القرشي على ابن خلدون في فريته قائلاً: "ثانياً: من أغاليط ابن خلدون في هذا الكلام أنّ الإمام المنتظر عليه السلام قد اعتقل مع أمه في (الحلة)، وغاب فيها، وهذا كذب مفضوح، ويواجهه ما يلي:

أ - إنّ السيدة والدة الإمام عليه السلام قد توفيت قبل وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام بسنتين، كما ذكرنا ذلك في البحوث السابقة.

ب: - ولم يذكر أحد من مؤرّخي الشيعة وغيرهم أنّ الإمام المنتظر عليه السلام قد اعتقل أو ألفت السلطة العباسية القبض عليه لا في الحلة ولا في غيرها، فما ذكره ابن خلدون عن ذهاب الشيعة إلى ذلك، إنما هو محض افتراء وتشويه لعقيدتهم.

ثالثاً: من افتراء ابن خلدون على الشيعة أنهم يقفون بباب السرداب الواقع في (الحلة)، ويقدمون مركباً للإمام عليه السلام ويهتفون باسمه، ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم. إنّ هذه الأكاذيب لم تسمع بها الشيعة وهي بريئة منها، قد افتعلها عليهم ابن خلدون الذي تجرّد عن كلّ خلق قويم، وارتطم في الإثم<sup>(٢)</sup>.

#### النقطة الرابعة: المتصلون بالإمام عليه السلام في الغيبة

وهنا نطرح تساؤلاً آخر وهو: أنه هل يوجد هناك من يعلم بمكان الإمام عليه السلام في زمن الغيبة أو لا؟ وهل هناك من يكون على اتصال به ولقاء معه أو لا؟

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ج٣، ص٣٠٨.

(٢) حياة الإمام المهدي (ع)، ص١١٦.

والجواب عن ذلك بتقسيم من يتصل بالإمام عليه السلام ويلتقي به في زمن الغيبة إلى قسمين:

القسم الأول: دائم الاتصال، وهو من يكون مؤهلاً للاتصال الدائم والالتقاء المستمر به، وهذا قد يكون مطلعاً على مكانه في زمن الغيبة، وتوجد بعض الأخبار تكشف عن بعض من بلغ هذا المقام الشريف، ولا بأس بالإشارة لذلك:

الأول: الخواص، وهذا ما أشارت له رواية إسحاق بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام: «للقائم غيبتان إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه»<sup>(١)</sup>.

فيستفاد من هذه الرواية أنه في زمن الغيبة الصغرى كان الخواص من الشيعة يعلمون بمكانه، كالسفراء الأربعة مثلاً، وقد يكون بعض وكلائه من غير السفراء أيضاً، بل وحتى من غير الوكلاء، وأما في زمن الغيبة الكبرى فلا يعلم بمكانه إلا الخواص من المواليين، وليس الخواص من الشيعة، ولعل المقصود بالمواليين من يقومون بخدمته عليه السلام.

الثاني: الأبدال، وهذا ما أشارت له رواية أبي بصير: «ونعم المنزل طيبة وما بثلاثين من وحشة»<sup>(٢)</sup>.

فتشير هذه الرواية إلى وجود ثلاثين شخصاً يؤنسون الإمام عليه السلام في زمن الغيبة ويلتقون به، وقد يتشرفون بخدمته، وهم من يعبر عنهم بالأبدال، ويقال بأنه كلما مات واحد منهم حلّ مكانه شخص آخر ممن يليق بهذا المقام، ويكونون من أفضل أهل الأرض وكتمة الأسرار، وقد يكون منهم بعض العلماء، ولعلّ الخضر منهم أيضاً.

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٤٠.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٤٠.

الثالث: الخضر، وهذا ما أشارت له رواية الحسن بن علي بن فضال قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «إِنَّ الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور، وإنه ليأتينا فيسلم فنسمع صوته ولا نرى شخصه، وإنه ليحضر حيث ما ذكر، فمن ذكره منكم فليسلم عليه، وإنه ليحضر الموسم كل سنة فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمن على دعاء المؤمنين، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته»<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني: منقطع الاتصال، وهم الذين يتشرفون بلقاء الإمام عليه السلام مرة في العمر أو أكثر، ولكن ليس بشكل دائم، وليس بالضرورة أن يلتقوا به في مكان غيبته، بل قد يلتقون به في مكان عام كالمسجد الحرام أو في أحد المزارات المقدسة كما نقل ذلك عن بعض العلماء والأولياء، وقد سبق وأشرنا لبعض من تشرف بهذا المقام كالمقدس الأردبيلي والعلامة الحلي وغيرهما، ولكن هذا اللقاء ليس متاحاً لكل أحد، بل لا يفوز به إلا الخواص، وقد تذكر عدة شروط لمن أراد الفوز بذلك، منها:

الشرط الأول: الرغبة الصادقة في اللقاء، فإن من يريد أن يفوز بشرف لقيا الإمام عليه السلام لا بد وأن تكون لديه نية صادقة ورغبة جادة في ذلك، أما من لم تكن لديه الرغبة أو لم تكن لديه إرادة جادة في ذلك فقد يحرم من هذا الشرف العظيم.

الشرط الثاني: الورع والتقوى، فلا بد لمن يريد أن يفوز بهذا الشرف العظيم أن يكون مؤهلاً ولديه استعداد روحي لذلك، ولا يكون هذا إلا لمن بلغ درجة رفيعة من الورع والتقوى، وهذا ما يستفاد من التوقيع المنسوب للناحية المقدسة: «ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا

(١) كمال الدين، ص ٣٩١.



ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم»<sup>(١)</sup>.

الشرط الثالث: الإلحاح الشديد، فإن من يريد الفوز بلقاء المولى روجي فداه لا بد أن يلح في الطلب، ويكون عنده الأمل بأنه مهما طالت الأيام والليالي فلا بد من الفوز بهذا الشرف، ولا يستولي عليه اليأس، ويمكن أن تذكر بعض الطرق للإلحاح منها:

#### الطريق الأول: الحج المتكرر

إن الروايات تشير إلى أن الإمام عليه السلام يحضر الموسم في كل عام، فمن الممكن لمن أراد الفوز برؤيته الذهاب للحج مكرراً بنية التشرف بلقائه، وهذا ما تشير له بعض أخبار المشاهدة؛ حيث استمر بعضهم في طلبه عليه السلام في الحج لسنوات عديدة حتى فاز بذلك، كعلي بن مهزيار الذي ذهب للحج عشرين عاماً طالباً للقاء بالمولى، وما حظي بهذا الشرف إلا بعد جهد جهيد وطلب دام عشرين عاماً.

#### الطريق الثاني: مسجد السهلة

إن من جملة المجربات للفوز بلقائه عليه السلام المواظبة على زيارة مسجد السهلة أربعين ليلة أربعاء بنية رؤيته، وقد سن ذلك صاحب الجواهر المتوفى ١٢٦٦ كما هو المنقول في ترجمته، حتى كان يخرج من النجف هو مع حاشيته ويخرج معهم جمع كبير من الناس، وينقل بأنه استمر على ذلك لمدة أربعين سنة مشياً على الأقدام.

وينقل بأن بعض العلماء واطبوا على ذلك فتشرفوا برؤيته ومن هؤلاء:

١- السيد محمد مهدي بحر العلوم المتوفى ١٢١٢، كما ذكر ذلك النوري في كتابيه جنة

الماوى والنجم الثاقب.

(١) الإحتجاج، ج٢، ص٣٢٥.

٢- السيد العالم أبو تراب الخوانساري المتوفى ١٣٦٤. ذكر ذلك تلميذه السيد محمد مهدي الأصفهاني في كتابه أحسن الوديعه.

٣- السيد شهاب الدين المرعشي المتوفى ١٤١١ على ما هو المشهور في ترجمة حياته.

الشرط الرابع: المصلحة، فلا بد وأن تكون هناك مصلحة في لقاء هذا الشخص بالإمام عليه السلام، وأما لو لم تكن هناك مصلحة أو كانت هناك مفسدة في حقه كأن يصاب بالعجب أو يدعي لنفسه بعض الأمور فهذا لا لطف في لقائه، بل اللطف في عدمه.

## الجهة الثانية: تعدد الغيبة

والبحث في عدة نقاط:

النقطة الأولى: أقسام الغيبة

اتفق الأعلام على أنّ غيبة الإمام المهدي ﷺ تنقسم إلى قسمين: صغرى وكبرى،  
واليك بعض كلماتهم:

١- المفيد: "فقد كانت الأخبار عمّن تقدّم من أئمة آل محمد ﷺ متناصرة بأنه لا بدّ  
للقائم المنتظر من غيبتين، إحداهما أطول من الأخرى، يعرف خبره الخاص في القصرى،  
ولا يعرف له مستقراً في الطولى إلا من تولى خدمته من ثقات أوليائه"<sup>(١)</sup>.

٢- النعماني: "هذه الأحاديث التي يذكر فيها أنّ للقائم ﷺ غيبتين أحاديث قد  
صحت عندنا بحمد الله، وأوضح الله قول الأئمة ﷺ وأظهر برهان صدقهم فيها، فأما  
الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام ﷺ وبين الخلق قياماً  
منصوبين ظاهريين موجودي الأشخاص والأعيان، يخرج على أيديهم غوامض العلم  
وعويص الحكم والأجوبة عن كلّ ما يسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة  
القصيرة التي انقضت أيامها وتصرّمت مدتها، والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص  
السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله تعالى والتدبير الذي يمضيه في الخلق، ولوقوع  
التمحيص والامتحان والبلبلّة والغربلة والتصفية على من يدّعي هذا الأمر"<sup>(٢)</sup>.

(١) الفصول العشرة، ص ٢١.

(٢) غيبة النعماني، ص ١٧٨.

ومنشأ هذا التقسيم - كما ذكر الأعلام - هو الأخبار، ويمكننا تصنيف الأخبار التي أشارت إلى الغيبة إلى عدّة أصناف:

#### الصنف الأول: أصل الغيبة

وهي عبارة عن الروايات التي أشارت إلى أصل الغيبة المهدوية ولم تتطرق إلى انقسامها إلى صغرى وكبرى، ومن هذا الصنف:

١- عن جابر الأنصاري عن النبي ﷺ: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون به غيبة وحيرة تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»<sup>(١)</sup>.

٢- عن يمان التمار قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جلوساً فقال لنا: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن صفوان بن مهران، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «المهدي من ولدي الخامس ومن ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته»<sup>(٣)</sup>.

#### الصنف الثاني: غيبتان

وهي عبارة عن الروايات التي قسّمت الغيبة المهدوية إلى قسمين، ومن هذا الصنف:

١- رواية إسحاق بن عمار عن الصادق عليه السلام: «للقائم غيبتان إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه»<sup>(٤)</sup>.

(١) كمال الدين، ص ٢٦٨.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٣٦.

(٣) كمال الدين، ص ٣٣٣.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٣٤٠.

٢- عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له كان أبو جعفر يقول: «لقائم آل محمد غيبتان واحدة طويلة والأخرى قصيرة»، قال: فقال لي: «نعم يا أبا بصير أحدهما أطول من الأخرى»<sup>(١)</sup>.

٣- عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لصاحب هذا الأمر غيبتان: إحدهما يرجع منها إلى أهله، والأخرى يقال: هلك، في أيّ وادٍ سلك، قلت: كيف نصنع إذا كان كذلك؟ قال: إذا ادّعاها مدّع فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله»<sup>(٢)</sup>.

#### الصنف الثالث: الغيبة الطويلة

وهي عبارة عن الروايات التي أشارت إلى الغيبة الطويلة للإمام عليه السلام، ولم تتحدّث عن الغيبة القصيرة، ومن هذا الصنف:

١- عن أمير المؤمنين عليه السلام: «للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه، ولم يقس قلبه بطول غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة ثم قال: إنّ القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه»<sup>(٣)</sup>.

فالظاهر من هذه الرواية أنها تتحدّث عن خصوص الغيبة الكبرى، خصوصاً مع ملاحظة روايات الصنف الثاني التي قسّمت الغيبة إلى طويلة وقصيرة، وبذلك تكون مثل هذه الروايات صنفاً ثالثاً، وأما لو استظهرنا منها أنها تتحدّث عن أصل الغيبة وكونها طويلة فستكون داخلةً في الصنف الأول، وليست صنفاً جديداً.

(١) غيبة النعماني، ص ١٧٧.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٤٠.

(٣) كمال الدين، ص ٣٠٣.

والنتيجة: أنه يتّضح من خلال هذه الأخبار الوجه في تقسيم الغيبة إلى صغرى وكبرى، وهو الصنفان الثاني والثالث من هذه الأخبار.

إن قلت: إن هناك تعارضاً بين هذه الأصناف من الأخبار؛ فالصنف الأول دلّت على أنّ الغيبة واحدة، والصنف الثالث دلّت على أنها غيبة واحدة طويلة، وأما الصنف الثاني فدلت على أنها غيبتان، وبعد هذه المعارضة لا وجه لتقديم ما دلّ على انقسام الغيبة إلى قسمين على ما دلّ على كونها غيبةً واحدةً.

قلنا: لا تعارض بين هذه الأخبار أصلاً؛ للاختلاف في موضوع كلّ صنف منها، فالصنف الأول يشير إلى أصل الغيبة، وليس بصدد التقسيم كي يقال بأنه دالّ على كون الغيبة واحدةً فيعارض ما دلّ على كونها غيبتين.

وأما الصنف الثالث فهو يتحدث عن خصوص الغيبة الكبرى وما يقع فيه المؤمنون من البلاء في أيامها، وليس بصدد التقسيم وحصر الغيبة في قسم واحد وهو الغيبة الكبرى كي يعارض الصنف الثاني الدالّ على كونها غيبتين. والمتحصّل أنه لا توجد معارضة بين هذه الأخبار.

### النقطة الثانية: لماذا غيبتان؟

بعدما اتّضح أنّ للإمام عليه السلام غيبتين نقول: بأنّ سرّ تسمية إحداهما بالصغرى والأخرى بالكبرى هو أنّ باب الاتصال بالإمام عليه السلام كان مفتوحاً في إحداهما دون الأخرى، وذلك من خلال السفراء الأربعة الذين سنتحدّث عنهم لاحقاً إن شاء الله تعالى، فلما كان يمكن الاتصال بالإمام عليه السلام في فترة من غيبته وإيصال المسائل والقضايا إليه بواسطة سفرائه سمّيت تلك الغيبة بالصغرى، ولما انسدّ هذا الباب سمي ما يلي تلك الفترة بالغيبة الكبرى.

وقد يسأل البعض فيقول: لماذا وقعت غيبتان صغرى وكبرى ولم تكن الغيبة الكبرى قد وقعت بصورة تلقائية وبشكل مباشر؟ وما هي الحاجة والداعي لغيبتين؟  
والجواب: أنه من خلال ملاحظتي وبحثي في الأخبار لم أقع على نص للمعصومين عليهم السلام يجيب عن هذا التساؤل، إلا أن الأعلام قد ذكروا عدة أجوبة لا تعدو كونها ظنية تؤيدها بعض القرائن، منها:

#### الجواب الأول: إثبات الوجود

فإن من أسرار وقوع الغيبة الصغرى لتكون دلالةً وعلامةً على ولادة ووجود الإمام عليه السلام، حيث كان الشيعة ولمدة سبعين سنة تقريباً يتصلون بالإمام عليه السلام عبر سفرائه الذين ظهرت على أيديهم العلوم والمعاجز، وكان ذلك سبباً موجباً لحصول اليقين وذهاب حالة الشك من قلوب الكثير من الناس في ولادته ووجوده، وأما لو وقعت الغيبة الكبرى بشكل تلقائي بعد شهادة الإمام العسكري عليه السلام ولم يكن هناك مجال وطريق للاتصال بالإمام عليه السلام فقد يكون ذلك موجباً لتشكيك البعض في الولادة ممن لم يسمع بخبر ولادته من لسان أبيه عليه السلام أو لم يشاهده.

#### الجواب الثاني: التمهيد للغيبة الكبرى

فإن من أهداف الغيبة الصغرى التمهيد للغيبة الكبرى، فقد اعتاد الشيعة لأكثر من قرنين ونصف على الالتقاء بأئمتهم عليهم السلام بشكل مباشر وكانوا يرجعون إليهم في مسائلهم الدينية والاجتماعية والشخصية، كقضاء حوائجهم ودفع ما ينتابهم من المصائب والبلايا، فلو وقعت الغيبة الكبرى مباشرةً وانسد باب الاتصال بالإمام بشكل مفاجئ فقد يؤدي ذلك لوقوع المؤمنين في حرج شديد وبلاء عظيم، وقد يؤدي بالبعض إلى الحيرة أو الردة وجحد الإمامة، فكان ذلك مما يحتم تهيئة المناخ وخلق الأرضية للغيبة الكبرى، وهذا إنما يكون بسبقها بالغيبة الصغرى والتي يتمكن فيها الشيعة من الاتصال بالإمام ولكن

بصورة غير مباشرة ومن خلال سفرائه الأربعة، وبهذه الغيبة الصغرى يكون الشيعة قد تهيئوا واستعدوا لتقبل فكرة الغيبة الطويلة واحتجاب الإمام عليه السلام عنهم بشكل مطلق.

### الجواب الثالث: الإرجاع للعلماء

فإن من أغراض وأهداف الغيبة الصغرى تربية الشيعة على الرجوع للعلماء والأخذ عنهم بشكل كامل، فالواسطة بين الإمام والشيعة في زمان الغيبة الصغرى كانوا من العلماء وهم السفراء الأربعة، وقد أرجع الإمام عليه السلام الشيعة لهم، وهكذا سيكون الأمر في زمن الغيبة الكبرى، وكأنه عليه السلام يرغب في رفع الحيرة عن شيعته في أمور دينهم ودنياهم من خلال إرجاعهم للعلماء وتربيتهم على هذا النهج، ولذلك جاء في جوابه عليه السلام على مسائل إسحاق بن يعقوب: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»<sup>(١)</sup>.

### النقطة الثالثة: تاريخ الغيبتين

ما هو تاريخ بداية الغيبة الصغرى وما هو تاريخ الغيبة الكبرى؟ وكما استمرت كلتا الغيبتين؟

والجواب عن ذلك:

أما الغيبة الصغرى فقد اختلف الأعلام في بدايتها على أقوال ثلاثة:

القول الأول: من الولادة حتى وفاة السفير الرابع:

وقد ذهب جمع من الأعلام - بل لا يبعد دعوى المشهور منهم - إلى أن الغيبة الصغرى ابتدأت مع ولادة الإمام المهدي عليه السلام في النصف من شعبان، وانتهت بوفاة السفير الرابع في النصف من شعبان سنة ٣٢٩، وبذلك تكون الغيبة الصغرى قد دامت ٧٤ سنة، ويمكن

(١) كمال الدين، ص ٤٨٣.



أن يستدل لهذا القول بأن الإمام عليه السلام كان غائباً ومستوراً من حين ولادته، وهذا ما دلّت عليه الأخبار من قبيل:

١- عن أمير المؤمنين عليه السلام «إن القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه»<sup>(١)</sup>.

٢- عن زين العابدين عليه السلام: «القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن أيوب بن نوح قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إني أرجو أن تكون صاحب هذا الأمر وأن يسوقه الله إليه بغير سيف فقد بوبع لك وضربت الدراهم باسمك. فقال: «ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب وأشير إليه بالأصابع وسئل عن المسائل وحملت إليه الأموال إلا اغتيل أو مات على فراشه حتى يبعث الله لهذا الأمر غلاماً منّا خفي الولادة والمنشأ غير خفي في نسبه»<sup>(٣)</sup>.

وإليك كلمات بعض أصحاب هذا القول:

١- الشيخ المفيد: «فأما القصرى منهما [لغيبتان] منذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة»<sup>(٤)</sup>.

٢- الطبرسي: «فأما الغيبة الصغرى فمنذ ولد صلوات الله عليه إلى أن قطعت السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة»<sup>(٥)</sup>.

(١) كمال الدين، ص ٣٠٣.

(٢) كمال الدين، ص ٣٢٢.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٣٤١.

(٤) الإرشاد، ج ٢، ص ٣٤٠.

(٥) تاج الموالي، ص ٦٦.

- ٣- العلامة الحلي: "فأما القصرى منهما منذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة"<sup>(١)</sup>.
- ٤- الإربلي: "فأما القصرى فمنذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة"<sup>(٢)</sup>.
- ٥- ابن الصباغ: "فأما الأولى فهي القصرى منهما فمنذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته"<sup>(٣)</sup>.
- ٦- السيد الأمين: "أما الغيبة الصغرى فمن مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم وهي أربع وسبعون سنة"<sup>(٤)</sup>.

القول الثاني: من شهادة العسكري عليه السلام إلى وفاة السفير الرابع:

ذهب بعض الأعلام إلى أن الغيبة الصغرى قد بدأت منذ شهادة الإمام العسكري عليه السلام بتاريخ ٨ ربيع الأول من سنة ٢٦٠ للهجرة وإلى وفاة السفير الرابع سنة ٣٢٩، وبذلك تكون هذه الغيبة قد استمرت حدود ٦٩ سنة، ويمكن أن يستدل لهذا القول بوجهين:

الوجه الأول: أن الإمام عليه السلام لم يكن غائباً في حياة أبيه العسكري عليه السلام، وإنما كان مستوراً عن الحكومة العباسية وأذئابها فقط، وأما المواليون والشيعة فقد كانوا يلتقون به ويشاهدونه متى ما ساعدت الظروف على ذلك ولم يخش عليه من السلطة، وهذا ما يستفاد من روايات المشاهدة الكثيرة التي وقعت في أيام العسكري عليه السلام والتي نقلنا بعضاً منها في الفصل الثالث.

(١) المستجاد من الإرشاد، ص ٢٣٢.

(٢) كشف الغمة، ج ٣، ص ٢٤٣.

(٣) الفصول المهمة، ج ٢، ص ١٠٩٧.

(٤) أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٤٦.

فأخبار خفاء الولادة التي سبق ذكرها لا تدلّ على الغيبة، وإنما تدلّ على استتار أمره عن الأعداء، وهذا غير الغيبة المبحوثة.

الوجه الثاني: أنّ احتجاج الإمام عليه السلام عن الجميع إنما كان بعد شهادة أبيه العسكري عليه السلام وبعدهما صار السفراء هم الواسطة بينه وبين شيعته. وممن ذهب إلى هذا القول السيد الصدر، حيث قال: "تبدأ هذه الفترة التي نورّخها: عصر الغيبة الصغرى بوفاة الإمام العسكري عليه السلام في الثامن من شهر ربيع الأول عام ٢٦٠ كما قلنا، وتنتهي بوفاة السفير الرابع أبي الحسن علي بن محمد السمري في النصف من شعبان عام ٣٢٩<sup>(١)</sup>."

القول الثالث: بعد فترة من الولادة وحتى وفاة السفير الرابع:

ذهب البعض إلى أنّ الغيبة الصغرى قد وقعت بعد ولادة الإمام المهدي عليه السلام بفترة، وفي حياة أبيه الإمام العسكري عليه السلام، وتقريباً قبل شهادته بسنة لما كان عمر الإمام المهدي عليه السلام أربع سنوات، وبذلك تكون الغيبة الصغرى ٧٠ أو ٧١ سنة.

ووجه هذا القول: ما رواه الصدوق بسنده عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال، وأحمد بن بلال، ومحمد بن معاوية بن حكيم، والحسن بن أيوب بن نوح في خبر طويل مشهور، قالوا جميعاً: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي نسأله عن الحجّة من بعده، وفي مجلسه أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا ابن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني، فقال له: «اجلس يا عثمان»، فقام مغضباً ليخرج، فقال: «لا يخرجن أحد»، فلم يخرج منا أحد، إلى كان بعد ساعة فصاح بعثمان، فقام على قدميه فقال: «أخبركم بما جئتم؟» قالوا: نعم يا ابن رسول الله، قال: «جئتم تسألوني

(١) موسوعة الإمام المهدي، ج ١، ص ٣٤٥.

عن الحجة من بعدي»، قالوا: نعم، فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد، فقال: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه»<sup>(١)</sup>.  
فيدعى بأنّ قوله ﷺ: «لا ترونه من بعد يومكم» دالّ على وقوع الغيبة الصغرى منذ ذلك اليوم

ويلاحظ على ذلك:

أولاً: إنّ هذه العبارة لا دلالة فيها على مبدأ وقوع الغيبة، فلعلّ الغيبة تحققت منذ الولادة ولكن لما أراد الإمام العسكري ﷺ إقامة الحجة على بعض مواليه عرض عليهم ولده، وبما أنه قد أقيمت الحجة عليهم قال ﷺ لهم: «ألا وإنكم لا ترونه بعد يومكم هذا»؛ لعدم الداعي، لا أنّ ذلك إيذاناً ببداية الغيبة.

وثانياً: لعلّ المقصود من هذه العبارة خصوص الحاضرين، حيث أقيمت عليهم الحجة فلا داعي لمشاهدتهم للإمام ﷺ مرةً أخرى، وهذا لا يمنع من مشاهدة غيرهم له بعد هذه الواقعة وعرض الإمام العسكري ﷺ إياه لبعض مواليه إقامةً للحجة عليهم، فإذا تمّ هذا الاحتمال أمكن القول بأنّ بداية الغيبة تحققت بشهادة الإمام العسكري ﷺ، لا في هذا اليوم الذي قال فيه ﷺ: «ألا وإنكم لا ترونه بعد يومكم هذا».

وأما الغيبة الكبرى: فلم يقع خلاف بينهم في أنها بدأت بوفاة السفير الرابع سنة ٣٢٩ ولا تزال مستمرةً إلى هذه اللحظة وحتى ظهوره ﷺ، ويدلّ على وقوعها بوفاة السفير الرابع -مضافاً إلى الإجماع على ذلك- التوقيع الصادر عن الناحية المقدّسة والذي جاء فيه: «بسم

(١) كمال الدين، ص ٤٣٥.

الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توصل إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك؛ فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلا بعد إذن الله (عز وجل) وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً<sup>(١)</sup>.

وبعد عرض هذه الأقوال يمكننا القول بأن الغيبة في الواقع ذات مفهوم تشكيكي ومرّت بمراحل ثلاث وهي:

**المرحلة الأولى: من الولادة إلى شهادة العسكري عليه السلام:**

وفي هذه المرحلة كانت الغيبة نسبية جزئية، خاصة عن الأعداء ومن يخشى منه على الإمام عليه السلام.

**المرحلة الثانية: من شهادة العسكري عليه السلام وحتى وفاة السفير الرابع:**

وفي هذه المرحلة اتسعت الغيبة لتشمل عموم الناس حتى الشيعة، إلا أنّ هناك من يتمكن من الاتصال بالإمام عليه السلام ولو من طريق من يلتقي به وهم السفراء.

**المرحلة الثالثة: من وفاة السفير الرابع وحتى الظهور:**

وفي هذه المرحلة امتدت الغيبة بشكل أكبر لينقطع طريق التواصل به عليه السلام وينسد باب السفارة.

**النقطة الرابعة: لماذا انقطعت الغيبة الصغرى**

لم أقف على نص بالخصوص على السرّ الحقيقي من انقطاع الغيبة الصغرى وتبدّلها إلى الغيبة الكبرى، إلا أنّ بعض الأعلام ذكروا بعض الوجوه المتصورة:

(١) كمال الدين، ص ٥١٥.

الوجه الأول: الاستيفاء، بمعنى أنّ الغيبة الصغرى قد استوفت أهدافها وحققت أغراضها من الدلالة على الولادة والوجود المهدوي، ومن تهيئة الشيعة لتقبّل الغيبة الكبرى، ومن تربيتهم على الرجوع المطلق للعلماء، وغير ذلك من الأهداف.

الوجه الثاني: الضرورة، بمعنى أنّ استمرار حياة الإمام عليه السلام وخفاء أمره عن الأعداء يستدعي الانتقال لمرحلة الغيبة الكبرى وانقطاع السفارة؛ وذلك لأنّ دوام الغيبة الصغرى لفترة أطول قد يؤدي لكشف أمره ووقوع السلطات العباسية أو غيرها عليه، حيث ما فتأت من البحث والتفتيش عنه في كلّ مكان، كما أنّ استمرار الغيبة الصغرى قد يعرّض حياة السفراء وغيرهم للخطر.

## الجهة الثالثة: سبب الغيبة المهدوية

والبحث في هذه الجهة في عدة نقاط:

النقطة الأولى: أقوال العلماء

يظهر من خلال البحث والتتبع في كلمات الأعلام حول سبب الغيبة المهدوية أنهم اختلفوا في ذلك إلى عدة آراء:

الرأي الأول: الخوف من القتل:

إنّ الرأي المشهور والمعروف بينهم هو أنّ سبب الغيبة الخوف، فالإمام عليه السلام إنما غاب حفاظاً على نفسه وخوفاً من القتل، بل حاول البعض البرهنة العقلية على ذلك، وإليك بعض الكلمات:

١- المفيد: "غاب الإمام للخوف على نفسه من القوم الظالمين، فضاعت لذلك الحدود، وانهملت به الأحكام، ووقع به في الأرض الفساد، فكان السبب لذلك فعل الظالمين دون الله عزّ اسمه، وكانوا المأخوذين بذلك المطالبين به دونه"<sup>(١)</sup>.

٢- المرتضى: "أما سبب الغيبة فهو إخافة الظالمين له عليه السلام وقبضهم يده عن التصرف فيما جعل إليه التصرف والتدبير له؛ لأنّ الإمام إنما ينتفع به إذا كان ممكناً مطاعاً مخلي بينه وبين أغراضه ليقوم الجناة ويحارب البغاة ويقوم الحدود ويسدّ الثغور وينصف المظلوم من الظالم، وكلّ هذا لا يتمّ إلا مع التمكين، فإذا حيل بينه وبين مراده سقط عنه فرض القيام بالإمامة، فإذا خاف على نفسه وجبت غيبته ولزم استتاره"<sup>(٢)</sup>.

(١) الفصول العشرة، ص ١٠٧.

(٢) المقنع في الغيبة، ص ٥٢.

٣- الطوسي: "لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل؛ لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمل المشاق والأذى؛ فإن منازل الأئمة وكذلك الأنبياء عليهم السلام إنما تعظم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله تعالى"<sup>(١)</sup>.

٤- الخواجة نصير الدين: "ليست غيبة المهدي عليه السلام من الله سبحانه ولا منه عليه السلام، بل من المكلفين والناس، وهي غلبة الخوف وعدم تمكين الناس من إطاعة الإمام، فإذا زال سبب الغيبة وقع الظهور"<sup>(٢)</sup>.

٥- ابن ميثم: "لا يجوز أن يكون ذلك السبب من الله تعالى؛ لكونه مناقضاً لغرض التكليف، ولا من الإمام نفسه؛ لكونه معصوماً، فوجب أن يكون من الأمة وهو الخوف الغالب وعدم التمكين، ولا إثم في ذلك، وما يستلزمه من تعطيل الحدود والأحكام عليهم، والظهور واجب عند عدم سبب الغيبة"<sup>(٣)</sup>.

٦- الراوندي: "بقي علينا أن نبين سبب غيبته عليه السلام، وهو السبب المحجوج للأنبياء إلى الغيبة، مثل هرب موسى عليه السلام الذي دلّ عليه القرآن حيث قال: {ففررت منكم لما خفتكم}، وهرب يونس عليه السلام، ودخول إبراهيم عليه السلام النار، ودخول نبينا عليه السلام الغار، فإذا لم يوجب هرب الأنبياء خلافاً في نبوتهم فبأن لا يوجب هرب الإمام -مع أنّ الأعداء الآن أكثر- أولى"<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيبة، ص ٣٢٦.

(٢) كشف الفوائد، ص ٨٢.

(٣) قواعد المرام في علم الكلام، ص ١٩٠.

(٤) عجلة المعرفة في أصول الدين، ص ٤٠.



### الرأي الثاني: مصلحة مجهولة

قال بعض الأعلام: لا شك ولا ريب من وجود مصلحة ملزمة لهذه الغيبة، ولا ملزم بأن ندرك هذه المصلحة، فقد تكون خفيةً ومجهولةً بالنسبة لنا، ولعلّ كلام المحقق الحلي يشير إلى ذلك، قال: "يكفي في الجواب عن سبب الغيبة أن يقال: مع ثبوت عصمته يجب أن نحمل أفعاله على الصواب وإن خفي الوجه، فلولا مصلحة مبيحة للاستتار لما استتر"<sup>(١)</sup>.

### الرأي الثالث: إما مصلحة مجهولة أو عدم الناصر

ذهب بعض الأعلام إلى أنّ سبب الغيبة يعود لأحد أمرين: إما مصلحة مجهولة لدينا، أو كثرة العدو مع قلة الناصر للإمام عليه السلام، ولذا قال المقداد السيوري: "وأما سبب خفائه فإما لمصلحة استأثر الله بعلمها، أو لكثرة العدو وقلة الناصر؛ لأنّ حكيمته تعالى وعصمته عليه السلام لا يجوز معهما منع اللطف، فيكون من الغير المعادي، وذلك هو المطلوب"<sup>(٢)</sup>.

### النقطة الثانية: الروايات

وبعدما نقلنا بعضاً من كلمات الأعلام في سبب الغيبة فمن المهم أن نلقي نظرةً على الأخبار الواردة في هذا المضمار علّنا نتمكّن من الوقوف على السبب الحقيقي للغيبة وتحقيق الرأي الحقيقي من هذه الآراء، وحينما نلاحظ الروايات الواردة في ذلك نجد أنها مختلفةٌ أيضاً، كما هو الاختلاف الموجود بين الأعلام، فقد ذكرت الأخبار أسباباً عديدةً للغيبة تظهر للمتتبع، وكيفما كان فما يمكننا أن نذكره من الأسباب فعلاً هو التالي:

(١) المسلك في أصول الدين، ص ٢٧٦.

(٢) كشف الفوائد، ص ٨٢.

### السبب الأول: الخوف من القتل

توجد عدّة روايات ومنها ما هو معتبر دلّت على أنّ سبب الغيبة هو خوف الإمام عليه السلام من القتل، ومن هذه الروايات: رواية زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «للقائم غيبة قبل قيامه» قلت: ولم؟ قال: «يخاف على نفسه الذبح»<sup>(١)</sup>.

### السبب الثاني: كي لا يبايع الطواغيت

توجد عدّة روايات ومنها المعتبر دلّت على أنّ سبب الغيبة هو لكي لا تكون في عنق الإمام عليه السلام بيعة لطاغوت من طواغيت زمانه، فإنه لو كان عليه السلام ظاهراً مشهوراً فقد يضطرّ للدخول في مبايعة الطواغيت بعد قلة الناصر وكثرة العدو، إلا أنّ المشيئة الإلهية قد شاءت له أن لا يبايع أحداً من الطواغيت، وعلاوةً على ذلك فإنه لو بايع قد لا يستطيع لاحقاً الخروج على هؤلاء الطواغيت وإقامة الدولة العالمية بمقتضى الالتزام بهذه البيعة أو العهد، فلأجل ذلك غاب حتى لا يضطرّ للوقوع في شرك البيعة وما يتبعها من اللوازم، ومن الروايات الدالة على ذلك:

رواية أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «صاحب هذا الأمر تسمى ولادته على هذا الخلق لثلاثين يوماً في عنقه بيعة إذا خرج»<sup>(٢)</sup>.

### السبب الثالث: الامتحان

يستفاد من بعض الأخبار أنّ سبب الغيبة هو تمحيص العباد وامتحان صبرهم، وليعلم الله سبحانه وتعالى المؤمن الصابر من الكافر منهم، ومما ورد في ذلك هذه الرواية: عن علي بن جعفر عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به إنما هي محنة من الله (عز وجل) امتحن بها خلقه

(١) كمال الدين، ص ٤٨١.

(٢) كمال الدين، ص ٤٧٩.

لو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصحَّ من هذا لا تبعوه» قال: فقلت: يا سيدي، من الخامس من ولد السابع؟ فقال: «يا بني، عقولكم تصغر عن هذا، وأحلامكم تضيق عن حملة، ولكن إن تعيشوا فسوف تدركونه»<sup>(١)</sup>.

#### السبب الرابع: لتجري فيه سنن الأنبياء

ورد في بعض الأخبار أنّ سبب الغيبة هو جريان سنن الأنبياء في الإمام المهدي عليه السلام، فكما أنّ بعض الأنبياء قد غابوا عن أقوامهم كنبى الله إدريس وصالح وموسى ويونس عليهم السلام، فكذلك الإمام المهدي عليه السلام لا بدّ أن يغيب، بل ويستوفي مدد غيبات الأنبياء، ومما ورد في ذلك: عن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ للقاء منّا غيبة يطول أمدها»، فقلت له: ولم ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: «إنّ الله (عز وجل) أبى إلا أن يجري فيه سنن الأنبياء في غيباتهم، وأنه لا بدّ له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم، قال الله (عز وجل): {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنُ طَبَقٍ} أي سنناً على سنن من كان قبلكم»<sup>(٢)</sup>.

#### السبب الخامس: قلة الناصر

يستفاد من بعض الأخبار أنّ سبب الغيبة يعود لعدم وجود أنصار يكتفى بهم، ومما ورد في ذلك عن عبدالله بن بكير قال أبو الحسن عليه السلام: «يا ابن بكير إني لأقول لك قولاً قد كانت آباي عليهم السلام تقوله، لو كان فيكم عدّة أهل بدر لقام قائمنا»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ج ١ ص ٣٣٦.

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ٢٤٥، كمال الدين ص ٤٨١.

(٣) مشكاة الأنوار، ص ١٢٨.

### السبب السادس: انتظار الودائع

يستفاد من بعض الأخبار أنّ سبب الغيبة يعود لانتظار الإمام عليه السلام خروج الودائع والصفوة المؤمنة من الأصلاب، ومن ذلك: عن ابن أبي عمير عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفه في الأول؟ قال: «الآية في كتاب الله (عز وجل): {لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}» قال: قلت: وما يعني بتزاييلهم؟ قال: «ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، فكذلك القائم عليه السلام لن يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله (عز وجل)، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله (عز وجل) فقتلهم»<sup>(١)</sup>.

### السبب السابع: الغضب الإلهي على الأمة

قد يستفاد من بعض الأخبار أنّ سبب الغيبة هو غضب الله تعالى على هذه الأمة، فبسبب طغيانها حرمت من ظهور الإمام عليه السلام، ومما ورد في ذلك عن مروان الأنباري قال: خرج من أبي جعفر عليه السلام: «أنّ الله إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم»<sup>(٢)</sup>.

### السبب الثامن: ليحكم كلّ صنف من الناس

يستفاد من بعض الأخبار أنّ سبب الغيبة ودوامها هو من أجل أن يتبين للناس عجز الحكومات عن تحقيق العدالة الحقيقية في الأرض، وأن لا طريق لتحقيق ذلك إلا بالمصلح السماوي والإلهي وهو الإمام المهدي عليه السلام، ومن ذلك: عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد ولوا على الناس حتى لا يقول قائل: إنا لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل»<sup>(٣)</sup>.

(١) علل الشرائع، ج١، ص١٤٧؛ كمال الدين، ص٦٤١.

(٢) علل الشرائع، ج١، ص٢٤٤.

(٣) الغيبة للنعماني، ص٢٨٢.

## السبب التاسع: عدم الوفاء

يستفاد من التوقيع الموجّه للشيخ المفيد أنّ سبب الغيبة وحرمان الناس من ظهور الإمام عليه السلام هو عدم الوفاء وصدور بعض المكاره من المؤمنين، فقد جاء في التوقيع: «ولو أنّ أشياعنا - وفقهم الله لطاعته - على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا ممّا نكرهه ولا نؤثره منهم»<sup>(١)</sup>.

## النقطة الثالثة: شبهات على سبب الغيبة

هناك عدّة شبهات تطرح حول سبب الغيبة المهدوية، نتعرض للمهم منها مع الجواب عليها:

## الشبهة الأولى: مجهولية سبب الغيبة

يستفاد من بعض الأخبار أنّ سبب الغيبة مجهول ولا يمكن معرفته إلا بعد ظهور الإمام عليه السلام، ومع ذلك فلا يمكن الاعتماد على هذه الأخبار التي ذكرت سبب الغيبة، ولا أقل من كونها معارضةً للروايات التي علّلت سبب الغيبة، ومع المعارضة تتساقط الروايات، فلا يمكن الوصول إلى نتيجة حاسمة في ذلك.

ومما ورد في ذلك: عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد (صلوات الله عليهما) يقول: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها، يرتاب فيها كلّ مبطل، فقلت: ولم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم؟ قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لم

(١) الاحتجاج، ج ٤، ص ٣٢٣.

ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما، يا ابن الفضل: إن هذا الأمر أمر من أمر الله تعالى، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف»<sup>(١)</sup>.

ويمكن الجواب عن ذلك:

أولاً: هذه الرواية لا يمكن الاعتماد عليها؛ لعدم توفر شروط الحجية المعتبرة في باب المعارف فيها، فحتى لو قلنا باعتبارها سنداً، إلا أنها مع ذلك رواية واحدة لا تكفي للاعتماد عليها في إثبات هذه القضية المعرفية، خصوصاً مع وجود روايات كثيرة في مقابلها ذكرت علة الغيبة، وبالتالي تكون هذه الرواية مفتقرة لشروط الحجية في باب المعارف.

وثانياً: لو فرضنا توفر الرواية على شروط الحجية فمع ذلك لا يمكن الاعتماد عليها؛ وذلك لوقوع التعارض بين الروايات، ومع التعارض يكون الترجيح لصالح الروايات المشهورة، وهي التي ذكرت سبب الغيبة.

وثالثاً: على فرض التنزل عما سبق فنقول: من المحتمل أن هذا الجواب الذي ذكره الإمام عليه السلام جواب إقناعي؛ لأنه علم من حال السائل أنه لا يقنع إلا بهذا الجواب، فألزمه عليه السلام به، وهو بما أن الله تعالى حكيم فلا بد من وجود حكمة لهذه الغيبة ولو لم نعلمها، وهذا لا يتنافى مع ما ذكرته الأخبار من علة الغيبة؛ لأن هذا الجواب المذكور في الرواية منظور فيه لحال السائل.

ورابعاً: مع التنزل عما سبق فنقول: من المحتمل أن هذه الرواية تشير لمجهولية السبب الحقيقي والعلة التامة للغيبة المهدوية، وهذا لا يمنع من وجود سبب ظاهري أو ما هو جزء

(١) علل الشرائع، ج ١، ص ٢٤٦؛ كمال الدين، ص ٤٨٢.

السبب للغيبة، وهو ما أشارت له الروايات التي ذكرت سبب الغيبة، وبالتالي فيصحّ البحث عن هذا السبب الظاهري أو جزء السبب بعد ورود هذه الروايات.

### الشبهة الثانية: تعارض الأخبار

إنّ الروايات الواردة في سبب الغيبة متعارضة فيما بينها، حتى أنها ذكرت تسعة أسباب أو أكثر للغيبة، وهذا التعارض دليل واضح على أسطورة وخرافة الغيبة المهدوية، وإلا فلو كانت الغيبة أمراً ثابتاً حقيقياً لكان سببها واضحاً، ولا تفتقت الأخبار في تحديده، فهذا التضارب الموجود بين الروايات ما هو إلا دليل على كذب الغيبة، وأنها فكرة اخترعها الكذّابون ونسجها الدجالون ليخدعوا بها البسطاء والسذج من الناس؟

### والجواب عن ذلك:

أولاً: هذه المسألة من المسائل المعرفية والعقدية التي يطلب فيها حصول العلم، وذلك إنما يتحقق بتوفّر مجموعة من الشروط، من قبيل:

- ١- تعدّد طرق الخبر بحدّ يوجب حصول العلم.
- ٢- عدم معارضة الخبر مع القرآن على نحو التباين الكلي أو الجزئي.
- ٣- عدم معارضة الأخبار فيما بينها.
- ٤- عدم معارضة الأخبار مع حكم عقلي قطعي.
- ٥- عدم وجود منشأ عقلائي على خلاف هذه الأخبار كإعراض المشهور عنها مثلاً.
- ٦- وجود قرائن داخلية أو خارجية تشهد بصحة مفاد هذه الأخبار.

وبناءً على ذلك نقول: لو اشترطنا هذه الشروط وغيرها في الوصول لمعرفة يقينية في سبب الغيبة المهدوية، فإنه لن يبقى أمامنا من هذه الأسباب المذكورة إلا سبب واحد وهو الخوف من القتل، وهو السبب المشهور لدى الأعلام؛ لأنه السبب الذي صحّت أخباره وتعدّدت طرقه، ولا معارض تام له، مضافاً لكونه متوافقاً مع القرائن وظاهر الحال، وأما

بقية الأسباب فيما لم تصح أخبارها، فضلاً عن عدم تعدد طرقها، أو قيام منشأ عقلائي على خلافها.

نعم، نستدرك فنقول: بالنسبة للسبب القائل (بأنه غاب لعلا تقع في عنقه بيعة) فهو يتميز عن غيره بوروده بطريق معتبر، بل وبتعدد الطرق، كما أن السبب القائل بأنه غاب تمحيصاً للعباد فهو يتميز بوروده بطريق معتبر.

ويمكن القول بعدم وجود تناف بين هذه الأسباب الثلاثة كما سيأتي.

ثانياً: لو لم نلاحظ هذه الشرائط التي ذكرناها في قبول هذه الأخبار فمع ذلك نقول: لا تعارض مستقرّ بينها، بل يمكن الجمع العرفي، وذلك بعد الالتفات لعدة أمور:

#### الأمر الأول: مرحلتا الغيبة

للغيبة مرحلتان: مرحلة الحدوث وهي بداية وقوع الغيبة، والأخرى تسمى مرحلة البقاء، وهي مرحلة استمرار الغيبة، فقد تكون بعض الأسباب المذكورة تشير إلى سبب حدوث الغيبة، وبعضها تشير إلى سبب استمرار الغيبة، وبذلك يرتفع التعارض؛ لأن كل سبب ناظر إلى جهة مختلفة.

#### الأمر الثاني: تعدد الأسباب

بمعنى أنه يمكن أن يكون للغيبة أكثر من سبب وليس سبباً واحداً، وكل سبب يمثل جزء العلة، وبالتالي يمكن الجمع بين هذه الأسباب لتكون جميعها هي العلة التامة للغيبة.



### الأمر الثالث: اختلاف حال السائل

بمعنى أنّ الإمام عليه السلام يراعي في جوابه وكلامه حال السائل والمستوى الديني والذهني الذي يمتلكه، ولذلك قد تختلف الإجابة على سؤال واحد، فيجيب كل سائل بحسب ما يتناسب معه ويليق بشأنه وحاله.

### إذا اتضحت هذه الأمور الثلاثة نقول:

قد تكون بعض الأسباب المذكورة مرتبطة بمرحلة الحدوث، وبعضها بمرحلة البقاء، فالروايات التي تقول: أنه غاب خوفاً على نفسه، ولئلا يكون في عنقه بيعة، ولتجري فيه سنن الأنبياء، فهي ناظرة إلى مرحلة الحدوث، ولا مانع من تعدد الأسباب في حدوث أصل الغيبة، ويجمع بين هذه الأخبار بالجمع الواوي، فيرتفع بذلك التنافي بأن يقال: لو كان الإمام ظاهراً لألزمه بالمبايعة ولكنه لن يبايع، وإذا لم يبايع فسيقتل، ولذلك غاب، وهذه الغيبة من سنن الأنبياء عند الخوف.

وأما الروايات التي تقول بأنه لا يظهر حتى يكون له أنصار أو حتى تخرج الودائع أو أنه لا يظهر لعدم وفاء الناس وغيرها، فهي ناظرة إلى مرحلة البقاء واستمرار الغيبة، كما أنه لا مانع بأن تجتمع كلها لتكون سبباً في استمرار الغيبة على سبيل الجمع الواوي، فكأنه قيل: إنّ الغيبة سوف تستمرّ لعدم وفاء الناس، حيث لم يجد الإمام أنصاراً، ولما لم يجد أنصاراً صار ينتظر ويرتقب خروج الودائع المؤمنة لنصرته.

كما أنّ بعض الأسباب قد يكون ذكرها مراعاةً لحال السائل، حيث لا يقتنع إلا بجواب معين، ولذلك لم تذكر له جميع الأسباب.

### الشبهة الثالثة: الخوف من القتل ليس من صفات الحجج

إنّ أهمّ سبب ذكرته الأخبار وذهب له الأعلام هو الخوف من القتل، مع أنه لا يمكن التصديق بذلك لأمرين:

الأول: إنّ الخوف ليس من صفات الحجج والرسول، كما أشار لذلك القرآن الكريم: {إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} (١)، فكيف يخاف الإمام المهدي ﷺ على نفسه من القتل؟ ناهيك عن أنّ من سبقه من الأئمة كانوا ظاهرين ولم يخافوا على أنفسهم من القتل.

الثاني: إنّ الخوف من الموت ليس من صفات الأولياء فضلاً عن حجج الله تعالى، وكما في قوله: {إِنَّ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٢)، فالأولياء لا يخافون من الموت، بل يعشقونه ويستأنسون به استئناس الطفل بمحالب أمّه، وهذا هو حال من سبق الإمام المهدي من الأئمة ﷺ، فكيف يخالف هذه السنة؟

ويمكن الجواب عن ذلك:

أولاً: إنّ حال آباءه ﷺ يختلف عن حاله؛ فقد كان معلوماً لدى السلاطين أنهم لا يخرجون عليهم ولا يقومون بالسيف ضدهم، فلم يكن هناك ما يوجب الخوف والاستتار بالنسبة لهم، وهذا بخلاف الإمام المهدي ﷺ؛ فقد كان معلوماً لدى السلاطين أمره، وأنه يقوم بالسيف، ويزيل الممالك، ويقهر كلّ سلطان، ويبسط العدل، فكانوا يرتقبونه ويطلبون القضاء عليه، ولذا فلا بدّ أن يخفي شخصه عن كلّ من لا يأمنه من ولي وعدو إلى وقت خروجه.

وثانياً: ليس في الغيبة خروج عن سنة الحجج؛ فقد غاب الحجج عن أقوامهم وفرّوا منهم للحفاظ على أنفسهم، كما في موسى ﷺ {فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ} (٣).

(١) سورة النمل: ١٠.

(٢) سورة الجمعة: ٦.

(٣) سورة الشعراء: ٢١.

وثالثاً: إنّ آباءه عليهم السلام إنما ظهروا لأنه كان معلوماً لديهم أنه لو حدث بهم حادث لكان هناك من يقوم مقامهم من بعدهم ويسدّ مسدّهم، وأما صاحب الزمان عليه السلام فيعلم بأنه ليس هناك من يقوم مقامه قبل قيامه بالسيف، فلذلك وجب استتاره وحفظه لنفسه.

ورابعاً: إنّ خوف الإمام على نفسه ناشئ من خوفه على الدين؛ لأنه يعلم أنه مذخور لنصرة الدين وحفظه، وأنه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فتحقق هذا الهدف يتوقف على حفظه لنفسه وغيبته إلى يوم الوقت المعلوم، ومع هذا الهدف لا معنى للظهور قبل توفّر الشروط المحققة لهذا الهدف.

#### الشبهة الرابعة: الحفظ الإعجازي

لو كان سبب الغيبة هو خوف الإمام عليه السلام من القتل فإنه من الممكن أن الله تعالى يمنع من قتله بما يحول بينه وبين من يريد قتله من الجبابرة والطواغيت ولو من خلال المعجز، كما قد حصل ذلك حينما داهمه العباسيون وهجموا عليه داره، فكان يراهم ولم يكونوا يرونه، أو أنهم مع مشاهدتهم له لم يتمكنوا من الوصول إليه كما في بعض الأخبار: "ثم بعثوا عسكرياً أكثر، فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن فاجتمعوا على باب السرداب وحفظوه حتى لا يصعد الإمام وأميرهم قائم حتى يصل العسكر كلّهم، فخرج الإمام من السرداب ومرّ عليهم، فلما غاب قال الأمير: انزلوا عليه قالوا: أليس هو مرّ عليك؟ قال: ما رأيت، ولم تركتموه؟ قالوا: حسبنا أنك تراه"<sup>(١)</sup>.

ومع إمكان الحفظ الإعجازي فلا داعي للغيبة، ولا يصلح أن يكون الخوف من القتل مبرراً للغيبة، فهداية الناس هي الغاية القصوى، وهي ممكنة من خلال الحفظ الإعجازي.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٥٣.

ويمكن الجواب:

أولاً: إنّ المنع الإعجازي ينافي التكليف وينقض الغرض به؛ لأنّ الغرض بالتكليف استحقاق الثواب، والحيلولة الإعجازية تنافي ذلك، وربما كان في الحيلولة والمنع من قتله بالقهر مفسدة للخلق، فلا يحسن من الله (عز وجل) فعلها.

وثانياً: شاءت مشيئة الله أن لا تتدخل يد الإعجاز في كل شيء، وإنما يكون الإعجاز في حال الضرورة ولأجل إقامة الحجة عن الناس، ولذلك تجد أنه لم يستجب الأنبياء لتلبية جميع طلبات الكفار، ولذا فعندما طلب مشركوا قريش من النبي ﷺ بعض المطالب كتفجير ينبوع من الأرض أو بيت من زخرف أو غير ذلك لم يجبه لما يريدون وقال: {هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} (١).

وثالثاً: أنّ الله تعالى لا يريد أن تكون هداية الناس بالإلحاح والاضطرار القهري، بل بالقناعة والحرية المطلقة، فلو تدخلت يد الإعجاز في كل صغيرة وكبيرة لكان ذلك موجباً لإلحاح الناس للهداية، وهو خلاف الغرض المطلوب.

الشبهة الخامسة: لا طريق للعلم بزوال الخوف

لا يمكن أن يزول هذا الخوف عن الإمام المهدي ﷺ؛ وذلك لأنه لا يوجد طريق يتمكن من خلاله العلم بزوال هذا الخوف، فبأي شيء يعلم بزوال الخوف وقت ظهوره؟ فإما بوحى من الله تعالى، وباب الوحي مسدود، والإمام ﷺ لا يوحى إليه، وإما بعلم ضروري، فذلك ينافي التكليف، وإما بأمانة توجب عليه الظنّ، ففي ذلك تغرير بالنفس، فلم يبقَ طريق للعلم بزوال الخوف.

(١) سورة الإسراء: ٩٣.

## والجواب عن ذلك:

أولاً: يمكن القول بأنّ الله تعالى أعلم الإمام عليه السلام بموعد زوال الخوف على لسان نبيه صلى الله عليه وآله، وقد وصل له ذلك من خلال آبائه عليهم السلام، كما قد ورد بأنّ علومهم وراثية عن النبي صلى الله عليه وآله، وأنّ لديهم كتباً وصحفاً يتوارثونها فيما بينهم، كالجامعة والجفر الأبيض والجفر الأحمر، وقد ورد بأنّ الجفر الأحمر فيه أخبار الملوك ومن يملك، فلعلّ في هذا الكتاب تحديد وقت ظهوره عليه السلام، ففي رواية الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ عندي الجفر الأبيض» قال: قلنا: وأي شيء فيه؟ قال: فقال لي: «زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعج أنّ فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد، حتى أنّ فيه الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش، وعندني الجفر الأحمر» قال: قلت: جعلت فداك، وأي شيء في الجفر الأحمر؟ قال: «السلاح، وذلك أنها يفتح للدم، يفتحه صاحب السيف للقتل...»<sup>(١)</sup>.

وثانياً: من الممكن أن يصل له العلم بزوال الخوف عن طريق التحديث الملكوتي، كما دلّت بعض الأخبار بأنّ التحديث الملكوتي طريق من طرق علومهم، فعن الحارث بن المغيرة النضري، قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك، الذي يسأل عنه الإمام وليس عنده فيه شيء، من أين يعلمه؟ قال: «ينكت في القلب نكتاً أو ينقر في الأذن نقراً»<sup>(٢)</sup>، وليس ذلك من الغلو؛ فقد ثبت ذلك فيمن هو دونهم عليهم السلام كمریم بنت عمران، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} <sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٣٧٣.

(٣) سورة آل عمران: ٤٢.

وقال سبحانه: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (١).

وثالثاً: لو تنزلنا عما سبق، فلا يمتنع بحسب العادة أن يغلب على ظنه بقوة الأمارات قوة سلطانه، فيظهر عند ذلك، فيكون الظن شرطاً والعمل عنده معلوماً، كما نقوله في تنفيذ الحكم عند شهادة الشهود، والعمل على جهات القبلة بحسب الأمارات والظنون.

#### الشبهة السادسة: عدم الخوف في هذا الزمن

لو كان الإمام عليه السلام موجوداً لظهر؛ وذلك لأنه لا خوف عليه الآن بعد قيام عدة دول شيعية كالحمدانية والبويهية والصفوية والجمهورية الإسلامية وغيرها، مضافاً لوجود مئات الملايين من الشيعة يبذلون أرواحهم فداءً له، فإذا انتفت العلة انتفى معلولها، فبما أنه لا خوف فلا غيبة.

#### والجواب عن ذلك:

أولاً: إن مجرد ظهور دول شيعية أو كثرة الشيعة فهذا لا يستوجب زوال الخوف ما دام هناك قوة في مقابل ذلك، مضافاً إلى عدم إحاطتنا بجميع الجهات والجوانب التي يلاحظها الإمام عليه السلام في ارتفاع الخوف عنه، فقد يلاحظ جهات نحن نغفل عنها فنظن أن سبب الخوف قد ارتفع، والواقع خلاف ذلك.

وثانياً: لو قلنا بأن الخوف مجرد سبب لأصل حدوث الغيبة، لا سبباً لاستمرارها كما سبق، فإنه سينتفي هذا الإشكال من رأس؛ لأن الخوف سبب لأصل الغيبة لا لبقائها، فقد يكون سبب استمرارها غير الخوف كما سبق.

(١) سورة آل عمران: ٤٥.

الشبهة السابعة: الغيبة المهدوية أطول من غيبات الأنبياء

لا يمكنكم الاحتجاج في غيبة الإمام المهدي ﷺ بوقوع غيبة الأنبياء؛ وذلك لأن غيباتهم كانت قصيرة الأمد كغيبة النبي الخاتم ﷺ في الشعب مرة، وأخرى في الغار، فكانت غيبة قصيرة، فغيبة الشعب لم تتجاوز ثلاث سنين، وغيبة الغار يوماً أو بعض يوم، وهذا بخلاف غيبة الإمام المهدي ﷺ فهي دامت لأكثر من ألف ومائة سنة، فقياس غيبته بغيبات الأنبياء قياس مع الفارق.

ويمكن الجواب عن ذلك:

بأنه لا فرق في الغيبة بين كونها قصيرة أو طويلة، فإذا ساغت غيبة الحجج في فترة قصيرة لحكمة ومصلحة فإنها تسوغ في فترة طويلة متى ما استدعت المصلحة ذلك.

## الجهة الرابعة: الفائدة المهدوية في زمن الغيبة

والبحث في عدة نقاط:

النقطة الأولى: شبهة وجواب

يعترض العامة على الإمامية بأنهم يؤمنون بإمام غائب لا فائدة منه ولا منفعة من وجوده وهو غائب.

إلا أنه يمكن الجواب عن ذلك بالتالي:

أولاً: إنّ مسألة الغيبة لا تختص بالإمام المهدي عليه السلام، بل يوجد الكثير من الأنبياء الذين غابوا عن أقوامهم فترة من الزمن، كإدريس وصالح وإبراهيم وموسى ويعقوب وغيرهم، ومع ذلك لم يقل أحد بأنه لا فائدة من وجودهم، أو أنّ غيبتهم كانت مبرراً لإنكار نبوتهم، فالكلام هو الكلام في الغيبة المهدوية فمجرد غيبته عليه السلام لا تلغي الفائدة من وجوده أو تبرّر إنكار وجوده أو إنكار إمامته، وقد تعرّض الأعلام لذكر غيبات الأنبياء كالشيخ الصدوق في كتابه كمال الدين.

ثانياً: إنّنا ذكرنا فيما سبق بأنّ غيبة الإمام المهدي عليه السلام ليست غيبة شخصية، وإنما غيبة عنوانية وشخصية، وبالتالي فهو يعيش مع الناس ويختلط بهم ويمارس حياته بشكل طبيعي، ولأجل ذلك يمكنه إيصال فوائده ومنافعه للناس كما يمكن لبعض الناس أن يتصلوا به وينتفعوا من فوائده ولو لم يعرفوه بشخصيته الحقيقية.

ثالثاً: على فرض أنّ غيبته شخصية لا عنوانية، فإنّ دعوى عدم وجود فائدة منه عليه السلام دعوى فاسدة؛ إذ غاية ما يمكن للمشكك أن يدّعيه هو عدم وجود فائدة ظاهرة وواضحة



له ومعلومة لديه، وعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، فمن الممكن أن تكون هناك فوائد من وجوده ﷺ خافية عن بعض الناس.

رابعاً: على فرض صحة هذه الدعوى وأنه لا فائدة منه ﷺ في حال غيبته، فمع ذلك نقول: لا مشكلة في ذلك ما دام أنّ البشر هم الذين حرّموا أنفسهم من هذا الفيض الإلهي، فإنّ الله تعالى قد فعل ما يقتضيه لطفه ورحمته بنصبه الإمام، كما أنّ الإمام ﷺ قد قام بواجبه بقبول الإمامة، غير أنّ البشر هم الذين حرّموا أنفسهم الفائدة من الإمام ﷺ وذلك من خلال مطاردتهم له ورغبتهم في قتله كما ذكرنا ذلك في سبب الغيبة، وأنه غاب خوفاً على نفسه من القتل.

خامساً: على فرض عدم وجود فائدة منه في غيبته، فيكفي تحقّق الفائدة منه فترة ظهوره، كما يكفي تحقّق الفائدة من الأنبياء فترة ظهورهم وإن لم تكن لهم فائدة زمن غيبتهم.

سادساً: إنّ دعوى عدم وجود فائدة منه ﷺ في زمان الغيبة دعوى غير واقعية، بل إنّ لوجوده فوائد كثيرة جداً، وهي أكثر من أن تدركها عقولنا القاصرة، وقد دلّت الروايات على بعضها، كما ذكر الأعلام بعضها، وهذا ما نريد بحشه فعلاً وتسليط الضوء عليه في النقطة الثانية.

#### النقطة الثانية: الفوائد المهدوية

يمكن أن نذكر عدّة فوائد من الوجود المهدوي في زمن الغيبة منها:

### الفائدة الأولى: الفائدة الوجودية

وتقريب ذلك في مقدمتين:

المقدمة الأولى: إن بقاء الأرض يتوقف على وجود الحجة.

المقدمة الثانية: إن الحجة موجود وهو الإمام المهدي عليه السلام.

والنتيجة: إن بقاء الأرض يتوقف على وجود الإمام عليه السلام.

والمقدمة الثانية من هذا البرهان قد سبق البرهنة عليها في الفصل السابق فليراجع، إلا أن الكلام في المقدمة الأولى وهي كون بقاء الأرض متوقفاً على وجود الحجة، فما هو الدليل عليها؟ وهل هذه المقدمة من المدركات العقلية أم النقلية؟ وقد اختلف الجواب عن ذلك بين المحققين، فالبعض يدعي بأن هذه المقدمة عقلية لا تحتاج إلى دليل نقلي، وما دور النقل إلا الإرشاد لما يدل عليه العقل، ولكن البعض الآخر يدعي كونها مقدمة نقلية مستفادة من الروايات، وأن العقل بمفرده قاصر عن إدراك ذلك.

وكيفما كان، فالبحث في تحقيق هذه المقدمة، فنقول: يستفاد من جملة وافرة من الروايات أن بقاء الأرض بمن عليها مرهون بوجود الحجة في الأرض، وأنه لو لا وجوده لساخت الأرض بمن عليها، وإليك جملة من هذه الروايات:

١- عن أبي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»<sup>(١)</sup>.

٢- عن فضيل الرسان قال: كتب محمد بن إبراهيم إلى أبي عبد الله عليه السلام: أخبرنا ما فضلكم أهل البيت؟ فكتب إليه أبو عبد الله عليه السلام: «إن الكواكب جعلت في السماء أماناً

(١) الكافي، ج١، ص١٧٩.

لأهل السماء، فإذا ذهبت نجوم السماء جاء أهل السماء ما كانوا يوعدون. وقال رسول الله ﷺ: جعل أهل بيتي أماناً لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي جاء أمتي ما كانوا يوعدون»<sup>(١)</sup>.

٣- عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قلت له: أتبقى الأرض بغير إمام؟ فقال: «لا» قلت: فإذا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمام إلا أن يسخط الله على أهل الأرض أو على العباد. فقال: «لا تبقى إذا لساخت»<sup>(٢)</sup>.

٤- عن أبي هريرة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها وماجت كما يموج البحر بأهله»<sup>(٣)</sup>.

٥- عن عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منّا لساخت بأهلها ولعدّ بهم الله بأشدّ عذابه، إنّ الله (تبارك وتعالى) جعلنا حجة في أرضه وأماناً في الأرض لأهل الأرض، لم يزلوا في أمان من أن تسيخ بهم الأرض مادمنّا بين أظهرهم، فإذا أراد الله أن يهلكهم ثم لا يمهلهم ولا ينظرهم ذهب بنا من بينهم ورفعنا إليه، ثم يفعل الله ما شاء وأحب»<sup>(٤)</sup>.

٦- عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد في التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: «وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء»<sup>(٥)</sup>.

(١) كمال الدين، ص ٢٠٥.

(٢) الكافي، ج ١، ص ١٧٩؛ كمال الدين، ص ٢٠٢.

(٣) الكافي، ج ١، ص ١٧٩؛ كمال الدين، ص ٢٠٢.

(٤) كمال الدين، ص ٢٠٤.

(٥) كمال الدين، ص ٤٨٥.

وبعد هذا نقول: حينما نريد معرفة سرّ العلاقة في الترابط الوجودي بين وجود الحجة ووجود الأرض، وهل أنه بينهما علاقة العلية لكي ينتفي المعلول بانتفاء علته، أو أنّ بينهما تلازماً وجودياً كالتلازم بين معلولي علة واحدة، فينتفي أحدهما بانتفاء الآخر؟ فلا بد من التأمل في ما تشير إليه هذه الروايات وتحليلها تحليلاً دقيقاً. فنقول: يمكن أن تذكر عدّة احتمالات في تحليل وتفسير هذه الروايات، نكتفي فعلاً باحتمالات ثلاثة:

### الاحتمال الأول: العلة الغائية

وتقريب ذلك في مقدمات:

المقدمة الأولى: أقسام العلة

قسّم الفلاسفة العلة إلى أربعة أقسام:

- ١- العلة الفاعلية: وهي السبب الذي يفيض وجود المعلول، كالنار بالنسبة للإحتراق.
- ٢- العلة الصورية: وهي السبب في تشكّل هيئة وشكل الشيء بالفعل.
- ٣- العلة المادية: وهي السبب في تشكّل هيئة وشكل الشيء بالقوة.
- ٤- العلة الغائية: هي السبب من وراء صدور المعلول عن العلة الفاعلية.

المقدمة الثانية: العبودية غاية الخلقة

إنّ العبودية والتي تعني المعرفة الحقيقية والكاملة بالله تعالى هي العلة الغائية من الخلق، كما صرح القرآن الكريم بذلك: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} <sup>(١)</sup>، ولو لم تتحقّق هذه الغاية للزم العبث من الخلقة.

المقدمة الثالثة: العبودية في جميع الأطوار

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

بما أنّ العلة الغائية للخلق هي العبودية فلا بدّ من تحقّق هذه الغاية، وأن تكون هذه الغاية مصاحبةً للوجود ومتحقّقة في جميع النشآت والأطوار الوجودية، وإلا لزم العبث من وجود أيّ نشأة وطور وجودي يخلو من هذه الغاية، والعبث قبيح لا يصدر من الكمال المطلق.

#### المقدّمة الرابعة: وجود الحجة محقّق للغاية

إنّ العلة الغائية وهي العبودية لا تتحقّق إلا بوجود الحجة، ويمكن تصوّر هذا التلازم بين وجود الحجة وتحقّق الغاية من خلال هذه الوجوه:

**الوجه الأول:** أنّ الحجة هو الإنسان المعصوم والكمال الذي عرف الله (عز وجل) حقّ المعرفة، وعبده حقّ العبادة، ووحدّه حقّ التوحيد، فلولا له لم تتحقّق الغاية من بقاء الأرض، ولكان بقاؤها عبثاً محضاً، وهذا يوجب زوالها لولا وجوده.

**الوجه الثاني:** أنّ بلوغ العباد الغاية من الخلق وهي العبودية الحقّة لله (تبارك وتعالى) لا تتأتّى إلا من خلال الشريعة التي شرّعها سبحانه، وبالتالي فلا بدّ أن تكون هذه الشريعة محفوظة ليتسنى للعباد اتّباعها ومن ثم بلوغ مقام العبودية، وهذا يحتم ضرورة وجود من يقوم بدور الحراسة والحماية عن الشريعة، ولا أقلّ بالحدّ اللازم لبلوغ هذا المقام، وهذا الحافظ والمحمي هو الحجة، وبالتالي فوجوده ضروري لبلوغ البشرية مقام العبودية وذلك بحفظه لها وحمايته عنها، ولولا وجوده لم تنحفظ بالحدّ اللازم لذلك، وهذا يستوجب لغوية بقاء الأرض بأهلها.

**الوجه الثالث:** أنه ليس بمقدور أحد من البشر أن ينال نصيباً من العبودية الحقّة إلا من خلال من بلغ ذلك المقام وهو الإنسان الكامل، فمن خلاله يمكن للناس بلوغ ذلك، حيث يشرق ويفيض نور المعرفة المكنوز عنده في قلوبهم، ولولا له لما أدركوا شيئاً من ذلك، وهذا يستوجب عبثية بقاء الأرض بأهلها.

والنتيجة: إذا اتضحت هذه المقدمات نقول: بأنه لا بد من وجود الحجة في هذا الزمن لتتحقق به الغاية من الوجود وإلا لساخت بأهلها؛ لأن بقاءها من دونه يعني بقاءها من دون غاية، وهو عبث قبيح، يجلّ عنه الحق تبارك وتعالى، ومن المعلوم بأن الحجة في هذا الزمن هو الإمام المهدي عليه السلام، فيكون هو المحقق للعلة الغائية، وبه يحفظ الله تعالى الأرض بمن عليها، وهذا ما أشارت له الروايات، فقد ورد عن زين العابدين عليه السلام أنه قال: «ولم تخل الأرض منذ خلق الله تعالى آدم من حجة فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله»<sup>(١)</sup>.

### الاحتمال الثاني: الرحمة

وتوضيح ذلك في مقدمات :

المقدمة الأولى: السنن الإلهية

إنّ الكون يجري وفق مجموعة من السنن والقوانين الإلهية، وكما يقول تعالى: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}<sup>(٢)</sup>، {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}<sup>(٣)</sup>.

المقدمة الثانية: سنّة العذاب

إنّ من جملة السنن الإلهية سنّة نزول العذاب بالبشر عند كفرهم وطغيانهم، وهذا ما وقع لكثير من الأمم السابقة لما كفروا، وهذا ما تشير له الآية: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى

(١) كمال الدين، ص ٢٠٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٤.

(٣) سورة الفتح: ٢٣.

آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَّحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ<sup>(١)</sup>.

يقول العلامة: "ومن سنة القرون تكذيب الرسول بعد الرسول ثم من سنة الله ثانياً، وهي سنة المجازاة، تعذيب المكذبين واتباع بعضهم بعضاً"<sup>(٢)</sup>.

#### المقدمة الثالثة: سنة الرحمة

ومن جملة السنن الإلهية: الرحمة، فمتى ما وُجد مقتضى لها وفُقد المانع فإن الله تعالى لا بد أن يفعل الرحمة بخلقه، وهذا واضح عقلاً ونقلًا: أما عقلاً: فإن مقتضى كماله تعالى أن يفعل الرحمة ما دام المقتضي موجوداً والمانع مفقوداً، وإلا لاستلزم ذلك إما الجهل أو العجز أو البخل، وكلها صفات نقص تجل عنها الذات المقدسة. وأما نقلًا: فبمثل قوله تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ<sup>(٣)</sup>}.  
 {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ<sup>(٣)</sup>.

#### المقدمة الرابعة: وجود الحجّة سبب للرحمة

إن وجود الحجّة في الأرض سببٌ في نزول الرحمة ورفع العذاب عن أهل الأرض، ولولا ذلك لنزل بهم العذاب الأليم لكفرهم وصدور الموبقات الكبيرة منهم، إلا أن وجود الإنسان الكامل والفاني في الحق سبحانه بينهم يرفع العقاب عنهم، ويوجب حكومة سنة الرحمة على سنة العذاب، وهذا ما يمكن اقتناصه من الآية لمباركة: {وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ<sup>(٤)</sup>، فإن من أجلى مصاديق الناس في الآية هم الحجج، ولذلك رفع العذاب عن هذه الأمة بوجود النبي ﷺ

(١) سورة الأعراف: ٩٦.

(٢) الميزان، ج ١٥، ص ٣٤.

(٣) سورة الأنعام: ٥٤.

(٤) سورة البقرة: ٢٥١.

بينهم، {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} (١)، وكما يقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (٢).

والنتيجة: إذا اتضحت هذه المقدمات نقول بأن وجود الإمام المهدي ﷺ سبب في الرحمة الإلهية وأمان لأهل الأرض من نزول العذاب، ولولا وجوده لساخت الأرض بأهلها، ولحلت اللعنة بهم، ولم يناظروا بسبب كفرهم وطغيانهم، وإلى هذا المعنى تشير الروايات السابقة، وكما ورد عنه ﷺ في جواب مسائل إسحاق بن يعقوب: «وإني أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء» (٣).

إذاً، بعدما تقدّم نقول قد اتضح وجه الترابط بين وجود الحجة وبقاء الأرض الذي أشارت له الروايات كما اتضحت الفائدة الأولى من وجود الإمام المهدي ﷺ، فإنه منذ سنة ٢٦٠ للهجرة -وهي سنة إمامته- وإلى هذه اللحظة وإلى آخر يوم له ﷺ على هذه الأرض فهو سرّ بقاء هذا العالم، ولولا وجوده لساخت الأرض بمن عليها، وما كان لنا حظ من الوجود، فأنفاسنا من بركات وجوده المبارك.

### الاحتمال الثالث: وساطة الفيض

وسوف نتعرّض لهذا الاحتمال بشكل مفصّل في الفائدة الثانية، فارتقب.

### الأمر الثالث: الإشكالات

وقد يشكل على هذه الفائدة المذكورة بعدة إشكالات:

(١) سورة الأنفال: ٣٣.

(٢) سورة الأنبياء: ١٧٧.

(٣) كمال الدين، ص ٤٨٥.



### الإشكال الأول: هذه الفائدة لا يقبلها العقل

قد يقول قائل بأنّ هذه الفائدة المذكورة لا يقبلها العقل، ولا يسوغ لعاقل التصديق بها؛ إذ كيف يمكن أن يكون وجود شخص واحد سبباً لبقاء الكرة الأرضية بكاملها، وبما فيها من الكائنات الحية الكثيرة من نبات وحيوان وإنسان، وما فيها من جبال وبحار وقارات ومحيطات؟ إنّ هذا وهم وخيال لا يصدّق به إلا البسطاء والسذج من الناس، وإلا فالعقل السليم يأبى ذلك ولا يسعه قبوله.

#### والجواب:

أولاً: قد ثبت لدى علماء الطبيعة بأنّ بقاء الكون بأسره مرهون بوجود الشمس، فمتى ما وجدت الشمس كانت الحياة مستمرة، ومتى زالت الشمس وبلغت مستقرها الذي تجري إليه وانطفأ نورها انعدمت الحياة بكاملها، فنقول: هل يمكن للعقل السليم أن يصدق بذلك؟ إذ كيف يكون بقاء الكون بكامله مرهوناً ببقاء موجود واحد وهو الشمس؟ إنّ هذا لشيء عجاب!

وإن قلتم: بأنّ العقل لا يمنع من قبول ذلك بعدما ثبتت هذه الحقيقة في العلم الحديث.

قلنا: بأنّ العقل أيضاً لا يمنع من قبول ذلك في حق حجة الله (عز وجل) في أرضه، بل الحجة هو أشرف عنده سبحانه من الشمس، فأبى محذور وأبى مانع عقلي من ارتباط بقاء الكون بأسره ببقاء الحجة في الأرض، بل هذا أولى؛ فإنّ وجود الحجة هو المحقق للغاية من الوجود وبه كمال البشرية، وأما وجود الشمس فما هو إلا تنظيم للمسيرة الكونية.

وثانياً: إنّ هذا الإشكال لا يعدو كونه مجرد استبعاد راجع لضيق في الفهم وقصور في الإدراك لحقيقة وجود الحجة والمرتبة الوجودية التي يحتلها في هذا الوجود، وإلا فإنّ العقل

لا يمكنه البرهنة على استحالة هذه العلاقة الوجودية بين الكون والحجة، وإنما غايته الاستبعاد.

وإن شئت فقل: بأنّ الفلاسفة قَسَمُوا مدركات العقل إلى قسمين:

القسم الأول: العقل النظري: وهو ما يدرك العقل أنه ممّا ينبغي أن يعلم، كاستحالة اجتماع النقيضين.

القسم الثاني: العقل العملي: وهو ما يدرك العقل أنه ممّا ينبغي أن يعمل، كحسن العدل وقبح الظلم.

ومسألة بقاء الأرض بوجود الحجة ليست ممّا يدرك العقل النظري استحالتها، ولا ممّا يدرك العقل العملي قبحها، فهي ليست راجعةً لاجتماع النقيضين كي يبرهن العقل النظري على بطلانها، كما أنها ليست من مصاديق الظلم أو العبث كي يبرهن العقل العملي على قبحها وعدم إمكان نسبتها للحقّ سبحانه، بل إنّ العقل لو خَلَى ونفسه لأدرك أنّ هذه القضية في ذاتها من القضايا الممكنة، فليست من المحال والممتنع.

وثالثاً: بناءً على ما ذكرناه من الاحتمال الأول في سرّ الترابط الوجودي بين وجود الحجة وبقاء الكون وهو احتمال العلة الغائية، تكون هذه القضية من القضايا المبرهن عليها عقلاً وليست ممكنةً فحسب، فإنّ العقل لو التفت إلى هذه المقدمات التي ذكرت لأدرك ضرورة وجود الحجة في بقاء الأرض، وذلك أنه بناءً على الاحتمال الأول من أنّ غاية الخلقة تتوقف على وجود الحجة يكون بقاء الأرض من دونه عبثاً ولغوياً؛ لعدم إمكان تحقّق الغاية من دونه، وهو قبيح تجلّ عنه ساحة الحقّ تعالى.

### الإشكال الثاني: معارضة القرآن

إنّ هذه الفائدة المزبورة تتنافى مع القرآن الكريم، وما خالف القرآن الكريم فهو زخرف باطل، يلزم ضربه عرض الجدار، كما قد دلّت على ذلك أخبار الأئمة الطاهرين

عليه السلام: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف»<sup>(١)</sup>، و«كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»<sup>(٢)</sup>، وأما عن موضع المخالفة بين هذه الروايات والقرآن الكريم فمثلاً قوله تعالى: {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} <sup>(٣)</sup>، {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ \* وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ \* وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} <sup>(٤)</sup>، وغيرها من الآيات الكثيرة، فإن هذه الآيات واضحة في أن الكون خلق من أجل الإنسان بشكل عام، وليس من أجل إنسان معين، وهي بذلك تعارض وتصادم ما تثبته الروايات من أن بقاء الأرض بوجود الإمام، ولولاه لساخت بأهلها.

#### والجواب:

أولاً: لا منافاة بين مضمون هذه الروايات ومؤدى هذه الآيات إطلاقاً، فإن الآيات تدل على تسخير الكون لمنفعة الإنسان، وأما الروايات فتدل على أن بقاء الأرض بوجود الحجة، ولا منافاة بين المفادين، ويمكن التوفيق بينهما فيقال: بأن الكون سخر لمنفعة الإنسان كما تفيده الآيات، وأن بقاء انتفاعه بهذا الكون موقوف على وجود حجة لله تعالى كما هو مفاد الروايات، فلا تعارض بينها، وإنما يتحقق التعارض فيما لو دلت الآيات على أن هذا التسخير والانتفاع المجعول للإنسان باقٍ ولو من دون وجود الحجة، فهنا تكون الروايات معارضة للآيات؛ لأنها تقول بأن بقاء هذا الانتفاع بوجود الحجة، والآيات تنفي

(١) الكافي، ج ١، ص ٥٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة الرحمن: ١٠.

(٤) سورة إبراهيم: ٣٢-٣٤.

ذلك، فيلزم طرحها، ولكن الصحيح عدم المعارضة أصلاً، بل الآيات بصدد بيان أصل التسخير، لا بيان حدوده وشروطه، والروايات تبين حدّاً وشرطاً لذلك التسخير وهو وجود الحجّة.

وثانياً: يمكن القول بأنّ مضمون هذه الروايات يتوافق تماماً مع مفاد الآيات القرآنية؛ وذلك أنّ الآيات يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: ما دلّ على أنّ الكون سخر للإنسان وخلق من أجله، من قبيل قوله تعالى: {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} (١).

القسم الثاني: ما دلّ على أنّ الإنسان خلق من أجل العبودية لله تعالى، كقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (٢).

فمن خلال ضمّ القسم الأول للثاني نعرف أنّ التسخير في الحقيقة جعل من أجل الإنسان الذي بلغ مقام العبودية، لا الإنسان المتمرد والغارق في بحر الطغيان والعصيان، وإن كان الأخير يستفيد ممّا في الكون وسخر له، ولكن هذا بالتبع، وإلا فالتسخير الحقيقي للإنسان الكامل، لا الطاغية؛ لأنه لم تتحقّق به غاية الخلق، وبذلك تكون الروايات متطابقة مع القرآن كما لا يخفى.

وثالثاً: إذا قلنا بأنّ هذه الفائدة ممّا قام عليها البرهان العقلي، وما دور الروايات إلا الإرشاد لما يدركه العقل، فحتى لو افترضنا دلالة الآيات على أنّ الكون يبقى بدون حجة، فغاياته أنّ هذه الدلالة بالظهور، وهي ظنية ليست قطعية، وأما دلالة العقل فهي قطعية، فلا بدّ من التصرف في ظهور هذه الآيات، كما هو الحال في الموارد التي تتنافى الآيات

(١) سورة الرحمن: ١٠.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

بظواهرها مع الحكم العقلي القطعي، كآيات التي تدلّ على جسمانية الله تعالى كقوله: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} (١) وقوله {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}.

#### الإشكال الثالث: ضعف الأخبار

قد يدعي البعض بأنّ هذه الروايات المذكورة روايات ضعيفة، وعلى فرض صحتها فهي أخبار آحاد لا تفيد إلا الظنّ، والمطلوب في باب المعارف العلم، وإلا فالظن لا يغني من الحق شيئاً.

#### والجواب عن ذلك:

أولاً: إنّ القول بأنّ هذه الروايات ضعيفة غير صحيح، بل توجد روايات عديدة منها معتبرة سنداً، وقد نقلنا بعضاً منها.

وثانياً: إنّ القول بأنها أخبار آحاد لا تفيد إلا الظنّ غير صحيح؛ فهي روايات متواترة، أو لا أقل بأنها مستفيضة، بل حتى لو فرضناها أخبار آحاد فهي محفوفة بقرائن قطعية، وهذا كاف لاعتبارها كما سبق بيان ذلك.

وثالثاً: هذه الروايات ليس دورها إلا الإرشاد لما يدركه العقل من لزوم وجود الحجة كما تقدّم بناءً على احتمال العلة الغائية، فضعف الروايات أو صحتها لن يغيّر شيئاً بعدما أدرك العقل ضرورة وجود الحجة.

#### الإشكال الرابع: الغلو

إنّ هذه الفائدة المزبورة ما هي إلا معنى من معاني ومفردات الغلو التي حدّر منها أهل البيت (عليهم السلام)، وما هي إلا من وضع الغلاة الذين لعنهم الأئمة (عليهم السلام) وأمروا شيعتهم بتحاشيهم والوقية فيهم.

(١) سورة الفتح: ١٠.

## والجواب:

أولاً: إنّ الغلو لغةً هو تجاوز الحدّ، وفي الاصطلاح هو تجاوز الحدّ في المخلوق باعتقاد صفة معيّنة فيه مع أنه قام الدليل العقلي أو النقلي على عدم إمكان اتصافه بها، وليس الغلو هو كلّ ما لم تقبله عقولنا الناقصة أو استوحشت من إدراكه نفوسنا الضعيفة. وحينما ننظر في هذه القضية المعرفية وهي الترابط الوجودي بين وجود الحجة وبقاء الأرض لا نجد دليلاً عقلياً على امتناعها، ولا دليلاً نقلياً يكذبها، بل على العكس تماماً، فقد دلّت الأخبار عليها، فكيف تكون غلوّاً؟

وثانياً: إنّ الغلو الذي حدّر منه القرآن والروايات له عدّة معاني، وأهمها:

١- اعتقاد صفة الخالق في المخلوق كالألوهية. وهذا ما كان يعتقد به بعض الغلاة كابن سبأ وجماعته في الإمام علي عليه السلام، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى عن ذلك...»<sup>(١)</sup>.

٢- اعتقاد الربوبية في المخلوق. وهذا كاعتقاد البعض بأنّ الله تعالى فوّض للأئمة عليهم السلام أمر الخلائق وأعطاهم الاستقلال المطلق في التصرف، فعن صالح بن سهل: كنت أقول في أبي عبد الله عليه السلام بالربوبية، فدخلت فلما نظر إلي قال: «يا صالح إنا والله عبيد مخلوقون، لنا ربّ نعبده إن لم نعبده عدّنا»<sup>(٢)</sup>.

٣- اعتقاد النبوة فيمن لم يجعله الله تعالى نبياً. وهذا كاعتقاد النبوة في أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله، وتشير بعض الأخبار إلى أنّ هناك من كان يظنّ النبوة في الأئمة، ففي الرواية عن أبي العباس البقباق قال: تدارء ابن أبي يعفور ومعلّى بن خنيس فقال ابن أبي يعفور: الأوصياء

(١) اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٣٢٣.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ج ٢، ص ٦٣٢.

علماء أبرار أتقياء، وقال ابن خنيس: الأوصياء أنبياء، فدخلوا على أبي عبد الله عليه السلام فلما استقرّ مجلسهما قال: «يا أبا عبد الله، إبرأ ممن قال إنا أنبياء»<sup>(١)</sup>.

٤- اعتقاد أنّ معرفة الحجة تكفي عن العبادات. من قبيل اعتقاد بعض الغلاة كعلي بن حسكة بأن معرفة الإمام عليه السلام تغني عن الطاعة والعبادة، ففي الرواية عن سهل بن زياد: كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكري عليه السلام: جعلت فداك يا سيدي، إنّ علي بن حسكة يدّعي أنه من أوليائك وأنت الأول القديم وأنه بابك ونبيك، أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أنّ الصلاة والزكاة والحج والصوم كلّ ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدّعي من البابية والنبوة...<sup>(٢)</sup>.

٥- اعتقاد التناسخ. وهذا ما كان يعتقدّه البعض من انتقال النفس بعد مفارقتها البدن إلى بدن آخر وهكذا، أو أنّ أرواح المعصومين عليهم السلام روح واحدة تنتقل من بدن إلى آخر، وقد ورد عن الرضا عليه السلام: «من قال بالتناسخ فهو كافر، ثم قال: لعن الله الغلاة ألا كانوا مجوساً ألا كانوا نصارى ألا كانوا قدرية ألا كانوا مرجئة ألا كانوا حرورية»<sup>(٣)</sup>.

٦- اعتقاد العلم بالغيب بالاستقلال، كاعتقاد البعض كأبي الخطاب بأن الإمام عليه السلام يعلم الغيب باستقلاله وذاته، فعن عنبسة بن مصعب قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أيّ شيء سمعت عن أبي الخطاب؟» قال: سمعته يقول: إنك وضعت يدك على صدره وقلت له: عه، ولا تنسى، وإنك تعلم الغيب... إلى أن قال: «وأما قوله: أني قلت: أعلم الغيب! فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب ولا أجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له»<sup>(٤)</sup>.

(١) اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٥١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٠٤.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢١٨.

(٤) اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٥٨٠.

وبعد اتضاح ذلك نقول: بأن هذه الفائدة ليست من معاني الغلو التي حذرت منها النصوص.

#### الإشكال الخامس: عدم تصريح القدماء

قد يقول البعض: لو كانت هذه الفائدة تامةً لذكرها الصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي وغيرهم من قدماء الأعلام حينما تعرّضوا للجواب عن شبهة عدم الفائدة من الإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة، مع أنهم لم يذكروا هذه الفائدة في ردّ شبهة الخصم كما يظهر بالمراجعة لكلماتهم.

#### والجواب:

أولاً: على فرض ثبوت هذه الدعوى -لأنه لم تصلنا جميع كتب الأقدمين وكلماتهم-، فمع ذلك لا يمكن الاحتجاج بعدم ذكرهم لهذه الفائدة؛ وذلك لأنه لا يعلم سبب ذلك إلا منهم، ولم يصرحوا بالسبب.

وثانياً: إنّ الأعلام قد ذكروا هذه الروايات في كتبهم، كالصفار في بصائر الدرجات، وابن بابويه في الإمامة والتبصرة، والكليني في الكافي، والصدوق في كمال الدين، والخزاز في كفاية الأثر، والنعماني في الغيبة، والطبري في دلائل الإمامة، والطوسي في الغيبة، وغيرهم، وهذا دالٌّ على قبولهم بها، وإلا لما نقلوها أو لاعترضوا عليها.

وثالثاً: لعلّ عدم ذكر الأعلام لهذه الفائدة لكونهم في مقام الردّ على شبهة المخالف، فلم يرغبوا في فتح شبهة أخرى بعرض هذه الفائدة؛ لعدم إدراك المخالف لها.

ورابعاً: العمدة في الدليل، ولا يهم ذكر الأعلام أو عدم ذكرهم لهذه الفائدة بعد قيام الدليل التام عليها.



الإشكال السادس: عدم ذكر القرآن هذه الفائدة

قد يقال: لو كانت هذه الفائدة حقيقةً واقعيةً لكان القرآن قد تصدى لبيانها وتنبيه الناس عليها؛ لأهميتها، فهو أولى ببيان هذه المعرفة المهمة والمقام العالي للحجج، وحيث أهمل القرآن بيان ذلك فهذا كاشف عن عدم مصداقية هذه الفائدة المزبورة.

ويمكن الجواب عن ذلك:

أولاً: هناك الكثير من القضايا المهمة والمصيرية لم يتطرق القرآن لبيانها، فالإمامة من الأمور الهامة والمصيرية ومع ذلك لم ينص القرآن على أنّ عدد الأئمة اثنا عشر إماماً، كما لم ينص على أسمائهم، وهكذا بالنسبة للصلاة؛ فهي عمود الدين ومع ذلك لم يتطرق القرآن لبيان عدد الصلوات اليومية أو عدد ركعات كلّ صلاة، فلم يذكر أنّ الصبح ركعتان، والظهرين والعشاء أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، كما أنّ الزكاة من أهمّ الأحكام ولم يتطرق القرآن لبيان موارد وجوب الزكاة، والنصب الزكوية، وكم مقدار الزكاة في كلّ نصاب، فلم يبيّن أنّ الزكاة تجب في الغلات الأربع، والأنعام الثلاثة، والذهب والفضة، كما لم يبيّن أنّ النصاب في الغلات الأربع هو ستون صاعاً، كما أنه لم يبيّن أنّ مقدار الزكاة هو العشر فيما سقي سيحاً، ونصف العشر فيما سقي دلوأً، وهكذا كثير من المعارف والأحكام الدينية لم يتصدّ القرآن لبيانها.

وثانياً: لا ينحصر بيان المعارف الدينية بالقرآن الكريم، بل كذلك بالسنة الشريفة، فكثير من المعارف تصدّت السنة لبيانها، فالقرآن الكريم قد يبيّن أصل المسألة بشكل إجمالي ويكون البيان التفصيلي من السنة، كما في قضية الإمامة؛ فقد أشار لها القرآن كما في آية البلاغ، إلا أنّ البيان التفصيلي من قبل السنة، حيث نصّب النبي ﷺ علياً يوم الغدير، ويبيّن أنّ الأئمة من بعده اثنا عشر ونصّ عليهم بالاسم كما سبق بيان ذلك، وهكذا القرآن قد بيّن أصل الصلاة والزكاة وتصدّت السنة للبيان التفصيلي فيها،

والى هذا المعنى تشير رواية أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} <sup>(١)</sup> قال: فقال: «نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام»، فقلت له: إن الناس يقولون فما له لم يسمَ علياً وأهل بيته في كتاب الله؟ قال عليه السلام: «فقولوا لهم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت عليه الصلاة ولم يسمَ لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي فسّر لهم ذلك» <sup>(٢)</sup>.

وثالثاً: يمكن القول بأن القرآن الكريم أشار لهذه الفائدة أساساً كما يتضح ذلك من خلال التأمل في الآيات، وقد بينا ذلك أعلاه.

ورابعاً: لعل عدم التصريح بهذه الفائدة في القرآن لحكمة معينة كحفظ القرآن من التحريف، فإنه لو صرح بذلك في القرآن فقد يسعى البعض لتحريفه؛ لأن هذه العقيدة لا تروق له، وهذا ما قد أشارت له بعض الأخبار في سرّ عدم التنصيص على اسم علي بالإمامة.

### الفائدة الثانية: وساطة الفيض

ويمكن تقريب ذلك في مقدمتين :

المقدمة الأولى: إن نزول الفيض الإلهي على الخلق يتوقف على وجود الحجة في الأرض.

المقدمة الثانية: إن الحجة في زماننا هو الإمام المهدي عليه السلام.

والنتيجة: أن نزول الفيض الإلهي يتوقف على وجود الإمام المهدي عليه السلام؛ فهو واسطة الفيض التي تصل من خلالها فيوضات الله سبحانه وتعالى إلى خلقه، فبوجوده المقدس يتم إنزال المطر، وإيناع الثمر، ورزق الخلائق، وزيادة العلم، وشفاء المرضى، وكشف الهموم، بل

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٨٦.

أن كل فيض يصدر من الله تعالى وكل خير يأتي من السماء والأرض فهو عن طريقه عليه السلام، وقد سبقت البرهنة على المقدمة الثانية في الفصل السابق، ولكن المهم هو في بيان الدليل على المقدمة الأولى وإناطة الفيض بالحجة، فهل هو دليل عقلي أم نقلي؟

فنقول: بأنه لا إشكال في دلالة الدليل النقلي على ذلك، حيث قد دلت الكثير من النصوص من الروايات على هذه الحقيقة، ويمكن تصنيف هذه النصوص إلى صنفين: الصنف الأول: وهي النصوص العامة، الدالة على وساطة الإمام المهدي عليه السلام في الفيض بعمومها، ولكونه أحد الحجج والأئمة عليهم السلام، ومن ذلك:

١- في الزيارة الجامعة: «بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ وَبِكُمْ يُنَزَّلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمَسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَبِكُمْ يُنْفَسُ الِهَمُّ وَيَكْشَفُ الضَّرَّ، وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ»<sup>(١)</sup>.

٢- عن أبي الطفيل عن الباقر عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: اكتب ما أملي عليك. قال: يا نبي الله! أتخاف علي النسيان؟ قال: لست أخاف عليك النسيان وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن اكتب لشركائك. قال: قلت: ومن شركائي يا نبي الله؟ قال: الأئمة من ولدك بهم تسقى أمتي الغيث، وبهم يستجاب دعائهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم تنزل الرحمة من السماء - وأومى إلى الحسن وقال: هذا أولهم - وأومى إلى الحسين وقال: الأئمة من ولده»<sup>(٢)</sup>.

٣- في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «وَبِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ اللَّهُ، وَبِكُمْ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، وَبِكُمْ يَفُكُّ الدُّلَّ مِنْ رِقَابِنَا، وَبِكُمْ يُدْرِكُ اللَّهُ وَثْرَةَ كُلِّ مُؤْمِنٍ يَطْلُبُ بِهَا، وَبِكُمْ تَنْبِتُ الْأَرْضُ أَشْجَارَهَا، وَبِكُمْ تُخْرِجُ الْأَرْضُ ثِمَارَهَا، وَبِكُمْ تُنَزِّلُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ١٦٥.

(٢) الإمامة والتبصرة، ص ٥٤؛ أمالي الصدوق، ص ٤٨٦؛ ينابيع المودة، ج ١، ص ٧٢.

وَرَزَقَهَا، وَبِكُمْ يَكْشِفُ اللَّهُ الْكَرْبَ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ تُسَبِّحُ الْأَرْضُ الَّتِي نَحْمِلُ أْبْدَانَكُمْ وَتُسْتَقِرُّ جِبَالُهَا عَنْ مَرَاسِيهَا»<sup>(١)</sup>.

٤- عن إسحاق بن غالب عن الإمام الصادق عليه السلام: «أئمة من الله يهدون بالحق وبه يعدلون حجج الله ودعواته ورعاته على خلقه يدين بدينهم العباد وتستهل بنورهم البلاد وينمو ببركتهم التلاد جعلهم الله حياةً للأنام ومصايح للظلام ومفاتيح للكلام ودعائم للإسلام جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها»<sup>(٢)</sup>.

٥- عن جابر الجعفي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: لأي شيء يحتاج إلى النبي والإمام؟ فقال: «لبقاء العالم على صلاحه، وذلك أن الله عز وجل يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام.. هم يرزق الله عباده وبهم تعمر بلاده وبهم ينزل القطر من السماء وبهم يخرج بركات الأرض وبهم يمهل أهل المعاصي ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب لا يفارقهم روح القدس ولا يفارقونه ولا يفارقون القرآن ولا يفارقهم»<sup>(٣)</sup>.

٦- عن مروان بن صباح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده بالرفقة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه وخزانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض وعبادتنا عبد الله ولولا نحن ما عبد الله»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي، ج٤، ص٥٧٧؛ كامل الزيارات، ص٣٦٥.

(٢) الكافي، ج١، ص٢٠٣.

(٣) علل الشرائع، ج١، ص١٢٣.

(٤) الكافي، ج١، ص١٤٤.

الصف الثاني: وهي النصوص الخاصة، الدالة على وساطة الإمام المهدي عليه السلام في الفيض بخصوصه، ومنها:

١- عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله، وذلك عندما سأله: هل ينتفع الشيعة بالقائم في غيبته؟ فقال: «أي والذي بعثني بالنبوة، إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجللتها سحاب»<sup>(١)</sup>.

٢- في دعاء الافتتاح: «اللَّهُمَّ الْمُمْ بِهِ شَعْنَنَا، وَاشْعَبْ بِهِ صَدْعَنَا، وَارْتُقْ بِهِ فَتَقْنَا، وَكَثِّرْ بِهِ قَلَّتْنَا، وَأَعِزِّزْ بِهِ ذَلَّتْنَا، وَأَغْنِ بِهِ عَائِلَنَا، وَأَقْضِ بِهِ عَن مَّغْرَمِنَا، وَاجْبُرْ بِهِ فَقْرَنَا، وَسُدِّ بِهِ خَلَّتْنَا، وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنَا، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهَنَا، وَفُكِّ بِهِ أَسْرَنَا، وَأَنْجِجْ بِهِ طَلِبَتْنَا، وَأَنْجِزْ بِهِ مَوَاعِيدَنَا، وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنَا، وَأَعْطِنَا بِهِ سُؤْلَنَا، وَبَلِّغْنَا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ آمَالَنَا، وَأَعْطِنَا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنَا، يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ وَأَوْسَعَ الْمُعْطِينَ، إِشْفِ بِهِ صُدُورَنَا، وَأَذْهِبْ بِهِ غَيْظَ قُلُوبِنَا، وَاهْدِنَا بِهِ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ...»<sup>(٢)</sup>.

٣- في دعاء العديلة: «ثُمَّ الْحُجَّةُ الْخَلْفُ الْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ الْمَهْدِيُّ الْمُرْجَى الَّذِي بَقَائِهِ بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَبِيَمِينِهِ رُزِقَ الْوَرَى، وَبِوُجُودِهِ ثَبَتَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ وَبِهِ يَمْلَأُ اللَّهُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا»<sup>(٣)</sup>.

وقد التزم كثير من الأعلام بمفاد هذه النصوص، منهم:

١- المحقق الأصفهاني: "ومما ذكرنا يظهر أن كيفية ولاية النبي صلى الله عليه وآله والأئمة (صلوات الله عليهم) وسلطتهم المعنوية على جميع الموجودات من هذا القبيل، نظراً إلى أنهم وسائط

(١) كمال الدين، ص ٢٥٣.

(٢) مصباح المتجهد، ص ٥٨١.

(٣) مفاتيح الجنان، ص ١٢٩ قبل دعاء الجوشن الكبير.

الفيض ومجاريها وفي رتبة فاعل ما به الوجود لا ما منه الوجود، وبهذا الاعتبار بهم يتحرك المتحركات وتسكن السواكن<sup>(١)</sup>.

٢- السيد الخوئي: "فالظاهر أنه لا شبهة في ولايتهم على المخلوقات بأجمعهم كما يظهر من الأخبار لكونهم واسطة في الإيجاد وبهم الوجود وهم السبب في الخلق؛ إذ لولاهم لما خلق الناس كلهم وإنما خلقوا لأجلهم وبهم وجودهم وهم الواسطة في الإفاضة"<sup>(٢)</sup>.

٣- السيد الميلاني: "وأما أنّ مجاري الأمور بيدهم فهو من حيث أنهم لهم الولاية الكلية على الأمور كلها فإنهم وسائط فيضه المقدّس"<sup>(٣)</sup>.

٤- الشيخ الوحيد: "ثبت بالبرهان من أنّ الإنسان الكامل وهو خليفة الله في كلّ زمان واسطة الفيض في عالم التكوين وأنّ الله سبحانه هو منه الوجود وخليفته وحجته من به الوجود وبه ينزل الغيث وبه يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبه ينفس الهم ويكشف الضر".

وبعدما اتضح ذلك لا بدّ من التعرّض بالبحث لأمر ثلاثة:

**الأمر الأول: ما هو معنى الوساطة في الفيض في هذه النصوص؟**

**الجواب:** يمكن أن تذكر عدّة معاني محتملة لهذه النصوص، منها:

المعنى الأول: العلة الفاعلية، والمقصود هو أنّ الله تعالى خلق المعصومين عليهم السلام وفوض لهم أمر الخلق والرزق وغير ذلك، فمثلاً إذا توقّرت في رحم الأم البويضة الملقحة والمستقرّة أفاضوا الوجود عليها، فهم الذين يقومون بعملية إفاضة الوجود بإذنه تعالى متى ما توقّرت

(١) الحاشية على المكاسب، ج١، ص٣٩.

(٢) مصباح الفقاهة، ج٥، ص٣٣.

(٣) محاضرات في فقه الإمامية (كتاب الخمس)، ص٢٧٣.

العلل والأسباب المعدّة لوجود المعلول، فهم علة فاعلة، وبهم يتحقّق الوجود، وهذا نظير ما أشار له القرآن الكريم في حقّ بعض الأنبياء كعيسى بن مريم عليه السلام: {وَأَبْرِيءُ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} <sup>(١)</sup>.

المعنى الثاني: العلة المعدّة، والمقصود هو أنّ دور المعصوم في هذه السلسلة الوجودية هو دور الشرط المتمّم لقابلية القابل، وليس المصحح لفاعلية الفاعل. وللتوضيح نقول: ذكروا في الحكمة بأنّ وجود المعلول يتوقّف على أركان ثلاثة، وهي بمجموعها توجب توقّف العلة التامة لتحقق المعلول، وهي: وجود المقتضي، وفقدان المانع، وحصول الشرط. فتحقّق الاحتراق مثلاً يتوقّف على وجود المقتضي وهو النار، وفقدان المانع وهو الرطوبة، وحصول الشرط وهو اقتراب الجسم من النار. إذا اتضح ذلك نقول: ليس للممكن المشوب بالمادة والنقائص قابلية لتلقي الفيض من الواجب بصورة مباشرة، فلا بدّ من وجود واسطة يكون لها قابلية لاستقبال هذا الفيض اللامحدود بصورة مباشرة ليترشح من خلالها الفيض على سائر الخلائق كلّ بحسب سعته وقابليته، وهذا ما يتفق مع ما يقرّره الفلاسفة من نظرية الصادر الأول المبرهن عليها عندهم بقاعدة الواحد لا يصدر منه إلا واحد بمقتضى السنخية بين العلة والمعلول، وبناءً على ذلك يقال: بأنه إذا كان أصل الوجود وحدوثه محتاج إلى هذا الموجود الأول ليتسلل به الوجود ويتنزّل بواسطته الفيض، فإنّ بقاء واستمرار الوجود كذلك يحتاج إلى هذا الموجود ليستمرّ من خلاله الوجود ونزول الفيض.

(١) سورة آل عمران: ٤٩.

المعنى الثالث: العلة المظهرية، والمقصود هو أنّ الله تعالى هو الفاعل للخلق والرزق وغير ذلك، إلا أنّ فعله يكون مقارناً لإرادتهم (عليهم السلام)، فإذا شاءوا أن يخلق الله مخلوقاً ويرزق أحراً فإنه يفعل ذلك وفقاً لإرادتهم ومشيتهم؛ وذلك من أجل كرامتهم ومقامهم عنده سبحانه، فليسوا هم علة فاعلة -لا تامة ولا ناقصة- لصدور الفيض، كما أنّ عليّتهم ليست في عرض ولا في طول عليّة الله تعالى ومصدريته، بل عليّتهم مظهر لمصدرية وعطاءات الله تعالى، فكما أنّ القمر مظهر لنور الشمس وليس مضيئاً بذاته فكذلك المعصومون ليسوا مصدر الفيض، وإنما هم مظهر الفيض، ففيض الوجود منه (عز وجل) يتجلى ويظهر من خلال إرادتهم ومشيتهم.

المعنى الرابع: العلة الغائية، والمقصود هو أنّ المعصوم (عليه السلام) هو العلة الغائية من الوجود، والعبودية الحقّة والتي هي غاية الوجود تجسّدت فيه، وبالتالي يكون افتتاح الوجود واختتامه منوط به؛ لأنه الغاية من الخلقة، وبناءً على ذلك يكون هو الواسطة في نزول الفيض على الخلائق؛ لأنه الغاية الأساس من نزول الفيض، ولولاه لما نزل الفيض على أحد من الخلق أصلاً.

وإن شئت قلت: بأنه قد ذكرنا فيما سبق بأن أهل الحكمة قسّموا العلة إلى أقسام أربعة، رابعها العلة الغائية، وقلنا بأن العلة الغائية من الوجود هي العبودية المتمثلة بوجود الإنسان الكامل وهو الحجة المعصوم، وأنه لا بدّ من وجود هذا الحجة في كلّ زمن لئلا يخلو طور من أطوار الوجود من العلة الغائية للخلقة فيلزم العبث القبيح؛ إذ بدون وجوده لا حكمة في بقاء الوجود واستمرار الفيض، وبناءً على ذلك يكون وجود الحجة واسطة في نزول الفيض على الخلائق؛ لأنه هو الغاية من نزول الفيض ولولاه لما نزل الفيض.



الأمر الثاني: ما هو السبب في وجود وسائط للفيض الإلهي؟ ولماذا لا يصدر الفيض منه (عز وجل) بصورة مباشرة ومن دون حاجة إلى واسطة؟  
والجواب: بأنه توجد عدّة احتمالات لذلك:

الاحتمال الأول: من الممكن صدور الفيض منه سبحانه بصورة مباشرة إلا أنه جرت سنته سبحانه على أنّ فيضه وعطاءه يتنزل عبر حججه إكراماً لهم، وبياناً لجليل مقامهم وعلو شأنهم وفضلهم، ولذلك صار هناك ملائكة خاصة بتدبير أمر الإحياء، وأخرى خاصة بأمر الإماتة، وأخرى بالرزق، وأخرى بالمطر، وهكذا، وجميع هذه المدبرات يكون تدبيرها في طول تدبير الحجة الكاملة وهو المعصوم عليه السلام، وبناءً على هذا لا تبني المسألة على دليل عقلي، وإنما دلّت عليها النصوص ليس أكثر من ذلك.

وهذا الاحتمال يتفق مع المعنى الأول والمعنى الثالث لوساطة الفيض.

الاحتمال الثاني: لا يمكن أصلاً تحقق الفيض ووصوله إلى الخلائق إلا بوجود وسائط الفيض؛ وذلك لعدم قابلية الخلائق لتلقي الفيض مباشرةً من الله تعالى؛ لكونها محدودة، وعطاؤه تعالى غير محدود، فلا بدّ من وجود موجود له قابلية وسعة لتحتمل الفيض اللا محدود وهو المعصوم، فكما أنّ أصل صدور الفيض يحتاج للواسطة وهو الصادر الأول - كما هو مقتضى قاعدة الواحد لا يصدر منه إلا واحد، ومقتضى لزوم السنخية بين العلة والمعلول، وضرورة وجود تناسب وتسانخ بين العلة الموجدة ومعلولها من حيث البساطة والتجرد، وإلا للزم كثرة الواحد ووحدة الكثير، وهو محال - فكذلك استمراره يحتاج للواسطة، وهذه الواسطة لا بدّ من وجودها في كلّ مراحل الوجود، ومنها عالم المادة.

وبناءً على هذا الاحتمال يكون الدليل على وساطة الفيض عقلياً، وهذا الاحتمال يناسب المعنى الثاني لوساطة الفيض.

الاحتمال الثالث: أن الله تعالى يمكنه إيصال الفيض إلى الخلائق دون حاجة لوجود واسطة للفيض، إلا أن لازم ذلك العبث؛ لعدم تحقق الغرض المطلوب والغاية المنشودة من الفيض، فمقتضى الحكمة الإلهية المنزهة عن اللغو والعبث أنه لا بد من وجود وسائط الفيض، وهم الحجج ومن يكون أهلاً لهذا التفضل الإلهي، وببركة وجوده تصل الفيوضات منه سبحانه إلى الخلائق، فالغرض الأساسي والأصلي من هذا الفيض هو المعصوم، وأما بقية الخلائق فالفيض عليها بالعرض والتبع، وليست مقصودةً بالذات؛ لئلا يلزم العبث واللغو، وبناءً على هذا الاحتمال يكون الدليل على وساطة الفيض دليلاً عقلياً، وهذا الاحتمال يتفق مع المعنى الرابع لوساطة الفيض.

### الأمر الثالث: إشكالات على الوساطة في الفيض

وقد يشكل على هذه الفائدة بعدة إشكالات:

الإشكال الأول: إن الوساطة في الفيض تتنافى مع ظاهر الآيات القرآنية الدالة على أن الله تعالى هو المفيض لكل شيء ومن بيده ملكوت كل شيء، فهو الخالق والرازق والمحيي والمميت، وما خالف كتاب الله (عز وجل) فهو زخرف ومردود، وبالتالي فلا قيمة لهذه النصوص المخالفة للكتاب، فلاحظ مثلاً قوله تعالى:

١- {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيُّ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١).

٢- {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (٢).

(١) سورة الممتحنة: ٢٤.

(٢) سورة الذاريات: ٥٨.

٣- {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (١).

والجواب:

أولاً: بالنقض، فإنه توجد آيات قرآنية أخرى دالة على أن لبعض المخلوقات دخالة في نزول الفيض كالملائكة وغيرهم، فلاحظ قوله تعالى:

١- {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا \* وَالتَّاشِطَاتِ نَشْطًا \* وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا \* فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا \* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} (٢).

٢- {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} (٣).

٣- {وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ} (٤).

فكيف تكون هذه النصوص الدالة على الوساطة في الفيض مخالفةً للكتاب مع وجود آيات دالة على وساطة بعض المخلوقات في الفيض.

وثانياً: إن مقتضى الجمع والتوفيق بين هذه الآيات هو أن يقال بأن لصدور الفيض نحوين:

النحو الأول: الصدور بالذات، بمعنى أن الفيض كله يرجع أولاً وبالذات إلى الحق (عز وجل)، فالإله يرجع الأمر كله، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء، ومدبر جميع الأمور، فهو الخالق والرازق والمحيي والمميت والمعطي والمنع.

(١) سورة الروم: ٤٠.

(٢) سورة النازعات: ١-٥.

(٣) سورة الأنعام: ٦١.

(٤) سورة التوبة: ٧٤.

النحو الثاني: الصدور بالعرض، بمعنى أنّ الفيض قد يصدر عن بعض المخلوقات، ولكنه ليس صدوراً استقلالياً، بل تابع للإرادة الإلهية وراجع لها. وبهذا يتضح طريق الجمع والتوفيق بين هذه الآيات؛ فإنّ ما دلّ على صدور الفيض كله من الحقّ تعالى ناظر إلى أصل صدور الفيض بالذات، وأما ما دلّ على صدوره عن بعض المخلوقات فهو دالّ على صدوره التبعية والعرضية الراجع في واقعه للأمر الإلهي، وبذلك اتضح أنّ هذه النصوص الدالة على الوساطة في الفيض دالة على الصدور العرضية التبعية، لا الصدور الذاتي الاستقلالي، فلا تكون بالتالي مخالفةً للكتاب، بل موافقةً له.

وثالثاً: إنّ وساطة الفيض لها عدّة معاني أو احتمالات كما بيّنا ذلك، فهذا الإشكال على فرض تماميته -وهو غير تام- فهو يرد على الاحتمال الأول، ولا يرد على بقية الاحتمالات كما لا يخفى.

الإشكال الثاني: إما أنه يمكن صدور الفيض من الله تعالى من دون حاجة لوسائط الفيض فيكون إناطة الفيض بالوساطة لغواً تجلّ عنه الساحة المقدّسة، وإما أنه لا يمكن صدور الفيض منه سبحانه إلا من خلال وسائط الفيض وهذا يستوجب العجز وقصور القدرة الإلهية، وهو خلاف ما دلّت عليه البراهين العقلية والنقلية من إحاطته بكلّ شيء وقدرته على كلّ شيء.

والجواب:

يمكن الالتزام بكلّ الفرضين ولا يلزم من ذلك محذور. أما الفرض الأول وهو إمكان صدور الفيض بلا حاجة للوساطة، فنقول: بأنّ ذلك ممكن بالإمكان الذاتي، فهو ممكن في نفسه وليس من المحالات الذاتية، إلا أنه غير ممكن وقوعاً -أي بالإمكان الوقوعي- بناءً على ما ذكرناه في المعنى الثاني للوساطة في الفيض

وهو العلة الغائية، فلو صدر الفيض من دون هذه العلة الغائية يلزم العبث ونقض الغرض، ولا يمكن صدور العبث منه سبحانه؛ لأنه قبيح. وأما الفرض الثاني وهو أن صدور الفيض لا يمكن إلا عبر وسائط الفيض، فنقول أيضاً: لا محذور فيه، وهو ما يوافق الاحتمال الثالث؛ وذلك بأن وجود وسائط الفيض شرط متمم لقابلية القابل، وليس مصححاً لفاعلية الفاعل، فيكون صدور الفيض من دون هذا الشرط من المحالات، وهذا لا يوجب ضيقاً في القدرة الإلهية؛ لأن القدرة تتعلق بالممكنات وليس بالمحالات، وهذا من المحالات.

الإشكال الثالث: إن هذه النصوص المستدل بها على الوساطة في الفيض تتنافى مع ما هو المعلوم من حال المعصومين عليهم السلام؛ حيث إنهم كسائر الناس تعرض عليهم عوارض النقص من الآلام والأمراض والفقر والموت وغيرها، وهذا لا يناسب كونهم مصدر الفيض، فإن مصدر الفيض لا بد أن يكون مجمعاً للكمالات منزهاً عن هذه النقائص.

والجواب:

أولاً: يمكن القول بأن هذا الإشكال لا يرد على أي المعاني المحتملة للوساطة في الفيض.

توضيح ذلك: أما على المعنى الأول وهو العلة الفاعلية؛ فلأنها بمعنى الإفاضة المقيّدة بالإذن الإلهي، وليست من ذاتياتهم حتى يمنع ذلك عروض الموت أو المرض أو الفقر وغيرها عليهم، وبما أن ذلك فيض من الله تعالى فهو يتحدد بمقداره، وبالتالي ما دام أن الله تعالى أراد عروض بعض هذه الأمور عليهم امتحاناً وتكميلاً فلا مانع في ذلك.

وأما على المعنى الثاني وهو العلية الغائية؛ فمن الواضح أن ذلك لا يتنافى مع عروض هذه الأمور؛ فأي محذور في كونهم غاية الخلقة وسبب نزول الفيض وعروض هذه الأمور عليهم؟ بل إنها من لوازم عبوديتهم التامة.

أما على المعنى الثالث وهو شرطية التأثير؛ فغاية ذلك أنّ نزول الفيض إلى الناس غير ممكن بصورة مباشرة، بل لا بدّ أن يمرّ بهم، فالفيض مباشرة منه سبحانه، وإنما هم شرط، وهذا لا يمنع من عروض هذه الأمور عليهم.

أما على المعنى الرابع وهو المظهرية؛ فغايته أنهم مظهر للكمالات الإلهية والفيوضات الربانية، وهذه العوارض ليست منافيةً لهذه المظهرية.

وثانياً: إنّ للمعصوم حالتين:

الحالة الأولى: النورانية، وهذه الحالة هي الجامعة للكمالات، والتي لا تعرض عليها هذه النواقص المذكورة، وهي التي يكون بها المعصوم واسطة الفيض، وهذه الصورة هي التي تحدّثت عنها النصوص المتواترة من قبيل:

١- قوله تعالى: {هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (١).

٢- عن زريس قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وأناس من أصحابه حوله: «إني أعجب من قوم يتولّوننا ويجعلوننا أئمةً ويصفون بأنّ طاعتنا عليهم مفترضة كطاعة الله ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصون حقنا ويعيبون بذلك علينا من أعطاه الله برهان حق معرفتنا بالتسليم لأمرنا، أترون أنّ الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم»، فقال حمران: جعلت فداك أرايت ما كان من قيام علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله وما أصيبوا به من قبل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا. فقال أبو جعفر عليه السلام: «يا حمران إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه، ثم أجره فتقدّم علم رسول الله إليهم في ذلك قام علي والحسن والحسين (صلوات الله عليهم)

ويعلم صمت من صمت منا، ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله وإظهار الطواغيت عليهم سألو الله دفع ذلك عنهم وألحوا فيه في إزالة ملك الطواغيت إذاً لأجابههم ودفع ذلك عنهم ثم كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلم منظوم انقطع فتبدد، وما كان الذي أصابهم من ذلك يا حمران لذنوب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغها، فلا تذهبن فيهم بك المذاهب»<sup>(١)</sup>.

٣- عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «إن الله (عز وجل) خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين من نور، ثم عصر ذلك النور عصرة فخرج منه شيعتنا، فسبّحنا فسبحوا وقدسنا فقدسوا وهللنا فهللوا ومجدنا فمجدوا وحمدنا فحمدوا، ثم خلق الله السماوات والأرض وخلق الملائكة فمكثت الملائكة مائة عام لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً، فسبحنا فسبح شيعتنا فسبحت الملائكة وقدسنا فقدست شيعتنا وقدست الملائكة وكذلك البواقي، فنحن الموحّدون حيث لا موحّد غيرنا وحقيق على الله تعالى بما اختصنا واختص شيعتنا أن يُزلفنا وشيعتنا في أعلى عليين، إنّ الله اصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل أن نكون أجساماً، ودعانا فأجبناه فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفره تعالى»<sup>(٢)</sup>.

٤- عن صالح بن سعيد قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقلت له: جعلت فداك في كلّ الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك؟ فقال: «ههنا أنت يا بن سعيد؟»، ثم أوماً بيده وقال: «انظر»، فنظرت فإذا أنا بروضات آنقات، وروضات باسرات، فيهنّ خيرات عطرات، وولدان كأنهنّ اللؤلؤ المكنون، وأطيار

(١) بصائر الدرجات، ص ١٤٤؛ الكافي، ج ١، ص ٢٦٢.

(٢) المحتضر، ص ٢٠٢.

وظباء، وأنهار تفور، فحار بصري وحسرت عيني، فقال: «حيث كنا فهذا لنا عتيد، لسنا في خان الصعاليك»<sup>(١)</sup>.

٥- عن الصادق عليه السلام: «إن الدنيا تمثل للإمام في فلقة الجوز فما تعرض لشيء منها، وإنه ليتناولها من أسرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء فلا يعزب عنه منها شيء»<sup>(٢)</sup>.

الحالة الثانية: البشرية، وهذه الحالة هي التي يكون بها كسائر الناس ويعرض عليه فيها ما يعرض عليهم مما ذكر، ومن خلال قصر النظر على هذه الحالة جاء الوهم في ذهن المشكل، وهذه الحالة هي التي جاءت في بعض النصوص الأخرى، من قبيل:

١- قوله تعالى: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا}.

٢- في حديث الكساء: «إني أجد في بدني ضعفاً فقلت أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف»<sup>(٣)</sup>.

٣- قال الغزالي: "كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع سيفه، ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره"<sup>(٤)</sup>.

٤- عن أبي هاشم الجعفري قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وهو محمومٌ غليلٌ، فقال لي: «يا أبا هاشم، ابعث رجلاً من موالينا إلى الحائر يدعو الله لي». فخرجت من عنده فاستقبلني علي بن بلال فأعلمته ما قال لي، وسألته أن يكون الرجل الذي يخرج، فقال: السمع والطاعة، ولكني أقول: إنه أفضل من الحائر إذ كان بمنزلة من في الحائر،

(١) الكافي، ص ٤٩٨.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٤٢٨.

(٣) إحقاق الحق، ج ٢، ص ٥٥٥.

(٤) إحياء علوم الدين، ج ١، ص ١٢٥، في (كتاب الحلال والحرام).



ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له بالحائر! فأعلمته ﷺ ما قال، فقال لي: «قل له: كان رسول الله ﷺ وسلم أفضل من البيت والحجر، وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر، وإن لله تعالى بقاعاً يحب أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه، والحائر منها»<sup>(١)</sup>.

الإشكال الرابع: هذه الفائدة لم يذكرها القرآن الكريم، وإنما دلت عليها بعض الروايات الضعيفة التي لا تفيد سوى الظن، وهو لا يغني عن الحق شيئاً، خصوصاً في المعارف العقديّة.

والجواب:

أولاً: هناك الكثير من القضايا المعرفية والفقهية لم ينص عليها القرآن بخصوصها، فهل يسعنا إنكارها لمجرد ذلك؟ فأين نص القرآن على أن الخلفاء بعد النبي ﷺ اثنا عشر؟ وأين نص القرآن على أن الواجب في اليوم واللييلة سبعة عشرة ركعة؟

وثانياً: بناءً على المعنى الرابع لوساطة الفيض -والذي نراه معنيّاً صحيحاً- تكون واسطة الفيض قد ذكرت في القرآن عند التدبر في الآيات القرآنية.

وثالثاً: إن الدليل لا ينحصر بالقرآن الكريم، بل يمكن إثبات المعارف بطرق أخرى كالعقل والسنة، وقد اتضح ممّا سبق أنه يمكن إثبات الوساطة في الفيض ببعض المعاني من خلال الدليل العقلي كالمعنى الثاني والثالث، كما أنه يمكن إثباتها ببعض المعاني الأخرى من خلال الروايات كالمعنى الأول والرابع.

ورابعاً: إن نسبة الضعف للروايات غير صحيح؛ فإنها روايات متواترة تواتراً معنوياً، ولا أقل من كونها مستفيضة مع احتفافها بالقرائن، وهذا كافٍ في اعتبارها كما هو واضح لمن جاس في الأخبار.

(١) كامل الزيارات، ص ٤٦٠.

وخامساً: مجرد عدم ذكر القرآن لا يصلح شاهداً للإنكار، وإنما تكذيب القرآن لذلك هو الصالح للاستدلال والنقض، ولا وجود في الآيات القرآنية على ما يكذب هذه الحقيقة.

وسادساً: يمكن القول بأن القرآن الكريم دلّ على حقيقة الوساطة في الفيض، وأشار لها ولو بشكل إجمالي، كما أشرنا لذلك في جواب الإشكال الأول بناءً على أنّ المعصوم هو الغاية من الخلقة.

### الفائدة الثالثة: الفائدة الإشراقية

وتقريب ذلك في مقدمتين:

المقدمة الأولى: إنّ الإمام المهدي عليه السلام له خصائص الإمامة.

المقدمة الثانية: إنّ من خصائص الإمامة هداية القلوب.

والنتيجة: إنّ الإمام المهدي عليه السلام له خاصية هداية القلوب.

وبناءً على ذلك نقول: بأنّ الإمام عليه السلام وإن كان غائباً عنا إلا أنه بإمكانه إعمال ولايته في إفاضة النور وإلقاء الشعاع في القلوب المستعدة لذلك، فيسوقها بهذا النور نحو الكمال وينقلها من بحر الظلمات ودياجي الغفلة إلى بحر الإشراقات ومنافذ الهداية. وأيّ فائدة هي أعظم من أن يبثّ الإمام عليه السلام نور الهداية والتقوى في قلوب المستعدين لذلك فيكون ذلك سبباً في كمالهم وعروجهم لساحة الحقّ تبارك وتعالى. وقد صرح بعض الأعلام بهذه الفائدة كالعلامة الطباطبائي. والمهم هو البرهنة على المقدمة الثانية الكبرى، فما هو الدليل على أنّ الإمام عليه السلام له خاصية هداية القلوب وأنّ لديه الولاية والقدرة على بثّ النور فيها؟

والجواب: يمكن أن تذكر عدّة أدلة لذلك:

### الدليل الأول: الهداية الأمرية:

وهو ما طرحه العلامة الطباطبائي<sup>(١)</sup> وغيره، ونبيّنه في عدّة أمور:  
الأمر الأول: ما هو المراد من الإمامة وما حقيقتها؟  
اختلفت كلمات الأعلام في بيان ماهية الإمامة على آراء كثيرة، منها:

- ١- الإمامة هي النبوة.
- ٢- الإمامة هي الرسالة.
- ٣- الإمامة هي الرئاسة العامة.
- ٤- الإمامة هي الخلافة.
- ٥- الإمامة هي الإطاعة.

هذا، ولكن العلامة الطباطبائي يرفض ذلك ويقول: بأنّ جميع هذه التعاريف غير دقيقة، فليس معنى الإمامة النبوة؛ لأنّ النبوة بمعنى تحمّل النبأ من الله سبحانه وتعالى. وليس معناها الرسالة؛ لأنّ الرسالة بمعنى تحمّل تبليغ أوامر الله ونواهيه إلى الناس، وليس معناها الرئاسة في الدين والدنيا؛ لأنّ هذا المعنى يرجع إلى الطاعة، وليس معناها الإطاعة؛ لأنها تعني التزام الناس بأوامره فحسب.

فالصحيح في تعريف الإمامة هو ما عرّفه بها القرآن الكريم، فعلينا أن نأخذ معنى الإمامة من كتاب الله (عز وجل)، فنجد عدّة آيات قرآنية تعرّف لنا حقيقة الإمامة بأنها هداية أمرية، مثلاً:

١- قال تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} (٢).

(١) الميزان، ج ١، ص ٢٧٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٣.

٢- قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (١).  
 إذًا، فالتعريف الصحيح للإمامة هو أنها الهداية الأمرية. ولكن يبقى الكلام في المقصود بالهداية الأمرية، وهذا ما سيتضح فيما يأتي.

### الأمر الثاني: أقسام الهداية

أشار القرآن الكريم إلى أن للهداية عدّة معانٍ، وهي:

١- الهداية التكوينية: وهي قوة غرسها الله تعالى في طبيعة كل موجود لتسير به نحو كماله، وهي التي أشار إليها قوله تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (٢).  
 وكل شيء في الكون من الذرة إلى المجرة لديه هداية تكوينية وهي قوة الاستكمال، ألا ترى كيف يهتدي النبات إلى نموه، فيسير إلى جهة لا صادّ له عن سيره فيها، وكيف يهتدي الحيوان فيميّز بين من يؤذيه ومن لا يؤذيه، فالفأرة تفرّ من الهرة، ولا تفرّ من الشاة، وكيف يهتدي النمل والنحل إلى تشكيل جمعية وحكومة وبناء مساكن! وكيف يهتدي الطفل إلى ثدي أمّه، ويرتضع منه في بدء ولادته.

٢- الهداية التشريعية: وهي إرسال الرسل إلى الناس وإنزال الكتب عليهم، وإتمام الحجة بإفاضة العقل الذي يتحقق به تمييز الحق من الباطل مع ما رافق تلك الرسائل من معاجز باهرة وبراهين قاهرة تشهد على صدق الرسل، وهذه الهداية هي التي أشارت لها آيات عديدة، قال تعالى:

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (٣).

(١) سورة السجدة: ٢٤.

(٢) سورة طه: ٥٠.

(٣) سورة الإسراء: ٩.

{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (١).

٣- الهداية الفطرية: وهي أن الله تعالى فطر جميع خلقه على معرفته وتوحيده، ومما ما يدل على وجودها في الإنسان قوله تعالى: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} (٢).

وقول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه» (٣).  
وأما ما يدل على وجودها في كل ذرات الكون فقوله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ} (٤).

{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} (٥).

٤- الهداية الأمرية: وهي التي خصَّ الله تعالى بها الأئمة ومن بلغ مقام الإمامة، وهي عبارة عن الولاية المعطاة للمعصوم ليتمكن من خلاها من هداية البشر بشكل مباشر بلا حاجة لأمر أو نهي، بل بمجرد إرادة الإمام ذلك فإنه يفعله مباشرة ويفيض النور في قلب من أراد، وهذا ما يشير له قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} (٦).

الأمر الثالث: دلت الآيات السابقة على أن الهداية تكون بأمر الله تعالى {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا}، فما هو المقصود بالأمر؟

(١) سورة النساء: ١٦٥.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

(٣) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد)، ج ٤، ص ١١٤.

(٤) سورة النحل: ٤٩.

(٥) سورة الإسراء: ٤٤.

(٦) سورة الأنبياء: ٧٣.

والجواب: بأن القرآن الكريم يشير إلى وجود عالمين منهما يتم الحكم والقضاء الإلهي: عالم الخلق، وعالم الأمر.

وإلى ذلك ترشد الآية المباركة: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}، فما الفرق بينهما؟ عالم الخلق يحتاج إلى مادة ومدة، فكل ما يصدر من الله ويحتاج لهذين الركنين يعتبر من عالم الخلق، مثل خلق الإنسان فهو يحتاج إلى مادة وهي الجسد، ومدة، أي زمن ينتقل فيه من مرحلة إلى أخرى، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (١).

أما عالم الأمر فهو لا يحتاج إلى مادة ومدة، فبمجرد أن يريد الله إفاضة شيء ما فإنه يتحقق في الخارج، كما يقول سبحانه: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} (٢). و {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (٣). ومن هذا العالم تحققت الروح، قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (٤).

#### الأمر الرابع: عالم الأمر إحاطة بملكوت الأشياء

إن الذي عنده ارتباط بعالم الأمر لا بد وأن يحيط بملكوت الأشياء، أي بجوهرها وصورتها الباطنية الواقعية، وليس فقط بصورتها الظاهرية الملكية، فالمستفاد من القرآن بأن للأشياء جانباً ملكياً وجانباً ملكوتياً، أما الملكي فهو ما يرجع لعالم الملك وهو الجانب الظاهري للأشياء، قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

(١) سورة المؤمنون: ١٤.

(٢) سورة القمر: ٥٠.

(٣) سورة يس: ٨٣.

(٤) سورة الإسراء: ٨٥.

وأما الملكوتي فهو ما يرجع لعالم الملكوت وهو الجانب الباطني للأشياء، قال تعالى: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}. وقد كان للنبي إبراهيم إحاطة بملكوت الأشياء لما بلغ مقام الإمامة، وهذا ما دلّ عليه القرآن: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} (١).

فالإمام لا بد وأن تكون له إحاطة بواقع الأشياء وملكوتها.

إذا اتضحت هذه الأمور نقول: بأن الإمامة تعني الهداية الأمرية، أي الهداية بأمر الله تعالى، وهذا الأمر هو الذي لا يتخلف ولا يحتاج إلى مادة ومدة، فبمجرد أن يريد الإمام هداية شخص فإنه يهديه بأمر الله تعالى، وبكلمة أخرى: الإمامة تعني الإيصال إلى المطلوب، فالإمام يستطيع أن يوصل العباد إلى المطلوب -أي الهداية- من دون حاجة إلى عمل المقدمات؛ لأنه يمتلك إحاطة بواقع وجوهر الإنسان، فيعلم بملكوت قلب الإنسان واستعداده، فيمكنه التصرف في قلب الإنسان وباطنه؛ لامتلاكه الولاية عليه، فكما أن الله تعالى يستطيع أن يحرك قلب الإنسان ويشرح صدره للإيمان {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۗ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} (٢). فكذلك الإمام المعصوم عنده هذه القدرة بأن يُنفذ في قلب الإنسان النور والضياء فيهدي قلبه، وهذه هي الموهبة الإلهية التي تفضل الله تعالى بها على الأئمة، وكما في الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام): «والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين ويحجب الله (عز وجل) نورهم عن من يشاء فتضللتهم قلوبهم» (٣). ولعل ما

(١) سورة الأنعام: ٧٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٣) الكافي، ج ١، ص ١٩٤.

صنعه الإمام الكاظم عليه السلام ببشر الحافي من قبيل الهداية الأمرية؛ حيث إن كلمة واحدة منه عليه السلام وهي: «لو كان عبداً خاف من مولاه»<sup>(١)</sup>، نفذت في أعماق قلب بشر وغيّرت مجرى حياته، فبعدها كان يبيت مع أهل الغناء والطرب وعلى مائدة السكر وإذا به يصبح نبراساً للتائبين ومثالاً للعارفين.

ولعل من هذا القبيل أيضاً ما صار إليه حال تلك الجارية التي جعلها هارون في سجن الإمام الكاظم عليه السلام بزعمه أن يغري ويفتن بها الإمام عليه السلام، وإذا بها حينما رأت الإمام انقلبت مشعلاً في العبادة، لا ترفع رأسها من السجود لله تعالى قائلة: «قدوس قدوس سبحانك»<sup>(٢)</sup>.

ولذا يقول العلامة الطباطبائي: «ولا تنفك النبوة عن الهداية بمعنى إراءة الطريق، فلا يبقى للإمامة إلا الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب، وهي نوع تصرف تكويني في النفوس بتسييرها في سير الكُمل ونقلها من موقف معنوي إلى الموقف آخر وإذا كانت تصرفاً تكوينياً وعملاً باطنياً فالمراد بالأمر الذي تكون به الهداية ليس هو الأمر التشريعي الاعتباري بل ما يفسره في قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، فهو الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يهتدي بها المؤمنون بأعمالهم الصالحة ويتلبسون بها رحمة من ربهم، وإذا كان الإمام يهدي بالأمر - والباء للسببية أو الآلة - فالإمام هو الرابط بين الناس وبين ربهم في إعطاء الفيوضات الباطنية وأخذها .. والإمام دليل هاد للنفوس إلى مقاماتها»<sup>(٣)</sup>.

(١) منهاج الكرامة، ص ٥٩٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٤١٥.

(٣) الميزان، ج ١٤، ص ٣٠٤.



### الإشكالات على ما تقدم:

الإشكال الأول: إن تفسير الإمامة بالهداية الأمرية مرفوض؛ وذلك لعدة أسباب:  
السبب الأول: أن هذا التعريف مخالف لما تدل عليه الروايات، من قبيل ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المسلمين، إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام...»<sup>(١)</sup>.

السبب الثاني: أن هذا التعريف مخالف لما عليه جمهور المسلمين من أن الإمامة (هي الرئاسة العامة في الدين والدنيا) كما ذكرنا في الفصل الثالث.

السبب الثالث: أن الآية ليست بصدد تعريف وتحديد مفهوم الإمامة، وإنما تشير إلى أن مهمة الأئمة ووظيفتهم القيام بدور الهداية، لا أن الإمامة هي الهداية الأمرية، وكم فرق بين الأمرين؟

### والجواب:

أولاً: إن البحث منصب على معنى الإمامة بالمصطلح القرآني، فلا معنى للقول بأن معنى الإمامة في الروايات مخالف لتفسيرها بالهداية الأمرية. وإن شئت قلت: يمكن القول بأن هناك تعريفين للإمامة؛ تعريف قرآني وتعريف روائي، فهي بحسب التعريف القرآني لها تعني الهداية الأمرية، وهذا ما يتوافق مع نظرية العلامة الطباطبائي من تفسير القرآن بالقرآن.

وثانياً: إن ما عليه الجمهور من تعريف الإمامة بالرئاسة لا شاهد عليه في النصوص، فإننا لو كنا والآيات القرآنية فهي بمعنى الهداية الأمرية كما بينا ذلك، ولو كنا والروايات

(١) الكافي، ج١، ص ٢٠٠.

وهي تشير إلى معنى أوسع من كونها رئاسة ظاهرية في الدين والدنيا كما يظهر بملاحظة الروايات، ومنها الرواية المنقولة عن الإمام الرضا عليه السلام، بل هذا التعريف هو تعريف عامي جرى عليه بعض علمائنا مجازاً للقوم.

وثالثاً: الظاهر من الآيتين اللتين عقبت الإمامة بالهداية الأمرية هو أنها بصدد بيان حقيقة وماهية الإمامة، أو بيان المهمة الأجل والأبرز لها بحيث يمكن اعتبارها ضابطة للإمامة، لا أنها بصدد بيان مهمة من مهام الإمامة فقط، ناهيك عن أنه حتى لو قبلنا بذلك وأن الآيتين بصدد بيان مهمة للأئمة فقط فمع ذلك فإن هذا لا يضر بطريقة الاستدلال؛ فإنه يكفينا ذلك لإثبات أن للإمام خاصية الهداية الأمرية والذي هو المطلوب.

الإشكال الثاني: إن الآيتين تتحدثان عن أنبياء بني إسرائيل الذين جعلهم الله تعالى أئمة، ولا ربط لهما بأهل البيت عليهم السلام أو الإمام المهدي عليه السلام كي يستدل بهما على ثبوت هذه الخاصية له.

#### والجواب:

أولاً: سلمنا أن الآيتين واردتان في سياق الحديث عن أنبياء بني إسرائيل، إلا أن المهم عندنا هو بيان معنى وماهية الإمامة أو الخاصية الأبرز لها، وهذا كاف في إثبات المطلوب، فبعدما أثبتنا الإمامة للإمام المهدي عليه السلام بقي أن نثبت معنى هذه الإمامة وخصائصها، وقد أشار القرآن الكريم أن معناها أو من أبرز خصائصها الهداية الأمرية.

وثانياً: إذا ثبتت هذه الخاصية في أئمة بني إسرائيل فهي بالأولوية في أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ لأفضليتهم على جميع الأنبياء كما هو الرأي المشهور لدى الأعلام تبعاً للأدلة، فبالتالي لا موقع للقول بأن الإمامة في بني إسرائيل تختلف عن الإمامة في أهل البيت عليهم السلام.

وثالثاً: إنّ مجرّد ورود الآيتين في سياق الحديث عن أنبياء بني إسرائيل لا يعني اختصاص ذلك بهم، خصوصاً وأنّ القرآن الكريم كتاب سماوي عالمي عام تكفّل ببيان ما تحتاج له البشرية من سائر المعارف العقدية والفقهية والأخلاقية والقانونية والاجتماعية والتربوية وغيرها، وليس كتاباً لقضايا جزئية وموارد مخصوصة، فالقاعدة الأصولية تقول: "بأنّ المورد لا يخصّ الوارد"، وعليه يمكن القول بأنّ كلّ من بلغ هذا المقام فله هذه الخاصية.

الإشكال الثالث: إنّ تفسير الأمر في الآيتين بالأمر التكويني -والذي يعني الإيصال إلى المطلوب والذي لا يتخلّف فيه المراد- غير واضح؛ فإنّ تفسير الأمر بذلك لا يعدو كونه احتمالاً ليس أكثر.

ويوجد في مقابل هذا الاحتمال احتمالان آخران:

الاحتمال الأول: أن يكون المقصود بالأمر هو الأمر التشريعي، فتكون الهداية في الآية بمعنى الهداية التشريعية لا الأمرية، وهذا من قبيل قوله: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا<sup>(١)</sup>}. فالأمر هنا بمعنى الأمر التشريعي لا التكويني، فيحتمل أن يكون الأمر في الآيتين بهذا المعنى، فيمكن تخلّفه عن المطلوب.

الاحتمال الثاني: أن يكون المقصود بالأمر يعني الحاكمية والسلطنة كما في قوله تعالى: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ<sup>(٢)</sup>}. فيكون المقصود في قوله تعالى: {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} أي بإذننا ومشيتنا وتحت حاكميتنا، وبناءً على ذلك فتأثير هذه الهداية موقوف على الإذن والمشية الإلهيتين، وهذا نظير الأمر في الشفاعة، وعليه فقد يترتب عليها الأثر وقد لا

(١) سورة الإسراء: ١٦.

(٢) سورة الروم: ٤.

بترتب عليها ذلك، فتأثيرها منوط بالإذن الإلهي. وكما يقول تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}. وقوله: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} (١). فالهداية الأمرية التي أشار لها القرآن الكريم لا تزيد على ذلك، وبالتالي فلا يكون لها ارتباط ومساس بالأمر التكويني والذي لا يتخلف فيه المراد والمطلوب.

ويمكن تأييد ذلك (أي أنه ليس المقصود بالأمر هو الأمر التكويني) بمؤيدين: المؤيد الأول: النص، فعن أبي عبد الله قال: «إِنَّ الْأُمَّةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ (عز وجل) إمامان، قال الله تبارك وتعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم، قال: {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار} يقدمون أمرهم قبل أمر الله وحكمهم قبل حكم الله ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله (عز وجل)» (٢).

المؤيد الثاني: فهم الأعلام، فحينما تلاحظ كتب التفسير لا تجد لهذا المعنى المذكور عيناً ولا أثراً، بل يفسرون الهداية والأمر بالهداية بالأمر التشريعي، فلاحظ مثلاً:

١- الشيخ الطوسي: ثم وصفهم بأن قال: {وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً} يقتدى بهم في أفعالهم {يَهْدُونَ} الخلق إلى طريق الحق {بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ} أي وأوحينا إليهم بأن يفعلوا الخيرات {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} (٣).

٢- العلامة لطبرسي: {وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً} يقتدى بهم في أفعالهم وأقوالهم {يَهْدُونَ} الخلق إلى طريق الحق وإلى الدين المستقيم. {بِأَمْرِنَا} فمن اهتدى بهم في أقوالهم وأفعالهم فالنعمة لنا عليه (٤).

(١) سورة الأنبياء: ٢٨.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢١٥؛ تفسير القمي، ج ٢، ص ١٧١.

(٣) التبيان، ج ٧، ص ٢٦٤.

(٤) مجمع البيان، ج ٧، ص ١٠١.

والغرض أنه لو لم تكن الآيتان دالتان على الأمر التشريعي أو الأمر بمعنى الحاكمة فلا أقل من أنهما مجملتان، فلا يصح الاستدلال بهما على أن المراد بالأمر هو الأمر التكويني والذي لا يتخلف فيه المطلوب.

والجواب: يمكن أن يقال بأن الأمر حينما يسند إلى الله تعالى له معاني:

المعنى الأول: الأمر التكويني، وهذا ما جاء في عدة آيات من قبيل قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (١).

المعنى الثاني: الأمر التشريعي، وهذا ما جاء في عدة آيات من قبيل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (٢).

المعنى الثالث: الحاكمة، وهذا نظير قوله تعالى: {فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ} (٣).

وبناءً على ذلك نقول: بأن الأمر في الآية مطلق يعتم جميع المعاني بما فيها الأمر التكويني، فالإمام له هداية تشريعية من خلال الأمر التشريعي، وله هداية تكوينية من خلال الأمر التكويني، وهاتان الهدايتان لا تخرجان عن حاكمية وسلطنة الحق تبارك وتعالى.

الإشكال الرابع: إن تفسير الهداية الأمرية بولاية الإمام على القلوب والتي يمكنه من خلالها إيصالها للمطلوب من دون تخلف عن المراد لا يناسب ما يذكره القرآن الكريم في

(١) سورة يس: ٨٣.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

(٣) سورة الروم: ٥.

بعض الآيات من نفي هذه الخاصية عن النبي ﷺ وحصر هذه الهداية بالله تعالى، فلاحظ مثلاً:

قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (١).

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الآية: "المراد بالهداية الإيصال إلى المطلوب ومرجعه إلى إفاضة الإيمان على القلب، ومعلوم أنه من شأنه تعالى لا يشاركه فيه أحد، وليس المراد بها إراءة الطريق فإنه من وظيفة الرسول لا معنى لنفيه عنه، والمراد بالاهتداء قبول الهداية" (٢).

وقوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (٣).

يقول العلامة الطباطبائي: "أمر هذا الإيمان الموجود فيهم والهدى الذي لهم إنما هو إلى الله تعالى يهدي من يشاء إلى الإيمان وإلى درجاته، وليس يستند إلى النبي لا وجوده ولا بقائه حتى يكون عليه حفظه ويشق من زواله أو ضعفه أو يسوئه ما آل إليه الكلام في هذه الآيات من التهديد والإيعاد والخشونة" (٤).

وبعدما تقدم نقول: أنه قد اتضح من خلال هاتين الآيتين نفي وجود هذه الهداية الأمرية بمعنى الإيصال للمطلوب للنبي ﷺ كما صرح بذلك العلامة نفسه، واختصاص ذلك في الله (تبارك وتعالى)، فإذا نفي القرآن ذلك عن النبي ﷺ فانتفائه عن غيره بطريق أولى.

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) الميزان، ج ١٦، ص ٥٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٤) الميزان، ج ٢، ص ٣٩٨.

وإن شئت قلت: بأنه كيف يمكن رفع التنافي في كلمات العلامة؛ حيث إنه بناءً على ما ذكره في تفسيره للهداية الأمرية هو ثبوت هذه الهداية للأئمة، وبناءً على ما ذكره في تفسير هاتين الآيتين هو اختصاص هذه الهداية بالله تعالى؟

والجواب: يمكن التوفيق بين ما ذكره العلامة في الموردین بأن يقال: بأن الآيات التي تثبت هذه الهداية للأئمة فإنما تثبتها بأمر الله تعالى وبالتبع وفي طول هدايته تعالى، وأما التي تنفيها فتنفيتها عنهم بالذات والاستقلال، إلا أن يقال بأن هذا الحمل والتوجيه ليس بأولى من حمل الأمر في {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} على الأمر التشريعي، وبذلك تنسجم هذه الآية مع الآيات التي تنفي خاصية الهداية الأمرية بمعنى الإيصال للمطلوب.

### الدليل الثاني: الولاية التكوينية

وتقريب ذلك في مقدمات:

المقدمة الأولى: أنّ لأهل البيت عليهم السلام ولاية تكوينية عامة.

المقدمة الثانية: من كانت لديه الولاية التكوينية العامة كانت لديه الولاية على النفوس.

والنتيجة: أنّ لأهل البيت عليهم السلام الولاية على النفوس. وبناءً على ذلك تثبت هذه الولاية للإمام المهدي عليه السلام؛ لأنه منهم.

وأما أنه في زمن الغيبة فهذا لا يمنع من نفوذ ولايته وقدرته على هداية القلوب وجذبها نحو الإيمان والتقوى، وبما أنّ هذا الدليل يرتكز على الولاية التكوينية والتي تعتبر من المعارف العقدية الهامة لأهل البيت عليهم السلام فلا بدّ من البحث فيها بشكل مفصل نوعاً ما لنرى بعد ذلك تمامية هذا الدليل لإثبات هذه الفائدة من عدمها، ولأجل ذلك لابدّ من البحث في عدّة أمور:

## الأمر الأول: آراء الأعلام في ثبوت الولاية التكوينية

ذهب جمع كبير من محققي أعلامنا إلى ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت (عليهم السلام)، ونكتفي هنا بنقل كلمات البعض منهم:

١- المحقق النائيني: "الولاية التكوينية التي هي عبارة عن تسخير المكوّنات تحت إرادتهم ومشيتهم بحول الله وقوته كما ورد في زيارة الحجة أرواحنا له الفداء بأنه ما من شيء إلا وأنتم له السبب؛ وذلك لكونهم (عليهم السلام) مظاهر أسمائه وصفاته تعالى، فيكون فعلهم فعله، وقولهم قوله، وهذه المرتبة من الولاية التكوينية مختصة بهم، وليست قابلة للإعطاء إلى غيرهم؛ لكونها من مقتضيات ذواتهم النورية ونفوسهم المقدّسة التي لا يبلغ إلى دون مرتبتها مبلغ" (١).

٢- المحقق الأصفهاني: "والنبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) لهم الولاية المعنوية والسلطة الباطنية على جميع الأمور التكوينية والتشريعية، فكما أنهم مجاري الفيوضات التكوينية كذلك مجاري الفيوضات التشريعية، فهم وسائط التكوين والتشريع" (٢).

٣- الإمام الخميني: "إنّ للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإنّ من ضروريات مذهبنا أنّ لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل" (٣).

٤- السيد الخوئي: "فالظاهر أنه لا شبهة في ولايتهم على المخلوقات بأجمعهم كما يظهر من الأخبار؛ لكونهم واسطة في الإيجاد وبهم الوجود وهم السبب في الخلق؛ إذ لولاهم لما خلق الناس كلهم، وإنما خلقوا لأجلهم، وبهم وجودهم، وهم الواسطة في الإفاضة، بل لهم

(١) حاشية المكاسب، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٧٩.

(٣) الحكومة الإسلامية، ص ٥٢.



الولاية التكوينية لما دون الخالق، فهذه الولاية نحو ولاية الله تعالى على الخلق ولاية إيجادية، وإن كانت هي ضعيفة بالنسبة إلى ولاية الله تعالى على الخلق<sup>(١)</sup>.

٥- الميرزا التبريزي: "الولاية التكوينية التي هي عبارة عن تأثير مشيئة النبي ﷺ أو الإمام ﷺ في أمر كوني بمجردا أو مع فعل ما يكون ذلك التأثير من قبيل خرق العادة كإحياء عيسى على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام وتفجير موسى ﷺ العيون بضرب عصاه إلى غير ذلك.. وثبتت هذه الولاية التكوينية للأئمة ﷺ يظهر من الروايات المختلفة الواردة في الحوادث المتفرقة والشواهد التاريخية بحيث يحصل للمتتبع الجزم به"<sup>(٢)</sup>.

### الأمر الثاني: حقيقة الولاية التكوينية

اختلف الأعلام في تفسير الولاية التكوينية، وما وقفنا عليه رأيان:

#### الرأي الأول: قدرة مفاضة

وهي سلطنة على التصرف في الموجودات يهبها الله تعالى لوليه فيتمكّن من خلالها من التصرف في الموجودات بإذن الله تعالى. ويشهد لهذا المعنى ما رواه ابن سنان عن الإمام الجواد ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ فَرْدًا مَتَفَرِّدًا فِي الْوَحْدَانِيَّةِ، ثُمَّ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ ﷺ فَمَكَّثُوا أَلْفَ دَهْرٍ، ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ وَأَشْهَدَهُمْ خَلْقَهَا وَأَجْرَى عَلَيْهَا طَاعَتَهُمْ، وَجَعَلَ فِيهِمْ مَا شَاءَ، وَفَوَّضَ أَمْرَ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِمْ فِي الْحُكْمِ وَالتَّصَرُّفِ وَالْإِرْشَادِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُمُ الْوَلَاةُ، فَلَهُمُ الْأَمْرُ وَالْوَلَاةُ وَالْهُدَايَةُ، وَهُمْ أَبْوَابُهُ وَنَوَابِهِ وَحِجَابُهُ، يَحْلَلُونَ مَا شَاءَ وَيَحْرَمُونَ مَا شَاءَ وَلَا يَفْعَلُونَ إِلَّا مَا شَاءَ، عِبَادٌ مَكْرَمُونَ لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ

(١) مصباح الفقاهة، ج ٣، ص ٢٧٩.

(٢) إرشاد الطالب، ج ٣، ص ٢٠.

يعملون»<sup>(١)</sup>، وبهذه القدرة المفاضة استطاع إبراهيم عليه السلام أن يعيد الحياة للطيور: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا} <sup>(٢)</sup>، وبهذه القدرة المفاضة تمكن عيسى عليه السلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص: {وَأُبْرِئِ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ} <sup>(٣)</sup>، وبها استطاع آصف بن برخيا أن يأتي بعرش بلقيس من الشام إلى اليمن في لحظة: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} <sup>(٤)</sup>.

#### الرأي الثاني: دعوة مجابة

وهي عبارة عن دعوة مجابة يخص الله تعالى بها وليه فيما يدعوه له، فلو دعاه بأن ينزل مطراً من السماء أو يشفي مريضاً أو يحيي ميتاً فإن الله تعالى يجيبه في ذلك. ويشهد لهذا المعنى ما رواه في الاحتجاج في التوقيع الصادر عن الناحية المقدسة: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَجْسَامَ وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجَسْمٍ وَلَا حَالٍ فِي جَسْمٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، فَأَمَّا الْأُئِمَّةُ عليهم السلام فَإِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَىٰ فَيَخْلُقُ، وَيَسْأَلُونَهُ فَيَرْزُقُ؛ إِجَابَةً لِمَسْأَلَتِهِمْ وَإِعْظَاماً لِحَقِّهِمْ» <sup>(٥)</sup>، وبهذه الدعوة المجابة كان دعاء النبي نوح عليه السلام رَبِّهِ أَنْ يَنْزِلَ الْعَذَابُ عَلَىٰ قَوْمِهِ: {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} <sup>(٦)</sup>. وهكذا دعاء النبي عيسى رَبِّهِ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ: {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٣) سورة آل عمران: ٤٩.

(٤) سورة النمل: ٤٠.

(٥) الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٦) سورة نوح: ٢٦.

عَلَيْنَا مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ<sup>(١)</sup>.

وأما بيان الرأي الحق في ذلك فهذا ما سيتضح عند عرض أدلة الولاية التكوينية والإشكالات المذكورة عليها.

### الأمر الثالث: الأدلة على الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام

هناك مجموعة من الأدلة يمكن الاستدلال بها على ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام، سواءً فسّرناها بالقدرة المفاضة أو بالدعاء المستجاب أو بكل الأمرين أو بغير ذلك، وسوف نقتصر على ذكر بعض الأدلة، وأما التفصيل فيطلب من الأبحاث المطولة المعدة لذلك:

الدليل الأول: الاسم الأعظم

ويمكن تقريبه في مقدمتين:

المقدمة الأولى: الاسم الأعظم عند أهل البيت عليهم السلام

إن اثنين وسبعين حرفاً من أصل ثلاثة وسبعين حرفاً للاسم الأعظم قد خص الله

تعالى بها أهل البيت عليهم السلام كما في الروايات، ومنها:

١- عن أبي عبد الله عليه السلام: «كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما، وكان مع موسى

عليه السلام أربعة أحرف، وكان مع إبراهيم ستة أحرف، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً، وكان

مع نوح ثمانية، وجمع ذلك كله لرسول الله ﷺ، إنَّ اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً وحجب عنه واحداً<sup>(١)</sup>.

٢- عن أبي عبد الله ﷺ: «كان سليمان عنده اسم الله الأكبر الذي إذا سأله أعطى، وإذا دعا به أجاب، ولو كان اليوم لاحتاج إلينا»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن أبي جعفر ﷺ قال: «إنَّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»<sup>(٣)</sup>.

٤- عن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبي جعفر ﷺ: إني أظن أن لي عندك منزلة. قال: «أجل»، قلت: فإن لي إليك حاجة. قال: «وما هي؟» قلت: تعلمني الاسم الأعظم. قال: «وتطبيقه؟» قلت: نعم، قال: «فادخل البيت»، قال: فدخل البيت، فوضع أبو جعفر ﷺ يده على الأرض فأظلم البيت، فأرعدت فرائص عمر، فقال: «ما تقول؟ أعلمك؟» فقال: لا. قال: فرفع يده فرجع البيت كما كان<sup>(٤)</sup>.

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٧٥.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٧٧.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٧٤.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٣٠.

المقدمة الثانية: التلازم بين الاسم الأعظم والولاية التكوينية

إنّ من كان لديه شيء من حروف الاسم الأعظم كان لديه القدرة على التصرف في الكون بحسب ما لديه من ذلك، وهذا ما يستفاد من جملة وافرة من الروايات تغني استفادتها المحفوفة بالقرائن على صدقها عن البحث في أسانيدھا، منها:

١- عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخشف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كان أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب المكنون عنده»<sup>(١)</sup>.

٢- عن النوفلي عن الإمام الهادي عليه السلام: «اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ عيسى بن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنّ الله تعالى جمع ذلك كلّه لمحمد عليه السلام، وإنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أعطي محمد عليه السلام اثنان وسبعين حرفاً، وحجب عنه حرف واحد»<sup>(٣)</sup>.

(١) نفس المصدر، ص ٢٧٦.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٥٧.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٥٦.

والنتيجة المتحصّلة من هاتين المقدمتين هي: أنّ لأهل البيت (عليهم السلام) ولايةً تكوينية من خلال الاسم الأعظم الذي خصّهم الله تعالى به.

وأما عن كيفية تأثيره في الموجودات فيوجد قولان في ذلك:

القول الأول: ما ذهب له البعض من أنّ التأثير لنفس الحروف، فنفس هذه الحروف لها تأثير في الحقائق الكونية بحيث لو تمكّن إنسان من جمعها ومعرفة تركيبها لاستطاع التصرف في الأمور الكونية، وهذا هو مقتضى الجمود على ظواهر الأدلة والنصوص.

القول الثاني: ما ذهب له العلامة الطباطبائي من أنّ التأثير ليس لذات الحروف ومادتها اللفظية وإنما لحقائقها، وهذا هو مقتضى قانون السنخية بين العلة والمعلول، ولذا قال في الميزان: "والبحث الحقيقي عن العلة والمعلول وخواصها يدفع ذلك كلّه؛ فإنّ التأثير الحقيقي يدور مدار وجود الأشياء في قوته وضعفه والمسارحة بين المؤثر والمتأثر، والاسم اللفظي إذا اعتبرنا من جهة خصوص لفظه كان مجموعة أصوات مسموعة هي من الكيفيات العرضية، وإذا اعتبر من جهة معناه المتصوّر كان صورة ذهنية لا أثر لها من حيث نفسها في شيء البتة، ومن المستحيل أن يكون صوت أوجدناه من طريق الحنجرة أو صورة خيالية نصوّرها في ذهننا بحيث يقهر بوجوده وجود كلّ شيء، ويتصرّف فيما نريده على ما نريده، فيقلب السماء أرضاً والأرض سماءً، ويحول الدنيا إلى الآخرة وبالعكس وهكذا، وهو في نفسه معلول لإرادتنا، والأسماء الإلهية واسمه الأعظم خاصة وإن كانت مؤثرة في الكون ووسائط وأسباباً لنزول الفيض من الذات المتعالية في هذا العالم المشهود، لكنها إنما تؤثر بحقائقها لا بالألفاظ الدالة في لغة كذا عليها، ولا بمعانيها المفهومة من ألفاظها المتصورة في الأذهان، ومعنى ذلك أنّ الله سبحانه هو الفاعل الموجد لكلّ شيء بما له من الصفة الكريمة المناسبة له التي يحويها الاسم المناسب، لا تأثير اللفظ أو صورة مفهومه في الذهن أو حقيقة أخرى غير الذات المتعالية، إلا أنّ الله سبحانه وعد إجابة

دعوة من دعاه كما في قوله: {أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، وهذا يتوقف على دعاء وطلب حقيقي، وأن يكون الدعاء والطلب منه تعالى لا من غيره.. فمن انقطع عن كل سبب واتصل بربه لحاجة من حوائجه فقد اتصل بحقيقة الاسم المناسب لحاجته، فيؤثر الاسم بحقيقته ويستجاب له، وذلك حقيقة الدعاء بالاسم، فعلى حسب حال الاسم الذي انقطع إليه الداعي يكون حال التأثير خصوصاً وعموماً، ولو كان هذا الاسم هو الاسم الأعظم انقاد لحقيقته كل شيء واستجيب للداعي به دعاؤه على الإطلاق، وعلى هذا يجب أن يحمل ما ورد من الروايات والأدعية في هذا الباب دون الاسم اللفظي أو مفهومه، ومعنى تعليمه تعالى نبياً من أنبيائه أو عبداً من عباده اسماً من أسمائه أو شيئاً من الاسم الأعظم هو أن يفتح له طريق الانقطاع إليه تعالى باسمه ذلك في دعائه ومسأله، فإن كان هناك اسم لفظي وله معنى مفهوم فإنما ذلك لأجل أن الألفاظ ومعانيها وسائل وأسباب تحفظ بها الحقائق نوعاً من الحفظ، فافهم ذلك<sup>(١)</sup>.

وبعدما تقدم نقول: بأن المستفاد من روايات وأدعية كثيرة أن الاسم الأعظم مما يدعى به الله (عز وجل) فيجيب من دعاه به، وهذا يناسب الرأي الثاني القائل بأن الولاية التكوينية دعوة مجابة، فلاحظ مثلاً هذه النصوص:

- ١- عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان سليمان عنده اسم الله الأكبر الذي إذا سأله أعطى، وإذا دعا به أجاب، ولو كان اليوم لاحتاج لنا»<sup>(٢)</sup>.
- ٢- عن الإمام الرضا عليه السلام: «أعطي بلعم بن باعورا الاسم الأعظم فكان يدعو به فيستجاب له»<sup>(٣)</sup>.

(١) الميزان، ج ٨، ص ٣٥٤.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٢٣١.

(٣) تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤٨.

٣- في دعاء السمات: «اللَّهُمَّ إني أسألك باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم الذي إذا دعيت به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت، وإذا دعيت به على مضائق أبواب الأرض للفرج انفرجت»<sup>(١)</sup>.

٤- من دعاء للأمير عليه السلام: «اللَّهُمَّ إني أسألك باسمك المخزون المكنون العظيم الأعظم الأجل الأكبر البرهان الحق القدوس، الذي هو نور من نور، ونور مع نور، ونور على نور، ونور فوق نور، ونور في نور، ونور أضاء به كل ظلمة، وكسر به كل رجيم»<sup>(٢)</sup>.  
وبناءً على ذلك يكون الاستدلال بهذا الدليل لإثبات الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام مع تفسير الولاية التكوينية بالرأي الأول القائل بأنها قدرة مفاضة محل تأمل ونظر، ملاحظ.

### الدليل الثاني: الروح

وتقريب ذلك في مقدمات:

المقدمة الأولى: إنَّ الاستفادة من الأخبار الكثيرة أنَّ الله تعالى أيد أهل البيت عليهم السلام وزوَّدهم بأرواح عديدة، منها: روح الحياة، وروح الإيمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح القدس، والروح الأمرية، وكما في بعض الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام: «في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح البدن، وروح القدس، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح الإيمان»<sup>(٣)</sup>.

والمهم منها هو ما يسمّى بروح القدس أو بالروح الأمرية، وهل هما شيء واحد أو شيان؟ وقع الخلاف بين الأعلام في ذلك على قولين:

(١) مصباح المتهجد، ص ٤١٦.

(٢) مصباح الكفعمي، ص ٣١.

(٣) بصائر الدرجات، ص ٥٨٢.



القول الأول: أنهما شيء واحد وحقيقة واحدة، وهذا ما يظهر من كلام العلامة الطباطبائي في تفسير الآية ٨٥ من سورة الإسراء، حيث قال: "الروح غير الملائكة وقد وصفه تارة بالقدس وتارة بالأمانة - كما سيأتي - لطهارته عن الخيانة وسائر القذارات المعنوية والعيوب والعاهات التي لا تخلو عنها الأرواح الإنسية، وهو وإن كان غير الملائكة غير أنه يصاحبهم في الوحي والتبليغ كما يظهر من قوله: {يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}، فقد قال تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} فنسب تنزيل القرآن على قلبه ﷺ إلى جبريل ثم قال: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} وقال: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ} فوضع الروح وهو غير الملائكة بوجه مكان جبريل وهو من الملائكة، فجبريل ينزل بالروح والروح يحمل هذا القرآن المقروء والمتلو<sup>(١)</sup>.

ويمكن تأييد هذا القول بمؤيدين:

المؤيد الأول: أن الأخبار التي ذكرت تأييد الله تعالى الأئمة عليهم السلام بأرواح خمسة - منها روح القدس - لم تذكر الروح الأمرية، فلو كانت الروح الأمرية حقيقةً أخرى لذكرت. كما أن الروايات التي ذكرت الروح الأمرية لم تذكر روح القدس. المؤيد الثاني: أن نفس الخصائص التي ذكرتها الروايات لروح القدس هي نفسها خصائص الروح الأمرية، وهذا مما يؤيد أنهما حقيقة واحدة.

القول الثاني: أنهما حقيقتان، وأن روح القدس هو جبرئيل، وأما الروح الأمرية فهي خلق أعظم من الملائكة، وهذا ما يظهر من العلامة الطباطبائي في تفسير الآية ١٠٢ من سورة النحل، حيث يقول: "قوله تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}، قد تقدمت في أول السورة إشارة إلى معنى الروح،

(١) الميزان، ج ١٣، ص ١٩٢.

والقدس الطهارة والنزاهة، والظاهر أن الإضافة للاختصاص، أي روح طاهرة عن قدرات المادة، نزيهة عن الخطأ والغلط والضلال، وهو المسمى في موضع آخر من كلامه تعالى بالروح الأمين، وفي موضع آخر بجبريل من الملائكة، قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ}، وقال: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ} (١).

ويؤيد هذا القول بعض الأخبار التي تدل على أنهما مخلوقان، وذلك من قبيل ما ورد عن الأمير عليه السلام: «إِنَّ لِلَّهِ نَهْرًا دُونَ عَرْشِهِ، وَدُونَ النَّهْرِ الَّذِي دُونَ عَرْشِهِ نُورٌ مِنْ نُورِهِ، وَإِنَّ عَلَى حَافَتِي النَّهْرِ رُوحَيْنِ مَخْلُوقَيْنِ رُوحَ الْقُدُسِ وَرُوحَ مِنْ أَمْرِهِ» (٢).

وقد يوفق بين هذين القولين للعلامة الطباطبائي - حيث ظاهرهما التنافي - بأن يقال: بأن الروح حقيقة واحدة ذات مراتب متعددة، وهذا ما يستفاد من قوله في موضع آخر: «وَالْمُتَحَصِّلُ مِنْ كَلَامِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّ الرُّوحَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَهُوَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ ذَاتُ مَرَاتِبٍ وَدَرَجَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، مِنْهَا مَا فِي الْحَيَوَانَ وَغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَمِنْهَا مَا فِي الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِنْسَانِ، قَالَ تَعَالَى: {وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ}، وَمِنْهَا مَا يَتَأَيَّدُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ كَمَا قَالَ: {وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} وَقَالَ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا}» (٣).

وكيف كان فالهم هو أن أهل البيت عليهم السلام مزودون بما يسمى بالروح، وهذا ما يستفاد من النصوص:

١- عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله (عز وجل): {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مع الأئمة وهو من الملكوت» (٤).

(١) الميزان، ج ١٢، ص ٣٤٦.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٥٨٢.

(٣) الميزان، ج ١٢، ص ٢٠٦.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٣٠٢.

٢- عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله (عز وجل): {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا}، فقال أبو جعفر عليه السلام: «منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيه ما صعد إلى السماء وإنه لفينا»<sup>(١)</sup>.

المقدمة الثانية: إن السر في تزويد أهل البيت عليهم السلام بالروح وإمدادهم بها هو لأجل إخبارهم وإطلاعهم على الحقائق من جهة، ولأجل تسديدهم وتأبيدهم ونصرتهم من جهة أخرى، وهذا ما دلّت عليه الأخبار:

١- عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ}، قال: «خلق من خلق الله (عز وجل) أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده»<sup>(٢)</sup>.

٢- عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله (عز وجل): {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} فقال: «خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده»<sup>(٣)</sup>.

المقدمة الثالثة: من كان مؤيداً ومسدداً بالروح كانت لديه سلطنة على الموجودات وإحاطة بها، ويمكن توجيه ذلك بأحد وجهين:

(١) بصائر الدرجات، ص ٤٧٧.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٠١.

(٣) بصائر الدرجات، ص ٤٧٧.

الوجه الأول: أن يقال: حيث إنَّ من كان معه الروح كان عالماً بالفعل بجميع الحقائق، بملكها وملكوتها كما هو المستفاد من الأخبار، فإذا كان عالماً بها كان مسلطاً عليها، فإنَّ من ملك العلم الحقيقي بالشيء ملك الإحاطة به، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في حقيقة مجيء آصف بن برخيا بعرش بلقيس وأنَّ ذلك ببركة ما يمتلكه من العلم: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} (١).

الوجه الثاني: أن يقال: حيث إنَّ الروح لها الإحاطة والسلطنة على الموجودات، فمن كانت معه كانت لديه القدرة على التصرف في الموجودات والولاية عليها، وهذا ما يستفاد من بعض النصوص:

١- عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قلت: يا ابن رسول الله، ومن المقصر؟ قال عليه السلام: «الذين قصرُوا في معرفة الأئمة وعن معرفة ما فرض الله عليهم من أمره وروحه»، قلت: يا سيدي، وما معرفة روحه؟ قال عليه السلام: «أن يعرف كلَّ من خصَّه الله بالروح فقد فوّض إليه أمره، يخلق بإذنه، ويحيي بإذنه، ويعلم الغير ما في الضمائر، ويعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وذلك أن هذا الروح من أمر الله تعالى فمن خصَّه الله تعالى بهذا الروح فهو كامل غير ناقص، يفعل ما يشاء بإذن الله، يسير من المشرق إلى المغرب في لحظة واحدة، يعرج به إلى السماء وينزل إلى الأرض ويفعل ما شاء وأراد» (٢).

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح إلا على ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتجب، فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من

(١) سورة النمل: ٤٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٤.

الناس، وفوض إليه القدرة، وأحيى الموتى، وعلم بما كان وما يكون، وسار من المشرق إلى المغرب في لحظة عين، وعلم ما في الضمائر والقلوب، وعلم ما في السماوات والأرض<sup>(١)</sup>.  
والنتيجة: أنّ أهل البيت عليهم السلام لديهم الولاية التكوينية من خلال هذه الروح التي زوّدهم الله تعالى بها، وبناءً على هذا الدليل يكون تفسير الولاية التكوينية بأنها قدرة مفاضة أقرب من كونها دعوة مجابة.

#### الدليل الثالث: القدرة

دلّت النصوص المتواترة على أنّ لأهل البيت عليهم السلام القدرة على التصرف في الحقائق الكونية، وهذه النصوص يمكن تقسيمها إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: العامة، وهي ما دلّت على وجود القدرة لدى أهل البيت عليهم السلام بشكل عام على التصرف في الحقائق الكونية بإذن الله، ومن هذه النصوص:

١- عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام وقلت لهما: أنتما ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «نعم» قلت: فرسول الله وارث الأنبياء؟ علم كل ما علموا؟ قال لي: «نعم» فقلت: أنتم تقدرّون على أن تحيوا الموتى وتبرؤوا الأكمه والأبرص؟ قال: «نعم بإذن الله»<sup>(٢)</sup>.

٢- عن عبد الحميد بن سالم عن الإمام الكاظم عليه السلام: «ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ما يقطع به الجبال، ويقطع به البلدان، ويحيا به الموتى بإذن الله، ونحن نعرف ما تحت الهواء، وإن كان في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر من الأمور التي أعطاه الله الماضين النبيين والمرسلين إلا وقد جعله الله ذلك ككّه لنا في أم الكتاب، إنّ الله تبارك وتعالى يقول: {وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين} ثم قال (جل وعز): {ثم أورثنا

(١) نفس المصدر، ص ٥.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٢٨٩.

الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا} فنحن الذين اصطفانا الله، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء»<sup>(١)</sup>.

٣- عن يونس بن ظبيان والمفضل بن عمر وأبي سلمة السراج والحسين بن ثوير بن أبي فاختة قالوا: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: «عندنا خزائن الأرض ومفاتيحها ولو شئت أن أقول يا حدى رجلي أخرجي ما فيك من الذهب لأخرجت». قال: ثم قال يا حدى رجليه فخطها في الأرض خطأً فانفجرت الأرض، ثم قال بيده فأخرج سبيكة ذهب قدر شبر فتناولها، ثم قال: «انظروا حسناً»، فإذا سبائك كثيرة بعضها على بعض يتلأأ، فقال له بعضنا: جعلت فداك، أعطيتم ما أعطيتم وشيعتكم محتاجون؟ قال: فقال: «إن الله سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ويدخلهم جنات النعيم، ويدخل عدونا المحيم»<sup>(٢)</sup>.

٤- عن عبد الله بن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام سألته عن الإمام فوض الله إليه كما فوض إلى سليمان بن داود؟ فقال: «نعم»<sup>(٣)</sup>.

٥- عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله أقدرنا على ما نريد ولو شئنا أن نسوق الأرض بأزمته لسقناها»<sup>(٤)</sup>.

٦- عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام: «فنحن معانيه، وظاهره فينا، اختارنا من نور ذاته، وفوض إلينا أمر عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، ونحن لا نشاء إلا ما شاء، وإذا أردنا أراد الله، أحلنا الله هذا المحل، واصطفانا من بين عباده، وخصنا بهذه المنزلة الرفيعة»<sup>(٥)</sup>.

(١) بصائر الدرجات، ص ١٣٥.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٤٧٤.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٣٨.

(٤) بصائر الدرجات، ص ٣٩٧.

(٥) الهداية الكبرى، ص ٢٣٠.

الطائفة الثانية: الخاصة، وهي ما دلّت على تصرف أهل البيت عليهم السلام في بعض الحقائق الكونية بالفعل، ونفوذ ولايتهم عليها، ومنها:

١- عن علي بن يقطين قال: استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ويقطعه ويخجله في المجلس، فانتدب رجل معزم، فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز، فكان كلما رام أبو الحسن عليه السلام تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه، واستفزّ من هارون الفرح والضحك لذلك، فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه إلى أسد مصوّر على بعض تلك الستور فقال له: «يا أسد الله خذ عدو الله»، قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فافترت ذلك المعزم، فخرّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم، فطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه، فلما أفاقوا ذلك قال هارون لأبي الحسن عليه السلام: سألتك بحقي عليك لما سألت الصورة أن تردّ الرجل. فقال: «إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعت من حبال القوم وعصيتهم فإنّ هذه الصورة تردّ ما ابتلعت من هذا الرجل»<sup>(١)</sup>.

٢- عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام وكان معه أبو عبد الله البجلي فانتهى عليه السلام إلى نخلة خاوية فقال: «أيتها النخلة السامعة الطيبة المطيعة لربها أطعمينا ممّا جعل الله فيك»، قال: فتساقط علينا رطب مختلف ألوانه، فأكلنا حتى تزلعننا فقال: «إليكم سنة كسنة مريم»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن عبد الله بن المغيرة قال: مرّ العبد الصالح بامرأة بمنى وهي تبكي وصبيانها حولها يبكون، وقد ماتت لها بقرة، فدنى منها ثم قال لها: «ما يبكيك يا أمة الله؟» قالت: يا عبد الله، إنّ لنا صبياناً يتامى وكانت لي بقرة، معيشتي ومعيشة صبياني منها، وقد ماتت

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٩١.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٣٣٣.

وبقيت منقطعاً بي وبولدي لا حيلة لنا، فقال: «يا أمة الله هل لك أن أحييها لك؟» فألهمت أن قالت: نعم يا عبد الله، فتنحى وصلى ركعتين ثم رفع يده هنيئة وحرك شفثيه ثم قام فصوت بالبقرة فنخسها نخسة أو ضربها برجله فاستوت على الأرض قائمة، فلما نظرت المرأة إلى البقرة صاحت وقالت: عيسى بن مريم ورب الكعبة، فخالط الناس وصار بينهم ومضى ﷺ<sup>(١)</sup>.

٤- عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: «تريد أن تنظر بعينك إلى السماء؟»، قلت: نعم. فمسح يده على عيني فنظرت إلى السماء<sup>(٢)</sup>.

والنتيجة: أنه من مجموع هذه النصوص وغيرها من النصوص المتواترة يحصل لدينا الجزم بثبوت هذه القدرة لدى أهل البيت ﷺ على التصرف في الحقائق الكونية، وهذا الدليل يناسب الرأي الأول القائل بأن الولاية التكوينية قدرة مفاضة.

### الدليل الرابع: الأولوية

وتقريب ذلك في مقدمتين:

المقدمة الأولى: دل القرآن الكريم على ثبوت الولاية التكوينية لبعض الأنبياء والأولياء، سواء فسرتها بالقدرة المفاضة أم الدعوة المجابة، من قبيل:

١- قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي، ج١، ص٤٨٤.

(٢) نفس المصدر، ص٣٥٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٠.



٢- قوله تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ} (١).

٣- قوله تعالى: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (٢).

٤- قوله تعالى: {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي} (٣).

٥- قوله تعالى: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ ظَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} (٤).

٦- قوله تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ \* لِأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} (٥).

٧- قوله: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ} (٦).

المقدمة الثانية: لا إشكال في أفضلية أهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء كما هو مقتضى الأدلة الكثيرة، والتي يكفينا منها:

(١) سورة سبأ: ١٢.

(٢) سورة البقرة: ٦٠.

(٣) سورة المائدة: ١١٠.

(٤) سورة النمل: ٤٠.

(٥) سورة النمل: ٢٠-٢١.

(٦) سورة الأنبياء: ٧٩.

١- عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من نبي نُبِيء ولا رسول أرسل إلا بولايتنا وبفضلنا على من سوانا»<sup>(١)</sup>.

٢- عن عبد الأعلى عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما تنبأ نبي قط إلا بمعرفة حقنا وبفضلنا على من سوانا»<sup>(٢)</sup>.

ولأجل ذلك التزم مشهور العلماء بأفضلية أهل البيت عليهم السلام على سائر الأنبياء، وإليك بعض كلماتهم:

١- الصدوق: «ويجب أن نعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمد والأئمة، وأنهم أحب الخلق إلى الله وأكرمهم عليه وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين»<sup>(٣)</sup>.

٢- المفيد: «قد قطع قوم من أهل الإمامة بفضل الأئمة عليهم السلام من آل محمد عليهم السلام على سائر من تقدم من الرسل والأنبياء سوى نبينا محمد عليه السلام، وأوجب فريق منهم لهم الفضل على جميع الأنبياء سوى أولي العزم منهم عليهم السلام، وأبى القولين فريق منهم آخر وقطعوا بفضل الأنبياء كلهم على سائر الأئمة عليهم السلام، وهذا باب ليس للعقول في إيجابه والمنع منه مجال، ولا على أحد الأقوال فيه إجماع، وقد جاءت آثار عن النبي صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين عليه السلام وذريته من الأئمة والأخبار عن الأئمة الصادقين أيضاً بعد، وفي القرآن مواضع تقوي العزم على ما قاله الفريق»<sup>(٤)</sup>.

٣- الحر العاملي: «لكن اعتقاد الإمامية أن كل واحد منهم عليهم السلام أشرف من كل واحد من أنبياء بني إسرائيل»<sup>(٥)</sup>.

(١) بصائر الدرجات، ص ٩٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الاعتقادات، ص ٩٣.

(٤) أوائل المقالات، ص ٧٠.

(٥) الفوائد الطوسية، ص ٣٧٧.

٤- المجلسي: "وكون أئمتنا عليهم السلام أفضل من سائر الأنبياء هو الذي لا يرتاب فيه من تتبع أخبارهم عليهم السلام على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى"<sup>(١)</sup>.  
والنتيجة: إذا ثبتت الولاية التكوينية لغير أهل البيت عليهم السلام من الأنبياء والأولياء فثبوتها في أهل البيت عليهم السلام من باب أولى؛ لأفضليتهم على سائر من سواهم، وهذا الدليل ينسجم مع كلا الرأيين في تفسير الولاية التكوينية كما لا يخفى؛ لأن ما صدر عن الأنبياء والأولياء منه ما كان من القدرة المفاضة، ومنه ما كان بالدعوة المجابة.  
ونكتفي بهذا المقدار من الأدلة.

### الأمر الرابع: حدود الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام

وقع البحث بين الأعلام في حدود هذه الولاية التكوينية الثابتة لأهل البيت عليهم السلام من عدة زوايا:

الزاوية الأولى: هل الولاية التكوينية فعلية أو إشائية؟ وبمعنى آخر هل هي موجودة لدى أهل البيت عليهم السلام بالفعل وفي كل آن، أو أنها موجودة بالقوة وموقوفة على إرادتهم ومشيتهم أو طلبهم منه تعالى؟

والجواب: لا بد من التفصيل في ذلك بحسب المعنى الحقيقي للولاية التكوينية، فإن بنينا على الرأي الأول القائل بأنها قدرة مفاضة فهي بحسب عالم الثبوت تقبل كلا الأمرين، وبحسب عالم الإثبات فإنها فعلية وموجودة معهم في كل آن كما يظهر ذلك من خلال الدليل الثاني والثالث المتقدمين، وأما إن بنينا على الرأي الثاني القائل بأنها دعوة مجابة

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٩٧.

من الواضح أنها ستكون إشائية وليست فعلية؛ لأنها ستكون موقوفةً على الطلب منه تعالى.

الزاوية الثانية: هل الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام عامة لكل عالم التكوين أو أنها تختص ببعض الأمور؟ وبعبارة أخرى: هل ولايتهم تشمل غير عالم الإنسان كعالم الملائكة والجان والحيوان والنبات والفلك وغير ذلك، أو أنها ولاية مخصوصة ببعض العوالم كالإنسان مثلاً؟

والجواب: إن الذي يظهر من الأدلة السابقة هو عموم ولايتهم على جميع ذرات الكون وكل العوالم الوجودية، وهذا ما تشهد له الأخبار الخاصة المتعددة والواردة في قضايا مختلفة، وفي سائر هذه العوالم كما يظهر من بصائر الدرجات، ومختصر البصائر، ومدينة المعاجز، وغيرها.

الزاوية الثالثة: ما هي العلة الفاعلة والمؤثرة في الحقائق الكونية عند من كانت لديه الولاية التكوينية؟

والجواب: أنه ذكر الأعلام في مبحث الإعجاز أربع نظريات مختلفة: النظرية الأولى: أن العلة الفاعلة لهذه الخوارق هو الله سبحانه وتعالى؛ إذ كل شيء لا يتحقق إلا بإرادته وإذنه، كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}. النظرية الثانية: أن العلة الفاعلة لهذه الخوارق هي الملائكة؛ لأنها هي المدبرة للأمور، كما قال سبحانه: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} <sup>(١)</sup>.

النظرية الثالثة: أن العلة الفاعلة لهذه الخوارق أسباب طبيعية ولو خفيت علينا؛ وذلك هو مقتضى قانون السببية والسنة الإلهية بأن لكل شيء سبباً.

(١) سورة النازعات: ٥.

النظرية الرابعة: أنّ العلة الفاعلة لهذه الخوارق هي نفس المعصوم وروحه القوية التي يمتلكها. وكما يقول صدر المتألهين: "لا عجب أن يكون لبعض النفوس قوة إلهية فيطيعها العنصر في العالم المادي كإطاعة بدنه إياها فكّما ازدادت النفس تجرّداً وتشبّهاً بالمبادئ القصوى ازدادت قوةً وتأثيراً فيما دونها"<sup>(١)</sup>.  
والذي يظهر من الدليل الثالث هو النظرية الرابعة، وإن كان الذي يظهر من بعض الأدلة أعمّ من ذلك.

### الأمر الخامس: الإشكالات على الولاية التكوينية

توجد بعض الإشكالات التي تطرح على عقيدة الولاية التكوينية، نسلط الضوء على المهم منها:

الإشكال الأول: لا يمكن إثبات الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام من خلال الخوارق للعادة التي حصلت للأنبياء؛ لأنّ خوارق الأنبياء ليست من باب الولاية التكوينية، وإنما هي من باب الإعجاز، والإعجاز عند المشهور "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة"<sup>(٢)</sup>، فمن خلال هذا التعريف يتّضح أنّ الإعجاز يقوم على ركائز أربع، وهي:

الركيزة الأولى: الخرق للعادة، لا للعقل.

الركيزة الثانية: الاقتران بالدعوى.

الركيزة الثالثة: التحدي.

(١) المبدأ والمعاد، ص ٣٥٥.

(٢) شرح التجريد للقوشجي، ص ٤٦٥.

الركيزة الرابعة: العجز عن المقابلة.

والولاية التكوينية وإن توقرت فيها الركيزة الأولى وهي الخرق للعادة، إلا أن بقية الركائز غير متحققّة؛ وذلك لأنّ الولاية التكوينية لا يشترط فيها أن تكون مقرونةً بدعوى، ولا أن تكون من باب التحدي، ولا العجز عن مقابلتها كما هو الحال في الإعجاز.

والغرض أنّ الولاية التكوينية ليست من باب الإعجاز، فلا يصح الاستدلال بثبوتها لأهل البيت عليهم السلام من معجز الأنبياء.

والجواب:

أولاً: حينما نراجع الآيات القرآنية التي تحدّثت عن خوارق العادة للأنبياء والأولياء فيمكن القول بأنها تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: الآيات التي تشير إلى صدور الخوارق للعادة من باب الإعجاز ولأجل إثبات الدعوى، وهذا من قبيل:

١- قوله تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى \* قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى \* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى \* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى \* وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى \* فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} (١).

٢- قوله تعالى: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ

وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني: الآيات التي تشير إلى صدور الخوارق من باب الولاية التكوينية التي جعلها الله تعالى لهم، وهذا من قبيل:

١- قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله تعالى: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ<sup>(٣)</sup>.

القسم الثالث: الآيات التي ظاهرها أن صدور هذه الخوارق حالة عامة شاملة لحال الإعجاز والولاية التكوينية. أو فقل: إن لم يكن الظاهر منها الشمول للحالين فلا أقل أنها كانت من باب الولاية التكوينية، من قبيل:

١- قوله تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ<sup>(٤)</sup>.

٢- قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران: ٤٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٣) سورة النمل: ٤٠.

(٤) سورة الأنبياء: ٨١.

(٥) سورة سبأ: ١٠.

إذا اتضح ذلك نقول: بأنّ خوارق الأنبياء والأولياء لم تكن جميعها من باب الإعجاز حتى يقال بأنه لا يمكن من خلالها إثبات الولاية التكوينية لأهل البيت (عليهم السلام)، بل إنّ بعض الخوارق كان صدورها أوسع من باب الإعجاز كما ظهر ذلك من خلال القسمين الأخيرين.

وبهذا يصح إثبات الولاية التكوينية لأهل البيت (عليهم السلام) بأولوية ثبوتها للأنبياء والأولياء؛ فإنّ ثبوتها للأنبياء والأولياء يدلّ على ثبوتها في أهل البيت (عليهم السلام) بشكل أولى.

وثانياً: لم يكن الاستشهاد بخوارق العادة للأنبياء والأولياء من أجل البرهنة على ثبوت ذلك لأهل البيت (عليهم السلام) فقط، وإنما كان يستهدف الكشف عن كيفية صدور هذه الخوارق سواءً كان صدورها إعجازياً أو ولايةً أم غير ذلك، فهل صدورها من باب الدعاء المستجاب والفاعل هو الله تعالى، أو من باب القدرة والسلطنة الموهوبة للنبي والولي فيكون هو الفاعل بإذنه تعالى، وقد أشرنا إلى أنّ الأدلة تساعد على تحقق ووقوع كلا الأمرين، وبناءً على ذلك نقول: للإمام (عليه السلام) هذه الولاية التكوينية والتي من خلالها تصدر الخوارق للعادة، سواءً كان الفاعل هو الله تعالى ودور المعصوم هو الدعاء فقط، أم أنّ الفاعل هو المعصوم بإذنه تعالى، وأما تسمية ذلك إعجازاً أو ولايةً تكوينيةً أو غير ذلك فغير مهم؛ لأنّ البحث فعلاً في بيان كيفية صدور هذه الخوارق وحقيقة ذلك.

الإشكال الثاني: لا شك ولا ريب بأنّ النبي محمداً (صلى الله عليه وآله) هو أفضل الخلق على الإطلاق، ومع كونه كذلك فليس له هذه الولاية التكوينية كما هو الظاهر من بعض الآيات القرآنية، فإذا انتفت الولاية التكوينية عن النبي (صلى الله عليه وآله) فانتفاؤها عن بقية الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) بطريق أولى، وإليك بعض الآيات التي تنفي وجود هذه الولاية للنبي (صلى الله عليه وآله):

الآية الأولى: قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا \* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا \* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا



رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا \* أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرُقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا<sup>(١)</sup>. فلو كان للنبي ﷺ ولاية تكوينية لاستجاب لطلب المشركين وأقام عليهم الحجة بذلك، إلا أنه اعتذر عن الاستجابة بأنه مجرد رسول بشري خاضع لله تعالى، وليس له من الأمر شيء، وهذا ظاهر في نفي وجود ولاية تكوينية لديه.

الآية الثانية: قوله تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ<sup>(٢)</sup>. فلو كان للنبي ﷺ ولاية تكوينية لكان يملك جلب النفع لنفسه ودفع الضرر عنها، إلا أنه نفى ذلك عن نفسه بصريح الآية، وهذا خير شاهد على عدم ولايته التكوينية؛ فإن من لديه الولاية التكوينية قادر على جلب النفع لنفسه ودفع الضرر عنها.

#### والجواب:

أولاً: بالنسبة للآية الأولى فلا يصح الاستدلال بها على نفي الولاية التكوينية؛ وإلا لأمكن الاستدلال بها على عدم قدرة النبي ﷺ على الإتيان بالمعجز وإثبات نبوته، وفي ذلك بطلان النبوة، فكما أنه لا يمكن بذلك نفي قدرة النبي ﷺ على الإتيان بالمعجز فلا يمكن بذلك نفي ولايته التكوينية.

وثانياً: إن صدور المعجزة إنما يكون بداعي إقامة الحجة على الناس، فإذا أقيمت الحجة بالمعجزة فلا ملزم لصدورها مرةً أخرى وفي كل ما يطلبه الناس ويقترحونه؛ وذلك لأن الغرض المطلوب والغاية المنشودة من المعجزة -وهي إقامة الحجة- قد تحققت، فلا حاجة بعد ذلك للاستجابة لمطالب المشركين.

(١) سورة الإسراء: ٩٠-٩٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٨.

وثالثاً: هناك عدّة شروط لا بدّ من توفّرها من أجل استجابة الأنبياء لطلب المشركين في الإتيان بالمعجز، منها:

- ١- أن تكون المعجزة ممكنة التحقق ذاتاً.
- ٢- أن تكون المعجزة بدافع الرغبة الحادة والصادقة في الوصول إلى الحقيقة والإيمان، وليست لمجرد التسلية والاستهزاء.
- ٣- أن لا يبلغ الإعجاز حدّاً يؤدّي إلى سلب الاختيار لدى الكفار ويلجأهم إلى الإيمان، وإلا لبطلت الغاية من التكليف.
- ٤- أن لا يؤدّي صدور المعجزة إلى الوقوع في محاذير أخرى تكون أكبر ضرراً وخطراً من منفعة تحقق الإعجاز، من قبيل:

- ١- الشرك بالله تعالى، واتخاذ النبي معبوداً من دون الله تعالى.
- ٢- نزول العذاب، حيث أنه لو أقيمت المعجزة ولم يؤمنوا بها لنزل بهم العذاب، مع أنّ المشيئة الإلهية لم تشأ ذلك مثلاً مع وجود نبي الرحمة فيهم.
- ٣- إبطال حقيقة من الحقائق أو السنن الكونية الإلهية.

إذا اتّضح ذلك نقول: بأنّ ما طلبه المشركون من النبي ﷺ لم تتوفّر فيه شروط صدور المعجزة؛ وذلك لأنه:

إما أنه كان غير ممكن التحقق ذاتاً، من قبيل قولهم: {أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا}، أو لم يكن بدافع الوصول للحقيقة بل استهزاءً وعناداً، من قبيل قولهم: {وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ}، أو كانت تترتب عليه مضار أخرى كنزول العذاب الإلهي بهم، من قبيل قولهم: {أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا} (١). فإنّ هذا مخالف للهدف من بعثة النبي ﷺ وهو هداية الناس.

أو أنه سينزل بهم العذاب كما هي السنة الإلهية من نزول العذاب بالمكذّبين، وهذا لا يناسب وجود نبي الرحمة بينهم، {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} (١)، فمنعاً من نزول سنة العذاب بهم يمتنع المجيء بالمعجزة.

أو أنهم سيخرجون النبي ﷺ عن حدود البشرية وينسبون هذه الأفعال إليه استقلالاً من دون ربطها بالله تعالى، كما لعلّه تشير إلى ذلك الآية: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا}.

أو كان في إجابتهم تصديق لهم في دعوى باطلة، كطلبهم من النبي ﷺ أن يكون ذا ثروة هائلة ليؤمنوا به، {أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ}، فإن إجابتهم في ذلك فيه نوع تقرير لهم بأن الثراء من علامات ودلالات النبوة كما كانوا يزعمون ذلك، {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} (٢).

ورابعاً: بالنسبة للآية الثانية فهي لا تصلح لنفي الولاية التكوينية، بل أقصى ما تفيدُه نفي القدرة للنبي ﷺ بالذات والاستقلال، وهذا أمر مسلم وليس محلاً للخلاف، إلا أن الولاية التكوينية هي قدرة مفاضة من الله تعالى أو دعوة مجابة من الله تعالى، ويشهد لذلك أن الآية المباركة نفت علم الغيب عنه ﷺ مع أنه لا إشكال في علمه بالمغيبات، وهذا ما أشارت له الآية الأخرى حيث تثبت ذلك للرسول: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا \* لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتٍ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} (٣).

(١) سورة الأنفال: ٣٣.

(٢) سورة الزخرف: ٣٦.

(٣) سورة الحين: ٢٦-٢٨.

الإشكال الثالث: إنَّ الولاية التكوينية وإن كانت ممكنة ثبوتاً، إلا أنها تفتقر لدليل إثباتي قطعي عليها، فلا يوجد دليل قطعي على ثبوتها لأهل البيت (عليهم السلام)، وأما بالنسبة للأدلة المذكورة لإثبات ذلك - فمضافاً لكونها أدلة ظنية - فهي لا تخلو إما من الضعف السندي أو الدلالي، والمطلوب في القضايا المعرفية العلم واليقين، وأما الظن فهو لا يغني عن الحق شيئاً.

#### والجواب:

أولاً: إنَّ القول بأنه لا يوجد دليل إثباتي قطعي على ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت (عليهم السلام) مجازفة يبررها عدم الاطلاع على الآثار وعدم تتبع الأخبار، فإنَّ الأدلة القطعية قد قامت على ثبوت ذلك لهم، وفي ما نقلناه كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وثانياً: إنَّ وجود بعض الأخبار الضعيفة من الناحية السندية لا يوجب اتهام جميع الأخبار بالضعف، فضلاً عن إيجابه إنكار هذا المعتقد أو القول بأنه لم ينهض عليه دليل إثباتي قطعي؛ وذلك لأنَّ المسألة ليست مبنية على خبر أو خبرين أو ثلاثة كي يكون المعيار صحة الخبر أو ضعفه، بل المسألة أكبر من ذلك، حيث قامت عليها الأخبار المتواترة، والتواتر يفيد القطع واليقين، وهو حجة بذاته، فلا معنى للبحث عن صحة الخبر أو ضعفه والحال هذه، بل حتى لو فرض عدم تواتر الأخبار فلا شك في استفاضتها، بحيث توجب هذه الاستفاضة الوثوق والاطمئنان بصحتها، والاطمئنان حجة إما بذاته كالعلم أو بالسيرة الممضاة، وعلى فرض عدم استفاضتها وكونها أخبار آحاد فلا شك باحتفافها بالقرائن القطعية الموجبة للجزم بصحتها، وهذا كافٍ في حجيتها، فلا معنى للإشكال السندي في الأخبار، ولأجل ما قلناه صرح المحققون بصحة هذه الأخبار.

وثالثاً: إنَّ الإشكال الدلالي على هذه الأخبار هو من حرفة العاجز؛ إذ ليس الاستدلال قائماً على الأخبار المجملة، بل الأخبار الواضحة دلالةً، وهذا لا يخفى على من جاس في الآثار ولاحظ الأخبار.

الإشكال الرابع: على فرض ثبوت الولاية التكوينية، إلا أنه لا دليل على عمومها لتشمل مثل النفوس، وإلا لمارسها الأنبياء مع أقوامهم.

والجواب:

أولاً: إنَّ أدلة الولاية التكوينية عامّة غير مختصة بشيء معين، فتشمل الولاية على الأنفس.

وثانياً: توجد أدلة خاصة على ولاية المعصومين على الأنفس، وسوف نشير في الدليل القادم لذلك.

وثالثاً: عدم ممارستهم لها مجرد دعوى زائفة لا شاهد عليها، بل قامت الشواهد على خلاف ذلك كما يظهر ذلك لمن تتبّع الأخبار.

الدليل الثالث: الولاية الأنفسية

وتقريب ذلك في مقدمات:

المقدمة الأولى: إنَّ للنبي ﷺ الولاية على الأنفس كما قال تعالى: {التَّيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} (١).

المقدمة الثانية: إنَّ ولاية النبي ﷺ على الأنفس عامّة، فتشمل الولايتين التشريعية والتكوينية؛ ويدلّ على هذا العموم أمران:

(١) سورة الأحزاب: ٦.

الأمر الأول: إنّ الولاية المثبتة للنبي ﷺ مطلقة؛ حيث لم تقيد بقيد، ومقتضى الإطلاق العموم لكلتا الولايتين.

الأمر الثاني: يمكننا أن نثبت عمومية الولاية للنبي ﷺ من خلال القرينة المنفصلة، وهي آية الولاية التي قرنت بين ولاية الرسول والأمر ﷺ وولاية الله (عز وجل)، حيث يقول سبحانه: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (١)، ممّا يعني بأنّ ولايتهما ﷺ من سنخ ولاية الله تعالى، وممّا لا إشكال فيه بأنّ ولايته تعالى على عباده عامّة ولا يحدها حدّ، فهي تشمل ولاية التشريع والتكوين. وبهذا يتضح عمومية ولاية النبي ﷺ للأمر التكوينية، فتشمل سلطنته على التصرف في النفوس وميولاتها الداخلية والقدرة على بثّ النور فيها وهدايتها.

المقدمة الثالثة: كلّ ما كان للنبي ﷺ فهو ثابت لأهل بيته من بعده، إلا ما قام الدليل على استثنائه وأنه من خصائصه ﷺ، كالنبوة، وزواجه أكثر من أربع، ونكاحه بالهبة مثلاً، وأما عموم الولاية فمما لم تستثن، فيثبت انتقالها منه لأهل بيته ﷺ، ويمكن الاستفادة ذلك من خلال مجموعة وافرة من الأخبار، نذكر بعضاً منها:

١- عن أبي الحسن الرضا ﷺ: «إنا أهل البيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة» (٢).

٢- عن أبي جعفر ﷺ: «أسرّ الله سرّه إلى جبرئيل، وأسره جبرئيل إلى محمد ﷺ، وأسره محمد ﷺ إلى علي، وأسره علي ﷺ إلى من شاء واحداً بعد واحد» (٣).

(١) سورة المائدة: ٥٥.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٣٨٧.

(٣) بصائر الدرجات، ص ٤٩٣.

والنتيجة: إنّ لأهل البيت عليهم السلام الولاية على النفوس كما هو أحد الاحتمالات في معنى ما ورد في الزيارة الجامعة: «وأرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس»<sup>(١)</sup>، ومن خلال هذه الولاية يمكن للإمام المهدي عليه السلام التأثير على النفوس وجذبها نحو الإيمان والتقوى، ولعلّ إلى ذلك يشير ما ورد عن الأمير عليه السلام: «اللَّهُمَّ لا بَدَّ لأَرْضِكَ من حجة على خلقك يهديهم إلى دينك ويعلمهم علمك؛ لئلا تبطل حجتك، ولا يضل أتباع أوليائك بعد إذ هديتهم به، إما ظاهر ليس بالمطاع، أو مكتتم مترقب، إن غاب عن الناس شخصه في حال هدايتهم فإنّ علمه وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة فهم بها عاملون»<sup>(٢)</sup>.

### الإشكالات العامة

توجد إشكالات على الأدلة السابقة لأصل وجود هذه الخاصية للإمام: الإشكال الأول: كيف يمكن للإمام المهدي عليه السلام مزاولة دور الهداية الأمرية في زمن الغيبة؟ إذ أتى له الاتصال بالناس ومعرفة أحوالهم وضمايرهم ومن ثم بثّ النور في نفوسهم! إنّ هذا أمر غير ممكن.

### والجواب:

أولاً: سبق وأن بيّنا حقيقة الغيبة، وأنها لا تعني انعزال الإمام عليه السلام عن الأمة وانقطاعه عن الناس، بل هي غيبة هوية لا شخصية، وإلا فهو عليه السلام يعيش مع الناس وعالمهم بأخبارهم ومحيط بها.

وثانياً: على فرض أنّ الغيبة تعني الانقطاع والانعزال، فمع ذلك نقول: بأنّ من بلغ مقام الإمامة لا بدّ وأن تكون له إحاطة كاملة وعلم تامّ بمجريات هذا العالم، ظاهرها

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٦.

(٢) كمال الدين، ج ١، ص ٣٠٢.

وباطنها، ملكها وملكوتها، ولا يغيب عنه شيء منها، فإنَّ الغرض من جعله حجةً على الناس لا يتحقق مع جهله بذلك، وإلى هذا تشير الأخبار من قبيل ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الدنيا تمثل للإمام في مثل فلقة الجوز، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء فلا يعزب عنه منها شيء»<sup>(١)</sup>.

وما عن الإمام الجواد

عليه السلام: «يا أسود بن سعيد إنَّ بيننا وبين كلِّ أرض ترأُّ مثل تر البناء، فإذا أمرنا في أمرنا جذبنا ذلك الترفأقبلت إلينا الأرض بقلبها وأسواقها ودورها حتى ننفذ فيها ما نؤمر فيها من أمر الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

فالإمام عليه السلام لديه الولاية والقدرة على الاطلاع على كلِّ ما يجري في هذا الكون، سواءً كان ذلك بشكل مباشر أو بطريق غير مباشر كإخبار الملائكة مثلاً أو غير ذلك، وليس في ذلك ما يدعو للغرابة والعجب بعدما كان لإبليس هذه الإحاطة بهذا العالم كله وقدرته على بثِّ وساوسه ونزغاته في صدور الناس مع اختلاف أماكنهم وأزمنتهم، فكيف بالمعصوم عليه السلام لا تكون لديه القدرة على بثِّ النور في قلوب المستعدين لاستقبال ذلك النور وإن اختلفت أماكنهم وأزمانهم؟ بل إنَّ ما وصل إليه العلم الحديث في هذا اليوم من التقنية والتقدّم خير شاهد على إمكان هذه الإحاطة؛ حيث صارت لدينا القدرة ونحن في بيوتنا على العلم والاطلاع على أخبار الناس في مفترق أرجاء هذه المعمورة ومع اختلاف أماكنهم وأزمانهم عبر الأقمار الصناعية، وبناءً على ذلك نقول: بما أنَّ الإمام عليه السلام على إحاطة تامة بهذا العالم فهو على علم بأحوال الناس وبما في ضمائرهم وبالقلوب المهيأة والمستعدة للهداية، فيسوقها إلى كماها.

(١) الاختصاص، ص ٢١٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٢٤.



الإشكال الثاني: لو كانت هذه الخاصية ثابتة للإمام عليه السلام لهدى بها الناس، وجذب الكل وساقهم نحو الكمال، ولما وقع منهم العصيان والطغيان، إلا أنّ التالي باطل فالمقدّم مثله.

والجواب:

أولاً: بالنقض، فإنّ الله تعالى لديه هذه القدرة بلا إشكال، ومع ذلك فإنّ العصيان واقع والطغيان حاصل، فهل وقوع العصيان والطغيان من الناس يوجب إنكار هذه القدرة الإلهية للحق تبارك وتعالى؟

وثانياً: بالحل، وذلك بأنّ وجود هذه القدرة للحق (عز وجل) أو هذه الخاصية للإمام عليه السلام لا تعني بالضرورة إعمالها في الخلق، وإلا للزم العبث من التكليف، بل إنّ إعمالها يكون على وفق شروط معينة يكون صاحبها أعلم بها، ولا شك بأنّ من جملة هذه الشروط وجود المقتضي من القابلية والاستعداد لتلقي هذا النور ومن الرغبة في الهداية.

الإشكال الثالث: إنّ إعطاء هذه الخاصية للإمام عليه السلام والتي تعني الإيصال للمطلوب وعدم التخلف عنه يؤدّي إلى الجبر وينافي الاختيار، وهذا لا يمكن القبول به؛ لأنه مخالف للحكمة من التكليف، ومفضي إلى العبث، وهو قبيح لا يمكن صدوره من الحكيم.

والجواب:

أولاً: بالنقض، فإنّ هذه الهداية ثابتة لدى الله تبارك وتعالى، ومن خلالها يتولى هداية الناس كما قال سبحانه: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (١)، فهل يقال بأنّ هداية الله تعالى للناس تؤدّي إلى الجبر وتنافي الاختيار وتفضي للعبث القبيح؟!

وثانياً: بالحل، فإنّ هذه الهداية لا تعني سلب الإرادة والغاء الاختيار عن الإنسان؛ وهي مجرد مقتضى وليست علةً تامّةً، وينحصر دورها في كشف الطريق والإيصال للمطلوب من خلال الاختيار والإرادة، وإلا فلو لم يسلك المهتدي بهذه الهداية الطريق ولا جدوى.

وللتوضيح أكثر نقول: لا شك بأنّ الله تعالى قد اصطفى المعصومين وألقى في نفوسهم العلم والهداية حتى امتنعوا من اقتحام الذنوب والمعاصي، إلا أنّ ذلك لا يعني سلب اختيارهم وقدرتهم على المعصية، بل هم قادرون على المعصية، إلا أنّ ما لديهم من العلم والهدى يردعهم عن ذلك مع كمال اختيارهم وإرادتهم، وهذا ما تشير له الآية المباركة: **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**<sup>(١)</sup>. وكذلك يقال في المقام: بالنسبة لمن وفقه الله تعالى لفيض الهداية من الإمام **عليه السلام** فإنّ هذا الفيض النوري لا يعني انعدام الاختيار وانسلاّب الإرادة عن المتلقّي له، بل يعني زيادة علم وهدى يعين على الارتداد عن الذنوب والمعاصي.

#### الفائدة الرابعة: التوسّل والاستغاثة

وتقريب ذلك في مقدمتين:

المقدمة الأولى: لا إشكال في جواز وحسن التوسّل إلى الله تعالى بأهل البيت **عليهم السلام**.

المقدمة الثانية: الإمام المهدي من أهل البيت **عليه السلام**.

والنتيجة: جواز وحسن التوسّل إلى الله تعالى بالإمام المهدي **عليه السلام**.

إذاً فيمكن الانتفاع به **عليه السلام** في زمن الغيبة من خلال التوسّل به إلى الله تعالى في قضاء الحوائج، وكشف الهموم، وتفريج الغموم، ودفع البلايا، وغير ذلك، وهذه الفائدة

(١) سورة يوسف: ٢٤.

تعتبر من أعظم الفوائد، ولأجل ذلك لا بد من بيان بعض الأمور لتتضح من خلالها حقيقة هذه الفائدة:

### الأمر الأول: أقسام التوسل

يمكن تقسيم التوسل إلى الله تعالى بالحجج والأولياء إلى ثلاثة أقسام:  
القسم الأول: أن يكون التوسل بالمخلوق باعتقاد أنه المؤثر بالذات والاستقلال، وهذا لا شك بأنه شرك يتنافى مع التوحيد.

القسم الثاني: أن يكون التوسل بالمخلوق باعتقاد أنه مؤثر في عرض تأثير الله (عز وجل)، فيكون التأثير مشتركاً بين الله تعالى وهذا المخلوق، وهذا لا شك بأنه شرك يتنافى مع التوحيد.

القسم الثالث: أن يكون التوسل بالمخلوق باعتقاد أنه مؤثر في طول تأثير الحق (عز وجل) وبإذنه سبحانه، فليس تأثيره بالاستقلال ولا في عرض تأثير الحق تعالى، بل تأثيره تابع للتأثير الإلهي ومستمد منه وراجع إليه، وهذا ليس من الشرك في شيء، بل هو منسجم مع التوحيد تماماً؛ لأن المتوسل يعتقد بأن كل الأمور مرجعها إلى الحق تعالى، وهذا هو التوحيد، وحقيقة التوسل بالمعصومين عليهم السلام هي من القسم الثالث، لا القسمين الأولين، فلا يكون بالتالي ذلك من الشرك أو منافياً للتوحيد، وبهذا القسم الثالث يقع التوسل بالإمام المهدي عليه السلام.

### الأمر الثاني: طرق التوسل

بعدما اتضح بأن التوسل بالمعصومين هو من القسم الثالث نقول: يمكن صدور هذا التوسل بأحد طرق أربعة، ولا يلزم منها محذور:

**الطريق الأول:** السؤال من الله تعالى بذات الولي، كأن يقول المتوسل: (اللَّهُمَّ إني أسألك بمحمد وآل محمد أن تقضي حاجتي)، وبهذه الطريقة توسل الرجل الضرير بالنبي ﷺ ليردَّ الله (عز وجل) عليه بصره، حيث قال: «اللَّهُمَّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضي، اللَّهُمَّ شفعه في»<sup>(١)</sup>.

**الطريق الثاني:** السؤال من الله تعالى بجاه الولي، كأن يقول المتوسل: (اللَّهُمَّ إني أسألك بجاه نبيك أو بحق نبيك ﷺ)، ومن ذلك ما أخرجه السيوطي عن الإمام علي عليه السلام أنه ذكر أن الله (عز وجل) علّم آدم الكلمات التي تاب بها عليه وهي: «اللَّهُمَّ إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانه لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم»<sup>(٢)</sup>.

وما أخرجه الحسكاني عن ابن عباس: سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: «سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب عليه»<sup>(٣)</sup>.

**الطريق الثالث:** السؤال من الولي بأن يشفع عند ربه، كأن يقول المتوسل: (يا رسول الله اشفع لي عند ربك في قضاء حاجتي)، وهذا نظير طلب المتخلفين من الأعراب من

(١) المستدرک علی الصحیحین، ج ١، ص ٤٤١.

(٢) الدر المنثور، ج ١، ص ٦٠.

(٣) شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٠١.

النبي ﷺ أن يستغفر لهم، كما قال سبحانه: {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} (١).

ومن ذلك طلب فرعون وقومه من موسى ﷺ أن يشفع لهم عند ربّه في رفع الرجز والعذاب عنهم: {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} (٢).

الطريق الرابع: السؤال من الولي بأن يقضي الحاجة بما أعطاه ربّه تعالى من القدرة والولاية التكوينية، كأن يقول المتوسّل: (يا رسول الله ساعدني أو شافني)، وهذا من قبيل توسّل قتادة في معركة أحد بالنبي ﷺ أن يردّ إليه عينه، حيث جاء في الخبر: "أصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته، فجئت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إنّ تحتي امرأة شابة جميلة أحبها وتحبني وأنا أخشى أن تقدر مكان عيني، فأخذها رسول الله ﷺ فردّها فأبصرت وعادت كما كانت لم تؤلمه ساعة من ليل أو نهار، فكان يقول بعد أن أسنّ: هي أقوى عيني وكانت أحسنهما" (٣).

والمتحصّل: أنه على جميع هذه الطرق يكون الطلب في الحقيقة راجعاً إلى الله تعالى إما بصورة مباشرة كما في الأوليين، أو بصورة غير مباشرة كما في الأخيرين، وبأبيّ طريق من هذه الطرق الأربعة يمكن التوسّل والاستغاثة بالإمام المهدي ﷺ.

(١) سورة الفتح: ١١.

(٢) سورة الأعراف: ١٣٤.

(٣) كشف الغمة، ج١، ص ١٨٧ الفاقب في المناقب، ص ٦٤.

### الأمر الثالث: غايات التوسل

أنَّ التوسل بالمعصومين عليهم السلام إلى الله تعالى لا يعني عدم انعقاد الدعاء والطلب منه سبحانه إلا بالتوسل بهم عليهم السلام، كما لا يعني امتناع الإجابة إلا من خلال التوسل بهم عليهم السلام، بل إنَّ باب الدعاء مفتوح وسبيل الطلب متاح للجميع، وإنما المقصود من ذلك هو أنَّ للتوسل مجموعةً من الغايات والأسرار، منها:

#### الغاية الأولى: الإقرار بفضل المعصومين عليهم السلام

إنَّ من غايات التوسل بالمعصومين عليهم السلام المعرفة بهم والإقرار بفضلهم، وليعلم المتوسل أنهم صفوة الله تعالى، فمهما بلغ من مقام شامخ فهو مقرَّبٌ بأنَّ هناك من هم خير منه وأقرب منه للحقِّ تعالى، فلا يصيبه العجب أو الاغترار بنفسه، بل يقَرُّ بالقصور والعجز عن بلوغ منزلة المتوسل بهم، ولأجل ذلك دلَّت النصوص على أنَّ محمداً وآله الطاهرين كانوا هم وسيلة الأنبياء، من قبيل:

١- عن علي عليه السلام قال: «سألت النبي صلى الله عليه وآله عن قول الله (عز وجل): {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»<sup>(١)</sup>.

٢- عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: «سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب عليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) الدر المنثور، ج ١، ص ٥٩.

(٢) نفس المصدر.

### الغاية الثانية: إدراك المبتغى بالمعصومين عليهم السلام

إنَّ من غايات التوسّل بالمعصومين عليهم السلام إدراك المبتغى، فحينما يريد الداعي بلوغ منيته والتعجيل بنيل مأموله وبغيته فإنه يتوسّل إلى الله تعالى بأحبّ الخلق إليه وأحفظهم به، فإنّ حفاوتهم وحظوتهم عنده تساهم في تعجيل الجواب والفوز بالمراد، وهذا ما يستفاد من قوله تعالى: {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}. ولعلّ إلى ذلك الإشارة بقوله عليه السلام: «من أراد الله بدأ بكم»<sup>(١)</sup>.

### الغاية الثالثة: الفرار من العار بالمعصومين عليهم السلام

إنَّ من غايات التوسّل بالمعصومين عليهم السلام الفرار من عار الذنوب، والهروب من ذلّ المعاصي، فحينما يدرك الإنسان عظيم ذنوبه وجرائمه يستشعر في نفسه العجز والنقص عن الوقوف بين يدي الحقّ تعالى لما ضيّعه في ذاته سبحانه، ويستشعر بأنّ دعاءه قاصر عن البلوغ به في حظائر القدس، ومن هنا يحتاج إلى مفاتيح الرحمة ومنافذ النور لتعرج به نحو ساحة الملكوت، فيتوسّل بأبواب الله تعالى، كما يستفاد ذلك من قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا}.

### الغاية الرابعة: كمال الروح بالمعصومين عليهم السلام

إنَّ من غايات التوسّل بالمعصومين عليهم السلام هو التكامل الروحي، فلا شكّ ولا ريب بأنهم أحقّ من عرف الله تعالى ووحدّه، فصاروا بذلك وجهه وبابه الذي منه يؤتي، فكلمة ارتبط القلب بهم وانشدت الروح نحوهم كلما انهال عليها من فيض ذلك النور، فتتألق الروح ببركته وتنطلق ناحية كمالها من خلاله، لاسيما إذا كان هذا الارتباط أثناء العبادة وحالة الدعاء، فحينما يتوسّل الداعي بهم فهذا يوجب كمالاً روحياً خاصاً لا ينال إلا بالتوسّل،

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص ٦١٥.

وبهذا تتضح الغايات من التوسّل بالإمام المهدي عليه السلام؛ حيث إنه حجة الله (عز وجل) في أرضه وخليفته على خلقه، فتتحقق من خلاله هذه الغايات المذكورة.

### الأمر الرابع: آليات التوسّل بالإمام المهدي عليه السلام

هناك بعض الآليات لا بدّ منها لمن أراد التوسّل والاستغاثة بالإمام المهدي عليه السلام، منها: الآلية الأولى: لا بدّ وأن يدعّن المتوسّل والمستغيث بوجود الإمام المهدي عليه السلام، وأما لو كان جاحداً لذلك أو شاكاً في ذلك فإنه لن يكون صادقاً وجاداً في توسّله واستغاثته به عليه السلام، وهذا مدعاة للحرمان من نيل الفائدة المطلوبة.

الآلية الثانية: لا بدّ وأن يدعّن المتوسّل والمستغيث بأنّ صوته يصل للإمام عليه السلام، وأنه لا يختلف الحال بالنسبة للإمام المهدي عليه السلام بين حال الحضور وحال الغيبة، فإنه على كلّ حال على إحاطة تامة بأخبار هذا العالم ودراية كاملة بأحوال الناس، ولا تخفى عليه منهم خافية، فيصله نداء من يناديه واستغاثة من يستغيث به، وأما الغيبة فهي لا تحول دون ذلك، وكما عن سماعة بن مهران قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الدنيا لتمثل للإمام في مثل فلقة الجوز، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء فلا يعزب عنه منها شيء»<sup>(١)</sup>.

الآلية الثالثة: لا بدّ وأن يدعّن المستغيث والمتوسّل بأنّ هناك فائدة من توسّله، وأنّ للتوسّل بالإمام عليه السلام دوراً في نيل الغاية المطلوبة وبلوغ الحاجة المقصودة، وأنّ الله تعالى جعل له الحظوة والحفاوة عنده التي من خلالها يستجيب حاجة المحتاج، وأنه قد أعطاه الولاية والقدرة التي يمكنه من خلالها إغاثة الملهوف، ولأجل ذلك أكّدت بعض الأخبار

(١) بصائر الدرجات، ص ١٢١.



على أنّ من لديه حاجة فعليه أن يفضي بها لإمام زمانه وإن لم يكن بين يدي الإمام عليه السلام، إشارة إلى أنّ الشيعة على اتصال بإمامهم ولا يغيب من أحوالهم عنه شيء، فقد كتب بعضهم إلى الإمام الهادي عليه السلام: «إنّ الرجل يحبّ أن يفضي إلى إمامه ما يحبّ أن يفضي به إلى ربّه، قال: فكتب: «إن كانت لك حاجة فحرّك شفّتيك فإنّ الجواب يأتيك»<sup>(١)</sup>.

الآلية الرابعة: لا بدّ وأن يدعن المستغيث والمتوسّل بأنّ الإمام عليه السلام عالم بما هو أصلح لحاله، وأنه إن كانت المصلحة في الإجابة فلن يبخل عليه بالجواب، وإن كانت المصلحة في خلاف ذلك فقد يصل إلى ما هو خير ممّا سأل وأراد، وإن كان قد يخفى عليه وجه ذلك. والغرض هو: كما أنّ الشيعة كانوا يتوسّلون بالإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى عن طريق السفراء الأربعة، فإننا اليوم وفي زمن الغيبة الكبرى نستطيع التوسّل به عليه السلام ومن دون حاجة للسفراء والبوابين؛ لأننا على ارتباط دائم به ومحلّ إحاطته عليه السلام، ولأجل ذلك وردت صلاة الاستغاثة بالمهدي عليه السلام، وكذلك دعاء الندبة وغيرها.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا حضرت أحدكم الحاجة فليصم يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة، فإذا كان يوم الجمعة اغتسل ولبس ثوباً نظيفاً ثم يصعد إلى أعلى موضع في داره فيصلّي ركعتين ثم يمد يده إلى السماء ويقول: اللّهُمَّ إني حللت بساحتك.. اللّهُمَّ إني أتقرّب إليك بنبيك.. إلى أن قال عليه السلام: «وأتقرّب إليك بالبقية الباقي المقيم بين أوليائه الذي رضيته لنفسك، الطيّب الطاهر الفاضل الخير، نور الأرض وعمادها، ورجاء هذه الأمة وسيدها، الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر، الناصح الأمين، المؤدي عن النبيين، وخاتم الأوصياء النجباء الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

(١) كشف المحجة، ص ١٥٣.

(٢) مصباح المتهدج، ص ٣٢٤، صلوات الخوانج.

## الإشكالات على التوسل

وقد يشكل على هذه الفائدة بعدة إشكالات، نذكر منها إشكالين:

الإشكال الأول: أنّ التوسل والدعاء من غير الله تعالى شرك ينافي كمال التوحيد، وقد نهى القرآن عن ذلك، حيث يقول تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}. كما أنّ ذلك يعتبر من طريقة أهل الجاهلية الذين كانوا يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى، كما أشار لذلك قوله سبحانه: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} (١) وكما يقول (عز وجل) {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لََا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} (٢).

## والجواب عن ذلك:

أولاً: سبق وأن ذكرنا أقسام التوسل، وما يكون منها من الشرك وما ليس كذلك، وأن القسم الثالث ليس فيه شرك؛ لأنّ المتوسل يعتقد بأنه لا مؤثر بالاستقلال إلا الحق (عز وجل)، وأنّ تأثير المعصوم عليه السلام تابع للتأثير الإلهي وبإذنه سبحانه، وبهذا القسم يقع التوسل، كما سبق وأن بينا طرق التوسل، وأنه على جميع هذه الطرق يكون الطلب في الحقيقة راجعاً إلى الله تعالى إما بصورة مباشرة كما في الأوليين، أو بصورة غير مباشرة كما في الأخيرين، فلا شرك في البين.

وثانياً: لقد دلّت الأدلة الكثيرة على جواز التوسل، وهذا يبطل دعوى كون التوسل شركاً، وهذا ما يتّضح من خلال الآتي:

(١) سورة الزمر: ٣.

(٢) سورة يونس: ١٨.

### الدليل الأول: القرآن الكريم

توجد مجموعة من الآيات القرآنية يستفاد منها جواز التوسّل ومشروعيتها، بل ووجوده في الشرائع السابقة، وهذا يبطل الدعوى القائلة بأن ذلك من الشرك، منها:

١- قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} (١). فإن جعل استغفار النبي ﷺ للظالمين لأنفسهم سبباً للتوبة عليهم والعتو عنهم هو نحو من أنحاء التوسّل، ويندرج في النحو الثالث.

٢- قال تعالى: {قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} (٢). فاستغفار النبي إبراهيم عليه السلام لأبيه هو نحو من أنحاء التوسّل في الواقع؛ لتوسّط النبي لأبيه عند الله تعالى بالمغفرة له، وإذا جاز للنبي مباشرة ذلك بنفسه جاز للغير أن يطلب منه ذلك بلا فرق، وهذا ما يندرج في ضمن الطريق الثالث من طرق التوسّل التي ذكرناها.

٣- قال تعالى: {قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ \* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (٣). فإن تقرير النبي يعقوب عليه السلام لأبنائه بطلبهم منه الاستغفار لهم دالّ على مشروعية التوسّل، وهو مندرج في ضمن الطريق الثالث من طرق التوسّل.

٤- قال تعالى: {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} (٤). فإن تقرير النبي موسى عليه السلام لقومه في طلبهم دالّ على مشروعية التوسّل.

(١) سورة النساء: ٦٤.

(٢) سورة مريم: ٤٧.

(٣) سورة يوسف: ٩٨.

(٤) سورة الأعراف: ١٣٤.

## الدليل الثاني: السنة

توجد مجموعة من الروايات الدالة على مشروعية التوسّل، منها:

- ١- عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ: «لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لي. فأوحى الله إليه ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك لما خلقت رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقلت: إنه ليس أحد أعظم عندك ممّن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى إليه أنه آخر النبيين من ذريتك، ولولاه ما خلقتك»<sup>(١)</sup>. فإنّ توسّل النبي آدم بحق محمد ﷺ دالّ على مشروعية التوسّل وعدم منافاته للتوحيد، وهذا التوسّل يندرج ضمن الطريق الثاني.
- ٢- عن عثمان بن حنيف قال: إنّ رجلاً ضريراً أتى إلى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. فقال ﷺ: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير» قال: فادعه، فأمره ﷺ أن يتوضّأ فيحسن وضأه ويصلي ركعتين ويدعوا بهذا الدعاء: «اللهمّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى، اللهمّ شفّعه في» قال ابن حنيف: فوالله ما تفرّقنا وطال حديثنا حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضرر<sup>(٢)</sup>. فإنّ حتّ النبي ﷺ الضرير للتوسّل إلى الله تعالى به دالّ على المشروعية، وهذا النحو من التوسّل يدخل في الطريق الأول.

- ٣- في الرواية: «لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي بعد أمي، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر ابن الخطاب وغلاماً أسوداً يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفر رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال:

(١) مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٢٥٣.

(٢) مسند ابن حنبل، ج ٤، ص ١٣٨؛ المستدرک، ج ١، ص ٣١٣؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٤٤١.

الله الذي يحيي الموتى ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي»<sup>(١)</sup>. فدعاء النبي ﷺ بالمغفرة لفاطمة بنت أسد ﷺ بحقه وبحق الأنبياء السابقين دليل على المشروعية والاستحباب، وهذا التوسل يدخل ضمن الطريق الثاني.

#### الدليل الثالث: سيرة المتشركة

جرت سيرة المتشركة على التوسل بالأولياء والصالحين، وهذا دليل على أنهم أخذوا ذلك عن الشارع، وإلا فلو كان ذلك من الشرك لردعهم الشارع عنه وما صدر منهم بعد ذلك، ومن الشواهد على هذه السيرة:

١- عن أنس: أن عمر كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا فاسقنا. قال: فيسقون<sup>(٢)</sup>. وقد قال حسان بن ثابت في ذلك:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا      فسقى الغمام بغرة العباس  
عمّ النبي وصنو والده الذي      ورث النبي بذاك دون الناس  
أحيى الإله به البلاد فأصبحت      مخضرة الأجناد بعد الياس<sup>(٣)</sup>

٢- إن المنصور الدوانيقي سأل مالك بن أنس إمام المالكية عن كيفية زيارة رسول الله ﷺ والتوسل به، فقال لمالك: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله؟

(١) المعجم الكبير، ج ٢٤، ص ٣٥٢؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٥٧.

(٢) صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٥.

(٣) الاستيعاب، ج ٢، ص ٨١٤.

فقال مالك: تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ} (١).

٣- عن محمد بن حرب الهلالي قال: دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست بجذائه، فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ} وإني جئتكم مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك. ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف. قال: فرقدت فرأيت النبي ﷺ في نومي وهو يقول: الحق الرجل وبشره بأن الله غفر له بشفاعتي. فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده (٢).

وثالثاً: لا يصح اتهام عقيدة التوسل بالشرك من خلال هذه الآيات المذكورة؛ لأنها لا ربط لها بالتوسل أصلاً، فلا يصح الإشكال بقوله تعالى: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} (٣)؛ لأن التوسل ليس دعاءً لغير الله تعالى أو دعاءً لأحد في عرض الدعاء لله تعالى، وإنما هو دعاء لله تعالى بالمعصومين ﷺ لما لهم من الحظوة والحفاوة عنده تبارك وتعالى.

كما أنه لا يصح الإشكال على التوسل بقوله تعالى {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} (٤)؛ لأن التوسل ليس عبادة لغيره تعالى، بل العبادة كلها خالصة لله تعالى، غايته أن

(١) وفاء الوفاء، ج٢، ص ١٣٧٦.

(٢) شفاء السقام، ص ١٥١.

(٣) سورة الجن: ١٨.

(٤) سورة الزمر: ٣.

المعصومين وسيلة من وسائل الطلب والدعاء، وكما يقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} (١).

الإشكال الثاني: لو كان للتوسّل أثر وتأثير في إجابة الدعاء لظهر ذلك وبان، إلا أنه لا نجد لذلك عيناً ولا أثراً، فدونك الفقراء والمرضى والعقماء ممّن يتوسّلون بالمعصومين عليهم السلام ولم ينفعهم توسّلهم حاجةً، بل لو كان التوسّل مجدياً حقاً لكان حال الشيعة أفضل ممّا هم عليه، ولما حلّت بهم البلايا وانصبت عليهم المصائب من قديم الزمن وإلى هذا اليوم، فلم يزالوا يقتلون ويشردون وينهبون في كل مكان وزمان، فمن أيام بني أمية وإلى بني العباس وإلى هذه اللحظة وجماعات الإرهاب تسحقهم، وفتاوى التكفير تصدهم، ولم ينفعهم توسّلهم واستغاثتهم بالإمام المهدي عليه السلام شيئاً، وهذا أدلّ دليل على عدم صحة هذه الفائدة المزبورة.

والجواب عن ذلك:

أولاً: إنّ الناس يدعون من الله تعالى مباشرة ومع ذلك لا تزال البلايا والمصائب موجودة، ولا يزال المرضى والفقراء والعقماء وغيرهم، فهل هذا يعني أنّ الدعاء باطل وغير مؤثر؟

وثانياً: هناك الكثير من الداعين والمتوسّلين الذين نالوا أمنياتهم وحصلوا مراداتهم من خلال الدعاء والتوسّل، فلا يصحّ قصر النظر على الحالات التي لم يتحقّق فيها الإجابة ويغضّ الطرف عن الحالات الكثيرة التي تحقّق فيها المأمول وحصل فيها المسؤول.

وثالثاً: يمكن القول بأنّ حصول الجواب من خلال الدعاء والتوسّل يتوقّف على أمرين:

(١) سورة المائدة: ٣٥.

الأمر الأول: وجود المقتضي، وذلك بأن يكون الدعاء والتوسل مشتملاً على الشروط والآداب المعتبرة فيه، ومن هذه الشروط:

الشرط الأول: معرفة المدعو، فلا بد وأن يكون الداعي والمتوسل عارفاً بأن المدعو هو الحقّ تبارك وتعالى، والذي بيده ملكوت كل شيء، والقادر على كل أمر، وهذا ما تدلّ عليه بعض النصوص، فعن الإمام الكاظم عليه السلام: «قال قوم للمصادق عليه السلام: ندعو فلا يستجاب لنا! قال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه»<sup>(١)</sup>.

الشرط الثاني: اليقين بالإجابة، فلا بد وأن يكون الداعي والمتوسل على يقين من إجابة الله تعالى، لا أنه يدعو وهو شك في قدرة الله تعالى على إجابته، أو شك في كرمه سبحانه، وهذا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب لاه»<sup>(٢)</sup>. وعن الصادق عليه السلام: «إذا دعوت فظنّ حاجتك بالباب»<sup>(٣)</sup>.

الشرط الثالث: الحضور القلبي، فلا بد من تحصيل الحضور القلبي والتوجّه الروحي أثناء الدعاء، لا أن يكون قلبه مشغولاً بالدنيا وملاهيها، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة»<sup>(٤)</sup>.

الشرط الرابع: التذلل بين يدي الحقّ، فلا بد أن يكون الداعي والمتوسل يعيش حالة التذلل والانقطاع لله تعالى، ويظهر مسكنته وافتقاره للباري (عز وجل)، وأنه لا ملجأ له إلا إليه، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «فيما وعظ به عيسى: يا عيسى ادعني دعاء

(١) التوحيد، ص ٢٨٨.

(٢) الدعوات، ص ٣٠.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٤٧٣.

(٤) الكافي، ج ٢، ص ٤٧٣.



الحزين الغريق الذي ليس له مغيث، يا عيسى سلني ولا تسأل غيري فيحسن منك الدعاء ومني الإجابة، ولا تدعني إلا متضرعاً إليّ وهمك هماً واحداً فأجيبك»<sup>(١)</sup>. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا اقشعر جلدك ودمعت عينك ووجل قلبك فدونك دونك فقد قصد قصدك»<sup>(٢)</sup>. وفيما أوحى الله (عز وجل) إلى موسى عليه السلام: «القي كفيك ذلاً بين يديّ كفعل العبيد المستصرخ إلى سيده، فإذا فعلت ذلك رحمت وأنا أكرم الأكرمين»<sup>(٣)</sup>.

الشرط الخامس: الاستفتاح بذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الدعاء، فعن الأمير عليه السلام: «كلّ دعاء محجوب عن السماء حتى يصلي على محمد وآله»<sup>(٤)</sup>. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يزال الدعاء محجوباً عن السماء حتى يصلي على محمد وآل محمد»<sup>(٥)</sup>.

الشرط السادس: تقديم الدعاء للمؤمنين، فلا بدّ للداعي أن لا يغفل إخوته المؤمنين من الدعاء، بل ويقدمهم على نفسه بالدعاء؛ فإنّ ذلك سبب للإجابة، وكما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دعا أحد فليعمّ فإنه أوجب للدعاء، ومن قدّم أربعين رجلاً من إخوانه قبل أن يدعوا لنفسه استجيب له فيهم وفي نفسه»<sup>(٦)</sup>. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من قدّم أربعين من المؤمنين ثم دعا استجيب له»<sup>(٧)</sup>.

الشرط السابع: الدعاء بالخير، فلا بدّ وأن يكون الدعاء بالخير وبما فيه المصلحة والطاعة لله تعالى، أو أمراً مباحاً، أما لو كان الدعاء بالمعاصي والذنوب أو ما فيه الشرّ على

(١) عدة الداعي، ص ١٢٢.

(٢) مكارم الأخلاق، ص ٢٧١.

(٣) عدة الداعي، ص ١٣٩.

(٤) ثواب الأعمال، ص ١٥٥.

(٥) أمالي الطوسي، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٦) بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣١٣.

(٧) الكافي، ج ٢، ص ٥٠٩.

صاحبه، فهو غير مجاب، وهذا ما يشير له القرآن الكريم: {وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} (١).

الشرط الثامن: الإلحاح في الدعاء، ومن أهمّ عوامل الإجابة للدعاء الإصرار والإلحاح على الله تعالى، وأن لا يستولي اليأس والقنوط على الداعي مهما طالّت المدّة، ولذا فعن الإمام الباقر عليه السلام: «لا والله لا يلح عبد على الله (عز وجل) إلا استجاب له» (٢).

الشرط التاسع: التوقيت، وهناك بعض الأوقات المخصوصة والمؤكّد فيها الدعاء، وهي ساعات الإجابة، منها وقت السحر؛ فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الله (عز وجل) يحبّ من عباده المؤمنين كلّ عبد دعاء، فعليكم بالدعاء في السحر إلى طلوع الشمس فإنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء وتقسّم فيها الأرزاق وتقضى فيها الحوائج العظام» (٣).

الأمر الثاني: عدم المانع، فقد تتوفر الشروط التي ذكرناها لدى الداعي والمتوسّل، إلا أنه قد توجد بعض الموانع تعيق تأثير الدعاء، أو توجب تأخير وإبطاء الإجابة، منها:  
المانع الأول: كسب الحرام، فمن أهمّ الموانع التي تمنع إجابة الدعاء الكسب الحرام وأكل أموال الناس ظلماً، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «أطب كسبك تستجاب دعوتك، فإنّ الرجل يرفع اللقمة إلى فيه حراماً فما تستجاب له أربعين يوماً» (٤).

المانع الثاني: ظلم الناس، فمن جملة الموانع المهمة ظلم العباد والتعدّي على حقوق الناس، فعن الصادق عليه السلام: «من عذر ظالماً بظلمه سلّط الله عليه من يظلمه، وإن دعا لم

(١) سورة الإسراء: ١١.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٧٥.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٤٧٨.

(٤) بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣٥٨.

يستجيب له ولم يأجره الله على ظلامته»<sup>(١)</sup>. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن يستجاب له فليطب كسبه وليخرج من مظالم الناس، وإنّ الله لا يرفع إليه دعاء عبد في بطنه حرام أو عنده مظلمة لأحد من خلقه»<sup>(٢)</sup>.

المانع الثالث: مقام جديد، فقد يكون السرّ في عدم إجابة الدعاء أو التأخير هو محبة الله تعالى لعبده والانتقال به من درجة إلى درجة، فقد يتوقّف انتقاله إلى درجة أعلى من درجات الكمال على تأخير إجابته حتى يزداد دعاؤه وإلحاحه على الله تعالى، وهذا ما تدلّ عليه بعض الأخبار، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ المؤمن ليدعو الله في حاجته فيقول (عز وجل): أآخروا إجابته شوقاً إلى صوته ودعائه، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: عبدي دعوتني وأآخرت إجابتك وثوابك كذا وكذا، ودعوتني في كذا وكذا فأآخرت إجابتك وثوابك كذا. قال: فيتمنى المؤمن أنه لم يستجب له دعوة في الدنيا ممّا يرى من الثواب»<sup>(٣)</sup>.

المانع الرابع: البذاءة وسوء الخلق، فإنّ شكاسة الخلق وبذاءة اللسان وامتلاء القلب بالأمراض القلبية كالحسد والحقد وغيرها مانع من الجواب، وكما عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ رجلاً كان في بني إسرائيل دعا الله تعالى أن يرزقه غلاماً ثلاث سنين، فلما رأى أنّ الله تعالى لا يجيبه قال: يا ربّ أبعد أنا منك فلا تسمعي أم قريب أنت مني فلم لا تجيبيني؟ قال: فأتاه آت في منامه فقال له: إنك تدعو الله منذ ثلاث سنين بلسان بذيّ، وقلب عاتٍ غير نقي، ونية غير صادقة، فاقلع عن بذائك وليتق الله قلبك ولتحسن قلبك. قال: ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله فولد له غلام»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي، ج ٢، ص ٣٣٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٣٢١.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٣٥٦.

(٤) نفس المصدر، ص ٣٢٥.

المانع الخامس: الذنوب، ودلت بعض النصوص على أنّ الذنوب قد تمنع من إجابة الله تعالى، ولذا عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ العبد يسأل الله تعالى فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب أو إلى وقت بطيء فيذنّب العبد ذنباً فيقول الله تعالى للملك: لا تقضي حاجته واحرمه إياها؛ فإنه تعرّض لسخطي واستوجب الحرمان مني»<sup>(١)</sup>. ولذا ورد في دعائهم عليهم السلام: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي قَدْ أَخْلَقَتْ وَجْهِي عِنْدَكَ وَحَجَبَتْ دَعَائِي عِنْدَكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاسْتَجِبْ لِي يَا رَبِّ بِهَمِّ دَعَائِي»<sup>(٢)</sup>. وفي دعاء كميل: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبَسُ الدُّعَاءَ»<sup>(٣)</sup>.

إذا اتّضح ذلك نقول: بأنّ عدم بلوغ الداعي والمتوسّل غايته ومقصده من الدعاء والتوسّل لا يعني عدم وجود أثر لذلك، بل قد يكون لعدم المقتضي وعدم توفّر شروط الإجابة، أو قد يكون لبعض الموانع الموجودة.

### الفائدة الخامسة: مقام الشهادة

وتقريب ذلك في مقدّمتين:

- المقدّمة الأولى: أنّ الإمام عليه السلام هو الحجّة في هذا الزمان.
- المقدّمة الثانية: أنّ كلّ حجّة له مقام الشهادة على أهل زمانه.
- والنتيجة: إنّ الإمام المهدي له مقام الشهادة على أهل زمانه.

(١) نفس المصدر، ص ٤٤٠.

(٢) الدعوات، ص ٣٠.

(٣) مصباح المتهدّد، ص ٨٤٤.

والمقدمة الأولى قد فرغنا عنها سابقاً، إلا أن الكلام فعلاً في المقدمة الثانية، وهي كبرى أن للحجج مقام الشهادة، ولأجل أن تتضح حقيقة هذه الفائدة لا بد من بيان عدة أمور:

### الأمر الأول: أقسام الشهادة

بالنظر في الآيات القرآنية يمكننا القول بأنه توجد عدة أقسام للشهادة:

القسم الأول: الشهادة القانونية، وهي عبارة عن البيّنة الشرعية التي اعتبرها الشارع حجة لحفظ القانون والنظام العام، ومن خلال هذه الشهادة يتم إثبات الدعاوى والحقوق وفضّ الخصومات والنزاعات، وعلى أساسها تقام الحدود والقصاص والتعزيرات. وقد تكون شرطاً في صحة بعض الأمور كما في الطلاق، وقد تكون مستحبةً في البعض الآخر كما في النكاح والدين، وإلى هذا القسم يشير قوله تعالى: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} (١).

وقد تثبت هذه الشهادة بشهادة رجلين، وقد تثبت بشهادة رجل وامرأتين، وقد تثبت بشهادة أربعة رجال، وقد تثبت بشهادة رجل مع يمين المدعي، وبشهادة امرأتين مع يمين المدعي، وغير ذلك بحسب التفصيل المذكور في كتب الفقه.

القسم الثاني: الشهادة القتالية، وهي عبارة عن موت المسلم بسبب القتال في سبيل الله تعالى وفي ساحة المعركة، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: {إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}، فهذه الآية نزلت في معركة أحد، وقد عبرت عن المقتولين

(١) سورة الطلاق: ٢.

فيها - وهم سبعون، سيدهم الحمزة عم النبي ﷺ - ب (شهداء)، وهذا أحد القولين المذكورين في المسألة<sup>(١)</sup>.

إلا أن العلامة الطباطبائي يرى بأنه لم يستعمل القرآن لفظة الشهادة في المقتول في سبيل الله، وأن المقصود بالشهداء في الآية هم شهداء الأعمال؛ والسر في ذلك هو: أن استعمال الشهادة في القتل في سبيل الله ليس معنى لغوياً ولا مألوفاً، وإنما استحدث ذلك في زمن الإسلام، ولذا يقول: "وأما الشهداء بمعنى المقتولين في معركة القتال فلا يعهد استعماله في القرآن، وإنما هو من الألفاظ المستحدثة الإسلامية"<sup>(٢)</sup>.

وعلى أي الأحوال فيشترط في تحقق هذه الشهادة عدة شروط:

الشرط الأول: أن يكون القتل في معركة شرعية، بمعنى أن تكون المعركة بإذن المعصوم إن كانت ابتدائية، أو أن تكون معركة دفاعية.

الشرط الثاني: أن يكون القتل في نفس المعركة، وأما لو تحقق القتل بعد انتهاء المعركة فلا تطبق أحكام الشهادة على القتيل.

الشرط الثالث: أن لا يدرك المسلمون المقتول وبه رمق، وأما لو أدركه المسلمون حياً ومات فقد وقع بحث عندهم في انطباق أحكام الشهيد عليه.

القسم الثالث: الشهادة التبليغية، وهي عبارة عن إخبار جماعة من الناس في يوم القيامة بقيام الأنبياء بواجبهم وأداء وظيفتهم، وهي تبليغ الرسالة السماوية إلى الناس، وإقامة الحججة عليهم، فيشهدون لهم على التبليغ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} <sup>(٣)</sup>. وأعظم وأكبر شاهد على تبليغ النبي ﷺ لرسالته

(١) مجمع البيان، ج ٢، ص ٤٠.

(٢) الميزان، ج ٤، ص ٢٩.

(٣) سورة الأعراف: ٦.

الساوية هو أمير المؤمنين عليه السلام الذي عنده علم الكتاب، ولذا يقول تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} (١). وهو الشاهد المقصود بالآية: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ} (٢).

القسم الرابع: الشهادة على حقية الرسالة، وهي عبارة عن الإخبار بحقانية الرسالة وصدق نبوة الأنبياء وهذا نظير شهادة أهل الكتاب بحقانية الدين الإسلامي وصدق نبوة الخاتم عليه السلام لما وجدوه متطابقاً مع بشارة الإنجيل، ولذا يقول تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} (٣). وسيد هؤلاء الشهود هو سلمان المحمدي.

القسم الخامس: الشهادة الأعمالية، وهي عبارة عن الإحاطة الكاملة والاطلاع التام على أعمال العباد، ظاهرها وباطنها، بصورتها الملكية والملكوتية، ومعرفة حقائق القلوب، وأكثر الآيات القرآنية جاءت مشيرةً لهذا القسم من الشهادة، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} (٤). وشهادة النبي عليه السلام هي إحاطته واطلاعه التام على أعمال العباد، وهذا ما تؤكده نصوص كثيرة، منها:

(١) سورة الرعد: ٤٣.

(٢) سورة هود: ١٧.

(٣) سورة المائدة: ٨٣.

(٤) الأحزاب: ٤٥-٤٦.

- ١- عن أبي عبد الله عليه السلام: «ما لكم تسوؤن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال رجل: كيف نسوؤه؟ فقال أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه فإذا رأى فيها معصيةً ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله وستروه»<sup>(١)</sup>.
- ٢- عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «إنّ الأعمال تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله أبرارها وفجارها»<sup>(٢)</sup>.
- ٣- عن أبي عبد الله عليه السلام: «تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كلّ صباح أبرارها وفجارها فاحذروها وهو قول الله تعالى: {اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله} وسكت»<sup>(٣)</sup>.

### الأمر الثاني: عمومية الشهادة الأعمالية

والظاهر من آيات القرآن أنّ الشهادة عامّة، وفي كلّ أمة يوجد شهداء على الأعمال خمسة، وهم: الله تعالى، والأنبياء، والملائكة، والجوارح، والأئمة:

الشاهد الأول: الله عز وجل

{عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}<sup>(٤)</sup>.

الشاهد الثاني: الأنبياء

(١) الكافي، ج١، ص٢٢٠.

(٢) الكافي، ج١، ص٢٢٠.

(٣) الكافي، ج١، ص٢١٩.

(٤) سورة المؤمنون: ٩٢.



{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} (١). قال الطبرسي: "ومعنى الآية: أن الله يستشهد يوم القيامة كل نبي على أمته فيشهد لهم وعليهم ويستشهد نبينا على أمته" (٢).

الشاهد الثالث: الملائكة

{وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} (٣).

الشاهد الرابع: الجوارح

{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٤).

الشاهد الخامس: الأئمة

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (٥). ففي رواية بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله (تبارك وتعالى): {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا .. الآية} قال: «نحن أمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحقته في أرضه» (٦). وكما يقول (عز وجل): {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (٧). وفي رواية يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله (عز وجل): {اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} قال: «هم الأئمة» (٨).

(١) سورة النساء: ٤١.

(٢) مجمع البيان، ج ٣، ص ١٢٧.

(٣) سورة ق: ٤١.

(٤) سورة النور: ٤٤.

(٥) سورة البقرة: ١٤٣.

(٦) بصائر الدرجات، ص ٨٣.

(٧) سورة التوبة: ١٠٥.

(٨) الكافي، ج ١، ص ٢١٩.

### الأمر الثالث: الغاية من الشهادة

قد تسأل ماهي الغاية من شهادة الأنبياء والأئمة عليهم السلام على أعمال العباد مع أن الله تعالى شاهد عليها؟

والجواب: أنه يمكن ذكر عدة أسباب لذلك:

السبب الأول: الارتداع، فمن جملة أسباب هذه الشهادة هو لتكون سبباً موجباً لارتداع أهل الذنوب والمعاصي عن جرائمهم، فحينما يعلم الإنسان المؤمن بأن هناك من هو مطلع على أعماله، وأنه بمنظر ومسمع من النبي صلى الله عليه وآله وإمام زمانه والملائكة، فإن ذلك يعطيه دافعاً للارتداع والتوقف عن الذنوب، وسبباً لبث روح الخجل والاستحياء في نفسه من الاقتحام في بحر المعاصي والذنوب، ولذا يقول السيد المرتضى: "أن أولياء إمام الزمان عليه السلام وشيعته ومعتقدي إمامته ينتفعون به في حال غيبته النفع الذي نقول إنه لا بد في التكليف منه؛ لأنهم مع علمهم بوجوده بينهم وقطعهم على وجوب طاعته عليهم ولزومها لهم لا بد من أن يهابوه ويخافوه في ارتكاب القبائح، ويخشوا تأديبه وانتقامه ومؤاخذته وسطوته، فيكثر منهم فعل الواجب ويقل ارتكاب القبائح، أو يكون ذلك أقرب وأليق، وهذه هي الحاجة العقلية إلى الإمام"<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: "ينتفع به في حال غيبته جميع شيعته والقائلين بإمامته وينزجرون بمكانه وهيبته عن القبائح، فهو لطف لهم في حال الغيبة كما يكون لطفاً في حال الظهور، وهم أيضاً منتفعون به من وجه آخر لأنه يحفظ عليهم الشرع، وبمكانه يتيقنون بأنه لم يكرم من الشرع ما لم يصل إليه"<sup>(٢)</sup>.

(١) المقنع في الغيبة، ص ٧٥.

(٢) الذخيرة في علم الكلام، ٤١٩.

السبب الثاني: الإدلاء، فإن من جملة أسباب هذه الشهادة هو لأجل تحمّل الأنبياء والأئمة عليهم السلام والملائكة لهذه الشهادة والإدلاء بها في محكمة القيامة، فإن الله تعالى عالم بحقيقة الإنسان وأنه في يوم القيامة حين تبلى السرائر وتكشف الحقائق سوف يجادل ويكابر وينكر صدور الذنوب والمعاصي منه بغية الفرار من العذاب، فإن الإنسان كما وصفه القرآن الكريم: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} <sup>(١)</sup>، فلقطع الحجة عليه وسدّ باب المكابرة والعناد منه كثر الله تعالى عليه الشهود، فجعل من جملة الشهود الأنبياء والأئمة وكذلك الملائكة والجوارح؛ ليكون ذلك أمعن في الاحتجاج وأكثر في التوبيخ والتقريع.

السبب الثالث: الإفاضة، فإن من جملة أسباب الشهادة هو معرفة المعصوم حقائق العباد، ومن لديه القابلية والاستعداد للعروج نحو ساحة الكمال؛ ليعينه على ذلك، ويلقي النور في أعماقه، فإن التكامل المعرفي والروحي لا يمكن وصوله لعموم الناس إلا من خلال الإنسان الكامل الجامع لكل الكمالات، ومنه تترشح لبقية الناس، فلذلك لا بدّ وأن يكون الإنسان الكامل -وهو حجة الله تعالى في الأرض، نبياً كان أم إماماً- على شهادة كاملة بأعمال العباد، وواقع النفوس، واستعداداتها؛ ليفضي عليها من الكمالات بقدر سعتها وقابليتها.

السبب الرابع: التدبير، فإن من جملة أسباب الشهادة هو تدبير أمر الخلائق، حيث يدبّر الله تعالى أمر الخلائق على يد حجته في أرضه وخليفته على خلقه في ليلة القدر من كلّ عام، حيث تنزل الملائكة على هذا الحجة وتعرض أعمال العباد عليه لأجل أن يتولّى أمر تدبيرها، خصوصاً على القول بوساطة الفيض، بمعنى العلة الفاعلية، وهذا ما دلّت عليه روايات عديدة، من قبيل ما روي عن الإمام الجواد عليه السلام: «قال الله (عز وجل) في

(١) سورة الكهف: ٥٤.

ليلة القدر: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} (١) يقول: ينزل فيها كل أمر حكيم، والمحكم ليس بشيئين، إنما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله (عز وجل)، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأي أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت، إنه لينزل في ليلة القدر إلى ولي الأمر تفسير الأمور سنة سنة، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا، وإنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله (عز وجل) الخاص والمكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر...» (٢).

#### الأمر الرابع: طرق الشهادة للمعصوم

قد تسأل فتقول: كيف يحيط المعصوم بأعمال العباد ويطلع عليها وعلى حقائق أهلها ويكون شاهداً عليها؟

والجواب: يمكن حصول ذلك بعدة طرق:

الطريق الأول: الولاية التامة، بأن يقال: إن للمعصوم ولاية تامة على الخلائق في جميع الأمور، فإنه لما كان هو فاعلٌ وواسطة ما به الوجود ومن لأجله الوجود، صارت له هذه الولاية الشاملة لكل شيء، وبها أحاط واطلع على كل شيء، ولم يغب عنه شيء، ولعله يستفاد ذلك من روايات عديدة وردت بهذا المضمون عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الدنيا تمثل للإمام في فلقة الجوز فما تعرض لشيء منها وأنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء فلا يعزب عنه منها شيء» (٣).

(١) سورة الدخان: ٤.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٤٨.

(٣) بصائر الدرجات، ص ٤٢٨.

الطريق الثاني: الإخبار الملكوتي، وذلك بأن يقال: بأن الله تعالى قد أوكل ملائكة خاصةً تقوم بمهمة عرض أعمال العباد على المعصومين، وقد استفاد ذلك مما دلّ على نزول الملائكة عليهم، من قبيل رواية خيثمة عن الباقر عليه السلام: «نحن الذين إلينا تختلف الملائكة»<sup>(١)</sup>.

الطريق الثالث: الكشف الإلهي، وذلك بأن يقال: بأن الله تعالى يكشف للمعصوم متى شاء أمر الخلائق وأحوال العباد بشكل مباشر ومن دون حاجة لوساطة الملائكة، ولعله استفاد ذلك من روايات تعليق علمهم على المشيئة، من قبيل ما رواه أبو الربيع الشامي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الإمام إذا شاء أن يعلم علم»<sup>(٢)</sup>.

وبعدما تقدّم من هذه الأمور نقول: بأنّ للإمام المهدي عليه السلام مقام الشهادة، فهو شاهد على أعمالنا، ومحيط بها، ولا يخفى عليه شيء منها؛ ليكون ذلك رادعاً لنا عن الذنوب، وليكون ذلك سبباً في إفاضته النور على قلوبنا، وليكون ذلك سبباً في حسن التدبير لنا، وليكون مدلياً ومرتحملاً لهذه الشهادة في يوم القيامة علينا، وهذا من أكبر الفوائد.

وقد يشكّل على هذه الفائدة بالتالي:

إنّ هذه الشهادة لا تكون إلا من قبل الله تعالى؛ إذ كيف يمكن للمخلوق أن يحيط بجميع البشر وفي كلّ أوقاتهم ومختلف أماكنهم، خصوصاً مع انشغالاته وممارساته لأمر حياته، ولا أقل من عروض النوم له، فكيف يكون شاهداً على أعمال العباد والحال هذه؟ إنّ هذا غير ممكن.

والجواب عن ذلك:

(١) نفس المصدر، ص ١١٢.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٣٥.

أولاً: بالنقض، فإنّ إبليس يمكنه أن يوسوس في صدور جميع الناس مع اختلاف أماكنهم واختلاف أزمانهم.

وثانياً: ذكرنا فيما سبق بأنّ لوجود المعصوم حالتين:

الحالة الأولى: البشرية، وهي عبارة عن الوجود البشري المادي للمعصوم، وهذا الوجود يكون محدوداً وفي ظلّ الحدود المكانية والزمانية، وهو الذي تعرضه عوارض المادة، فيمكن أن يقال بأنّ هذا الوجود المادي لا يسعه الإحاطة بكلّ ذرات الوجود وفي الأماكن المختلفة والأزمان المتعدّدة.

الحالة الثانية: النورية، وهي عبارة عن الوجود النوراني للمعصوم، وهذا الوجود لا تحدّه المادة، فلا يتقيّد بزمان ولا مكان، بل هو فوق المادة والزمان والمكان، كما أنه لا تعرض عليه عوارض المادة والنقص من النوم والغفلة وأشباه ذلك، وهذا الوجود السعي للمعصوم يمكن به أن يكون محيطاً بجميع ذرات هذا الكون، ولا يعزب عنه منها شيء، فلا يرد هذا الإشكال.

وثالثاً: يمكن أن يقال بأنّ عرض الأعمال يحصل في أوقات مخصوصة، كما دلّت عليه بعض الأخبار، ونذكر منها طائفتين:

الطائفة الأولى: ما دلّ على عرض الأعمال في الصباح أو الليل:

١- عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: «تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروها وهو قول الله (عز وجل): {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ}»<sup>(١)</sup>.

(١) الكافي، ج ١، ص ١٧٠.

٢- عن عبد الله بن أبان بن الزيات قال: قلت للرضا عليه السلام: ادع الله لي ولأهل بيتي. فقال: «أولست أفعل! إنّ أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يوم وليلة»، قال: فاستعظمت ذلك! فقال لي: «أما تقرأ كتاب الله (عز وجل): {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

الطائفة الثانية: ما دلّ على عرض الأعمال كلّ يوم اثنين أو خميس:

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله: «حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم، أما حياتي فتحدثوني وأحدثكم، وأما موتي فتعرض عليّ أعمالكم عشية الاثنين والخميس، فما كان من عمل صالح حمدت الله عليه، وما كان من عمل سيء استغفرت الله لكم»<sup>(٢)</sup>.

#### الفائدة السادسة: العناية والرعاية

والمقصود بذلك أنّ الإمام يقوم بدور العناية والرعاية للدين والمذهب والمؤمنين عموماً، والخواص منهم بالخصوص، سواء انكشف لنا سبيل ذلك أم لا، وسواء قدرنا على إدراك وجه ذلك أم لا، وسواء كان ذلك بشكل مباشر منه أم عبر أبداله ومن يقوم بخدمته، وهو ما يستفاد من بعض الأخبار:

١- عن أمير المؤمنين عليه السلام: «متنا المهدي يسري في الدنيا بسراج منير ويحذو فيها على مثال الصالحين ليحل ريقاً ويعتق رقاً ويصدع شعباً ويشعب صدعاً في سترة عن الناس لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره»<sup>(٣)</sup>.

(١) نفس المصدر، ص ١٧١.

(٢) معاني الأخبار، ص ٤١٠.

(٣) نهج البلاغة، ص ٣٥.

٢- وعنه عليه السلام: «اللَّهُمَّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبياناته»<sup>(١)</sup>.

٣- قال الطبرسي: "ذكر كتاب ورد من الناحية المقدسة -حرسها الله ورعاها- في أيام بقيت من صفر سنة عشر وأربعمائة على الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (قدس الله روحه ونور ضريحه) ذكر موصله أنه يحمله من ناحية متصلة بالحجاز نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، سلام عليك أيها الولي المخلص في الدين المخصوص فينا باليقين، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطاهرين، ولنعلمك -أدام الله توفيقك لنصرة الحق، وأجزل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق- أنه قد أذن لنا في تشريفك بالمكاتبة وتكليفك ما تؤديه عنا إلى موالينا قبلك -أعزهم الله بطاعته وكفاهم المهم برعايته وحراسته- فقف أيديك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه على ذكره، واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه -إن شاء الله- نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين -حسب الذي أرانا الله تعالى من الصلاح لنا ولشيعتنا المؤمنين في ذلك- ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون أننا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء أو اصطلمكم الأعداء، فاتقوا الله (جل جلاله) وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم، يهلك فيها من حم أجله ويحى عنها من أدرك أمله، وهي أماراة لأزوف حركتنا، ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون، فاعتصموا بالتقية، من شب نار الجاهلية يحششها عصب أموية، يهول

(١) نفس المصدر، ص ٤٩٧.



بها فرقة مهدية، أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن، وسلك في الطعن منها السبل المرضية، إذا حل جمادى الأولى من سنتكم هذه، فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه، ستظهر لكم من السماء آية جلية، ومن الأرض مثلها بالسوية، ويحدث في أرض المشرق ما يُحزن ويُقلق، ويُغلب من بعدُ على أرض العراق طوائف عن الإسلام مراق، تضيق بسوء فعالمهم على أهله الأرزاق، ثم تنفرج الغمة من بعد بيوار طاغوت من الأشرار، ثم يستر بهلاكه المتقون الأخيار، ويتفق لمريدي الحج من الآفاق ما ياملونه منه على توفير عليه منهم واتفاق، ولنا في تيسير حجهم على الاختيار منهم، والوفاق شأن يظهر على نظام واتساق، فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة، حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابها ندم على حوبة، والله يلهمكم الرشد ويلطف لكم في التوفيق برحمته».

نسخة التوقيع باليد العليا (على صاحبها السلام): «هذا كتابنا إليك أيها الأخ الولي والمخلص في ودنا، الصفي والناصر لنا الوفي، حرسك الله بعينه التي لا تنام، فاحتفظ به ولا تظهر على خطنا الذي سطرناه بما له ضمناه أحداً، وأد ما فيه إلى من تسكن إليه، وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء الله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين»<sup>(١)</sup>.

وهنا نشير إلى عدة صور وأشكال وبعض الشواهد لهذه الرعاية:

(١) الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٢٢.

## صور الرعاية

الصورة الأولى: رعاية الدين والمذهب، بمعنى أنّ الإمام عليه السلام يقوم بحفظ الدين والمذهب من الضياع، وما يؤدّي إلى إضلال الناس ولو من خلال تسديد العلماء، وإليك بعض النماذج:

### النموذج الأول: كتاب العلامة

فقد نقل المحدث النوري عن السيد الشهيد القاضي نور الله الشوشتري في مجالس المؤمنين في ترجمة آية الله العلامة الحلي قدس سره أنّ من جملة مقاماته العالية أنه اشتهر عند أهل الإيمان أنّ بعض علماء أهل السنة ممّن تتلمذ عليه العلامة في بعض الفنون ألف كتاباً في ردّ الإمامية، ويقراً للناس في مجالسه ويضلّهم، وكان لا يعطيه أحداً خوفاً من أن يرده أحد من الإمامية، فاحتال عليه السلام في تحصيل هذا الكتاب إلى أن جعل تتلمذه عليه وسيلةً لأخذ الكتاب منه عارية، فالتجأ الرجل واستحى من رده وقال: إني آليت على نفسي أن لا أعطيه أحداً أزيد من ليلة، فاغتتم الفرصة في هذا المقدار من الزمان، فأخذه منه وأتى به إلى بيته لينقل ما تيسر منه، فلما اشتغل بكتابه وانتصف الليل غلبه النوم فحضر الحجة عليه السلام وقال: ولّني الكتاب وخذ في نومك، فانتبه العلامة وقد تمّ الكتاب بإعجازه عليه السلام (١).

### النموذج الثاني: فتوى العلامة الحلي

فقد نقل الميرزا التنكابني عن الفاضل اللاهيجي المولى صفر علي عن السيد السند صاحب المفاتيح السيد محمد ابن صاحب الرياض نقلاً عن خط آية الله العلامة في حاشية بعض كتبه: أنه خرج ذات ليلة لزيارة قبر مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام وهو على حمار

(١) النجم الثاقب، ج ٢، ص ١١٧، الحكاية الخامسة عشر.

له ويبيده سوط يسوق به دابته، فعرض له في أثناء الطريق رجل في زي الأعراب، فتصاحبا وهو يمشي بين يديه، فافتتح باب المكالمة والمساءلة، فعلم العلامة من كلامه أنه عالم خبير قليل المثل والنظير، فاختره بالمسائل المشككة، فرآه حلال المشكلات والمعضلات ومفتاح المغلقات، فسأله عن المسائل التي استصعب عليه علمها، فكشف الحجاب عن وجه جميعها، إلى أن انتهى الكلام إلى مسألة أفتى فيها بخلاف ما عليه العلامة، فأنكره عليه قائلاً: إن هذه الفتوى خلاف الأصل والقاعدة، ولا بد لنا في خلافهما من دليل وارد عليهما.

فقال العربي: الدليل عليه حديث ذكره الشيخ الطوسي في تهذيبه.

فقال العلامة: إني لم أعهد بهذا الحديث في التهذيب، ولم يذكره الشيخ وغيره.

فقال: ارجع إلى نسخة التهذيب التي عندك الآن وعد منها أوراقاً كذا وسطوراً كذا تجده.

فلما سمع منه العلامة ذلك ورأى أن هذا إخبار عن المغيبات، تحير في أمره تحيراً شديداً، وانداهش من معرفته، وقال في نفسه: لعل هذا الرجل الذي يمشي بين يدي منذ كذا وأنا في ركوبي هو الذي بوجوده تدور رحى الموجودات! فبينما هو كذلك إذ وقع السوط من يده من شدة التفكير والتحير وفي حال سقط من يده السوط صار في مقام الاستفهام والاستخبار، فاستخبر منه أن في زمان الغيبة الكبرى هل يمكن التشرف بقاء سيدنا ومولانا صاحب الزمان عليه السلام؟

فهوى الرجل وأخذ السوط من الأرض ووضع في كف العلامة وقال: لم لا يمكن وكفه في كفك! فطرح العلامة نفسه على قدميه، واغمى عليه، فلما أفاق لم يجد أحداً، فاهتم بذلك وتكدر، ورجع إلى أهله، وتصفح عن نسخة تهذيبه فوجد الحديث كما أخبره

الإمام عليه السلام في حاشية تلك النسخة، فكتب بخطه الشريف في ذلك الموضوع: "هذا الحديث أخبرني به سيدي و مولاي في ورق كذا و سطر كذا"<sup>(١)</sup>.

الصورة الثانية: رعاية عموم المؤمنين، بمعنى أنّ الإمام عليه السلام يقوم بحفظ عموم المؤمنين ورعايتهم و دفع البلايا والنوائب عنهم، خصوصاً حينما تكون هذه البلية ممّا يؤدّي إلى ضلالهم أو تشكيكهم في دينهم.

#### النموذج الأول: أهل البحرين

قال العلامة المجلسي: "ومنها ما أخبرني به بعض الأفاضل الكرام والثقات الأعلام قال: أخبرني بعض من أثق به، يروي عمّن يثق به ويطريه أنه قال: لما كان بلدة البحرين تحت ولاية الإفرنج جعلوا واليها رجلاً من المسلمين ليكون أدمى إلى تعميرها وأصلح بحال أهلها، وكان هذا الوالي من النواصب، وله وزير أشدّ نصباً منه يُظهر العداوة لأهل البحرين؛ لحبهم لأهل البيت عليهم السلام، ويحتال في إهلاكهم وإضرارهم بكلّ حيلة.

فلما كان في بعض الأيام دخل الوزير على الوالي وبيده رمانة فأعطاها الوالي فإذا كان مكتوباً عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خلفاء رسول الله) فتأمل الوالي فرأى الكتابة من أصل الرمانة بحيث لا يحتمل عنده أن يكون من صناعة بشر، فتعجب من ذلك وقال للوزير: هذه آية بيّنة وحجة قوية على إبطال مذهب الرافضة، فما رأيك في أهل البحرين؟ فقال له: أصلحك الله، إنّ هؤلاء جماعة متعصبون ينكرون البراهين، وينبغي لك أن تحضرهم وتريهم هذه الرمانة، فإن قبلوا ورجعوا إلى مذهبنا كان لك الثواب الجزيل بذلك، وإن أبوا إلا المقام على ضلالتهم فخيرهم بين ثلاث: إما أن يؤدّوا الجزية وهم صاغرون، أو يأتوا بجواب عن هذه الآية البيّنة التي لا محيص لهم عنها، أو تقتل رجالهم وتسي نساءهم وأولادهم وتأخذ بالغنيمة أموالهم.

(١) قصص العلماء، ص ٣٥٩.

فاستحسن الوالي رأيه وأرسل إلى العلماء والأفاضل والأخيار والنجباء والسادة الأبرار من أهل البحرين وأحضرهم وأراهم الرمانة، وأخبرهم بما رأى فيهم إن لم يأتوا بجواب شافٍ من القتل والأسر وأخذ الأموال، أو أخذ الجزية على وجه الصغار كالكفار، فتحيروا في أمرها ولم يقدرُوا على جواب، وتغيّرت وجوههم وارتعدت فرائصهم فقال كبارؤهم: أمهلنا أيها الأمير ثلاثة أيام لعلنا نأتيك بجواب ترتضيه وإلا فاحكم فينا ما شئت، فأمهلهم.

فخرجوا من عنده خائفين مرعوبين متحيّرين فاجتمعوا في مجلس وأجابوا الرأي في ذلك، فاتفق رأيهم على أن يختاروا من صلحاء البحرين وزهادهم عشرة ففعلوا، ثم اختاروا من العشرة ثلاثة، فقالوا لأحدهم: اخرج الليلة إلى الصحراء واعبد الله فيها واستغث بإمام زماننا وحجة الله علينا لعله يبين لك ما هو المخرج من هذه الداهية الدهماء. فخرج وبات طول ليلته متعبداً خاشعاً داعياً باكياً يدعو الله ويستغيث بالإمام عليه السلام حتى أصبح ولم ير شيئاً، فأتاهم وأخبروهم فبعثوا في الليلة الثانية الثاني منهم، فرجع كصاحبه ولم يأتهم بخبر، فازداد قلقهم وجزعهم، فأحضروا الثالث وكان تقياً فاضلاً اسمه محمد بن عيسى، فخرج الليلة الثالثة حافياً حاسر الرأس إلى الصحراء، وكانت ليلة مظلمة، فدعا وبكى وتوسل إلى الله تعالى في خلاص هؤلاء المؤمنين وكشف هذه البلية عنهم، واستغاث بصاحب الزمان، فلما كان آخر الليل إذا هو برجل يخاطبه ويقول: يا محمد بن عيسى، ما لي أراك على هذه الحالة؟ ولماذا خرجت إلى هذه البرية؟

فقال له: أيها الرجل دعني فإني خرجت لأمر عظيم وخطب جسيم لا أذكره إلا لإمامي ولا أشكوه إلا إلى من يقدر على كشفه عني.

فقال: يا محمد بن عيسى، أنا صاحب الأمر فاذكر حاجتك.

فقال: إن كنت هو فأنت تعلم قصتي ولا تحتاج إلى أن أشرحها لك.

فقال له: نعم، خرجت لما دهمكم من أمر الرمانة وما كتب عليها وما أوعدكم الأمير به.

قال: فلما سمعت ذلك توجهت إليه وقلت: نعم يا مولاي، قد تعلم ما أصابنا وأنت إمامنا وملاذنا والقادر على كشفه عنا.

فقال (صلوات الله عليه): يا محمد بن عيسى، إن الوزير (لعنه الله) في داره شجرة رمان فلما حملت تلك الشجرة صنع شيئاً من الطين على هيئة الرمانة وجعلها نصفين وكتب في داخل كل نصف بعض تلك الكتابة ثم وضعهما على الرمانة وشدهما عليها وهي صغيرة فأثر فيها وصارت هكذا، فإذا مضيتم غداً إلى الوالي فقل له: جئتك بالجواب ولكني لا أبديه إلا في دار الوزير، فإذا مضيتم إلى داره فانظر عن يمينك ترى فيها غرفة، فقل للوالي: لا أجيبك إلا في تلك الغرفة، وسيأبى الوزير عن ذلك وأنت بالغ في ذلك، ولا ترض إلا بصعودها، فإذا صعد فاصعد معه ولا تتركه وحده يتقدم عليك، فإذا دخلت الغرفة رأيت كوة فيها كيس أبيض، فانهض إليه وخذه فترى فيه تلك الطينة التي عملها لهذه الحيلة، ثم ضعها أمام الوالي وضع الرمانة فيها لينكشف له جليلة الحال، وأيضاً - يا محمد بن عيسى - قل للوالي: إن لنا معجزة أخرى وهي أن هذه الرمانة ليس فيها إلا الرماد والدخان، وإن أردت صحة ذلك فأمر الوزير بكسرها، فإذا كسرها طار الرماد والدخان على وجهه ولحيته.

فلما سمع محمد بن عيسى ذلك من الإمام فرح فرحاً شديداً وقبل بين يدي الإمام (صلوات الله عليه) وانصرف إلى أهله بالبشارة والسرور، فلما أصبحوا ومضوا إلى الوالي فعل محمد بن عيسى كل ما أمره الإمام، وظهر كل ما أخبره، فالتفت الوالي إلى محمد بن عيسى وقال له: من أخبرك بهذا؟

فقال: إمام زماننا وحجة الله علينا. فقال ومن إمامكم؟

فأخبره بالأئمة واحداً بعد واحد إلى أن انتهى إلى صاحب الأمر (صلوات الله عليهم). فقال الوالي: مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الخليفة بعده بلا فصل أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم أقر بالأئمة إلى آخرهم عليهم السلام، وحسن إيمانه، وأمر بقتل الوزير، واعتذر إلى أهل البحرين، وأحسن إليهم وأكرمهم<sup>(١)</sup>.

#### النموذج الثاني: زوار الإمام الحسين عليه السلام

نُقل عن السيد صالح بن السيد مهدي القزويني الساكن بالحلة قال: خرجت يوم الرابع عشر من شهر شعبان من الحلة أريد زيارة الحسين عليه السلام ليلة النصف منه، فلما وصلت إلى شط الهندية وعبرت إلى الجانب الغربي منه وجدت الزوار الذاهبين من الحلة وأطرافها والواردين من النجف ونواحيه جميعاً محاصرين في بيوت عشيرة بني طرف من عشائر الهندية، ولا يدعون أحداً يخرج من كربلاء ولا أحداً يلج إلا انتهبوه، قال: فنزلت على رجل من العرب وصليت صلاة الظهر والعصر، وجلست أنتظر ما يكون من أمر الزوار، وقد تغيمت السماء ومطرت مطراً يسيراً، فبينما نحن جلوس إذ خرجت الزوار بأسرها من البيوت متوجهين نحو طريق كربلاء، فقلت لبعض من معي: اخرج واسأل ما الخبر؟ فخرج ورجع إلي وقال لي: إن عشيرة بني طرف قد خرجوا بالأسلحة النارية وتجمعوا لإيصال الزوار إلى كربلاء ولو آل الأمر إلى المحاربة مع عنزة.

فلما سمعت قلت لمن معي: هذا الكلام لا أصل له؛ لأن بني طرف لا قابلية لهم على مقابلة عنزة في البر، وأظن هذه مكيدة منهم لإخراج الزوار عن بيوتهم لأنهم استثقلوا بقاءهم عندهم وفي ضيافتهم، فبينما نحن كذلك إذا رجعت الزوار إلى البيوت فتبين الحال كما قلت: فلم تدخل الزوار إلى البيوت، وجلسوا في ظلالها والسماء متغيمة، فأخذتني لهم

(١) بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ١٧٨.

رقة شديدة وأصابني انكسار عظيم، وتوجهت إلى الله بالدعاء والتوسل بالنبي وآله، وطلبت إغاثة الزوار مما هم فيه.

فبينما أنا على هذا الحال إذ أقبل فارس على فرس، رابع كريم، لم أر مثله، ويده رمح طويل وهو مشتمر عن ذراعيه، فأقبل يخب به جواده حتى وقف على البيت الذي أنا فيه، وكان بيتاً من شعر مرفوع الجوانب، فسلم فرددنا السلام عليه، ثم قال: يا مولانا -يسميني باسمي- بعثني من يسلم عليك وهو كنج محمد آغا وصفر آغا، وكنا من قواد العساكر العثمانية يقولان: فليات بالزوار فإننا قد طردنا عنزة عن الطريق، ونحن ننتظره مع عسكرنا في عرقوب السلمانية على الجادة.

فقلت له: وأنت معنا إلى عرقوب السلمانية؟ قال: نعم.

فأخرجت الساعة وإذا قد بقي من النهار ساعتان ونصف تقريباً، فقلت: بخيلنا، فقدمت إلينا فتعلق بي ذلك البدوي الذي نحن عنده وقال: يا مولاي لا تخاطر بنفسك وبالزوار، وأقم الليلة حتى يتضح الأمر. فقلت له: لا بد من الركوب لإدراك الزيارة المخصوصة، فلما رأتنا الزوار قد ركبنا تبعوا أثرنا بين حاشر وراكب.

فسرنا والفارس المذكور بين أيدينا كأنه الأسد الخادر ونحن خلفه، حتى وصلنا إلى عرقوب السلمانية فصعد عليه وتبعناه في الصعود، ثم نزل وارتقينا على أعلى العرقوب، فنظرنا ولم نر له عيناً ولا أثراً، فكأنما صعد في السماء أو نزل في الأرض، ولم نر قائداً ولا عسكرياً، فقلت لمن معي: أبقى شك في أنه صاحب الأمر؟

فقالوا: لا والله. وكنت -وهو بين أيدينا- أطيل النظر إليه كأنني رأيت قبل ذلك لكنني لا أذكر أين رأيت، فلما فارقتنا تذكرت أنه هو الشخص الذي زارني بالحللة وأخبرني بواقعة السلمانية، وأما عشيرة عنزة فلم نر لهم أثراً في منازلهم، ولم نر أحداً نسأله عنهم سوى أننا رأينا غبرة شديدة مرتفعة في كبد البر، فوردنا كربلاء تخب بنا خيولنا، فوصلنا إلى باب



البلاد وإذا بعسكر على سور البلد، فنادوا: من أين جئتم؟ وكيف وصلتكم؟ ثم نظروا إلى سواد الزوار ثم قالوا: سبحان الله هذه البرية قد امتلأت من الزوار، أجل أين صارت عنزة؟ فقلت لهم: اجلسوا في البلد وخذوا أرزاقكم، ولمكة رب يراها.

ثم دخلنا البلد فإذا أنا بكنج محمد آغا جالساً على تخت قريب من الباب، فسلمت عليه فقام في وجهي، فقلت له: يكفيك فخراً أنك ذكرت باللسان. فقال: ما الخبر؟ فأخبرته بالقصة، فقال لي: يا مولاي من أين لي علم بأنك زائر حتى أرسل لك رسولاً وأنا وعسكري منذ خمسة عشر يوماً محاصرين في البلد، لا نستطيع أن نخرج خوفاً من عنزة؟! ثم قال: فأين صارت عنزة؟

قلت: لا علم لي سوى أنني رأيت غبرة شديدة في كبد البر كأنها غبرة الطعائن، ثم أخرجت الساعة وإذا قد بقي من النهار ساعة ونصف، فكان مسيرنا كله في ساعة، وبين منازل بني طرف وكربلاء ثلاث ساعات، ثم بتنا في تلك الليلة في كربلاء، فلما أصبحنا سألنا عن خبر عنزة فأخبر بعض الفلاحين الذين في بساتين كربلاء، قال: بينما عنزة جلوس في أنديتهم وبيوتهم إذا بفارس قد طلع عليهم على فرس مطهم وبيده رمح طويل، فصرخ فيهم بأعلى صوته: يا معاشر عنزة قد جاء الموت الزؤام؛ عساكر الدولة العثمانية تجهت عليكم بخيلها ورجلها، وها هم على أثري مقبلون فارحلوا وما أظنكم تنجون منهم. فألقى الله عليهم الخوف والذلل، حتى أن الرجل يترك بعض متاع بيته استعجالاً بالرحيل، فلم تمض ساعة حتى ارتحلوا بأجمعهم وتوجهوا نحو البر، فقلت له: صف لي الفارس، فوصف لي، وإذا هو صاحبنا بعينه، وهو الفارس الذي جاءنا. والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين<sup>(١)</sup>.

(١) جنة المأوى، ص ٢٨٨؛ النجم الثاقب، ج ٢، ص ٣٢١، الحكاية الخامسة والتسعون.

الصورة الثالثة: رعاية الخواص من المؤمنين، بمعنى أنّ الإمام عليه السلام يقوم برعاية الخواص من المؤمنين ودفع النوائب عنهم وإصلاح شؤونهم، خصوصاً عندما يقع منهم التوسل والاستغاثة به، وهي نماذج، منها:

النموذج الأول: عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، قال: لما وصلت بغداد سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أردت الحج، وهي السنة التي ردّ القرامطة فيها الحجر إلى مكانه من البيت، كان أكبر همّي الظفر بمن ينصب الحجر؛ لأنه يمضي في أثناء الكتب قصة أخذه وأنه ينصبه في مكانه الحجة في الزمان كما في زمان الحجاج وضعه زين العابدين عليه السلام في مكانه فاسقر، فاعتلت علة صعبة خفت منها على نفسي ولم يتهيأ لي ما قصدت له، فاستنبت المعروف بابن هشام وأعطيته رقعة مختومة أسأل فيها عن مدّة عمري وهل تكون المنيّة في هذه العلة أم لا؟ وقلت: همّي في إيصال هذه الرقعة إلى واضع الحجر في مكانه وأخذ جوابه وإني أندبك لهذا.

قال: فقال المعروف بابن هشام: لما حصلت بمكة وعزم على إعادة الحجر بذلت لسدنة البيت جملة تمكّنت معها من الكون بحيث أرى واضع الحجر في مكانه، وأقمت معي منهم من يمنع عني ازدحام الناس، فكّما عمد إنسان لوضعه اضطرب ولم يستقم، فأقبل غلام أسمر اللون حسن الوجه فتناوله ووضع في مكانه فاستقام كأنه لم يزل عنه، وعلت لذلك الأصوات وانصرف خارجاً من الباب، فنهضت من مكاني أتبعه وأدفع الناس عني يميناً وشمالاً حتى ظنّ بي الاختلاط في العقل، والناس يفرجون لي وعيني لا تفارقه حتى انقطع الناس، فكنت أسرع السير خلفه وهو يمشي على تؤدّة ولا أدركه، فلما حصل بحيث لا أحد يراه غيري وقف والتفت إلي فقال: هات ما معك، فناولته الرقعة، فقال من غير أن ينظر فيها: «قل له: لا خوف عليك في هذه العلة، ويكون ما لا بدّ منه بعد ثلاثين سنة».

قال: فوقع عليّ الزمع حتى لم أطق حراكاً، وتركني وانصرف<sup>(١)</sup>.

النموذج الثاني: قال أبو الحسين بن أبي البغل الكاتب: تقلدت عملاً من أبي منصور بن الصالحان وجرى بيني وبينه ما أوجب استتاري، فطلبني وأخافني فمكثت مستتراً خائفاً، ثم قصدت مقابر قريش ليلة الجمعة واعتمدت على المبيت هناك للدعاء والمسألة، وكانت ليلة ريح ومطر، فسألت ابن جعفر القيم أن يغلق الأبواب وأن يجتهد في خلوة الموضع لأخلو بما أريده من الدعاء والمسألة، وآمن من دخول إنسان مما لم آمنه، وخفت من لقائي له، ففعل وقفل الأبواب.

وانتصف الليل وورد من الريح والمطر ما قطع الناس عن الموضع، ومكثت أدعو وأزور وأصلي، فبينما أنا كذلك إذ سمعت وطأة عند مولانا موسى عليه السلام وإذا رجل يزور، فسلم على آدم وأولي العزم، ثم الأئمة واحداً واحداً، إلى أن انتهى إلى صاحب الزمان.. فعجبت من ذلك وقلت: لعله نسي أو لم يعرف، أو هذا مذهب لهذا الرجل.

فلما فرغ من زيارته وصلى ركعتين وأقبل إلى مولانا أبي جعفر فزار مثل تلك الزيارة وذلك السلام، وصلى ركعتين وأنا خائف منه؛ إذ لم أعرفه، ورأيته شاباً تاماً من الرجال، عليه ثياب بيض، وعمامة، محنك بها، وذؤابة، ورداء على كتفه مسبل، فقال لي: «يا أبا الحسين بن أبي البغل، أين أنت عن دعاء الفرج؟». فقلت: وما هو يا سيدي؟

فقال: تصلي ركعتين وتقول: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح، يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر، يا عظيم المنّ، يا كريم الصفح، يا مبتدئ النعم قبل استحقاقها، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا منتهى كلّ نجوى، ويا غاية كلّ شكوى، يا عون كلّ مستعين، يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها، يا ربّاه (عشر مرات)، يا سيّده (عشر مرات)، يا مولاه (عشر مرات)، يا غايتاه (عشر مرات)، يا منتهى رغبته

(١) الخرائج والجرائح، ج١، ص٤٧٥.

(عشر مرات)، أسألك بحق هذه الأسماء وبحق محمد وآله الطاهرين إلا ما كشفت كربى، ونقست همى، وفرجت غمى، وأصلحت حالى. وتدعو بعد ذلك بما شئت وتسال حاجتك، ثم تضع خدك الأيمن على الأرض وتقول مائة مرة في سجودك: (يا محمد يا علي، يا علي يا محمد، اكفياني وانصراني فإنكما نصراني)، وتضع خدك الأيسر على الأرض وتقول مائة مرة: (أدركني)، وتكررها كثيراً، وتقول: (الغوث الغوث) حتى ينقطع نفسك، وترفع رأسك، فإن الله بكرمه يقضي حاجتك إن شاء الله تعالى».

فلما اشتغلت بالصلاة والدعاء خرج، فلما فرغت خرجت لابن جعفر لأسأله عن الرجل وكيف قد دخل، فرأيت الأبواب على حالها مغلقة مقفلة، فعجبت من ذلك وقلت: لعله باب هنا ولم أعلم، فأنبهت ابن جعفر فخرج إلي من بيت الزيت فسألته عن الرجل ودخوله، فقال: الأبواب مقفلة كما ترى ما فتحتها، فحدثته بالحديث فقال: هذا مولانا صاحب الزمان، وقد شاهدته مراراً في مثل هذه الليلة عند خلوها من الناس، فتأسفت على ما فاتني منه، وخرجت عند قرب الفجر وقصدت الكرخ إلى الموضع الذي كنت مستتراً فيه، فما أضحى النهار إلا وأصحاب الصالحان يلتمسون لقائي ويسألون عني أصدقائي ومعهم أمان من الوزير ورقعة بخطه فيها كل جميل، فحضرت مع ثقة من أصدقائي عنده، فقام والتزمني وعاملني بما لم أعهده منه، وقال: انتهت بك الحال إلى أن تشكوني إلى صاحب الزمان، فقلت قد كان مني دعاء ومسألة.

فقال: ويحك رأيت البارحة مولاي صاحب الزمان في النوم -يعني ليلة الجمعة- وهو يأمرني بكل جميل ويجفو في ذلك علي جفوة خفتها، فقلت: لا إله إلا الله، أشهد أنهم الحق ومنتهى الصدق، رأيت البارحة مولانا في اليقظة، وقال لي كذا وكذا، وشرحت ما رأيت في

المشهد، فعجب من ذلك، وجرت منه أمور عظام حسان في هذا المعنى، وبلغت منه غاية ما لم أظنه ببركة مولانا صاحب الزمان<sup>(١)</sup>.

---

(١) دلائل الإمامة، ص ٣٠٤.

## الجهة الخامسة: السفارة في زمن الغيبة

والبحث في عدّة نقاط:

النقطة الأولى: معنى السفارة

إنّ نيابة شخص عن آخر وقيامه مقامه له صورتان:

الصورة الأولى: النيابة العامة، بأن يعطي شخص لآخر وكالةً ويجعل له مقام النيابة عنه بالتوكيل العامّ من دون التنصيص عليه بخصوصه.

وهذا الشكل من النيابة على نوعين:

النوع الأول: أن تكون مخصوصة في شيء معيّن، كما لو قلنا بأنّ المعصوم عليه السلام قد أعطى وكالةً عامّةً للفقهاء في خصوص قبض الحقوق الشرعية عنه.

النوع الثاني: أن تكون واسعة، فلا تختصّ بقضية معيّنة، كما لو قلنا بولاية الفقيه المطلقة وأنّ المعصوم عليه السلام قد أعطى لعموم الفقهاء وكالةً عامّةً عنه في كلّ ما له التصدي فيه؛ من بيان الحلال والحرام، والقضاء والحكم، وقبض الحقوق، وغير ذلك، كما قد يدعى استفادة ذلك من مثل التوقيع الصادر عن الناحية المقدسة: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»<sup>(١)</sup>.

الصورة الثانية: النيابة الخاصة، بأن يعطي شخص لآخر بعينه وكالةً ونيابةً عنه، وهذه لها قسمان:

(١) كمال الدين، ص ٤٨٤.

القسم الأول: أن تكون هذه النيابة في شيء معين، وهذا كما في نيابة بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام عنهم في قبض الحقوق الشرعية أو الوقف مثلاً، كعلي بن حمزة البطائني والحسن بن راشد.

القسم الثاني: أن تكون هذه النيابة عامة في كل الأمور، وهذا كنيابة السفراء عن الإمام المهدي عليه السلام، حيث جعل السفراء نواباً عنه وأبواباً إليه يرجع إليهم في كل الأمور التي تحتاج الناس للرجوع فيها إلى المعصوم، وهذا النحو من النيابة أعلى مستوى وأرفع درجة من غيرها من أنواع النيابة، ولأجل ذلك خصّصت باسم السفارة.

#### النقطة الثانية: هوية السفراء

لقد كان للإمام المهدي عليه السلام أربعة سفراء فقط في زمان الغيبة الصغرى، وهذا ممّا قامت عليه ضرورة المذهب واتفقت عليه الإمامية قاطبةً وصرّح به أعلام الطائفة، وهم:

١- عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الأسدي.

٢- محمد بن عثمان بن سعيد العمري الأسدي.

٣- الحسين بن روح النوبختي.

٤- علي بن محمد السمرى.

قال الشيخ الصدوق: "ووكيله عثمان بن سعيد، فلما مات عثمان أوصى إلى ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمرى عليه السلام، فلما حضرت السمرى الوفاة سئل أن

يوصي فقال: لله أمر هو بالغه. فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد مضي السمرى رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

وقد كان هناك وكلاء آخرون للإمام عليه السلام بالواسطة من خلال هؤلاء السفراء، حيث كانوا وكلاء للسفراء في الأصل، ومن جملتهم: حاجز بن يزيد الوشاء، وإبراهيم بن مهزيار، ومحمد بن إبراهيم بن مهزيار، وأحمد بن إسحاق القمي، ومحمد بن جعفر الأسدي، والقاسم بن العلاء، والحسن بن القاسم بن العلاء، ومحمد بن شاذان.

### النقطة الثالثة: الدليل على السفارة

يسأل البعض ويقول: ما هو الدليل المعتمد في إثبات سفارة هؤلاء السفراء؟ وكيف ثبتت صحة سفارتهم للشيعة؟

الجواب: قد ثبتت سفارة هؤلاء الأربعة لدى الشيعة من خلال النصوص الكثيرة والمحتفة بالقرائن القطعية على صدق سفارتهم وحقانيتها، فلا معنى للإشكال بضعف سند بعض هذه النصوص والحال هذه، هذا مضافاً إلى المعاجز أو الكرامات التي ظهرت من قبل صاحب الأمر عليه السلام على أيديهم كما قد صرح بذلك جمع من الأعلام كالطبرسي، قال: "ولم يتم أحد منهم بذلك إلا بنص عليه من قبل صاحب الأمر عليه السلام ونصب صاحبه الذي تقدم عليه، ولم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر عليه السلام تدل على صدق مقالته وصحة بابيتهم"<sup>(٢)</sup>.  
لذا نقول: قد ثبتت سفارة هؤلاء الأربعة لدى الشيعة بطرق ثلاثة:

(١) كمال الدين، ص ٤٣٢.

(٢) الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٩٧.



الطريق الأول: النص من قبل المعصوم عليه السلام، وقد جاء النص على كل واحد من هؤلاء السفراء بالخصوص:

السفير الأول: عثمان بن سعيد العمري

يُعدّ عثمان العمري من خواصّ الأئمة عليهم السلام وثقاتهم، فقد كان وكيلاً خاصاً للإمامين العسكريين عليهما السلام، ثم صار سفيراً للإمام المهدي عليه السلام ولذا يقول الشيخ الطوسي: "فأولهم من نصّبهُ أبو الحسن علي بن محمد العسكري، وأبو محمد الحسن بن علي بن محمد ابنه عليه السلام، وهو الشيخ الموثوق به، أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري"<sup>(١)</sup>.

ومن جملة النصوص الدالة على سفارته:

النص الأول: الطوسي عن أحمد بن علي بن نوح أبو العباس السيرافي عن أبي نصر هبة الله بن محمد عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري البزاز عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومعاوية بن حكيم والحسن بن أيوب بن نوح في خبر طويل مشهور قالوا جميعاً: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام نسأله عن الحجّة من بعده وفي مجلسه أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا بن رسول الله، أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني. فقال له: «اجلس يا عثمان». فقام مغضباً ليخرج، فقال: «لا يخرجنّ أحد». فلم يخرج منا أحد، إلى أن كان بعد ساعة، فصاح بعثمان فقام على قدميه، فقال: «أخبركم بما جيئتم؟»، قالوا: نعم يا ابن رسول الله. قال: «جيئتم تسألوني عن الحجّة من بعدي». قالوا: نعم، فإذا غلام كأنه قطعة قمر، أشبه الناس بأبي محمد (عليه السلام)، فقال: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وأنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى

(١) الغيبة، ص ٣٥٤.

يتم له عمرٌ، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم، والأمر إليه»<sup>(١)</sup>.

النص الثاني: الطوسي عن عبد الله بن جعفر الحميري قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو عليه السلام عند أحمد بن إسحاق، فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف، فقلت له: يا أبا عمرو إني أريد أن أسالك عن شيء وما أنا بشاك فيما أريد أن أسألك عنه، فإن اعتقادي وديني أن الأرض لا تخلو من حجة... ولكن أحببت أن أزداد يقيناً، فإن إبراهيم عليه السلام سأل ربه (عز وجل) أن يريه كيف يحيي الموتى فقال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي، وقد أخبرني أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن -يعني عن الإمام الهادي عليه السلام- قال: سألته وقلت: من أعامل؟ وعمّن آخذ وقول من أقبل؟ فقال: «العمري ثقني، فما أدّى إليك عني فعني يؤدّي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع، فإنه الثقة المأمون»، وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد عليه السلام -يعني الإمام العسكري عليه السلام - عن مثل ذلك؟ فقال: «العمري وابنه ثقتان، فما أدّى إليك فعني يؤدّيان وما قال لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنهما الثقتان المأمونان». فهذا قول إمامين قد مضيا فيك، قال: فخر أبو عمرو ساجداً وبكى ثم قال: سل حاجتك، فقلت له: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد؟ -يعني من بعد العسكري- فقال: إي والله... فقلت له: فبقيت واحدة، فقال لي: هات، قلت: الاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، وليس لي أن أحلل ولا أحرم، ولكن عنه عليه السلام، فإن الأمر عند السلطان أن أبا محمد مضى ولم يخلف ولداً وقُسم ميراثه... فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك»<sup>(٢)</sup>.

(١) الغيبة، ص ٣٥٧.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٧٧.

### السفير الثاني: محمد بن عثمان العمري

يعتبر محمد العمري من خواص الأئمة عليهم السلام ومحل ثقتهم كما مرّ في الرواية الأخيرة، وهو أطول السفراء مدّة، فقد استمرت سفارته أكثر من أربعين سنة، وقد جاء النصّ عليه من قبل الإمامين العسكري والمهدي عليهما السلام، ولذا يقول الشيخ الطوسي: "فلما مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه بنصّ أبي محمد عليه السلام عليه ونصّ أبيه عثمان عليه بأمر القائم عليه السلام"<sup>(١)</sup>.

ومما ورد في ذلك:

النص الأول: روى الشيخ الطوسي بسنده عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن عبد الله بن جعفر قال: خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري عليه السلام في التعزية بأبيه عليه السلام: «عاش أبوك سعيداً، ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقربه إلى الله (عز وجل) وإليهم، نظر الله وجهه، وأقال عثرته...».

وفي فصل آخر: «أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رزئت ورزئنا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسره الله في منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه، وأقول الحمد لله، فإنّ الأنفس طيبة بمكانك، وما جعله الله (عز وجل) فيك وعندك، أعانك الله وقواك، وعضدك ووفقك، وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً»<sup>(٢)</sup>.

النص الثاني: روى الطوسي بسنده عن محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي أنه خرج إليه بعد وفاة أبي عمرو: «والابن -وقاه الله- لم يزل ثقتنا في حياة الأب (رضي الله عنه

(١) الغيبة، ص ٢٤١.

(٢) الغيبة، ص ٢٤٣.

وأرضاه ونظر وجهه) يجري عندنا مجراه، ويسد مسده، وعن أمرنا يأمر الابن، وبه يعمل، تولاه الله، فانتبه إلى قوله، وعرف معاملتنا ذلك»<sup>(١)</sup>.

### السفير الثالث: الحسين بن روح النوبختي

وقد دامت سفارته قرابة العشرين سنة، ونص عليه السفير الثاني بنص من الإمام المهدي عليه السلام، وإليك بعضاً من ذلك:

**النص الأول:** الصدوق والطوسي، عن جعفر بن أحمد بن متيل قال: لما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان العمري الوفاة كنت جالساً عند رأسه أسأله وأحدثه، وأبو القاسم بن روح عند رجله، فالتفت إليّ ثم قال: أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم بن روح، قال: فقم من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحوّلت إلى عند رجله<sup>(٢)</sup>.

**النص الثاني:** الشيخ لطوسي عن أبي علي محمد بن همام، أنّ أبا جعفر محمد بن عثمان العمري جمعنا قبل موته - وكنا وجوه الشيعة وشيوخها - فقال لنا: إن حدث عليّ حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي، فارجعوا إليه وعولوا في أموركم عليه<sup>(٣)</sup>.

### السفير الرابع: علي بن محمد السمري

وقد دامت سفارته ثلاث سنين، ونص عليه السفير الثالث بأمر من الإمام المهدي عليه السلام، وإليك بعض ما ورد في ذلك:

(١) الغيبة، ص ٢٤٣.

(٢) كمال الدين، ص ٥٠٣؛ الغيبة، ص ٢٤٩.

(٣) الغيبة، ص ٢٤٩.

النص الأول: الطوسي بسنده عن أحمد بن محمد الصفواني قال: أوصى الشيخ أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري، فقام بما كان إلى أبي القاسم، فلما حضرته الوفاة، حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده، ولمن يقوم مقامه، فلم يُظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يُؤمر بأن يوصي إلى أحد بعده في هذا الشأن<sup>(١)</sup>.

النص الثاني: الصدوق والطوسي، عن الحسن بن أحمد المكتب، قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري تدبر فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله (تعالى ذكره)، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياي والصيحة فهو كذاب مُفترٍ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»<sup>(٢)</sup>.

الطريق الثاني: المعاجز أو الكرامات التي صدرت من الإمام المهدي عليه السلام على أيديهم، والتي من أهمّها الإخبار بالمغيّبات، وقد أفرد بعض الأعلام باباً خاصاً بعنوان ظهور المعجزات عن الإمام عليه السلام في زمان الغيبة بواسطة السفراء الأربعة، كالشيخ الطوسي في الغيبة.

ونذكر هنا بعض النماذج من ذلك:

(١) الغيبة، ص ٢٦٥.

(٢) كمال الدين، ص ٥١٦؛ الغيبة، ص ٢٦٥.

## النموذج الأول: الإخبار بسنة الموت

روى الطوسي عن علي بن محمد الكليني قال: كتب محمد بن زياد الصيمري يسأل صاحب الزمان عليه السلام كفنًا يتيمّن بما يكون من عنده، فورد: «إنك تحتاج إليه سنة إحدى وثمانين»، فمات عليه السلام في الوقت الذي حدّه، وبعث إليه بالكفن قبل موته بشهر<sup>(١)</sup>.

## النموذج الثاني: ردّ بصر الأعمى

روى الطوسي عن محمد بن أحمد الصفواني، قال: رأيت القاسم بن العلاء وقد عمّر مائة سنة وسبع عشرة سنة، منها ثمانون سنة صحيح العينين، لقي مولانا أبا الحسن وأبا محمد العسكريين عليهما السلام. وحُجِب بعد الثمانين، ورُدّت عليه عيناه قبل وفاته بسبعة أيام. وذلك أنّي كنت مقيمًا عنده بمدينة الران من أرض آذربايجان، وكان لا تنقطع توقيعات مولانا صاحب الزمان عليه السلام على يد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري، وبعده على (يد) أبي القاسم ابن روح (قدّس الله روحهما)، فانقطعت عنه المكاتبة نحوًا من شهرين، فقلق عليه السلام لذلك، فبينما نحن عنده نأكل إذ دخل البوّاب مستبشراً، فقال له: فيج العراق، لا يستى بغيره، فاستبشر القاسم وحول وجهه إلى القبلة فسجد، ودخل كهل قصير يرى أثر الفيوج عليه، وعليه جبة مصرية، وفي رجله نعل محاملي، وعلى كتفه مخلاة، فقام القاسم فعانقه ووضع المخلاة عن عنقه، ودعا بطشت وماء فغسل يده وأجلسه إلى جانبه، فأكلنا وغسلنا أيدينا، فقام الرجل فأخرج كتاباً أفضل من النصف المدرج، فناوله القاسم، فأخذه وقبله ودفعه إلى كاتبٍ له يقال له: ابن أبي سلّمة، فأخذه أبو عبد الله ففضّه وقرأه حتى أحسّ القاسم بنكايه [أي ضعف]. فقال: يا أبا عبد الله خيرٌ؟ فقال: خيرٌ، فقال: ويحك خرج في شيء؟ فقال أبو عبد الله: ما تكره فلا، قال القاسم: فما هو؟ قال: نعى الشيخ إليّ نفسه بعد ورود هذا الكتاب بأربعين يوماً، وقد حمل إليه سبعة أثواب، فقال القاسم: في سلامة من

ديني؟ فقال: في سلامة من دينك، فضحك ﷺ فقال: ما أوَمَل بعد هذا العمر. فقام الرجل الوارد: فأخرج من مخلاته ثلاثة أزرق وحبيرة يمانية حمراء وعمامة وثوبين ومنديلاً، فأخذه القاسم، وكان عنده قميص خلعه عليه مولانا الرضا أبو الحسن عليه السلام.

وكان له صديق يقال له: عبد الرحمن بن محمد البدري، وكان شديد الثُصب، وكان بينه وبين القاسم (نظر الله وجهه) مودة في أمور الدنيا شديدة، وكان القاسم يودّه، وقد كان عبد الرحمن وافى إلى الدار لإصلاح بين أبي جعفر بن حمدون الهمداني وبين ختنه ابن القاسم، فقال القاسم لشيخين من مشايخنا المقيمين معه أحدهما يقال له أبو حامد عمران بن المفلس، والآخر أبو علي بن جحدر: إن أقرئنا هذا الكتاب عبد الرحمن بن محمد فإني أحب هدايته وأرجو أن يهديه الله بقراءة هذا الكتاب، فقالا له: الله الله الله، فإن هذا الكتاب لا يحتمل ما فيه خلق من الشيعة فكيف عبد الرحمن بن محمد؟ فقال: أنا أعلم أي مفش لسر لا يجوز لي إعلانه، لكن من محبتي لعبد الرحمن بن محمد وشهوتي أن يهديه الله (عز وجل) لهذا الأمر هو ذا، أقرأه الكتاب. فلما مرّ في ذلك اليوم - وكان يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من رجب - دخل عبد الرحمن بن محمد وسلم عليه، فأخرج القاسم الكتاب فقال له: اقرأ هذا الكتاب وانظر لنفسك، فقرأ عبد الرحمن الكتاب فلما بلغ إلى موضع النعي رمى الكتاب عن يده وقال للقاسم: يا أبا محمد اتق الله فإنك رجل فاضل في دينك متمكّن من عقلك، والله (عز وجل) يقول: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}، وقال: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَيَّ غَيْبَهُ أَحَدًا}.

فضحك القاسم وقال له: أتمّ الآية: {إِلَّا مَن ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ} ومولاي عليه السلام هو المرتضى من الرسول، وقال: قد علمت أنك تقول هذا، ولكن أرخ اليوم، فإن أنا عشت بعد هذا اليوم المؤرّخ في هذا الكتاب فاعلم أنني لست على شيء، وإن أنا مت فأنظر لنفسك، فورّخ عبد الرحمن اليوم وافترقوا، وحَمَّ القاسم يوم السابع من ورود الكتاب،

واشتدت به في ذلك اليوم العلة، واستند في فراشه إلى الحائط، وكان ابنه الحسن بن القاسم مدمناً على شرب الخمر، وكان متزوجاً إلى أبي عبد الله بن حمدون الهمداني، وكان جالساً ورداؤه مستور على وجهه في ناحية من الدار، وأبو حامد في ناحية، وأبو علي بن جحدر وأنا وجماعة من أهل البلد نبكي، إذ أتكى القاسم على يديه إلى خلف وجعل يقول: يا محمد، يا علي، يا حسن، يا حسين، يا موالى كونوا شفعاي إلى الله (عز وجل)، وقالها الثانية، وقالها الثالثة. فلما بلغ في الثالثة: يا موسى، يا علي، تفرقت أجفان عينيه كما يفرق الصبيان شقائق النعمان، وانتفخت حدقته، وجعل يمسح بكمه عينيه، وخرج من عينيه شبيه بماء اللحم مدّ طرفه إلى ابنه، فقال: يا حسن إليّ، يا أبا حامد إليّ، يا أبا علي إليّ، فاجتمعنا حوله ونظرنا إلى الحدقتين صحيحتين، فقال له أبو حامد: تراني؟ وجعل يده على كل واحد منّا، وشاع الخبر في الناس والعامّة، وانتابه الناس من العوام ينظرون إليه.

وركب القاضي إليه - وهو أبو السائب عتبة بن عبيد الله المسعودي، وهو قاضي القضاة ببغداد - فدخل عليه فقال له: يا أبا محمد ما هذا الذي بيدي؟ وأراه خاتماً فضّه فيروزج، فقرّبه منه فقال: عليه ثلاثة أسطر، فتناوله القاسم فلم يمكنه قراءته، وخرج الناس متعجبين يتحدّثون بخبره، والتفت القاسم إلى ابنه الحسن فقال له: إنّ الله منزلك منزلة ومرتبك مرتبة فاقبلها بشكر، فقال له الحسن: يا أبة، قد قبلتها، قال القاسم: على ماذا؟ قال: على ما تأمرني به يا أبة، قال: على أن ترجع عما أنت عليه من شرب الخمر، قال الحسن: يا أبة، وحقّ من أنت في ذكره لأرجع عن شرب الخمر، ومع الخمر أشياء لا تعرفها، فرفع القاسم يده إلى السماء وقال: اللهم ألهم الحسن طاعتك، وجتبه معصيتك، ثلاث مرّات، ثم دعا بدرج فكتب وصيته بيده ﷺ وكانت الضياع التي في يده لمولانا، وقف وقفه أبوه. وكان فيما أوصى الحسن أن قال: يا بني، إن أهلت لهذا الأمر - يعني الوكالة لمولانا - فيكون قوتك من نصف ضيعتي المعروفة بفرجيذه، وسائرها ملك لمولاي، وإن لم تُؤهل له



فاطلب خيرك من حيث يتقبل الله، وقبل الحسن وصيته على ذلك فلما كان في يوم الأربعاء وقد طلع الفجر مات القاسم عليه السلام، فوافاه عبد الرحمن يعدو في الأسواق حافياً حاسراً وهو يصيح: وا سيّده، فاستعظم الناس ذلك منه وجعل الناس يقولون: ما الذي تفعل بنفسك؟ فقال: اسكتوا فقد رأيت ما لم تروه، وتشيع ورجع عما كان عليه، ووقف الكثير من ضياعه. وتولى أبو علي بن جحدر غسل القاسم وأبو حامد يصبُّ عليه الماء، وكُنَّ في ثمانية أثواب على بدنه قميص مولاه أبي الحسن وما يليه السبعة الأثواب التي جاءت من العراق. فلما كان بعد مدة يسيرة ورد كتاب تعزية على الحسن من مولانا عليه السلام في آخره دعاء: (ألمك الله طاعته وجتّبك معصيته)، وهو الدعاء الذي كان دعا به أبوه، وكان آخره: (قد جعلنا أباك إماماً لك وفعاله لك مثلاً)<sup>(١)</sup>.

#### النموذج الثالث: الإخبار بموعد الموت

روى الصدوق والطوسي عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكتب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري (قدس الله روحه) فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلا بعد إذن الله (عز وجل)، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياي والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا

(١) الغيبة ص ٢١٠ - ٢١٤.

من عنده، فلما كان اليوم السادس عُدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه، ومضى ﷺ، فهذا آخر كلام سُمع منه<sup>(١)</sup>.

#### النموذج الرابع: الإخبار بموعد الموت

روى الطوسي عن علي بن أحمد الدلال القمي قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن عثمان ﷺ يوماً لأسلم عليه، فوجدته وبين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها ويكتب آيات من القرآن وأسماء الأئمة على حواشيها، فقلت له: يا سيدي ما هذه الساجة؟ فقال لي: هذه لقبري تكون فيه أوضع عليها أو قال: أسند إليها، وقد فرغت منه، وأنا في كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن فأصعد وأظنه. قال: فأخذ بيدي وأرانيه فإذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا صرت إلى الله (عز وجل) ودفنت فيه، وهذه الساجة معي، فلما خرجت من عنده أثبت ما ذكره، ولم أزل مترقباً به ذلك، فما تأخر الأمر حتى اعتل أبو جعفر، فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر الذي قاله من السنة التي ذكرها، ودفن فيه<sup>(٢)</sup>.

#### النموذج الخامس: تكلم الأخرس

روى الطوسي عن ابن نوح عن أبي عبد الله بن سورة القمي سمعت سروراً - وكان رجلاً عابداً مجتهداً، لقيته بالأهواز، غير أنني نسيت نسبه - يقول: كنت أخرس لا أتكلم، فحملني أبي وعمي - في صباي وسني إذ ذاك ثلاثة عشر أو أربعة عشر - إلى الشيخ أبي القاسم ابن روح رضي الله عنه فسألاه أن يسأل الحضرة أن يفتح الله لساني، فذكر الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح أنكم أمرتم بالخروج إلى الحائر، قال سرور: فخرجنا أنا وأبي وعمي إلى الحائر فاغتسلنا وزرنا، قال: فصاح بي أبي وعمي يا سرور، فقلت بلسان فصيح:

(١) كمال الدين، ص ٥١٦، الغيبة، ص ٣٩٥.

(٢) الغيبة، ص ٢٤٥.

لبيك، فقال لي: ويحك تكلمت! فقلت: نعم، قال أبو عبد الله ابن سورة: وكان سرور هذا رجلاً ليس بجمهوري الصوت<sup>(١)</sup>.

**الطريق الثالث:** الخط الذي كان يصدر عن الناحية المقدسة في جميع التوقيعات وكل الإجابات طوال مدة السفارة التي دامت قرابة سبعين سنة، فقد كان هذا الخط واحداً، كما أنه قد كان متطابقاً مع خط الأئمة السابقين عليهم السلام والذي كان معروفاً ومألوفاً لدى الشيعة الإمامية، وهذا ما يتضح بملاحظة كلمات الأعلام، فلاحظ مثلاً:

الطوسي عن أبي نصر هبة الله: وجدت بخط أبي غالب الزراري (رحمه الله وغفر له):  
أنّ أبا جعفر محمد بن عثمان العمري رحمته الله مات في آخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاث مائة، وذكر أبو نصر هبة الله بن محمد بن أحمد: أنّ أبا جعفر العمري رحمته الله مات في سنة أربع وثلاثمائة، وأنه كان يتولى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة، فيحمل الناس إليه أموالهم، ويخرج إليهم التوقيعات بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام إليهم بالمهمات في أمر الدين والدنيا، وفيما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

#### النقطة الرابعة: مهام السفراء

يمكن أن تُذكر عدّة نشاطات قام بها السفراء، نذكر خمسة منها:

**النشاط الأول:** إيصال حوائج الناس للإمام الحجة عليه السلام  
وإليك بعض الشواهد:

(١) الغيبة، ص ٢١٠.

(٢) الغيبة، ص ٢٤٦.

### الشاهد الأول: الإصلاح بين الزوجين

روى الطوسي عن أبي الفرج محمد بن المظفر قال: كنت تزوجت بأم ولدي وهي أول امرأة تزوجتها، وأنا حينئذ حدث السن، وسني إذ ذاك دون العشرين سنة، فدخلت بها في منزل أبيها، فأقامت في منزل أبيها سنين وأنا أجتهد بهم في أن يحولوها إلى منزلي وهم لا يجيبوني إلى ذلك، فحملت مني في هذه المدة وولدت بنتاً، فعاشت مدة ثم ماتت، ولم أحضر في ولادتها ولا في موتها، ولم أرها منذ وُلدت إلى أن توفيت؛ للشرور التي كانت بيني وبينهم. ثم اصطلحنا على أنهم يحملونها إلى منزلي، فدخلت إليهم في منزلهم ودافعوني في نقل المرأة إلي، وقدر أن حملت المرأة مع هذه الحال، ثم طالبتهم بنقلها إلى منزلي على ما اتفقنا عليه، فامتنعوا من ذلك، فعاد الشر بيننا، وانتقلت منهم وولدت وأنا غائب عنها بنتاً، وبقينا على حال الشر والمضارمة سنين لا آخذها، ثم دخلت بغداد وكان الصاحب بالكوفة في ذلك الوقت أبو جعفر محمد بن أحمد الزجوزجي، وكان لي كالعم أو الوالد، فنزلت عنده ببغداد وشكوت إليه ما أنا فيه من الشرور الواقعة بيني وبين الزوجة وبين الأحماء، فقال لي: تكتب رقعة وتسال الدعاء فيها، فكتبت رقعة ذكرت فيها حالي وما أنا فيه من خصومة القوم لي وامتناعهم من حمل المرأة إلى منزلي. ومضيت بها أنا وأبو جعفر إلى محمد بن علي، وكان في ذلك الوساطة بيننا وبين الحسين بن روح عليه السلام وهو إذ ذاك الوكيل، فدفعناها إليه، وسألناه إنفاذها، فأخذها مني، وتأخر الجواب عني أياماً، فلقيته فقلت له: قد ساءني تأخر الجواب عني، فقال: لا يسوؤك، فإنه أحب إلي ولك، وأومى إلي أن الجواب إن قرب كان من جهة الحسين بن روح عليه السلام، وإن تأخر كان من جهة الصاحب.

فانصرفت، فلما كان من بعد ذلك -ولا أحفظ المدة، إلا أنها كانت قريبة- فوجه إلي أبو جعفر الزجوزجي يوماً من الأيام فصرت إليه، فأخرج لي فصلاً من رقعة وقال لي: هذا جواب رقعتك، فإن شئت أن تنسخه فانسخه وردّه، فقرأته فإذا فيه: «والزوج والزوجة

فأصلح الله ذات بينهما»، ونسخت اللفظ ورددت عليه الفصل، ودخلنا الكوفة، فسَهّل الله لي نفس المرأة بأيسر كلفة، وأقامت معي سنين كثيرة، ورُزقتُ مني أولاداً، وأسأت إليها إساءات، واستعملت معها كل ما لا تصبر النساء عليه، فما وقعت بيني وبينها لفظة شرّ، ولا بين أحد من أهلها، إلى أن فرّق الزمان بيننا<sup>(١)</sup>.

#### الشاهد الثاني: طلب الذرية

روى الطوسي عن محمد بن علي الأسود رضي الله عنه قال: سألتني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه رضي الله عنه - بعد موت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه - أن أسأل أبا القاسم الروحي، أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام، أن يدعو الله (عز وجل) أن يرزقه ولداً ذكراً، قال: فسألته فأنهى ذلك، ثم أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين، وأنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به، وبعده أولاد. قال أبو جعفر محمد بن علي الأسود رضي الله عنه: وسألته في أمر نفسي أن يدعو الله لي أن يرزقني ولداً، فلم يجبني إليه، وقال: ليس إلى هذا سبيل، قال: فولد لعلي بن الحسين رضي الله عنه محمد بن علي، وبعده أولاد، ولم يولد لي شيء<sup>(٢)</sup>.

#### النشاط الثاني: إيصال الحقوق الشرعية

وهذه بعض الشواهد:

#### الشاهد الأول: خمس قم ونواحيها

روى الطوسي عن أم كلثوم بنت أبي جعفر محمد بن عثمان رضي الله عنه قالت: حمل إلى أبي جعفر رضي الله عنه في وقت من الأوقات ما ينفذه إلى صاحب الأمر من قم ونواحيها، فلما وصل الرسول إلى بغداد، ودخل إلى أبي جعفر، وأوصل إليه ما دفع إليه، وودّعه، وجاء لينصرف، قال له أبو جعفر: قد بقي شيء مما استودعته فأين هو؟ فقال له الرجل: لم يبق شيء يا سيدي

(١) الغيبة، ص ٢٠٦.

(٢) الغيبة، ص ٢١٧.

في يدي إلا وقد سلمته! فقال له أبو جعفر: بلى قد بقي شيء، فارجع إلى ما معك وفتشه، وتذكر ما دُفع إليك، فمضى الرجل فبقي أياماً يتذكر ويبحث ويفكر فلم يذكر شيئاً ولا أخبره من كان في جملته، ورجع إلى أبي جعفر فقال له: لم يبق شيء في يدي مما سُلّم إليّ إلا وقد حملت إلى حضرتك، فقال أبو جعفر: فإنه يقال لك: الثوبان السردانيان اللذان دفعهما إليك فلان بن فلان، ما فعلا؟

فقال له الرجل: أي والله يا سيدي لقد نسيتهما حتى ذهبا عن قلبي، ولست أدري الآن أين وضعتهما، فمضى الرجل فلم يبق شيء كان معه إلا فتشه وحلّه، وسأل من حمل إليه شيئاً من المتاع أن يفتش ذلك، فلم يقف لهما على خبر، فرجع إلى أبي جعفر فأخبره، فقال له أبو جعفر: يقال لك: امض إلى فلان بن فلان القطان الذي حملت إليه العديلين القطن في دار القطن فافتق أحدهما، وهو الذي عليه مكتوب كذا وكذا، فإنهما في جانبه، فتحير الرجل مما أخبر به أبو جعفر، ومضى لوجهه إلى الموضع، ففتق العديل الذي قال له افتقه، فإذا الثوبان في جانبه قد اندسا مع القطن، فأخذهما وجاء بهما إلى أبي جعفر، فسلمهما إليه وقال له: لقد أنسيتهما؛ لأنني لما شددت المتاع بقيا فجعلتهما في جانب العديل ليكون ذلك أحفظ لهما، وتحدث الرجل بما رآه.

وأخبره به أبو جعفر من عجيب الأمر الذي لا يقف عليه إلا نبي أو إمام من قبل الله الذي يعلم السرائر وما تُخفي الصدور، ولم يكن هذا الرجل يعرف أبا جعفر وإنما أنفذ على يده كما يُنفذ التجار إلى أصحابهم على يد من يثقون به، ولا كان معه تذكرة سلمها إلى أبي جعفر، ولا كتاب؛ لأن الأمر كان حاداً في زمان المعتضد، والسيف يقطر دماً - كما يقال - وكان سراً بين الخاص من أهل هذا الشأن، وكان ما يُحمل به إلى أبي جعفر لا يقف

من يحمّله على خبره ولا حاله وإنما يقال: امض إلى موضع كذا وكذا فسلم ما معك من غير أن يشعر بشيء، ولا يُدفع إليه كتاب؛ لئلاً يُوقف على ما يحمّله منه<sup>(١)</sup>.

#### الشاهد الثاني: حمل أموال الوقف

روى الطوسي عن أبي جعفر محمد بن علي الأسود قال: كنت أحمل الأموال التي تحصل في باب الوقف إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري عليه السلام فيقبضها مني، فحملت إليه يوماً شيئاً من الأموال في آخر أيامه قبل موته بسنتين أو ثلاث سنين فأمرني بتسليمه إلى أبي القاسم الروحي عليه السلام فكنت أطلبه بالقبوض، فشكا ذلك إلى أبي جعفر عليه السلام فأمرني أن لا أطلبه بالقبوض، وقال: كل ما وصل إلى أبي القاسم فقد وصل إليّ، فكنت أحمل بعد ذلك الأموال إليه ولا أطلبه بالقبوض<sup>(٢)</sup>.

#### النشاط الثالث: الجواب عن المسائل العقائدية والفقهية وغيرها

وإليك بعض الشواهد:

#### الشاهد الأول: في العقيدة

روى الطوسي عن علي بن أحمد الدلال القمي قال: اختلف جماعة من الشيعة في أن الله (عز وجل) فوّض إلى الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا ويرزقوا؟ فقال قوم: هذا محال، لا يجوز على الله (عز وجل)؛ لأنّ الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله (عز وجل). وقال آخرون: بل الله (عز وجل) أقدر الأئمة على ذلك، وفوّض إليهم، فخلقوا ورزقوا، وتنازعوا في ذلك تنازعاً شديداً، فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان فتسألونه عن ذلك؛ ليوضح لكم الحق فيه، فإنه الطريق إلى صاحب الأمر. فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلّمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته

(١) الغيبة، ص ١٩٩.

(٢) الغيبة، ص ٢٤٩.

توقيع نسخته: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَجْسَامَ، وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا حَالًا فِي جِسْمٍ، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، فَأَمَّا الْأُئِمَّةُ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فَإِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَخْلُقُ وَيَسْأَلُوهُ فَيَرْزُقُ، إِجَابًا لِمَسْأَلَتِهِمْ، وَإِعْظَامًا لِحَقِّهِمْ»<sup>(١)</sup>.

### الشاهد الثاني: في الفقه

عن محمد بن جعفر الأسدي قال: كان فيما ورد عليّ من الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري تس في جواب مسائلي إلى صاحب الزمان (صلوات الله وسلامه عليه): «أما ما سألت عنه من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، فلئن كان كما يقول الناس - إنَّ الشمس تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان - فما أرغم أنف الشيطان شيء أفضل من الصلاة، فصلَّها وأرغم الشيطان أنفه، وأما ما سألت عنه من أمر الوقف على ناحيتنا، وما يُجعل لنا ثم يحتاج إليه صاحبه، فكُلِّ ما لم يُسَلِّم فصاحبه فيه بالخيار، وكلِّ ما سُلِّم فلا خيار لصاحبه فيه، احتاج أو لم يحتج، افتقر إليه أو استغنى عنه. وأما ما سألت عنه من أمر من يستحل ما في يده من أموالنا ويتصرّف فيه تصرفه في ماله من غير أمرنا، فمن فعل ذلك فهو ملعون، ونحن خصمائه يوم القيامة، وقد قال النبي ص: ويل المستحل من عترتي ما حرّم الله، ملعون على لساني ولسان كلّ نبي مُجَاب، فمن ظلمنا كان في جملة الظالمين لنا، وكانت لعنة الله عليه؛ لقوله (عز وجل): {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}».

وأما ما سألت عنه من أمر المولود الذي نبتت غلفته بعدما يُختن مرة أخرى، فإنه يجب أن يقطع غلفته، فإنّ الأرض تضج إلى الله تعالى من بول الأغلف أربعين صباحاً. وأما ما سألت عنه من أمر المصلي والنار والصورة والسراج بين يديه هل تجوز صلاته؟ فإنّ الناس قد اختلفوا في ذلك قبلك، فإنه جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الأصنام

(١) الغيبة، ص ١٩٩.



والنيران أن يصلي والنار والصورة والسراج بين يديه، ولا يجوز ذلك لمن كان من أولاد عبدة الأوثان والنيران.

وأما ما سألت عنه من أمر الضياع التي لناحيتنا هل يجوز القيام بعمارتها وأداء الخراج منها وصرف ما يفصل من دخلها إلى الناحية؛ احتساباً للأجر وتقرباً إليكم؟ فلا يحل لأحد أن يتصرف في مال غيره بغير إذنه، فكيف يحل ذلك في مالنا؟ من فعل شيئاً من ذلك بغير أمرنا فقد استحلت منا ما حرم الله عليه، ومن أكل من أموالنا شيئاً فإنما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً.

وأما ما سألت عنه من أمر الرجل الذي يجعل لناحيتنا ضيعة ويسلمها من قيم يقوم بها ويعمرها ويؤدي من دخلها خراجها ومؤنتها ويجعل ما بقي من الدخل لناحيتنا، فإن ذلك جائز لمن جعله صاحب الضيعة قيماً عليها، إنما لا يجوز ذلك لغيره.

وأما ما سألت عنه من الثمار من أموالنا يمرّ به المارّ فيتناول منه ويأكل هل يحل له ذلك؟ فإنه يحل له أكله ويحرم عليه حمله<sup>(١)</sup>.

النشاط الرابع: تصحيح الكتب

ومن الشواهد على ذلك:

الشاهد الأول: كتاب التكليف

روى الشيخ الطوسي عن أبي الحسين بن أحمد الحامدي البزاز قال: سمعت روح بن أبي القاسم بن روح يقول: لما عمل محمد بن علي الشلمغاني كتاب التكليف قال الشيخ - يعني أبا القاسم عليه السلام -: اطلبوه إليّ لأنظره، فجاءوا به، فقرأه من أوله إلى آخره، فقال: ما فيه

(١) كمال الدين، ص ٥٢٠؛ الغيبة، ص ١٨٠.

شيء إلا وقد رُوي عن الأئمة، إلا موضعين أو ثلاثة، فإنه كذب عليهم في روايتها (لعنه الله) (١).

### الشاهد الثاني: مسائل القميين

روى الطوسي عن جماعة عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن داود القمي قال: وجدت بخط أحمد بن إبراهيم النوبختي وإملاء أبي القاسم الحسين بن نوح عليه السلام على ظهر كتاب فيه جوابات ومسائل أنفذت من قم يسأل عنها، هل هي جوابات الفقيه عليه السلام أو جوابات محمد بن علي الشلمغاني؛ لأنه حُكي عنه أنه قال: هذه المسائل أنا أجبت عنها؟ فكتب إليهم على ظهر كتابهم: بسم الله الرحمن الرحيم قد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمنته، فجميعه جوابنا، ولا مدخل للمخذول الضالّ المضلّ المعروف بالعزاقري (لعنه الله) في حرف منه، وقد كانت أشياء خرجت إليكم على يدي أحمد بن بلال وغيره من نظرائه، وكان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا (عليهم لعنة الله وغضبه) (٢).

### النشاط الخامس: محاربة أدعياء السفارة، وأصحاب الفكر الضال والمنحرف

ومن الشواهد على ذلك:

**الشاهد الأول:** قام السفير الثالث بالتحذير من الشلمغاني، والذي كان في بداية أمره فقيهاً، فخلط وظهر منه الضلال والكفر، فخرج فيه التوقيع على يد السفير الثالث بلعنه والبراءة منه.

**الشاهد الثاني:** قام السفير الثالث بالتحذير من أحمد بن هلال الكرخي، والذي كان في بداية أمره فقيهاً ثم انحرف وتوقف في سفارة السفير الثاني، ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح النوبختي بلعنه والبراءة منه.

(١) الغيبة، ص ٢٧٧.

(٢) الغيبة، ص ٢٥١.

وسوف نبحث لاحقاً عن أدعياء السفارة وما صدر في حقهم من اللعنة.

### النقطة الخامسة: طريقان متوهمان لإثبات السفارة

ذكرنا الطرق التي يمكن من خلالها إثبات السفارة، وهي: النص، والمعجز، والخط، ولكن قد يُدعى وجود طرق أخرى لذلك، وهي:

### الطريق الأول: الاستخارة

يزعم بعض أدعياء السفارة بأنه يمكن إثبات صدق السفارة وحقانيتها من خلال الاستخارة، فمن يشك في دعوى السفارة يمكنه أن يستخير على التصديق بها واتباع مدّعيها، وسوف تكون الاستخارة جيدة، وقد استدلوا على حجية الاستخارة في إثبات ذلك بدليلين:

#### الدليل الأول: إطلاقات أدلة الاستخارة

ويمكن تقريب ذلك في مقدمتين:

المقدمة الأولى: قد وردت في هذا الشأن جملة من النصوص المطلقة التي تحث على

الاستخارة وترغب فيها، من قبيل ما عن الصادق عليه السلام:

١- «ما أبالي إذا استخرت على أي جنبي وقعت»<sup>(١)</sup>.

٢- «من دخل في أمر بغير استخارة ثم ابتلي لم يؤجر»<sup>(٢)</sup>.

(١) فتح الأبواب (لابن طاووس)، ص ١٤.

(٢) المحاسن، ص ٥٩٨.

المقدمة الثانية: مقتضى الإطلاق في هذه النصوص شمولها لمحلّ الكلام وهو تصديق دعوى السفارة واتباع مدّعيها.

والنتيجة: حجية الاستخارة لإثبات السفارة.

وبلاحظ على هذا الدليل عدّة ملاحظات:

أولاً: لو كانت الاستخارة حجةً لإثبات سفارة السفير لكانت حجةً في إثبات سائر المناصب الإلهية، كنبوة النبي، ورسالة الرسول، وإمامة الإمام، فبإمكان كل من يدعي منصباً من هذه المناصب الإلهية أن يحتج على قومه بالاستخارة، مع أنه لم يحتج أحد من الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام بالاستخارة لإثبات دعواه، بل كانت حجتهم النص أو المعجز أو العلم كما قد دلّت على ذلك بعض الأخبار.

والسفارة من هذا القبيل؛ فلا يصح الاحتجاج بها من خلال الاستخارة، ولذا لم يحتج أحد من السفراء الأربعة لإثبات سفارته بها، بل كانت الحجة ما تقدّم من النص والمعجز والخط.

وثانياً: لو أخذنا بإطلاق هذه النصوص للزم العمل بالاستخارة في جميع الموارد، مع أنّ هناك جملةً من الموارد التي لا شك في عدم جريانها فيها، ممّا يدلّ على أنه لا إطلاق في دليلها، وإنما تجري في موارد معيّنة.

ولا بأس بذكر بعض الموارد التي لا يمكن جريان الاستخارة فيها:

المورد الأول: القضايا اليقينية

وهي عبارة عن القضايا الواضحة التي لا مجال للشك والارتياب فيها، ويمكن تقسيم هذه القضايا إلى عدّة أقسام، منها:

أ- القضايا اليقينية العقلية:

حيث توجد العديد من القضايا العقلية اليقينة، من قبيل: استحالة اجتماع النقيضين، واستحالة اجتماع الضدين، وغير ذلك.

#### ب- القضايا اليقينية التاريخية:

فهناك الكثير من القضايا التاريخية الثابتة على نحو اليقين، والتي لا مجال للتشكيك فيها، من قبيل: غزوة بدر الكبرى، وغزوة أحد، وواقعة الطّف، وغيرها.

#### ج- القضايا اليقينية المستقبلية:

فإنه توجد مجموعة من القضايا المستقبلية التي لا شك ولا ريب في تحققها، من قبيل: شروق الشمس غداً، وظهور الإمام المهدي عليه السلام، ومن قبيل يوم القيامة، وغير ذلك.

#### د- القضايا اليقينية الوجدانية:

فهناك كثير من القضايا الوجدانية الواضحة لدى الإنسان، من قبيل: إدراكه لوجوده مثلاً، وشعوره بالحزن والفرح، وغير ذلك.

#### ك- القضايا اليقينية الحسية:

وهي عبارة عن الأمور التي يدركها الإنسان من خلال المدركات الحسية لديه، من قبيل: وجود النار والحرارة وغير ذلك، فهل يمكن أن نطبّق قانون الاستخارة على هذه الموارد بحجة أنّ أدلة الاستخارة مطلقة؟ وهل يصحّ أن يستخير إنسان مثلاً على التصديق باستحالة اجتماع النقيضين أو استحالة التسلسل؟ أو يستخير على وقوع واقعة الطّف؟ أو يستخير على ظهور الإمام المهدي عليه السلام؟ أو يستخير في أنه موجود أم لا؟ أو يستخير على أنّ هذا الشخص الذي أمامه زيد أم لا؟ من الواضح أنه لا يمكن تطبيق قانون الاستخارة على هذه الأمور، وعدم شمول هذه الإطلاقات لها.

### المورد الثاني: التكاليف الشرعية الإلزامية

وهي عبارة عن الأحكام الشرعية الإلزامية، والتي لا سعة ولا فسحة للمكلف في تركها اختياراً، وتنقسم إلى قسمين:

أ- الأحكام الوجوبية: وهذا من قبيل وجوب الصلاة، والصوم، والحج.

ب- الأحكام التحريمية: وهذا من قبيل حرمة الغيبة، والكذب، والزنا.

فهل يمكن لأحد أن يطبق قانون الاستخارة في هذه التكاليف الشرعية، كأن يستخير مثلاً في التصديق والإيمان بها، أو يستخير في الالتزام العملي بها بحجة أن أدلة الاستخارة مطلقة فتشملها؟ من الواضح عدم شمول أدلة الاستخارة لمثل ذلك.

### المورد الثالث: القضايا الغير مقدورة

وهي عبارة عن الأمور الخارجة عن قدرة الإنسان وطاقته، وهذه يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ- القضايا غير المقدورة عقلاً: وهذا من قبيل أن يكون الإنسان شريكاً للباري (عز وجل)، أو أن يكون مستقلاً في أفعاله عنه (سبحانه وتعالى).

ب- القضايا غير المقدورة عادةً: وهذا من قبيل حمل ألف طن من الحديد، أو شرب مائة كَر من الماء في وقت واحد.

فهل بالإمكان أن يقال بأن مقتضى إطلاقات الأدلة أنه يمكن لشخص أن يستخير على الاستقلال عن الله تعالى، أو يستخير في حمل ألف طن من الحديد؟ من الواضح عدم شمول أدلة الاستخارة لمثل هذه الأمور الخارجة عن قدرة الإنسان واختياره.

### المورد الرابع : الموارد منصوصة الطريق شرعاً

وهي عبارة عن الأمور المشكوكة والتي حدّد الشارع الأقدس طريقاً معيّناً لمعرفة حكمها وحالتها، وهذا نظير موارد جريان الأمارات والأصول الشرعية، وله أمثلة كثيرة في الشريعة، نذكر بعضاً منها للتوضيح:

#### أ- الشك في الطهارة:

حدّد الشارع المقدّس طريقاً معيّناً عند الشك في الطهارة، وهو البناء على أصالة الطهارة، فمثلاً عند الشك في أنّ هذا الماء طاهر أو نجس يمكن إجراء أصالة الطهارة، كما دلّت على ذلك معتبرة عمار عن الإمام الصادق عليه السلام: «كلّ شيء لك نظيف حتى تعلم أنه قدر»<sup>(١)</sup>.

#### ب- الشك مع وجود حالة سابقة:

حدّد الشارع المقدّس طريقاً معيّناً عند الشك في موضوع أو حكم معيّن مع وجود حالة سابقة له، وهذا الطريق هو استصحاب الحالة السابقة، فمثلاً لو حصل شك في حياة زيد فيمكن استصحاب بقاءه حياً، ولو حصل شك في بقاء وجوب الخمس في زمن الغيبة فيمكن للفقيه استصحاب بقاء الوجوب، وهذا ما تدلّ عليه معتبرة زرارة بن أعين: «... فليس ينبغي لك أن تنقض اليقين بالشك أبداً...»<sup>(٢)</sup>.

#### ج- الشك بعد الفراغ من العمل:

حدّد الشارع طريقاً معيّناً عند الشك في العمل بعد الفراغ منه، وهو البناء على قاعدة الفراغ، فلو شك المكلف في صحة صلاته بعد الفراغ منها فيمكنه البناء على صحتها

(١) التهذيب، ج١، ص٢٨٤.

(٢) علل الشرائع، ج٢، ص٣٦١.

ببركة قاعدة الفراغ، كما دلّ على ذلك معتبرة محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام: «كَلَّمَا شَكَّتَ فِيهِ مِمَّا قَدْ مَضَى فَاْمَضَهُ كَمَا هُوَ»<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة، فهل يمكن لنا تطبيق الاستخارة في هذه الموارد بحجة إطلاق أدلتها، فإذا شكّ المكلف في طهارة الماء استخار على أنه طاهر؟ وإذا شكّ في بقاء وجوب الخمس في زمن الغيبة استخار على ذلك؟ وإذا شكّ في صحة صلاته بعد الفراغ منها استخار على ذلك؟ من الواضح عدم إمكان تطبيق الاستخارة على ذلك؛ إذ لو قيل بتطبيق الاستخارة على هذه الموارد للزم لغوية جعل هذه الطرق؛ لأنه ما من مورد تجري فيه هذه الطرق إلا وتجري فيه الاستخارة بمقتضى إطلاق أدلتها.

#### المورد الخامس : القضايا العقدية

وهي عبارة عن القضايا المعرفية التي يطلب فيها التصديق وعقد القلب على الإيمان بها، وهذا من قبيل عقيدة التوحيد، والنبوة، والإمامة، والمعاد، وغيرها من التفاصيل. وهذه القضايا لا بدّ فيها من حصول العلم واليقين، وأن يكون الإيمان بها من خلال الدليل والبرهان، كما قال سبحانه وتعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} <sup>(٢)</sup>، إذ من الواضح أنه لا يمكن لأحد أن يؤمن بوجود الله تعالى من خلال الاستخارة على وجوده، أو يؤمن بنبوة النبي صلى الله عليه وآله من خلال الاستخارة، أو يؤمن بعقيدة المعاد بالاستخارة على وجود المعاد، ولذلك لا خلاف بين أحد من المسلمين في عدم إمكان التصديق بهذه القضايا من خلال الاستخارة.

(١) التهذيب، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٢) البقرة: ١١١.



وإن مسألة السفارة والإيمان بها هي من هذه القضايا المعرفية العقدية، فلا يمكن الإيمان بها والقبول بها من خلال الاستخارة.

### الدليل الثاني: النصوص الخاصة

توجد بعض النصوص التي تدلّ على مشروعية الاستخارة في المعارف العقدية، وهذا من قبيل:

١- عن علي بن معاذ، قال: قلت لصفوان بن يحيى: بأي شيء قطعت على علي -أي الرضا- عليه السلام؟ قال: صليت ودعوت الله، واستخرت وقطعت عليه<sup>(١)</sup>.

٢- عن سليمان بن هلال عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... أوسعكم كهفاً، وأكثركم علماً، وأوصلكم رحماً، اللهم فاجعل بعثه خروجاً من الغمة، واجمع به شمل الأمة، فإن خار الله لك فاعزم، ولا تنثن عنه إن وقفت له، ولا تجوزن عنه إن هديت إليه»<sup>(٢)</sup>.

والجواب عن ذلك:

أولاً: إنّ كلا هذين النصين ضعيف من الناحية السندية؛ أما النصّ الأول فلسببين: السبب الأول: أنّ الشيخ الطوسي ينقل هذا النصّ عن كتاب نصره الواقفة لعلي بن أحمد العلوي الموسوي، وهو رجل مجهول، مضافاً إلى أنه متهم في هذا النصّ؛ لكونه من الواقفية، فيحتمل اختلاقه للحديث.

السبب الثاني: أنّ علي بن معاذ -راوي هذا النصّ- مجهول.

(١) غيبة الطوسي، ص ٥٤.

(٢) غيبة النعماني، ص ٢٢٢.

وأما النص الثاني فلأن رواته مجاهيل، كعبيد الله بن موسى العلوي، وموسى بن هارون بن عيسى المعبدي، وعبد الله بن مسلمة بن قعنب، وسليمان بن هلال.

ثانياً: إنَّ النص الأول لا يمكن الأخذ به؛ لأنه لا يخلو حال صفوان وقت هذه الاستخارة من أحد حالين:

الأول: أن يكون في بداية أمره وارتباطه بالمعصومين عليهم السلام وقبل بلوغه المنزلة الخاصة، وبالتالي فلا مانع من وقوع الخطأ والاشتباه منه، ولا دليل على أن فعله كان ممضياً من قبل الإمام عليه السلام.

الثاني: أو يكون ذلك بعد بلوغه مرتبة من العلم والفقاهة ببركة ارتباطه بالمعصومين عليهم السلام، وبالتالي فمن البعيد جداً أن يكون جاهلاً بإمامة الرضا عليه السلام حتى يستخير الله تعالى على ذلك، ولذا يقول الشيخ الطوسي: "فهذا ليس فيه أكثر من التشنيع على رجل بالتقليد، وإن صحَّ ذلك فليس فيه حجة على غيره، على أن الرجل الذي ذكر ذلك عنه فوق هذه المنزلة؛ لموضعه وفضله وزهده ودينه، فكيف يستحسن أن يقول لخصمه في مسألة علمية إنه قال فيها بالاستخارة، اللهمَّ إلا أن يعتقد فيه من البله والغفلة ما يخرج عن التكليف فيسقط المعارضة لقوله"<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: إنَّ هناك عدّة معاني للاستخارة كما قد ذكر الأعلام ذلك كالمحدث البحراني مثلاً في الحدائق<sup>(٢)</sup>، منها:

(١) الغيبة للطوسي، ص ٦٢.

(٢) الحدائق الناضرة، المحدث البحراني، ج ١٠، ص ٥٢٥.

### المعنى الأول: معرفة طريق الخير

وهو عبارة عن طلب التعرّف على ما فيه الخير، وهذا هو المتداول بين عامّة الناس، ويكون هذا النوع من الاستخارة -عادةً- بعد الصلاة والدعاء أو بعد الدعاء فقط، وذلك يكون بطرق متعدّدة أشارت لها الأخبار، إلا أنّ أصحّها وأكثرها روايةً هي خيرة ذات الرقاع، ولا بأس بالإشارة لبعض هذه الطرق كما دلّت الأخبار:

#### أ- المصحف:

عن الإمام الصادق عليه السلام حينما سئل: إني أريد الشيء فأستخير الله فيه فلا يفي ولي فيه الرأي أفعله أو أدعه؟ فقال: «انظر إذا قمت إلى الصلاة، فإنّ الشيطان أبعد ما يكون من الإنسان إذا قام إلى الصلاة، أي شيء يقع في قلبك فخذ به، وافتح المصحف فانظر أول ما ترى فيه فخذ به إن شاء الله»<sup>(١)</sup>.

#### ب- السبحة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أراد أن يستخير الله فليقرأ الحمد عشر مرات، ثم يقول: اللّهُمَّ إني أستخيرك بعلمك بعاقبة الأمور، وأستشيرك لحسن ظني بك في المأمول والمحذور، اللّهُمَّ إن كان أمري هذا ممّا نيّطت بالبركة أعجازه وبواديه، وحفت بالكرامة أيامه ولياليه، فخر لي فيه بخيرة تردّ شموسه ذلولاً، ولا تقعض أيامه سروراً، يا الله فأما أمر فأنتمر، وإما نهي فأنتهي، اللّهُمَّ خر لي برحمتك خيراً في عافية. ثلاث مرات ثم يأخذ كفاً من الحصى أو سبحته»<sup>(٢)</sup>.

(١) التهذيب، ج ١، ص ٣٤٠.

(٢) فتح الأبواب، ص ٢٧٢.

## ج- الرقاع:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا أردت أمراً فخذ ست رقاع فاكتب في ثلاث منها: بسم الله الرحمن الرحيم، خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة افعله. وفي ثلاث منها: بسم الله الرحمن الرحيم، خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة لا تفعل. ثم ضعها تحت مصلاك، ثم صلّ ركعتين، فإذا فرغت فاسجد سجدةً وقل فيها مائة مرة: استخير الله برحمته خيرةً في عافية. ثم استو جالساً وقل: اللهم خري واختر لي في جميع أموري في يسر منك وعافية. ثم اضرب بيدك إلى الرقاع فشوشها وأخرج واحدة، فإن خرج ثلاث متواليات افعل فافعل الأمر الذي تريده، وإن خرج ثلاث متواليات لا تفعل فلا تفعله، وإن خرجت واحدة افعل والأخرى لا تفعل فأخرج من الرقاع إلى خمس، فانظر أكثرها فاعمل به، ودع السادسة لا تحتاج إليها»<sup>(١)</sup>.

## د- الإلهام

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا عرضت لأحدكم حاجة فليستشر الله ربه، فإن أشار عليه أتبع، وإن لم يشر عليه توقّف»، قال: فقال: يا سيدي وكيف أعلم ذلك؟ قال: «تسجد عقيب المكتوبة وتقول: اللهم خري لي. مائة مرة، ثم تتوسّل بنا، وتصلّي علينا، وتستشفع بنا، ثم تنظر ما يلهمك تفعله، وهو الذي أشار عليك به»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي، ج ٣، ص ٤٧٠.

(٢) أمالي الطوسي، ج ١، ص ٢٨١.

### ف- لسان المشاور:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أمراً فلا يشاور فيه أحداً حتى يبدأ الله (عز وجل)»، فقيل له: ما مشاورة الله (عز وجل)؟ قال: «يستخير الله فيه أولاً، ثم يشاور فيه، فإنه إذا بدأ بالله أجرى الله له الخير على لسان من شاء من الخلق»<sup>(١)</sup>.

### المعنى الثاني: العزم

وهو عبارة عن طلب العزم على ما فيه الخير، وهذا ما تدل عليه موثقة علي بن أسباط: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: جعلت فداك، ما ترى أخذ برّاً أو بجرّاً فإنّ طريقنا مخوف شديد الخطر؟ قال: «أخرج برّاً ولا عليك أن تأتي مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وتصلّي ركعتين في غير وقت فريضة، ثم تستخير الله مائة مرّة ومرّة، ثم تنظر، فإن عزم الله لك على البحر فقل الذي...»<sup>(٢)</sup>.

### المعنى الثالث: التوفيق للخير

وهو عبارة عن طلب الخير من الله (عز وجل)، بمعنى أن يسأل العبد الله تعالى في دعائه أن يجعل الخير ويوفقه في الأمر الذي يريد، كما عن الإمام الصادق عليه السلام: «صلّ ركعتين واستخر الله، فوالله ما استخار الله مسلم إلا خار الله له البتة»<sup>(٣)</sup>.

(١) معاني الأخبار، ص ١٤٤.

(٢) الكافي، ج ٣، ص ٤٧١.

(٣) الكافي، ج ٣، ص ٤٧٠.

## المعنى الرابع: تيسير الخير

وهو عبارة عن طلب تيسير ما فيه الخير، وهذا ما يستفاد من رواية مرازم عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد أحدكم شيئاً فليصل ركعتين ثم ليحمد الله وليُثْنِ عليه، وليصل على محمد وعلى أهل بيته، ويقول: اللَّهُمَّ إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ودنياي فيسره لي وقدره لي، وإن كان غير ذلك فاصرفه عني»<sup>(١)</sup>.

إذا اتضح ذلك نقول: بأنه لا دلالة في هذين النصين المذكورين على أنّ الاستخارة الواردة فيهما بالمعنى الأول وهو طلب معرفة الخير والذي يبتني عليه الاستدلال، بل لعله بالمعنى الثالث كما هو الظاهر؛ فإنّ استخارة صفوان بن يحيى -على فرض استخارته فعلاً- بمعنى أنه دعا الله سبحانه أن يوفقه ويهديه للوصول إلى معرفة الإمام عليه السلام بطريق اليقين والبرهان، وهكذا الكلام في النص الثاني، ومن الواضح خروج ذلك عن محلّ البحث؛ لأنّ الاستخارة التي لا يمكن التفوّه بحجّيتها في القضايا المعرفية هي الاستخارة بالمعنى الأول، والنصان لا دلالة فيهما على ذلك.

هذا تمام الكلام في الطريق الأول.

## الطريق الثاني: الرؤيا

يزعم بعض أدعياء السفارة بأنه يمكن إثبات السفارة وصدق مدّعيها من خلال الرؤيا، فمن أراد اتباع مدّعي السفارة فيإمكانه أن ينوي ذلك أو يقوم ببعض الأعمال

(١) الكافي، ج ٣، ص ٤٧٠.

وسوف يرى في المنام أحد المعصومين يحثه على الإيمان بهذا السفير واتباعه، وقد ادعى وجود أدلة على حجية مثل هذا:

الدليل الأول: الآيات القرآنية

وتقريبه في مقدمتين:

المقدمة الأولى: دلت مجموعة من الآيات القرآنية على أن الأنبياء كانوا يعتمدون على

الرؤى ويعملون بها، وذلك من قبيل:

الآية الأولى: قوله تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُخَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} (١).

الآية الثانية: قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا} (٢).

الآية الثالثة: قوله تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (٣).

الآية الرابعة: قوله تعالى: {فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ \* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ \* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (٤).

(١) سورة الفتح: ٢٧.

(٢) سورة الإسراء: ٦٠.

(٣) سورة يوسف: ٤.

(٤) سورة الصافات: ١٠١-١٠٥.

المقدمة الثانية: دلت الآيات على مطلوبية التأسي بالأنبياء، من قبيل:  
 الآية الأولى: قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ  
 وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (١).  
 الآية الثانية: قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} (٢).  
 والنتيجة: مطلوبية التأسي بالأنبياء في الأخذ بالرؤى والعمل بها، وهذا هو عبارة عن  
 حجيتها.

والجواب:

أولاً: إن الآيات المستدل بها على رؤيا الأنبياء على قسمين:

القسم الأول: الإخبار، وهي عبارة عن الرؤيا التي يكون الغرض منها إخبار النبي  
 بأمر غيبي مستقبلي سيتحقق، من قبيل الآية الأولى؛ حيث فيها بشارة بفتح مكة، أو الآية  
 الثانية؛ حيث فيها إخبار له بملك بني أمية من بعده، أو الآية الثالثة؛ حيث فيها بشارة  
 للنبي يوسف بالملك.

القسم الثاني: الابتلاء، وهي عبارة عن الرؤيا التي يكون الغرض منها امتحان النبي  
 ورؤية مدى تسليمه والتزامه العملي بهذه الرؤيا، وهذا من قبيل الآية الرابعة التي كانت  
 ابتلاءً للنبي إبراهيم بذبح ابنه، والتزم بتنفيذ ذلك.

إذا اتضح ذلك نقول: بأن الاستدلال بالقسم الأول من الآيات غير صحيح؛ لأنها لا  
 ترتبط بالجانب العملي للأنبياء حتى يقتدى بهم في ذلك، بل هي مجرد إخبار غيبي لهم بما  
 استقر في اللوح، وإطلاع لهم على الغيب.

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) سورة الممتحنة: ٤.



ثانياً: لا يصح الاستدلال بالقسم الثاني من الآيات أيضاً فضلاً عن القسم الأول منها؛ وذلك لأن رؤيا الأنبياء تعتبر وحياً، فلا مجال للتشكيك أو الارتياب فيها، ولذا جاء في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «رؤيا الأنبياء وحى»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا كانت رؤاهم صادقة وحجة لأنها وحى إلهي، ولأجل ذلك كانوا يرتبون عليها الأثر العملي، وهذا بخلاف رؤى عامة الناس، فليست هي وحياً كي تكون حجة ويرتب عليها أثر عملي.

ثالثاً: إن ترتيب الأثر على الرؤيا فرع كونها صادقة، وهذا أمر غير معلوم؛ لأن الرؤيا التي تقع لعامة الناس على أنواع كما قد أشارت الروايات لذلك، من قبيل ما عن النبي صلى الله عليه وآله: «الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشيطان، والذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه»<sup>(٢)</sup>.

ولأجل ذلك قسم بعض الأعلام<sup>(٣)</sup> الرؤيا إلى أربعة أقسام: النوع الأول: من الله تعالى، وهي عبارة عن الرؤيا التي تكون بلطف إلهي بالعبد، فيكون فيها بشارة أو تحذير له، وهي دائماً تكون رؤيا صادقة.

ويستفاد من بعض الروايات وجود شروط لتحقيق مثل هذه الرؤيا، منها: الشرط الأول: أن تكون الروح في حال العروج، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرجل ينام فيرى الرؤيا فربما كانت حقاً وربما كانت باطلاً؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، ما من عبد ينام إلا عرج بروحه إلى رب العالمين، فما رأى عند

(١) الأمالي (الطوسي)، ص ٣٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ١٩١.

(٣) كالشيخ المفيد على ما نقله في بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ٢٠٩.

رب العالمين فهو حق، ثم إذا أمر الله العزيز الجبار برّد روحه إلى جسده فصارت الروح بين السماء والأرض فما رآته فهو أضغاث أحلام»<sup>(١)</sup>.

الشرط الثاني: بعد ثلثي الليل، فعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، الرؤيا الصادقة والكاذبة مخرجهما من موضع واحد؟ قال: «صدقت، أما الكاذبة المختلفة فإن الرجل يراها في أول ليلة في سلطان المردة الفسقة، وإنما هي شيء يخيل إلى الرجل، وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها، وأما الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من الليل مع حلول الملائكة، وذلك قبل السحر، فهي صادقة لا تختلف إن شاء الله إلا أن يكون جنباً أو على غير ظهور أو لم يذكر الله (عز وجل) حقيقة ذكره، فإنها تختلف وتبطن على صاحبها»<sup>(٢)</sup>.

الشرط الثالث: اليوم، فقد قيل<sup>(٣)</sup> في تقييم الرؤيا صدقاً وكذباً:

الأول باطل، والثاني والثالث بالعكس، والرابع والخامس يتأخر تعبيره، وفي السادس والسابع والثامن والتاسع يكون ما رآه صحيحاً، وفي العاشر كاذباً، وفي الحادي عشر والثاني عشر حسن، وفي الثالث عشر والرابع عشر باطل، وفي الخامس عشر صدق، وفي السادس عشر والسابع عشر يؤخذ تعبيره، وفي الثامن عشر والتاسع عشر صحيح، وفي العشرين والحادي والعشرين كذب، وفي الثاني والعشرين والثالث والعشرين فرح وسرور، وفي الرابع والعشرين بالعكس، وفي الخامس والعشرين والسادس والعشرين يفتر بالعكس، وفي السابع والعشرين والثامن والعشرين صحيح، وكذا في التاسع والعشرين والثلاثين.

(١) الأمامي (الصدوق)، ص ٢٠٩.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ٩١.

(٣) فصل الخطاب، ص ٣٥.

النوع الثاني: من الشيطان، وهي عبارة عن الرؤيا التي تكون بأسباب شيطانية، حيث يتمكّن فيها الشيطان من خداع النفس الإنسانية وبثّ الوسوس والصور الوهمية فيها، وهذه رؤيا كاذبة.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ إبليس شيطاناً يقال له هزاع، يملأ المشرق والمغرب في كلّ ليلة يأتي الناس في المنام»<sup>(١)</sup>.

وعن زرارة قال أبو عبد الله عليه السلام: «أخبرني عن حمزة أيزعم أنّ أبي آتية؟»، قلت: نعم. قال: «كذب والله، ما يأتيه إلا المتكون، إنّ إبليس سلّط شيطاناً يقال له المتكون، يأتي الناس في أيّ صورة شاء، إن شاء في صورة صغيرة، وإن شاء في صورة كبيرة، ولا والله ما يستطيع أن يجيء في صورة أبي»<sup>(٢)</sup>.

النوع الثالث: من النفس، وهي عبارة عن الرؤيا التي تكون بسبب حديث النفس بشيء، أو التفكير فيه حتى يكون منطبعاً فيها، فيتخيّل لها في النوم عبر القوة التخيلية.

النوع الرابع: من الطباع، وهي عبارة عن الرؤيا التي تكون بسبب طباع الإنسان ومزاجه، فيتخيّل لصاحبه ما يلائم ذلك الطبع الغالب عليه، من مأكول ومشروب، ومرئي وملبوس، ومزعج ومبهج، فمن غلبت عليه السوداء يتخيّل أنه قد سعد في الهواء وناجته الملائكة.

إذا اتّضح ذلك نقول: بأنه لا يمكن الاعتماد على الرؤيا والتعويل عليها؛ لعدم العلم بكونها رؤيا من النوع الأول، فيحتمل أنها من أحد الأنواع الثلاثة الأخيرة، وهي رؤيا كاذبة لا قيمة لها.

(١) أمالي الصدوق، ص ٢١٠.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ج ٢، ص ٥٨٩.

إن قلت: إن رؤيا المؤمن لا تكون إلا صادقة كما في بعض الأخبار:

١- عن النبي ﷺ: «إذا تقارب الزمان لم تكدر رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً»<sup>(١)</sup>.

٢- وعنه ﷺ: «لا نبوة بعدي إلا المبشرات، قيل: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال الرؤيا الصالحة»<sup>(٢)</sup>.

٣- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «رأي المؤمن ورؤياه جزء من سبعين جزء من النبوة، ومنهم من يعطى على الثلث»<sup>(٣)</sup>.

قلت: مضافاً إلى ضعف هذه الروايات برمتها سنداً، فأقصى ما تفيده أن رؤيا المؤمن صادقة في الجملة لا بالجملة، فبعض رؤيا المؤمن صادقة، لا أن كلها صادقة، وهذا أمر مشاهد بالوجدان، فيعود السؤال بأنه ما الدليل على أن هذه الرؤيا المرئية صادقة؟!

رابعاً: لا شك ولا ريب في مطلوبية التأسي بالأنبياء عليهم السلام، إلا أن ذلك فيما يمكن فيه التأسي، ولذا يمكن القول بأن الأمور المرتبطة بالأنبياء على قسمين:

#### القسم الأول: الأمور التكوينية

وهي عبارة عن الأمور الراجعة للخصائص الذاتية والشخصية للأنبياء، وهذا من قبيل: كونهم أنبياء، وأنهم معصومون، وأنهم مؤيدون بالوحي، وأن لديهم العلم اللدني، وولاية تكوينية، وغير ذلك، ومن هذا القبيل أيضاً بعض خصائص النبي الخاتم ﷺ، مثلاً أنه يرى من خلفه كما يرى من أمامه، وأن له غمامة تظله، وأنه تنام عينه ولا ينام قلبه، وغير ذلك.

(١) أمالي الطوسي، ص ٣٨٦.

(٢) مسند أحمد، ج ٥٥، ص ٤٥٤.

(٣) البحار، ج ٥٨، ص ١٩١.

### القسم الثاني: الأمور التشريعية

وهذه يمكن تقسيمها إلى قسمين أيضاً:

#### القسم الأول: الأمور التشريعية التي هي من مختصات الأنبياء

فهذه لا يمكن فيها التأسّي؛ لأنها من مختصاتهم التشريعية، فمثلاً من مختصات النبي الخاتم ﷺ التشريعية جواز الزواج له بأكثر من أربع نساء، وجواز الزواج له بالهبة، وتخييره زوجاته بين البقاء معه واختياره أو الرغبة في التسريح واختيار مفارقتة، أو وجوب قيام الليل عليه، فلا يمكن أن يقال بمطلوبية التأسّي به في هذه الأمور.

#### القسم الثاني: الأمور التشريعية العامة

وهذا من قبيل المعارف العقدية المطلوب التدبّر بها، والأحكام الفقهية المشتركة بين عموم الناس، ومن قبيل الفضائل الأخلاقية المطلوب التحلّي بها، وغير ذلك، وهذه الأمور يمكن التأسّي بالأنبياء فيها والاقتراء بهم في كيفية تعاطيهم معها.

إذا اتضح ذلك نقول: بأنّ رؤيا الأنبياء هي من القسم الأول، يعني من الأمور التكوينية التي ترجع لخصوصياتهم الذاتية التكوينية، فإنهم لما كانوا أنبياء كانت رؤاهم وحيّاً صادقاً، بخلاف عامة الناس، ولذلك فلا معنى للتأسّي بهم في مثل ذلك.

وبكلمة أخرى: إنّ التأسّي والاقتراء خاصّ بالجانب السلوكي والعملي العامّ للأنبياء ولغيرهم، وليس بالجانب السلوكي الخاصّ بهم أو الجانب الذاتي التكويني.

#### الدليل الثاني: الروايات

وتقريب ذلك في مقدمتين:

المقدمة الأولى: دلّت بعض الأخبار على أنّ من رأى أحد المعصومين ﷺ في المنام فإنّ

رؤيته لهم رؤيا صادقة، ومنها:

عن النبي ﷺ قال: «من رآني في منامه فقد رآني؛ فإنّ الشيطان لا يتمثل بي ولا بالكعبة»<sup>(١)</sup>.

وعنه ﷺ: «من رآني في منامه فقد رآني؛ لأنّ الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة»<sup>(٢)</sup>.

المقدمة الثانية: إنّ قول المعصوم وفعله وتقريره حجة، سواءً كان في عالم اليقظة أم النوم، ويدلّ على ذلك رواية الفضل بن الحارث عن الإمام العسكري ﷺ قال: كنت بسرّ من رأى وقت خروج سيدي أبي الحسن ﷺ، فرأينا أبا محمد ماشياً قد شقّ ثيابه، فجعلت أتعجب من جلالته وما هوله أهل وشدة اللون والأدمة وأشفق عليه من التعب، فلما كان الليل رأيتُه ﷺ في منامي فقال: «اللون الذي تعجبت منه اختيار من الله لخلقه يجريه كيف يشاء، وإنها هي لعبرة لأولي الأبصار، لا يقع فيه على المختبر ذم، ولسنا كالناس فنتعب كما يتعبون، نسأل الله الثبات، ونتفكّر في خلق الله فإنّ فيه متسعاً، واعلم أنّ كلامنا في النوم مثل كلامنا في اليقظة»<sup>(٣)</sup>.

والنتيجة: أنّ من رأى أحد المعصومين في عالم النوم يأمره بتصديق مدّعي السفارة واتباعه فرؤيته حجة.

(١) المعجم الأوسط، ج ٣، ص ٢٣٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥٨٤.

(٣) اختيار معرفة الرجال، ج ٢، ص ٨٤٣.

والجواب:

أولاً: إنّ هذه الأخبار -بعد غصّ الطرف عن أسانيدھا- أخبار آحاد، لا يمكن الاعتماد عليها في إثبات قضية عقديّة ومعرفيّة، ولذلك قال السيد المرتضى: «فإن قيل: فما تأويل ما يروى عنه عليه السلام من قوله: «من رأى فقد رأى؛ فإنّ الشيطان لا يتمثل بي».

وقد علمنا أنّ المحقّ والمبطل والمؤمن والكافر قد يرون النبي صلى الله عليه وآله ويخبر كلّ واحد منهم بضدّ ما يخبر به الآخر، فكيف يكون رائيّاً له في الحقيقة مع هذا؟ قلنا: هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد ولا معول على مثل ذلك»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: على فرض صحة هذه الأخبار واستفاضتها، فيمكن أن يقال: بأنها مختصة بمن رآهم في عالم اليقظة وعرف صورهم حقيقةً، فإذا رآهم بعد ذلك في المنام بتلك الصورة التي عرفهم بها في اليقظة فرؤياه لهم صادقة.

وأما من لم يعاصرهم في عالم اليقظة، ولم يعرف صورهم الحقيقية، فهذا لا يمكنه الجزم بصدق رؤياه؛ وذلك لعدم معرفته بالصورة الحقيقية لهم حتى يجزم بأنّ من رآه هو المعصوم؛ إذ يحتمل تدخّل التخيل النفسي أو التلبيس الشيطاني في ذلك، ولذا يقول المحقّق القمي: «إيقاظ: قيل: إنّ الحكم الذي حكم به المعصوم عليه السلام في الرؤيا حجة لما ورد من أنّ من رآه فقد رآه وإنّ الشيطان لا يتمثل به. ورد: بأنه فرع أن يعرفه بصورته في اليقظة حتى يصدق عليه أنه رآه، فلا يتم الإطلاق»<sup>(٢)</sup>.

وثالثاً: على فرض صدق الرؤيا، وأنّ المرأي هو أحد المعصومين عليهم السلام، فمع ذلك لا حجية لهذه الرؤيا؛ لعدم الدليل على حجية ما يصدر عن المعصوم في عالم النوم، فإنّ الدليل الدال على حجية ذلك خاص بعالم اليقظة، ولا شمول لذلك لعالم النوم، وأما قوله: «فقد رأنا»

(١) رسائل المرتضى، ج ٢، ص ١٢.

(٢) القوانين، ص ٤٩٥.

فهذا لا يدل على حجية الرؤيا؛ لأنّ هناك فرقاً بين التنزيل المطلق والتنزيل الحيثي، فمثلاً قوله ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» هذا التنزيل حيثي وليس تنزيلاً مطلقاً؛ إذ من الواضح عدم عصمة العلماء وعدم نزول الوحي عليهم، فلا يمكن أن يكونوا كالأنبياء من جميع الحيثيات والجهات، وإنما من جهة الأخذ عنهم مثلاً وحجية فتواهم، وهكذا الكلام بالنسبة لقوله ﷺ: «فقد رأنا»؛ فهذا تنزيل من حيثية التشرف باللقيا لا بالحجية.

كما أنّ رواية الكشي المذكورة ضعيفة سنداً، على أنّ الاستدلال بها دوري؛ إذ كون قول المعصوم عليه السلام حجة في المنام متوقف على أن يكون قول الإمام العسكري عليه السلام في هذه الرؤيا حجة، وهو يتوقف على أن يكون قول المعصوم عليه السلام في المنام حجة، فتوقف الشيء على نفسه.

رابعاً: دلّت بعض الأخبار المعتبرة على عدم حجية الرؤيا في إثبات المعارف الدينية، وهذا من قبيل رواية عمر بن أذينة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ما تروي هذه الناصبة؟» فقلت: جعلت فداك، في ماذا؟ فقال: «في أذانهم وركوعهم وسجودهم». فقلت: إنهم يقولون: إنّ أبي بن كعب رآه في النوم! فقال: «كذبوا، فإن دين الله (عز وجل) أعزّ من أن يرى في النوم»<sup>(١)</sup>.

وهذا ما التزم به الأعلام، فلاحظ مثلاً:

١- الكراجكي، قال: "وقد كان شيخي رحمه الله يقول: إذا جاز من بشر أن يدعي في اليقظة أنه إله كفرعون ومن جرى مجراه مع قلة حيلة البشر وزوال اللبس في اليقظة، فما المانع أن يدعي إبليس عند النائم بوسوسته له أنه نبي مع تمكّن إبليس بما لا يتمكّن منه البشر؟ وكثرة اللبس المعترض في المنام ممّا يوضح لك أنّ من المنامات التي يتخيّل للإنسان

(١) الكافي، ج ٣، ص ٤٨٢.



أنه قد رأى فيها رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يأمرني بالافتداء به دون غيره، ويعلمني أنه خليفته من بعده، وأنّ أبا بكر وعمر وعثمان ظلموه وأعداؤه، وينهاني عن موالاتهم ويأمرني بالبراءة منهم، ونحو ذلك ممّا يختص بمذهب الشيعة.

ثم ترى الناصبي يقول: رأيت رسول الله ﷺ في النوم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وهو يأمرني بمحبتهم وينهاني عن بغضهم، ويعلمني أنهم أصحابه في الدنيا والآخرة، وأنهم معه في الجنة، ونحو ذلك ممّا يختص بمذهب الناصبة، فتعلم -لا محالة- أنّ أحد المنامين حقّ والآخر باطل، فأولى الأشياء أن يكون الحقّ منهما ما ثبت بالدليل في اليقظة على صحة ما تضمّنه، والباطل ما أوضحت الحجة عن فسادهِ وبطلانه، وليس يمكن للشيعي أن يقول للناصري: إنك كذبت في قولك إنك رأيت رسول الله ﷺ؛ لأنه يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه، وقد شاهدنا ناصبياً تشييعاً وأخبرنا في حال تشييعه بأنه يرى منامات بالضدّ ممّا كان يراه في حال نصبه، فبان بذلك أنّ أحد المنامين باطل وأنه من نتيجة حديث النفس أو من وسوسة إبليس، ونحو ذلك، وأنّ المنام الصحيح هو لطف من الله تعالى بعبده على المعنى المتقدّم وصفه.

ولعلّ الصحيح أنّ الإنسان إذا رأى النبي ﷺ في منامه فمعناه أنه كان قد رآه، وليس المراد به التحقيق في اتصال شعاع بصره بجسد النبي، وأي بصر يدرك به حال نومه، وإنما هي معان تصوّرت في نفسه تخيل له فيها أمر لطف الله تعالى له به، فقام مقام العلم، وليس هذا بمناف للخبر الذي روي من قوله: «من رآني فقد رآني»؛ لأنّ معناه فكأنما رآني، وليس بغلط في هذا المكان إلا عند من ليس له من عقله اعتبار<sup>(١)</sup>.

(١) كنز الفوائد، ص ٢١٣.

٢- المجلسي<sup>(١)</sup>، قال: "قد ورد بأسانيد صحيحة عن الصادق عليه السلام في حديث الأذان أن دين الله (تبارك وتعالى) «أعز من أن يرى في النوم»، ويمكن أن يقال: إنه لا يثبت أصل شرعية الأحكام بالنوم، بل إنما هي بالوحي الحلي، ولقد سأل السيد مهنا بن سنان العلامة الحلي: ما يقول سيدنا فيمن رأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وآله أو بعض الأئمة عليهم السلام وهو يأمره بشيء وينهاه عن شيء؟ فأجاب: أما ما يخالف الظاهر فلا ينبغي المصير إليه، وأما ما يوافق الظاهر فالأولى المتابعة من غير وجوب؛ لأن رؤيته لا يعطي وجوب الاتباع في المنام."

٣- المحقق القمي<sup>(٢)</sup>، قال: "وكيف كان فالاعتماد مشكل، سيما إذا خالف الأحكام الشرعية الواصلة إلينا، مع أن ترك الاعتماد مطلقاً حتى فيما لو لم يخالفه شيء أيضاً مشكل، سيما إذا حصل الظن بصحته، وخصوصاً لمن كان أغلب رؤياه صادقة."

٤- السيد الخوئي<sup>(٣)</sup>، "سؤال ١٣١٤: إذا رأى مؤمن في منامه النبي صلى الله عليه وآله أو أحد الأئمة عليهم السلام وهم يأمرونه بشيء فهل يكون قولهم في المنام حجة يجب امتثاله، فهم القائلون بأن من رآهم فقد رآهم حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بهم؟  
الجواب: لم يثبت الحجية بنفس الرؤيا والأمر فيها."

الدليل الثالث: السيرة التشريعية

وتقريب ذلك في مقدمتين:

المقدمة الأولى: أنه قد جرت سيرة التشريعية على الاعتماد على الرؤيا وحجيتها، وإليك

بعض الشواهد على ذلك:

(١) بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ٢٣٨.

(٢) القوانين، ص ٤٩٥.

(٣) صراط النجاة، ج ١، ص ٤٦٨.

الشاهد الأول: عن جابر الأنصاري: "دخل جندب بن جنادة اليهودي من خيبر على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني عمّا ليس لله؟ وعمّا ليس عند الله؟ وعمّا لا يعلمه الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما ما ليس لله فليس لله شريك، وأما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد، وأما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود إنه عزير ابن الله، والله لا يعلم له ولداً»، فقال جندب: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله حقاً. ثم قال: يا رسول الله إني رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران عليه السلام فقال لي: يا جندب أسلم على يد محمد واستمسك بالأوصياء من بعده، فقد أسلمت فرزقني الله ذلك...»<sup>(١)</sup>. فتدلّ هذه الرواية على أنّ أبا ذر قد دخل في الإسلام اعتماداً على رؤياه للنبي موسى بن عمران يحثّه على الإسلام.

الشاهد الثاني: عن موسى بن عقبة قال: "سمعت أمّ خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص تقول: لما كان قبيل مبعث النبي ﷺ بينا خالد بن سعيد ذات ليلة نائم قال: رأيت كأنه غشيت مكة... إذ خرج نور ثم علا في السماء فأضاء في البيت ثم أضاءت مكة كلّها ثم إلى نجد ثم إلى يثرب فأضاءها حتى إني لأنظر إلى البسر في النخل... قالت أمّ خالد: فأول من أسلم أبي وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله ﷺ فقال: «يا خالد أنا والله ذلك النور، وأنا رسول الله»، فقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد"<sup>(٢)</sup>. فتدلّ هذه الرواية على أنّ إسلام خالد كان اعتماداً على رؤياه.

الشاهد الثالث: عن الشيباني يروي قصة السيدة نرجس قالت: "فأريت في تلك الليلة كأنّ المسيح والشمعون وعدّة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدّي ونصبوا فيه منبراً يباري السماء علواً وارتفاعاً في الموضع الذي كان جدّي نصب فيه عرشه، فدخل عليهم

(١) كفاية الأثر، ص ٥٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج ١٦، ص ٦٨.

محمد ﷺ مع فتية وعدة من بنيه فيقوم إليه المسيح فيعتنقه فيقول: يا روح الله إني جئتك خاطباً من وصيك شمعون فتاته مليكة لابني هذا، وأوماً بيده إلى أبي محمد صاحب هذا الكتاب، فنظر المسيح إلى شمعون فقال له: قد أتاك الشرف، فصل رحمك برحم رسول الله ﷺ. قال: قد فعلت. وخطب محمد ﷺ وزوجني وشهد المسيح ﷺ وشهد بنوا محمد ﷺ والحواريون، فلما استيقظت أشفقت أن أقص هذه الرؤيا على أبي وجدي مخافة القتل... فرأيت أيضاً بعد أربع ليال كأن سيدة النساء قد زارتني ومعها مريم بنت عمران وألف وصيفة من وصائف الجنان، فتقول لي مريم: هذه سيدة النساء أم زوجك أبي محمد ﷺ فأتعلق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمد من زيارتي، فقالت لي سيدة النساء ﷺ: إن ابني أبا محمد لا يزورك وأنت مشركة بالله وعلى مذهب النصارى، وهذه أختي مريم تبرأ إلى الله تعالى من دينك، فإن ملت إلى رضا الله (عز وجل) ورضا المسيح ومريم عنك وزيارة أبي محمد إياك فتقولني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن أبي محمداً رسول الله، فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتني سيدة النساء إلى صدرها فتطيبت لي نفسي، وقالت: الآن توقعي زيارة أبي محمد إياك فإني منفضه إليك، فانتبهت وأنا أقول: وا شوقاه إلى لقاء أبي محمد. فلما كانت الليلة القابلة جاءني أبو محمد ﷺ في منامي فرأيته كأني أقول له: جفوتني يا حبيبي بعد أن شغلت قلبي بجوامع حبك؟ قال: ما كان تأخيري عنك إلا لشركك، وإذا أسلمت فإني زائر في كل ليلة إلى أن يجمع الله شملنا...<sup>(١)</sup>.

فكان إسلام السيدة نرجس وزواجها من الإمام العسكري ﷺ ببركة هذه الرؤى التي شاهدتها في المنام.

المقدمة الثانية: إن سيرة المتشركة حجة بأحد وجهين:

الوجه الأول: أن يقال بأنها مأخوذة من الشارع مباشرة يداً بيد.

(١) كمال الدين، ص ٤٢٢.

الوجه الثاني: أنّ الشارع سكت عنها، وهذا تقرير منه وإمضاء لها.

والجواب:

أولاً: جميع هذه الشواهد ضعيفة سنداً، فلا تصلح لإثبات ذلك.

وثانياً: على فرض صحتها سنداً، فمع ذلك لا دليل على الحجية، وما ذكر من الوجهين

لتقريب الحجية غير تام.

أما الوجه الأول؛ فلأنه إما أن يكون المقصود بالشارع المأخوذ عنه هو الشريعة المسيحية أو اليهودية التي كان عليها أصحاب هذه الرؤى، فمن الواضح بأنه لا قيمة لتلك الشرائع بعد نسخها. أو يكون المقصود الشريعة الإسلامية، ومن الواضح أيضاً بأن أصحاب هذه الرؤى لم يعتمدوا في هذه الحجية على الشريعة الإسلامية؛ وذلك لعدم إيمانهم بها بعد.

أما الوجه الثاني؛ فلأن أدلة النهي عن اتباع الظن، وما دل على أن دين الله عزوجل أعز من أن يُرى في المنام تصلح للردع.

وثالثاً: إنّ الشاهدين الأولين المذكورين لا دلالة فيهما على أنّ الإسلام كان بسبب نفس الرؤيا، وإنما الرؤيا كانت مجرد بشارة ومنبّه، وأما الإسلام فكان بالقناعة الشخصية، ولذلك دلت بعض الأخبار على أنّ إسلام أبي ذر كان بسبب المعجز والنص الذي وجدته في التوراة.

أما مدخلية المعجز، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ أبا ذر كان في بطن مريعي غنماً له، إذ جاء ذئب عن يمين غنمه فهش أبو ذر بعصاه عليه، فجاء الذئب عن يسار غنمه فهش أبو ذر بعصاه عليه، ثم قال له: واللّه ما رأيت ذئباً أخبث منك ولا شراً، فقال الذئب: شر واللّه مني أهل مكة بعث الله إليهم نبياً فكذبوه وشتموه. فوقع كلام الذئب في أذن أبي ذر فقال لأخته: هلّمي مزودي وإداوتي وعصاي، ثم خرج يركض حتى دخل مكة، فإذا هو

بحلقة مجتمعين، فجلس إليهم فإذا هم يشتمون النبي ﷺ ويسبّونه كما قال الذئب، فقال أبو ذر: هذا والله ما أخبرني به الذئب»<sup>(١)</sup>.

وأما مدخلية النص، فجاء في تنمة رواية جابر المتقدمة: "قال جندب: يا رسول الله قد وجدنا ذكرهم في التوراة وقد بشرنا موسى بن عمران بك وبالأوصياء بعدك من ذريتك".

وأما الشاهد الثاني، فقد جاء في رواية موسى بن عقبة: "فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجباد فقال: يا محمد إلى ما تدعو؟ قال: «أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، وخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضّر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لم يعبد». قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله".

#### النقطة السادسة: صفات السفراء

هناك مجموعة من الصفات بعضها ضرورية للسفراء، والبعض الآخر بحسب الظروف المحيطة بالسفارة، ويمكن الوقوف على جملة منها من خلال القراءة في حياة السفراء، ولا بأس بالإشارة إلى بعضها:

الصفة الأولى: الوثاقة، لا بدّ أن يكون السفير على مستوى رفيع وقدر عالٍ من الوثاقة والصدق حتى يكون محلاً لهذا المقام السامي، وإلا فلو لم يكن كذلك لكان نصبه في هذا المنصب خلاف الغاية الباعثة لجعله، ونقضاً للغرض من نصبه، وموجباً لإضلال الناس وغوايتهم؛ فإنه سوف يستعمل الكذب والدجل والخداع على الناس، وهذا تضليل قبيح، ولأجل ذلك نستفيد من جملة من الشواهد أن السفراء كانوا في أعلى درجات الوثاقة، منها:

(١) الأمالي (الصدوق)، ص ٥٦٧.

الشاهد الأول: عن أحمد بن إسحاق بن سعد القمي قال: دخلت علي أبي الحسن علي بن محمد (صلوات الله عليه) في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهيأ لي الوصول إليك، إذا شهدت في كل وقت فقول من نقبل وأمر من نمثل؟ فقال لي (صلوات الله عليه): «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه». فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه، فقال لي: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه»<sup>(١)</sup>.

الشاهد الثاني: عن هبة الله بن محمد بن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري عن شيوخه قالوا: لم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد ومحمد بن عثمان إلى أن توفي أبو عمرو عثمان بن سعيد وغسله ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان وتولى القيام به، وجعل الأمر كله مردوداً إليه والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد، لا يختلف في عدالته ولا يرتاب بأمانته، والتوقيعات تخرج على يده إلى الضيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان، لا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره، ولا يرجع إلى أحد سواه، وقد نقلت عنه دلائل كثيرة، ومعجزات الإمام ظهرت على يده، وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرةً، وهي مشهورة عند الشيعة<sup>(٢)</sup>.

الصفة الثانية: الأمانة، ينبغي أن يكون السفير متصفاً بصفة الأمانة، والفرق بين الوثاقة والأمانة هو أن الوثاقة تكون عادةً في اللسان، أي في نقل الأخبار، وأما الأمانة

(١) الغيبة (الطوسي)، ص ٣٥٤.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٤٤.

فهي تكون في حفظ الغير ما يستودع ويستأمن عليه من قول أو فعل، فلذلك لا بد وأن يكون السفير محلاً للأمانة؛ لأنه مستودع من قبل الإمام عليه السلام ومن قبل الشيعة، فهو الوسيط في إيصال ما يؤتمن عليه من أموال ومسائل وغيرها، فلا بد وأن يكون مأموناً، وهذا ما نستفيده من جملة من الشواهد، منها ما سبق ذكره في الخاصية الأولى فلاحظ.

**الصفة الثالثة: التقية الكتمانية، لا بد أن يكون السفير متميزاً بصفة كتمان السر،** وأن تكون لديه تقية كتمانية، وهي قسم من أقسام التقية التي سيجيء البحث عنها لاحقاً، ومن الواضح وجه الحاجة إلى هذه الخاصية؛ فإنه لما كان أمر الإمام المهدي عليه السلام أمراً غيبياً موسوماً بالسرية استدعى ذلك أن يكون حملته أوعية مستعدة لكتمان الأسرار مهما كلف الثمن وقست الظروف، وإلا فلو لم يتحلَّ السفير بهذه السمة لباح بأسرار الإمام عليه السلام ودلَّى الخصوم بمكانه لأية نازلة تحيط به وببلية من الأعداء تنزل بساحته، وهذا ما تؤكده شواهد وفيرة، منها:

**الشاهد الأول:** عن ابن نوح قال: سمعت جماعة من أصحابنا بمصر يذكرون أنّ أبا سهل النوبختي سئل فقليل له: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة لعلي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله وقرّض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه<sup>(١)</sup>.

**الشاهد الثاني:** عن أبي الحسن بن كبريا النوبختي قال: بلغ الشيخ أبا القاسم عليه السلام أنّ بواباً كان له على الباب الأول قد لعن معاوية وشتمه، فأمر بطرده وصرفه عن خدمته، فبقي

(١) الغيبة، ص ٣٦٣.



مدة طويلة يسأل في أمره فلا والله ما رده إلى خدمته، وأخذه بعض الأهلة فشغله معه، كل ذلك للتقية<sup>(١)</sup>.

الشاهد الثالث: قال الشيخ الطوسي في حق السفير الأول: ويقال له السمان لأنه كان يتجر في السمن تغطيةً على الأمر، وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى أبي محمد عليه السلام تقيةً وخوفاً<sup>(٢)</sup>.

الصفة الرابعة: التقية المداراتية، ومن جملة الخصائص التي قد يحتاج لها السفير بحسب الظروف المحيطة به هي التقية المداراتية، بمعنى أن يراعي ويداري الخصوم؛ فإن ذلك مدعاةً لإخفاء هويته كسفير، وإبعاد التهمة عن نفسه، ومن الشواهد لهذا:

الشاهد الأول: قال الشيخ الطوسي: كان أبو القاسم عليه السلام من أعقل الناس عند المخالف والموافق، ويستعمل التقية، فروى أبو نصر هبة الله ابن محمد قال: حدثني أبو عبد الله بن غالب وأبو الحسن بن أبي الطيب قالا: ما رأيت من هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح؛ لعهدي به يوماً في دار ابن يسار وكان له محل عند السيد والمقتدر عظيم، وكانت العامة أيضاً تعظمه، وكان أبو القاسم يحضر تقيةً وخوفاً<sup>(٣)</sup>.

هذه أهم الصفات التي وقفنا عليها، وهذا لا يمنع من وجود صفات أخرى مهمة لهم، من قبيل: الورع، والخلق الرفيع، والعبادة، وغير ذلك؛ فإن مما لا شك فيه ولا ريب بأن من يؤهل لمثل هذا المقام لا بد وأن يكون في أعلى الدرجات والمراتب في هذه الصفات، إلا

(١) الغيبة، ص ٣٨٦.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٥٤.

(٣) الغيبة، ص ٣٨٤.

أن ما ذكرناه هو ماله ربط بجهة السفارة، ولذلك كان هو الذي عليه التركيز في المنقول من حياتهم.

### النقطة السابعة: أدعياء السفارة

لقد ظهر في زمن الغيبة الصغرى وكذلك زمن الغيبة الكبرى مجموعة من الدجالين والكذابين الذين ادّعوا البايّة والسفارة عن الإمام المهدي عليه السلام، ولكن بحسب ما ذكره الشيخ الطوسي لم يدّع أحد ذلك في أيام السفير الأول، وإنما بدأت هذه الظاهرة في أيام السفير الثاني فما بعده، وإليك بعض أدعياء السفارة:

١- الحسن الشريعي، يقول الشيخ الطوسي: "وهو أول من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه ولم يكن أهلاً له، وكذب على الله وعلى حججه، ونسب إليهم ما لا يليق بهم مما هم منه براء، فلعنّته الشيعة وتبرّأت منه، وخرج توقيع الإمام بلعنه والبراءة منه"<sup>(١)</sup>.

٢- محمد بن نصر النميري، وهو ثاني من ادّعى السفارة كذباً، يقول الشيخ الطوسي: "كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد، ولما توفي أبو محمد ادّعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان، وادّعى البايّة، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له وتبرّيه منه واحتجابه عنه"<sup>(٢)</sup>.

٣- أحمد بن هلال الكرخي العبرتائي، وهو ثالث من ادّعى السفارة كذباً كما ذكر الشيخ الطوسي، وكان في بداية أمره جاحداً لسفارة السفير الثاني، يقول أبو علي بن همام: "كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد، فاجتمعت الشيعة على وكالة أبي جعفر محمد بن عثمان عليه السلام بنص الحسن في حياته، ولما مضى الحسن قالت الشيعة الجماعة له: ألا

(١) نفس المصدر، ص ٢٦٧.

(٢) الغيبة، ص ٢٦٧.

تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه وقد نص عليه الإمام المفترض الطاعة، فقال لهم: لم أسمعه ينص عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه - يعني عثمان بن سعيد - فأما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه، فقالوا: قد سمعه غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرؤا منه. ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح رضي الله عنه بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن <sup>(١)</sup>.

٤- محمد بن علي بن بلال، وهو رابع من ادعى السفارة كذباً، يقول الشيخ الطوسي: "وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري نصر الله وجهه، وتمسكه بالأموال التي كانت عنده للإمام وامتناعه من تسليمها، وادّعاؤه أنه الوكيل حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج من صاحب الزمان عليه السلام ما هو معروف. وحكى أبو غالب الزراري قال: حدثني أبو الحسن محمد بن محمد بن يحيى المعاذي قال: كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبي طاهر بن بلال بعد ما وقعت الفرقة، ثم إنه رجع عن ذلك وصار في جملتنا، فسألناه عن السبب، قال: كنت عند أبي طاهر يوماً وعند أخوه أبو الطيب وابن خزر وجماعة من أصحابه، إذ دخل الغلام فقال: أبو جعفر العمري على الباب. ففزعت الجماعة لذلك وأنكرته للحال التي كانت جرت وقال: يدخل، فدخل أبو جعفر عليه السلام فقام له أبو طاهر والجماعة وجلس في صدر المجلس وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه فأمهلهم إلى أن سكتوا ثم قال: يا أبا طاهر نشدتك الله أو نشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان عليه السلام بحمل ما عندك من المال إلي؟ فقال: اللهم نعم فنهض أبو جعفر عليه السلام منصرفاً، ووقعت على القوم سكتة، فلما تجلّت عنهم قال له أخوه أبو الطيب: من أين رأيت صاحب الزمان؟ فقال أبو طاهر: أدخلني أبو جعفر عليه السلام إلى بعض دوره فأشرف علي من علو داره فأمرني بحمل ما عندي من المال إليه. فقال له أبو الطيب: ومن أين علمت أنه

(١) نفس المصدر، ص ٢٦٨.

صاحب الزمان؟ قال: وقع علي من الهيبة له، ودخلني من الرعب منه ما علمت أنه صاحب الزمان، فكان هذا سبب انقطاعي عنه<sup>(١)</sup>.

٥- الحسين بن منصور الحلاج، وهو خامس من ادعى السفارة كذباً، وكما يقول أبو نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال: "لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له أن أبا سهل ابن إسماعيل بن علي النوبختي رحمته الله ممن تجوز عليه مخرقته، وتم عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه، وظن أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الأمر بفرط جهله، وقدر أن يستجره إليه فيتمخرق ويتصوف بانقياده على غيره، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهجة على الضعفة، لقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحله من العلم والأدب أيضاً عندهم، ويقول له في مراسلته إياه: إني وكيل صاحب الزمان، وبهذا أولاً كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره، وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك، لتقوى نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر. فأرسل إليه أبو سهل رحمته الله يقول لك: إني أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أني رجل أحب الجواري وأصبو إليهن ولي منهن عدة أتخطاهن والشيب يبعثني عنهن وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك وإلا انكشف أمرني عندهن، فصار القرب بعداً والوصال هجراً، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء فإنني طوع يديك وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع مالي في ذلك من البصيرة، ولك من المعونة. فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً ولم يرسل إليه

(١) الغيبة، ص ٢٦٩.

رسولاً وصيّره أبو سهل عليه السلام أحدىثة وضحكة ويطنز به عند كل أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه.

وأخبرني جماعة عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه: أن ابن الحلاج صار إلى قم وكاتب قرابة أبي الحسن (والد الصدوق) يستدعيه ويستدعي أبا الحسن أيضاً ويقول: أنا رسول الإمام ووكيله، قال: فلما وقعت المكاتبه في يد أبي خرقها، وقال لموصلها إليه: ما أفرغك للجهالات؟ فقال له الرجل وأظن أنه قال: إنه ابن عمته أو ابن عمه فإن الرجل قد استدعانا فلم خرق مكاتبته، وضحكوا منه وهزؤا به، ثم نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه قال: فلما دخل إلى الدار التي كان فيها دكانه نهض له من كان هناك جالساً غير رجل رآه جالساً في الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه أبي، فلما جلس وأخرج حسابه ودواته كما تكون التجار أقبل على بعض من كان حاضراً فسأله عنه، فأخبره فسمعه الرجل يسأل عنه، فأقبل عليه وقال له: تسأل عني وأنا حاضر، فقال له أبي: أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك فقال له: تخرق رقعتي وأنا أشاهدك تخرقها، فقال له أبي: فأنت الرجل إذاً. ثم قال: يا غلام برجله وبقفاه، فخرج من الدار العدو لله ولرسوله، ثم قال له: أتدعي المعجزات؟ عليك لعنة الله، أو كما قال: فاخرج بقفاه. فما رأيناها بعدها بقم<sup>(١)</sup>.

٦- محمد بن علي الشلمغاني، وهو المعروف بابن العزاقري، وينسب إلى شلمغان من نواحي واسط في العراق، وكان في بداية أمره من العلماء، وله مؤلفات مشهورة بين الشيعة ككتاب التكليف، إلا أنه انحرف بعد ذلك وصدرت فيه اللعنة عن الناحية المقدسة بواسطة السفير الثالث، ومما جاء في ذلك: «عرّف -أطال الله بقاءك وعرفك الخير كلّه وختم به عملك- من تثق بدينه وتسكن إلى نيته من إخواننا -أدام الله سعادتهم- بأن

(١) الغيبة، ص ٢٧٠.

محمد بن علي المعروف بالشلمغاني - عجل الله له النعمة ولا أمهله - قد ارتد عن الإسلام وفارقه وألحد في دين الله، وادّعى ما كفر معه بالخالق جلّ وتعالى، وافترى كذباً وزوراً، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً، وإنا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله وآله (صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم) منه، ولعناؤه عليه لعائن الله تترى في الظاهر متّاً والباطن، والسرّ والعلن، وفي كلّ وقت وعلى كلّ حال، وعلى من شايعه وبايعه وبلغه هذا القول متّاً فأقام على توليه بعده. واعلمهم - تولاك الله - أننا في التوقي والمحاذرة منه على مثل ما كتنا عليه ممّن تقدّمه من نظرائه الشريعي والنميري والهلالي والبلالي وغيرهم، وعادة الله (جل ثناؤه) مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة، وبه نشق، وإياه نستعين، وهو حسبنا في كلّ أمورنا ونعم الوكيل»<sup>(١)</sup>.

٧- أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان البغدادي، وهو حفيد السفير الأول، وابن أخ السفير الثاني، ويقال بأنّ أبا دُلف الكاتب ادّعى له البايية فأنكر ذلك ثم مال إليها، ولذا نُقل عن ابن بابويه قوله: "وقد كتنا وجّهنا إلى أبي بكر البغدادي لما ادّعى له هذا - يعني أبا دُلف الكاتب - ما ادّعاه، فأنكر ذلك، وحلّف عليه، فقبلنا ذلك منه، فلما دخل بغداد مال إليه وعدل من الطائفة، وأوصى إليه، لم نشك أنه على مذهبه، فلعناؤه وبرئنا منه؛ لأنّ عندنا أنّ كلّ من ادّعى الأمر بعد السُمري فهو كافر منمّس ضال مضل، وبالله التوفيق"<sup>(٢)</sup>.

٨- أبو دُلف المجنون، هو محمد بن المظفر الكاتب الأزدي، وهو آخر من ادّعى السفارة كذباً - كما ذكره الشيخ الطوسي - وقال فيه ابن قولويه: "وأما أبو دُلف الكاتب - لا حاطه الله - فكنا نعرفه ملحداً، ثم أظهر الغلو، ثم جنّ وسُلسِل، ثم صار من المفوّضة، وما عرفنا

(١) الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٧٤.

(٢) الغيبة، ص ٤٣٣.

قَطَّ إذا حضر في مجلس إلا استُخِفَّ به، ولا عرفته الشيعة إلا مدّة يسيرة، والجماعة تتبرأ منه وممن يومي إليه ويتنمس به<sup>(١)</sup>.

وقد كان من الخمسة، وهم طائفة من الغلاة تعتقد بأن الخمسة - وهم سلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، وعمرو بن أمية الضمري - هم الموكلون بمصالح العالم من قبل الرب. وقيل: الخمسة فرقة من الغلاة تقول بالوهية أصحاب الكساء الخمسة عليهم السلام وأنهم نور واحد، والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لأحدهم على الآخر.

٩- الباقراني، ذكر الطبري الإمامي عليه السلام بسنده عن أحمد الدينوري السراج قال: "انصرفت من أردبيل إلى الدينور أريد أن أحج، وذلك بعد مضي أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام بسنة أو سنتين، وكان الناس في حيرة، فاستبشر أهل دينور بموافاتي، واجتمع الشيعة عندي، فقالوا: قد اجتمع عندنا ستة عشر ألف دينار من مال الموالي، ونحتاج أن نحملها معك وتسلمها بحيث يجب تسليمها، قال: فقلت: يا قوم، هذه حيرة، ولا نعرف الباب في هذا الوقت.

قال: فقالوا: إنما اخترناك لحمل هذا المال؛ لما نعرف من ثقتك وكرمك، فاعمل على أن لا تخرجه من يدك إلا بحجة. قال: فحمل إلي ذلك المال في صرر باسم رجلٍ رجل، فحملت ذلك المال وخرجت، فلما وافيت قرميسين - وكان أحمد بن الحسن مقيماً بها - فصرت إليه مسلماً، فلما لقيني استبشرتني، ثم أعطاني ألف دينار في كيس، ونُحوت ثياب من ألوان معتمة لم أعرف ما فيها، ثم قال لي أحمد: احمل هذا معك، ولا تُخرجه عن يدك إلا بحجة. قال: فقبضت منه المال والنُحوت بما فيها من الثياب، فلما وردت بغداد لم يكن لي همّة غير البحث عمّن أشير إليه بالنيابة، فقيل لي: إن هاهنا رجلاً يُعرف بالباقراني يدعي

(١) المصدر نفسه.

بالنيابة، وآخر يُعرف بإسحاق الأحمر يدعي بالنيابة، وآخر يُعرف بأبي جعفر العمري يدعي بالنيابة.

قال: فبدأت بالباقطاني، فصرت إليه، فوجدته شيخاً بهياً، له مروءة ظاهرة وفرس عربي، وغللمان كثير، ويجتمع عنده الناس يتناظرون. قال: فدخلت إليه، وسلّمت عليه، فرحّب، وقرب، وبرّ، وسرّ. قال: فأطلت القعود إلى أن خرج أكثر الناس، قال: فسألني عن حاجتي، فعرفته أني رجل من أهل الدينور، ومعني شيء من المال، أحتاج أن أسلمه. قال: فقال لي: أحمله. قال: فقلت: أريد حجة. قال: تعود إليّ في غد. قال: فعدت إليه من الغد، فلم يأت بحجة، وعدت إليه في اليوم الثالث فلم يأت بحجة.

قال: فصرت إلى إسحاق الأحمر، فوجدته شاباً نظيفاً، منزله أكبر من منزل الباقطاني، وفرسه ولباسه ومروءته أسرى، وغلمانه أكثر من غلمانه، ويجتمع عنده من الناس أكثر ممّا يجتمعون عند الباقطاني. قال: فدخلت وسلّمت، فرحّب وقرب، قال: فصبرت إلى أن خفّ الناس، قال: فسألني عن حاجتي، فقلت له كما قلت للباقطاني، وعدت إليه بعد ثلاثة أيام، فلم يأت بحجة.

قال: فصرت إلى أبي جعفر العمري، فوجدته شيخاً متواضعاً، عليه مبطنة بيضاء، قاعد على لبد في بيت صغير، ليس له غلمان، ولا له من المروءة والفرس ما وجدت لغيره. قال: فسلمت، فردّ جوابي، وأدناني، ووسط مني ثم سألني عن حالي، فعرفته أني وافيت من الجبل، وحملت مالاً. قال: فقال: إن أحببت أن تصل هذا الشيء إلى من يجب أن يصل إليه يجب أن تخرج إلى سرّ من رأى، وتسأل عن دار ابن الرضا، وعن فلان بن فلان الوكيل - كانت دار ابن الرضا عامرة بأهلها - فإنك تجد هناك ما تريد.

قال: فخرجت من عنده، ومضيت نحو سرّ من رأى، وصرت إلى دار ابن الرضا وسألت عن الوكيل، فذكر البوّاب أنه مشغول في الدار، وأنه يخرج آنفاً، فقعدت على الباب أنتظر



خروجه، فخرج بعد ساعة، فقامت وسلمت عليه، وأخذ بيدي إلى بيت كان له، وسألني عن حالي، وعمّا وردت له، فعرفته أني حملت شيئاً من المال من ناحية الجبل، وأحتاج أن أسلمه بحجة. قال: فقال: نعم. ثم قدّم إليّ طعاماً، وقال لي: تغدّ بهذا واسترح، فإنك تعب، وإنّ بيننا وبين الصلاة الأولى ساعة، فإني أحمل إليك ما تريد. قال: فأكلت ونمت، فلما كان وقت الصلاة نهضت وصلّيت، وذهبت إلى المشرعة، فاغتسلت وانصرفت إلى بيت الرجل، ومكثت إلى أن مضى من الليل ربه، فجاءني ومعه درج فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، وإني أحمد بن محمد الدينوري، وحمل ستة عشر ألف دينار، وفي كذا وكذا صرة، فيها صرة فلان بن فلان كذا وكذا ديناراً، وصرة فلان بن فلان كذا وكذا ديناراً - إلى أن عدّ الصرر كلّها - وصرة فلان بن فلان الذراع ستة عشر ديناراً». قال: فوسوس لي الشيطان أنّ سيدي أعلم بهذا مني، فما زلت أقرأ ذكر صرة صرة وذكر صاحبها، حتى أتيت عليها عند آخرها، ثم ذكر: «قد حمل من قرميسين من عند أحمد بن الحسن المادرائي - أخ الصواف - كيساً فيه ألف دينار وكذا وكذا تحتاً ثياباً، منها ثوب فلاني، وثوب لونه كذا» حتى نسب الثياب إلى آخرها بأنسابها وألوانها.

قال: فحمدت الله وشكرته على ما منّ به عليّ من إزالة الشكّ عن قلبي، وأمر بتسليم جميع ما حملته إلى حيث ما يأمرني أبو جعفر العمري، قال: فانصرفت إلى بغداد وصرت إلى أبي جعفر العمري. قال: وكان خروجي وانصرافي في ثلاثة أيام. قال: فلما بصرتني أبو جعفر العمري قال لي: لمّ لمّ تخرج؟ فقلت: يا سيدي، من سرّ من رأى انصرفت. قال: فأنا أحدث أبا جعفر بهذا إذ وردت رقعة على أبي جعفر العمري من مولانا (صلوات الله عليه) ومعها درج مثل الدرج الذي كان معي، فيه ذكر المال والثياب، وأمر أن يُسلم جميع ذلك إلى أبي جعفر محمد بن أحمد بن جعفر القطان القمي، فلبس أبو جعفر العمري ثيابه، وقال

لي: احمِل ما معك إلى منزل محمد بن أحمد بن جعفر القطان القمي. قال: فحملت المال والثياب إلى منزل محمد بن أحمد بن جعفر القطان، وسلّمتها، وخرجت إلى الحج. فلما انصرفت إلى الدينور اجتمع عندي الناس، فأخرجت الدرج الذي أخرجه وكيل مولانا (صلوات الله عليه) إلي، وقرأته على القوم، فلما سمع ذكر الصرة باسم الذراع سقط مغشياً عليه، فما زلنا نعلله حتى أفاق، فلما أفاق سجد شكراً لله (عزّ وجل)، وقال: الحمد لله الذي منّ علينا بالهداية، الآن علمت أنّ الأرض لا تخلو من حجة، هذه الصرة دفعها -والله- إلي هذا الزرع، ولم يقف على ذلك إلا الله (عز وجل)، قال: فخرجت ولقيت بعد ذلك بدهر أبا الحسن المادرائي، وعرفته الخبر، وقرأت عليه الدرج.

قال: يا سبحان الله! ما شككت في شيء، فلا تشكّن في أنّ الله (عزّ وجل) لا يُخلي أرضه من حجة. اعلم أنه لما غزا أذكوتكين يزيد بن عبد الله بسهرورد وظفر ببلاده واحتوى على خزانته، صار إلي رجل وذكر أنّ يزيد بن عبد الله جعل الفرس الفلاني والسيف الفلاني في باب مولانا عليه السلام. قال: فجعلت أنقل خزائن يزيد بن عبد الله إلى أذكوتكين أولاً فأولاً، وكنت أدافع بالفرس والسيف، إلى أن لم يبق شيء غيرهما، وكنت أرجو أن أخلص ذلك لمولانا عليه السلام، فلما اشتدّ مطالبة أذكوتكين إياي ولم يمكنني مدافعتي، جعلت في السيف والفرس في نفسي ألف دينار ووزنتها ودفعتها إلى الخازن، وقلت له: ادفع هذه الدنانير في أوثق مكان، ولا تخرجن إليّ في حال من الأحوال ولو اشتدّت الحاجة إليها. وسلّمت الفرس والنصل.

قال: فأنا قاعد في مجلسي بالري أبرم الأمور، وأوفي القصص، وأمر وأنهى، إذ دخل أبو الحسن الأسدي - وكان يتعاهدني الوقت بعد الوقت - وكنت أقضي حوائجه، فلما طال جلوسه وعلي بؤس كثير، قلت له: ما حاجتك؟ قال: أحتاج منك إلى خلوة. فأمرت الخازن أن يهيئ لنا مكاناً من الخزانة، فدخلنا الخزانة، فأخرج إلي رقعة صغيرة من مولانا عليه السلام،

فيها: «يا أحمد بن الحسن، الألف دينار التي لنا عندك، ثمن النصل والفرس، سلّمها إلى أبي الحسن الأسدي». قال: فخررت لله (عز وجل) ساجداً شاكراً لما منّ به عليّ، وعرفت أنه خليفة الله حقاً؛ لأنه لم يقف على هذا أحد غيري، فأضفت إلى ذلك المال ثلاثة آلاف دينار أخرى سروراً بما منّ الله عليّ بهذا الأمر<sup>(١)</sup>.

١٠- إسحاق الأحمر، ويتّضح ذلك ممّا تقدّم في الباقراني، حيث ورد بأنه من جملة من ادّعى البابية، ولا يزال البابية وأدعياء السفارة يظهرون بين الفينة والأخرى ثم تنكشف أباطيلهم وأكاذيبهم، كعلي محمد الشيرازي، وأحمد بن الحسن (القاطع) البصري.. وغيرهما.

#### النقطة الثامنة: انقطاع السفارة

لا إشكال بأنّ السفارة قد انتهت بوفاة السفير الرابع وانقضاء الغيبة الصغرى سنة ٣٢٩، وبدأت حينها الغيبة الكبرى، وكلّ من يدّعي السفارة الخاصة بعد السفير الرابع فهو كذاب، وممّا يدل على ذلك:

#### الدليل الأول: تسالم الأصحاب

١- الشيخ المفيد، قال: "وله قبل قيامه غيبتان إحداهما أطول من الأخرى كما جاءت بذلك الأخبار، فأما القصرى منهما فمنذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعة وعدم السفراء بالوفاء، وأما الطولى فهي بعد الأولى وفي آخرها يقوم بالسيف"<sup>(٢)</sup>.

٢- قطب الدين الراوندي، قال: "وكان بعد ذلك تحمل الأموال إلى بغداد إلى النواب المنصوبين بها، وتخرج من عندهم التوقيعات، وكانت توجد العلامات والدلالات على

(١) دلائل الإمامة، ص ٥١٩.

(٢) الإرشاد، ج ٢، ص ٣٤٠.

أيديهم، أولهم وكيل أبي محمد عليه السلام الشيخ عثمان بن سعيد العمري، ثم ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان، ثم أبو القاسم الحسين بن روح، ثم الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري، ثم كانت الغيبة الطولى<sup>(١)</sup>.

٣- العلامة، قال: "محمد بن عثمان بن سعيد العمري -فتح العين- الأسيدي، يكنى أبا جعفر، وأبوه يكنى أبا عمرو، جميعاً وكيلان في خدمة صاحب الزمان، ولهما منزلة جليلة عند هذه الطائفة، وكان محمد قد حفر لنفسه قبراً وسوّاه بالساج، فسئل عن ذلك فقال: للناس أسباب، ثم سئل بعد ذلك فقال: قد أمرت أن أجمع أمري، فمات بعد شهرين من ذلك في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة، وقيل سنة أربع وثلاثمائة، وكان يتولى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة، وقال عند موته: أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى إليه، وأوصى أبو القاسم ابن روح إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري، فلما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه، والغيبة الثانية هي التي وقعت بعد مضي السمري"<sup>(٢)</sup>.

٤- الشهيد الثاني، قال: "إلى أن انتهى الأمر إلى صاحب الزمان الأمر صلوات الله وسلامه عليه وعجل الله فرجه، واقتضت المصلحة الإلهية والحكمة الخفية اختفاءه، فنصب نائباً بعد نائب للتوسط بينه وبين الرعايا في تبليغ الحكم، ثم انقراضوا بانقراض آخرهم وهو علي بن محمد السمري، فانقطعت الوسطة وتعذر الوصول إليه"<sup>(٣)</sup>.

٥- التقي المجلسي، قال: "نوابه الأربعة وهم أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري، وهو أول من نصبه أبو محمد الحسن العسكري، ثم علي ابنه محمد بن عثمان أبو جعفر، مع نص

(١) الخرائج والجرائح، ج٣، ص١٠٨.

(٢) خلاصة الأقوال، ص٢٥٠.

(٣) رسائل الشهيد الثاني، ج٢، ص٧٧٩.

أبيه عليه، فلما حضره الوفاة واشتدّ حاله حضر عنده جماعة من وجوه الشيعة منهم أبو علي بن همام وأبو عبد الله بن محمد الكاتب وأبو عبد الله الباقر وأبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي وأبو عبد الله بن أبي خيار وغيرهم من وجوه الأكابر فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي القائم مقامي والسفير بيني وبين صاحب الأمر عليه السلام والوكيل والثقة الأمين، فارجعوا في أموركم إليه وعولوا عليه في مهماتكم، فبذلك أمرت وقد بلغت، ثم أوصى أبو القاسم بن روح إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري، فلما حضرته الوفاة سئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه، وهو الغيبة الكبرى<sup>(١)</sup>.

٦- العلامة المجلسي، قال: "سموا ابتداء الغيبة الكبرى سنة تناثر النجوم؛ لفوت كثير من أكابر العلماء فيها، كالكليني وعلي بن بابويه والسمري آخر السفراء وغيرهم رضي الله عنهم"<sup>(٢)</sup>.

#### الدليل الثاني: إخبار السفير الرابع

من جملة ما يدلّ على انقطاع السفارة الخبر المشهور لدى الأصحاب والوارد عن الناحية المقدّسة عبر السفير الرابع.

روى الصدوق عن أحمد بن الحسن المكتب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري عليه السلام فحضرتة قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد

(١) روضة المتقين، ج٤، ص٢٧٥.

(٢) بحار الأنوار، ج٥٨، ص٢٣٣.

فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله (تعالى ذكره)؛ وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(١)</sup>.

### النقطة التاسعة: إشكالات السفارة

الإشكال الأول: لا يمكن إثبات سفارة هؤلاء السفراء بالنصوص؛ لأنها -مضافاً للمناقشة في أسانيدها- أخبار آحاد لا يمكن من خلالها إثبات السفارة؛ إذ لا بد من قيام نص قطعي من قرآن أو تواتر لإثباتها كما هو الحال بالنسبة للإمامة.

#### والجواب:

أولاً: لا نسلم بأن هذه أخبار ضعيفة أو أنها أخبار آحاد، بل فيها الأخبار المعتبرة سنداً، وقد نقلنا بعضاً منها، كما أنها أخبار مستفيضة موثوق بصحتها كما لا يخفى على من تتبّع هذه النصوص.

وثانياً: على فرض التسليم بأنها أخبار آحاد، إلا أنّ القرائن قامت على ثبوتها، وهذا كافٍ في حجيتها والاعتماد عليها، ولا بأس بذكر جملة من هذه القرائن الموجبة للجزم بها:

١- تسالم الأصحاب على القبول بمضمونها والإيمان بقضية السفارة لهؤلاء الأربعة كما سبق بيان ذلك.

(١) الغيبة، ص ٢٦٥.

٢- اقتران هذه النصوص بطرق أخرى على مصداقية هذه السفارة من قبيل المعجز والخط كما بيّنا.

٣- سيرة المدّعين لهذه السفارة قبل دعوى السفارة وبعدها من الوثيقة والصلاح والإيمان وعدم اختلاف حالهم قبل وبعد السفارة.

٤- عدم وجود ما يكذب هذه الدعوى من عقل أو نقل أو تاريخ.

وغير ذلك من القرائن التي بضمّ بعضها إلى بعض يحصل الجزم بمفاد هذه النصوص.

الإشكال الثاني: إنّ بعض النصوص المستدلّ بها على سفارة هؤلاء السفراء قد وردت عن طريقهم، مع أنه لا يمكن إثبات سفارة السفير بروايته ذلك في حق نفسه كما هو الحال بالنسبة لتوثيق الراوي؛ إذ لا يمكن إثبات وثاقته بروايته توثيق المعصوم له؛ لأنّ ذلك لا يكون إلا بشكل دائر، حيث إنّ ثبوت وثاقته تتوقف على حجية روايته، وحجية روايته تتوقف على ثبوت وثاقته، فتوقف ثبوت وثاقته على ثبوت وثاقته، ولذلك لا يمكن القول بوثاقة عمر بن حنظلة بما رواه نفسه قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني أظنّ أنّ لي عندك منزلة، قال: أجل...»<sup>(١)</sup>. ولا يمكن البناء على وثاقة البطائني بما رواه نفسه قال: شكوت إلى أبي الحسن عليه السلام وحدثته بالحديث عن أبيه وجده فقال: «يا علي هكذا قال أبي وجدي عليه السلام» قال: فبكيت ثم قال: «أو قد سألت الله لك وأسأله لك في العلانية أن يغفر لك»<sup>(٢)</sup>.

والجواب:

أولاً: هذا الإشكال فيه مغالطة؛ للخلط فيه بين الوثيقة والسفارة، إذ لا بدّ من التفريق بين الوثيقة والسفارة، ففي الوثيقة تصح المناقشة المذكورة بأنه لا يمكن توثيق الراوي

(١) بصائر الدرجات، ص ٢٣.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ص ٧٠٦.

بروايته توثيق المعصوم له؛ لأنّ قبول الرواية عنه فرع وثاقته، ووثاقته إنما تثبت بعد قبول روايته، وقبول روايته إنما يثبت بعد وثاقته، فصارت المسألة دورية. وأما بالنسبة للسفارة فإنّ قبول رواية السفير بنصّ المعصوم عليه وإن كانت فرع ثبوت وثاقته، إلا أنّ وثاقته لم تثبت بهذا النص لتكون المسألة دورية، وإنما ثبتت بطريق آخر، فبعد الفراغ عن وثاقته إما بتنصيب المعصوم عليه السلام على ذلك بطريق لا يرجع للسفير نفسه كما ثبت ذلك في حقّ السفراء الأربعة جميعاً وبالأخصّ العمريين، وإما بتنصيب السفير السابق على وثاقة اللاحق مثلاً، أو بتصريح علماء الرجال على وثاقته، فبعد ثبوت وثاقته يمكن الأخذ بروايته في تنصيب الإمام عليه السلام بسفارته؛ وذلك لاختلاف طريق تحصيل الوثاقة عن طريق إثبات السفارة.

وثانياً: هناك طرق أخرى لإثبات سفارة كلّ واحد من هؤلاء السفراء لا تمرّ به نفسه، كما ذكرنا بعضها عند ذكر الطريق الأول، وهذا كافٍ لتحصيل الوثوق من خلال ضمّ النصوص بعضها إلى بعض.

وثالثاً: لو فرضنا أنه لم تثبت لدينا وثاقة السفير ولا سفارته إلا من خلال روايته ذلك عن الإمام عليه السلام، فمع ذلك لا مانع من قبول روايته إذا قامت قرائن على صحتها، من قبيل: صدور المعاجز منه، وتطابق الخط الذي في التوقيعات التي تخرج على يديه مع الخط السابق للإمام عليه السلام المعروف بين الشيعة.

الإشكال الثالث: لا يمكن إثبات سفارة هؤلاء السفراء بالطريق الثاني وهو الإعجاز؛ وذلك لأنه ثبت عجزهم في جملة من الموارد عن الإتيان بالإعجاز المطلوب منهم، مع أنّ من لديه طريق الإعجاز لا بدّ وأن تكون لديه القدرة على ذلك في كلّ الأوقات وفي شتى



المجالات ليثبت للناس صدقه، وإليك بعض الشواهد على عدم قدرة السفراء على الإتيان بالمعجز:

الشاهد الأول: القاسم بن العلاء قال: "ولد لي عدة بنين، فكنت أكتب وأسأل الدعاء فلا يكتب إلي لهم بشيء، فماتوا كلهم، فلما ولد لي الحسن ابني كتبت أسأل الدعاء فأجبت: يبقى، والحمد لله"<sup>(١)</sup>.

الشاهد الثاني: الصدوق عن أبي جعفر محمد بن علي الأسود قال: سألتني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه بعد موت محمد بن عثمان العمري عليه السلام أن أسأل أبا القاسم الروحي أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو الله (عز وجل) له أن يرزقه ولداً ذكراً، قال: فسألته فأنهى ذلك ثم أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين وأنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به وبعده أولاد، قال أبو جعفر محمد بن علي الأسود: وسألته في أمر نفسي أن يدعو الله لي أن يرزقني ولداً ذكراً فلم يجبني إليه وقال: ليس إلى هذا سبيل، قال فولد لعلي ابن الحسين محمد بن علي وبعده أولاد ولم يولد لي شيء"<sup>(٢)</sup>.

#### والجواب:

أولاً: بالنقض، فإنّ بعض الأنبياء قد امتنعوا في بعض الموارد عن الإتيان بالمعجز المطلوب منهم لحكمة ومصلحة ما، وقد سبق وأن ذكرنا ذلك في بحث الولاية التكوينية مع بيان بعض الوجوه لذلك. فهل يمكن إنكار النبوة لعدم إتيانهم بالمعجز في بعض الموارد لحكمة معينة؟!

(١) الكافي، ج ١، ص ٥١٩.

(٢) كمال الدين، ص ٥٠٣.

وثانياً: إنّ المهم هو إقامة الحجة، فمتى أقيمت الحجة وثبتت الدعوى على الطرف المقابل لم تكن هناك حاجة ملزمة للإتيان بالمعجز والإجابة إلى كلّ ما يقترحه الناس.

وثالثاً: إنّ هذين الشاهين المذكورين لا يخلوان من نوع إعجاز؛ حيث تمّ فيهما الاستجابة في جزء مما هو مطلوب، كما أنّ فيهما الإخبار بالغيب في الجزء الآخر من الأمر المطلوب، وأنه لن يتحقّق، ولو خفيت الحكمة في وجه ذلك كما خفيت على موسى في وجه ما فعله الخضر، وهذا في حدّ نفسه نوع إعجاز وشاهد على المصادقية؛ فإنّ تحقّق جزء المطلوب والإخبار بعدم تحقّق الجزء الآخر مع عدم تحقّقه بالفعل هو إعجاز.

الإشكال الرابع: أنه لا يمكن إثبات السفارة من خلال هذه المعاجز المذكورة؛ وذلك لإمكان تحقّقها حتى من قبل السحرة والمشعوذين، فقد ثبتت بعض الخوارق والإخبار بالمغيبات لبعض الدجالين والكذابين.

والجواب: لاشكّ بأنّ الخوارق للعادة قد تصدر من الصادق ومن الكاذب، ومن النبي ومن الساحر، ومن السفير ومن المشعوذ، إلا أنّ هناك بعض الأمور يمكن من خلالها التمييز ومعرفة الحقّ من الباطل والإعجاز من السحر، وذلك لأنّ الإعجاز إنما يكون بتأييد إلهي لإثبات صدق المدّعي لمنصب من المناصب الإلهية كالنبوة والإمامة والسفارة، فلو كان المدّعي لها كاذباً فلا يمكن أن يؤيّده الله تعالى؛ لأنّ ذلك موجب للإغراء وإضلال الناس، والإضلال من قبل الحكيم قبيح تجلّ عنه الساحة المقدّسة، فلذلك لا بدّ أنّ الله تعالى يؤيّد أوليائه ويفضح أعداءه الكذابين والدجالين.

وفي هذا الشأن يقول السيد الخوئي: "إنما يكون الإعجاز دليلاً على صدق المدّعي لأنّ المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعية، فلا يمكن أن يقع من أحد إلا بعناية من الله تعالى وإقدار منه، فلو كان مدّعي النبوة كاذباً في دعواه كان إقداره على المعجز من قبل الله تعالى

إغراءً بالجهل وإشادةً بالباطل، وذلك محال على الحكيم تعالى، فإذا ظهرت المعجزة على يده كانت دالةً على صدقه وكاشفةً عن رضا الحق سبحانه بنبوته، وهذه قاعدة مطردة يجري عليها العقلاء...<sup>(١)</sup>.

وهناك أمور يُعلم من خلالها مصداقية المدعي من كذبه، منها:

الأمر الأول: عدم التعلّم

من الأمور الفارقة والمميّزة بين الحق والباطل والإعجاز من السحر أنّ الإعجاز ليس رهنًا للتعلّم، بخلاف السحر.

الأمر الثاني: القهر والغلبة

من الأمور التي تميّز الصادق من الكاذب والمحقّ من المبطل والسفير من المشعوذ هو عنصر الغلبة، فالمدعي لمنصب إلهي لا يمكن للآخرين التغلّب عليه.

وهذا نظير ما تحقّق مع النبي موسى ﷺ والسحرة؛ حيث أتى بالعصا التي أبطل بها سحرهم حتى انقلبوا صاغرين وبان للناس عجزهم وبطلان سحرهم وحقانية النبي موسى ﷺ وصدق دعوته.

وهكذا يقال في السفارة أيضاً؛ فمدعي السفارة بحق لا يمكن للآخرين غلبته، وأما مدّعيها بباطل فمغلوب لا محالة.

وقد روى الشيخ الطوسي عن أبي علي بن همام قال: "أنفذ محمد بن علي الشلمغاني العزاقرى إلى الشيخ الحسين بن روح يسأله أن يباهله وقال: أنا صاحب الرجل وقد أمرت بإظهار العلم وقد أظهرته باطناً وظاهراً فباهلني، فأنفذ إليه الشيخ عليه السلام في جواب ذلك:

(١) البيان في تفسير القرآن، ص ٣٥.

أينا تقدم صاحبه فهو المخصوم، فتقدم العزاقرى فقتل وصلب وأخذ معه ابن أبي عون، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة<sup>(١)</sup>.

### الأمر الثالث: المنهج الفكري والعملي

من الأمور الهامة للتمييز بين الحق والباطل وبين النبي من الساحر والسفير من المشعوذ هو ملاحظة المنهج الفكري والعملي لهذا الشخص المدّعي، فإذا كان المنهج فيه ما يتنافى مع العقل والفطرة الإنسانية فهذا معناه وجود كذب في الدعوى؛ لأنّ الدعوى الإلهية الحقّة شريفة ونزيهة عمّا يتصادم مع العقل والفطرة، وقد عرف أدياء السفارة بالانحراف العقدي والعملي، وهذا لا ينسجم مع مصداقية دعواهم السفارة، ولذا يقول التلعكبري في حقّ الشريعي: "ظهر منه القول بالكفر والإلحاد"<sup>(٢)</sup>.

ويقول سعد بن عبد الله في حقّ النميري: "كان محمد بن نصير النميري يدّعي أنه رسول نبي، وأنّ علي بن محمد عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ، ويغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم..."<sup>(٣)</sup>.

ويقول الطوسي في حقّ الشلمغاني: "وله حكايات قبيحة وأمور فظيعة نزه كتابنا عن ذكرها"<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيبة، ص ٣٠٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٦٧.

(٣) الغيبة، ص ٢٦٨.

(٤) الغيبة، ص ٢٧٤.

## الأمر الرابع: المطابقة بين الدعوى والعمل

إنّ من الأمور الهامة لإثبات حقانية المدّعي أن يكون هناك تطابق بين ما يدّعيه وبين ما يأتي به، أما لو ادّعى شيئاً فوق خلافه فهذا يعني كذبه ودجله، وهذا نظير ما وقع من قبل مسيلمة الكذاب؛ حيث كان ما يأتي به مخالفاً لما يدّعيه، فقد ادّعى أنه إذا تفل في بئر قليل الماء كثر ماؤه، فتفل فغار جميع الماء، كما أنه أمرّ يده على رؤوس صبيان بني حنيفة وحنكهم فأصاب القرع كلّ صبي مسح على رأسه، ولشغ كلّ صبي حنكه كما قيل<sup>(١)</sup>.

## الأمر الخامس: المعجز المحقّق للحجية

من الأمور الهامة في إثبات حقانية المدّعي هو تحقّق المعجز منه بدرجة يثبت من خلالها صدق ما يدّعيه، وأما إذا أصاب تارةً وأخطأ أخرى فهذا مانع من التصديق به، فلا بدّ من إصابته دائماً في ما يأتيه به من الإعجاز.

والسحرة والمشعوذون وإن كانوا يصيبون أحياناً إلا أنهم يخطئون في كثير من الأمور، وهذا كشف عن عدم مصداقيتهم، ولذلك ينقل بأنّ الحلاج كان يتعاطى الشعبة، ولكنه كان يعجز عن إثبات ما يُطلب منه، وقد قال ابن النديم: "قرأت بخط أبي الحسن عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر: أنه كان رجلاً محتالاً مشعبذاً، يتعاطى مذاهب الصوفية، يتحلى ألفاظهم، ويدّعي كلّ علم، وكان صفرًا من ذلك، وكان يعرف شيئاً من صناعة الكيمياء... ويقال إنه دعا أبا سهل النوبختي فقال أبو سهل لرسوله: أنا رأس مذهب وخلفي ألوف من الناس يتبعونه باتباعي له، فلينبت لي في مقدم رأسي شعراً فإنّ الشعر منه قد ذهب، ما أريد منه غير هذا، فلم يعد إليه الرسول، وحرّك يوماً يده فانتثر على قوم مسك، وحرّك مرّة أخرى يده فنثر دراهم، فقال له بعض من يفهم ممّن حضر: أرى دراهم معروفة ولكني

(١) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٠٧.

أؤمن بك وخلق معي، إن أعطيتني درهماً عليه اسمك واسم أبيك فقال: وكيف وهذا لم يصنع؟ قال من أحضر ما ليس بحاضر صنع ما ليس بمصنوع<sup>(١)</sup>.

إذا اتضح ذلك نقول: بأن هذه الأمور توقرت في السفراء الأربعة، ولذلك قبلت سفارتهم، ولم تتوقف في أدعاء السفارة ولذلك كذبت ادعاءاتهم.

الإشكال الخامس: لا يمكن إثبات السفارة لهؤلاء من خلال الخط، فإن الخط لا دلالة فيه على شيء؛ إذ من الممكن أن يزور أحد خط الإمام عليه السلام، ولا يوجد ما يدل على امتناع ذلك من عقل أو نقل، فكيف يمكن الاستناد إلى الخط لإثبات السفارة؟

والجواب:

أولاً: أن هذا الإشكال يرد على كثير من المكاتبات والتوقيعات التي صدرت عن المعصومين عليهم السلام؛ حيث يحتمل تزوير الراوي لهذه المكاتبة، مع أن الأصحاب قد قبلوا بهذه المكاتبات لقيام القرائن عليها، فلاحظ مثلاً:

١- عن علي بن مهزيار قال: كتب رجل من بني هاشم إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام: إني كنت نذرت نذراً منذ سنين أن أخرج إلى ساحل من سواحل البحر إلى ناحيتنا مما يربط فيه المتطوعة نحو مرابطتهم بجدة وغيرها من سواحل البحر، أفترى جعلت فداك أنه يلزمني الوفاء به أو لا يلزمني أو أفندي الخروج إلى ذلك بشيء من أبواب البر لأصير إليه إن شاء الله؟ فكتب إليه بخطه وقرأته: «إن كان سمع منك نذرك أحد من المخالفين فالوفاء به إن كنت تخاف الشنعة، وإلا فاصرف ما نويت من ذلك في أبواب البر، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى»<sup>(٢)</sup>.

(١) الفهرست، ص ٢٤١.

(٢) تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١٢٦.

٢- عن عمرو بن سعيد الساباطي أنه كتب إلى أبي جعفر عليه السلام يسأله عن رجل أوصى إليه رجل أن يحج عنه ثلاثة رجال فيحل له أن يأخذ لنفسه حجة منها؟ فوقع بخطه وقرأته: «حج عنه إن شاء الله فإن لك مثل أجره ولا ينقص من أجره شيء إن شاء الله تعالى»<sup>(١)</sup>.  
وثانياً: لا شك بأنّ التزوير أمر ممكن بالإمكان الذاتي، فإنّ التزوير ليس قضية مستحيلة ممتنعة، إلا أنها قضية غير ممكنة بالإمكان الوقوعي بعد ملاحظة بعض الأمور، منها:

- ١- معروفة خط الإمام عليه السلام لدى الشيعة.
  - ٢- تطابق الخط الذي جاء به هؤلاء السفراء ولمدة سبعين سنة مع خط الإمام العسكري عليه السلام الذي كان معروفاً بين الشيعة.
  - ٣- عدم توفر الوسائل والأدوات التي تتيح وتيسر عملية التزوير في تلك الحقبة الزمنية وطوال هذه الفترة.
  - ٤- عدم انكشاف زيف هذا التزوير طوال سبعين سنة، لو فرض صحة ذلك.
  - ٥- وجود جماعة كبيرة من العلماء والمحققين الأثبات من الشيعة على مدى سبعين سنة وهم مصدقون بهؤلاء السفراء وآخذون بهذه التوقيعات.
- فبملاحظة مجموع القرائن وضم بعضها إلى بعض يكون احتمال التزوير بحساب الاحتمالات ضعيفاً جداً، وغير ممكن الوقوع خارجاً.
- الإشكال السادس: لم تحظى سفارة هؤلاء السفراء بمقبولية من جميع الشيعة، فقد أنكر سفارتهم واعترض عليها جماعة كبيرة من الشيعة، وقد كان جملة من المنكرين من

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٤٤٣.

العلماء، وقد ذكر الشيخ الطوسي جماعة من المنكرين والمشككين في ذلك، ومنهم مثلاً أحمد بن هلال الكرخي.

قال أبو علي بن همام: "كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد عليه السلام فاجتمعت الشيعة على وكالة أبي جعفر محمد بن عثمان بنص الحسن عليه السلام في حياته، ولما مضى الحسن عليه السلام قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه وقد نص عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمع ينص عليه بالوكالة وليس الله أنكر أباه - يعني عثمان بن سعيد - فأما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه. فقالوا: قد سمعه غيرك. فقال: أنتم وما سمعتم. ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرؤوا منه، ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم بن روح رضي الله عنه بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن <sup>(١)</sup>.

والجواب:

أولاً: إن قضية التشكيك والإنكار لا تختص بقضية السفارة، بل حتى مسألة الإمامة؛ فهناك من شكك في إمامة بعض الأئمة عليهم السلام، كما أن هناك من أنكر ذلك، مع أن جملة من هؤلاء ممن كانوا يعدّون من عليّة الأصحاب.

وقد سبق أن ذكرنا ذلك في الفصل الثاني في مبحث الإمامة، ويكفيك في ذلك البطائني وجماعته الذين جحدوا إمامة الإمام الرضا عليه السلام بعدما كانوا من عليّة الأصحاب ووكلاء الإمام الكاظم عليه السلام، فهل مجرد تشكيك البعض أو إنكاره يوجب تكذيب قضية الإمامة أو السفارة؟ وهل أن تشكيك البعض في ولادة الإمام المهدي عليه السلام مثلاً يوجب إنكار الولادة؟

(١) الغيبة، ص ٢٦٨.



وثانياً: إنّ مجرد تشكيك أو إنكار بعض الشخصيات التي كانت محسوبةً من كبار الرواة لقضية السفارة أو لسفارة بعض هؤلاء السفراء لا يعني بطلان السفارة وكذبها، بل إن هناك بعض الدوافع أدت إلى اذلك، ومنها:

١- الحسد، قال النجاشي في العزاقري: "حملة الحسد لأبي القاسم بن روح على ترك المذهب والدخول في المذاهب الرديّة"<sup>(١)</sup>.

٢- حبّ الشهرة والظهور، ذكر الطوسي عن الشلمغاني قوله: "ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح في هذا الأمر إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف"<sup>(٢)</sup>.

٣- الرغبة في المال، قال الطوسي في محمد بن علي بن بلال: "وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري (نصر الله وجهه)، وتمسّكه بالأموال التي كانت عنده للإمام وامتناعه من تسليمها، وادّعاؤه أنه الوكيل، حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان عليه السلام ما هو معروف"<sup>(٣)</sup>.

٤- الشبهة، وهذا قد يدعى في أحمد بن هلال كما يظهر من كلامه.

وثالثاً: لا بدّ من دراسة حياة هؤلاء المشكّكين والمنكرين دراسة جادة ليتّضح من خلال ذلك أنهم قد انحرفوا عن طريق الحق والهدى، وأنّ إنكارهم لقضية السفارة قد جرّهم إلى انحرافات عقديّة وأخلاقية أخرى ممّا يعبر عن منهجية فاسدة اتخذوها في حياتهم، وتغيّر كلي في مسيرتهم، وهذا نظير بلعم بن باعورا الذي كان لديه الاسم الأعظم، فصار مثله بعد ذلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فليس بعزيز

(١) رجال النجاشي، ص ٣٧٨، رقم ١٠٢٩.

(٢) الغيبة، ص ٢٦٤.

(٣) الغيبة، ص ٢٦٩.

والحال هذه أن تنحرف بعض الجماعة عن الحق بعدما كانت على الحق كأحمد بن هلال  
والشلمغاني، والتاريخ مليء بمثلهم، وما عشت أراك الدهر عجباً.

ورابعاً: إنَّ الأصحاب تسالموا على قبول سفارة هؤلاء السفراء مع قيام الأدلة والشواهد  
عليها، فمجرد إنكار البعض أو تشكيك البعض الآخر لا يوجب تكذيب السفارة.

## الجهة السادسة: الذرية في زمن الغيبة

هل يوجد للإمام المهدي عليه السلام ذرية في زمن الغيبة أم لا؟ وهل تكفلت النصوص بإثبات ذلك أو نفيه؟

ولتحقيق هذه المسألة لابد من البحث في عدة نقاط:

النقطة الأولى: ما الفائدة والثمرة المترتبة على هذا البحث؟

والجواب: يمكن أن يقال بوجود عدة ثمرات في ذلك:

الأولى: الثمرة العلمية

لا إشكال في وجود الثمرة والفائدة العلمية والمعرفية في البحث في ذلك، فإن العلم بالشيء خير من الجهل به، خصوصاً وأنّ البحث في هذا الفصل متعلق بالغيبة المهدوية وشؤونها وما يرتبط بها، والبحث في وجود ذرية للإمام عليه السلام في زمن الغيبة وعدم ذلك مما يرتبط بالغيبة المهدوية وكيفية حياة الإمام عليه السلام ومعيشتة في زمن الغيبة، فهل يعيش وحيداً من دون أهل وذرية؟ أم أنّ له عائلة ويعيش معها؟

الثانية: الثمرة العملية

من الممكن أن تكون هناك ثمرة عملية أيضاً في هذا البحث، وذلك فيما لو ظهر شخص أو جماعة وادّعوا أنهم من ذرية الإمام المهدي عليه السلام، وادّعوا جرّاء ذلك لأنفسهم بعض المقامات والمناصب كلزوم مبايعتهم ولزوم طاعتهم أو دفع الحقوق الشرعية لهم أو غير ذلك، وهذا ما تحقّق في الخارج فعلاً كما هو الحاصل اليوم، حيث ظهر شخص يدّعي بنوّته للإمام المهدي عليه السلام ويزعم أنه من ذريته عليه السلام، وقام باختلاق شجرة ينسب فيها

نفسه للإمام عليه السلام، وادّعى أنه أحمد بن إسماعيل بن صالح بن حسن بن سلمان بن الإمام المهدي عليه السلام، فيكون الحفيد الخامس للإمام، إذن فلا بدّ من طاعته واتباعه ومبايعته.

### الثالثة: الثمرة الجزائية

لا إشكال ولا ريب بأنّ البحث في القضية المهدوية وما يرتبط بها من المسائل أمر مطلوب ومرغوب فيه، ويترتب عليه الأجر والمثوبة.

### النقطة الثانية: البحث في النصوص

توجد بعض النصوص التي قد يستدل بها على أنّ للإمام المهدي عليه السلام ذرية، كما أنه توجد نصوص أخرى قد يستفاد منها عدم ذلك، وسوف نبحت في كلا القسمين مع بيان المناقشات الواردة على ذلك إلى حين الوصول إلى نتيجة:

### أولاً: النصوص الدالة على وجود الذرية

النص الأول: عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، ويقول بعضهم: قتل، ويقول بعضهم: ذهب، حتى لا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير، لا يطلع على موضعه أحد من ولده، ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره»<sup>(١)</sup>.

فيستفاد من ذلك أنّ للإمام ذرية، وإلا فلو لم تكن له ذرية لم يكن هناك معنى لذكر ولده والإشارة إلى عدم اطلاعهم على مكانه في غيبته.

ويلاحظ عليه:

(١) الغيبة (للطوسي)، ص ١٦١.

أولاً: هذه الرواية رواها الطوسي تارة عن عبد الله بن المستنير، وأخرى عن إبراهيم بن المستنير، وهما مجهولان لا توثيق لهما في كتب الرجال.

وثانياً: لو فرض صحة السند، فإنه لم يُحرز وجود كلمة ولده في الرواية؛ وذلك لوجود نقل آخر لنفس الرواية مع خلوهما من كلمة ولده وهو: «لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره»<sup>(١)</sup>.

وثالثاً: على فرض وجود هذه الكلمة، فمع ذلك يقال بأن من المحتمل أن يكون ذكر كلمة الولد في الرواية من باب المبالغة في شدة الغيبة المهدوية بحمد لا يطلع على مكانه حتى أولاده، وهذا يصح حتى مع فرض عدم وجود الأولاد له، فإن السالبة بانتفاء الموضوع صادقة ولو انتفى موضوعها، نظير ما يقال بأن والد عيسى بن مريم لم يأكل ولم يشرب.

النص الثاني: عن داود بن كثير الرقي قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن صاحب هذا الأمر؟ قال: «هو الطريد الوحيد الغائب عن أهله، الموتور بأبيه عليه السلام»<sup>(٢)</sup>. ومحل الشاهد قوله: (الغائب عن أهله)، فيستفاد من ذلك أن له عليه السلام ذرية؛ إما لأن الأهل خاصة بمعنى الذرية، أو عامة بحيث تشمل الذرية، فيثبت المطلوب على كل تقدير.

ويلاحظ عليه:

أن كلمة الأهل في الرواية مجملة؛ لأنها تستعمل في مطلق الأقارب والأرحام، ولكن قد يراد منها خصوص الزوجة تارة، وقد يراد منها الزوجة والأولاد أخرى، وقد يراد منها الوالدين والأخوة، وقد يراد منها بني العمومة، كما قد تطلق على العشيرة عموماً، فلا صراحة فيها على وجود الذرية، فلعل المقصود بالغائب عن أهله يعني عشيرته.

(١) الغيبة (للنعماني)، ص ١٧٦.

(٢) كمال الدين، ص ٣٦١.

النص الثالث: عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام: «والقائم يومئذ بمكة قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيراً به فينادي: يا أيها الناس إنا نستنصر الله فمن أجابنا من الناس فإننا أهل بيت نبيكم محمد صلى الله عليه وآله... وأسألکم بحق الله وبحق رسوله وبحقّي فإن لي عليكم حقّ القربى من رسول الله إلا أعنتمونا ومنعتمونا ممّن يظلمنا فقد أخفنا وظلمنا وطرّدنا من ديارنا وأبنائنا وبغي علينا ودفعنا عن حقنا وافترى أهل الباطل علينا، فالله الله فينا لا تخذلونا وانصرونا ينصرکم الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ عليه:

أولاً: من المحتمل أنّ الإمام يتكلم بلسان أهل البيت عليهم السلام عموماً لا بلسانه خاصة، ويشهد لذلك عدّة أمور:

- ١- قوله: «طرّدنا من ديارنا وأبنائنا» ولم يقل: (طرّدت من ديارى وأبنائى).
  - ٢- قوله: «إنا نستنصر الله فمن أجابنا من الناس فإننا أهل بيت نبيكم محمد صلى الله عليه وآله ونحن أولى الناس بالله وبمحمد صلى الله عليه وآله». ولم يقل: (إنا من أهل بيت نبيكم) ولم يقل: (أنا شاهد على ذلك).
  - ٣- قوله: «إلا أعنتمونا ومنعتمونا ممّن يظلمنا فقد أخفنا وظلمنا وطرّدنا من ديارنا وأبنائنا وبغي علينا ودفعنا عن حقنا وافترى أهل الباطل علينا»، فإنّ هذه الأوصاف تنطبق على أهل البيت عليهم السلام بصورة عامة.
- إذا تمّ ذلك يتّضح بأنّ المقصود من قوله: «طرّدنا من ديارنا وأبنائنا» هو عموم أهل البيت عليهم السلام وأنهم قد شردوا عن أوطانهم وأبنائهم، فلا يدلّ ذلك على وجود ذرية له.

(١) الغيبة (للنعماني)، ص ٢٩٠.

وثانياً: على فرض أنّ الإمام عليه السلام يتكلم عن نفسه خاصة، فمع ذلك نقول: من المحتمل أن يكون المقصود من قوله (وأبنائنا) يعني أبناء بني هاشم، فكلمهم أبناء للإمام المهدي عليه السلام باعتباره سيد بني هاشم ووجههم، فيصح بالتالي منه نسبتهم جميعاً إلى نفسه وعدّهم أبناءً له.

ويشهد لذلك ما رواه يعقوب السراج عن الإمام الصادق عليه السلام: «فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر فيبايعه الناس ويتبعونه، ويبعث الشامي عند ذلك جيشاً إلى المدينة فيهلكهم الله (عز وجل) دونها، ويهرب يومئذ من كان بالمدينة من ولد علي عليه السلام إلى مكة فيلحقون بصاحب هذا الأمر، ويقبل صاحب هذا الأمر نحو العراق ويبعث جيشاً إلى المدينة فيأمن أهلها ويرجعون إليها»<sup>(١)</sup>.

النص الرابع: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «يا أبا محمد، كأني أرى نزول القائم عليه السلام في مسجد السهلة بأهله ووعيلاه». قلت: يكون منزله جعلت فداك؟ قال: «نعم، كان فيه منزل إدريس، وكان منزل إبراهيم خليل الرحمن، وما بعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه، وفيه مسكن الخضر [والمقيم فيه كالمقيم في فسطاط رسول الله وما من مؤمن ولا مؤمنة إلا وقلبه يحن إليه]». قلت: جعلت فداك، لا يزال القائم فيه أبداً؟ قال: «نعم»، قلت: فمن بعده؟ قال: «هكذا من بعده إلى انقضاء الخلق»، قلت: فما يكون من أهل الذمة عنده؟ قال: «يسألهم كما سألهم رسول الله، ويؤدون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون»، قلت: فمن نصب لكم عداوة؟ فقال: «لا يا أبا محمد، ما لمن خالفنا في دولتنا من نصيب، إنّ الله قد أحلّ لنا دماءهم عند قيام قائمنا، فاليوم محرّم علينا وعليكم ذلك فلا يغرّتك أحد، إذا قام قائمنا انتقم الله ولسوله ولنا أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي، ج ٨، ص ٢٢٥.

(٢) المزار، ص ١٣٤.

ومحل الشاهد قوله: (بأهله و عياله) يستقرّون معه في الكوفة.

ويلاحظ عليه:

أولاً: إنّ الرواية ضعيفة السند؛ حيث لا يعلم طريق محمد بن المهدي إلى أبي بصير.  
وثانياً: الظاهر من الرواية أنها بصدد الحديث عن المهدي عليه السلام بعد الظهور وتشكيل الحكومة، فلا تدل على وجود الذرية في زمن الغيبة، ويشهد لذلك:

- ١- قوله: «كأني أرى نزول القائم في مسجد السهلة»، وقد دلت الأخبار على أنّ ذلك إنما يتحقّق بعد استتباب الأمور له عليه السلام حيث يتخذ من الكوفة عاصمةً له.
- ٢- قوله: «يسالمهم كما سالمهم رسول الله»، فإنّ من الواضح أنّ المسألة وأداء الجزية إنما تتحقّق في زمن الظهور لا الغيبة.

النص الخامس: روى الطوسي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الليلة التي كانت فيها وفاته لعلي: يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة، فأملا رسول الله صلى الله عليه وآله وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع فقال: يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الاثني عشر إماماً، سماك الله تعالى في سمائه: علياً المرتضى، وأمير المؤمنين، والصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصح هذه الأسماء لأحد غيرك. يا علي أنت وصي علي أهل بيتي حيهم وميتهم، وعلى نسائي، فمن ثبتها لقيتني غداً، ومن طلقها فأنا بريء منها، لم ترني ولم أرها في عرصة القيامة، وأنت خليفتي على أمتي من بعدي، فإذا حضرتك الوفاة فسلّمها إلى ابني الحسن البرّ الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه سيد العابدين ذي الثنات علي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي



الرضا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الثقة التقي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد، فذلك اثنا عشر إماماً، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقرّبين، له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي، واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث: المهدي هو أول المؤمنين»<sup>(١)</sup>.

ومحل الشاهد قوله: «فليسلمها إلى ابنه أول المقرّبين»، فإنه دال على وجود ذرية للإمام عليه السلام وأن الأمر من بعده سيكون لهم.

ويلاحظ عليه:

أولاً: أنّ هذه الرواية ضعيفة بعدة مجاهيل كعلي بن سنان الموصلي، فهو بين من صرح بجهالته وكونه عامي المذهب، وبين من لم يذكره، وأحمد بن محمد بن الخليل، وجعفر بن أحمد البصري، والحسن بن علي، وغيرهم ممن لم يذكروا في كتب الرجال.

وثانياً: أنّ هذه الرواية تتحدّث عمّا بعد الظهور المهدوي كما هو واضح، ولا دلالة فيها على وجود الذرية في زمن الغيبة.

النص السادس: جاء في زيارة الإمام الحجة عليه السلام: «السلام على ولاية عهده والأئمة من ولده، اللهم صل عليهم، وبلغهم آمالهم، وزد في آجالهم، وأعز نصرهم، وتم لهم ما أسندت من أمرهم»<sup>(٢)</sup>.

ومحل الشاهد قوله: «والأئمة من ولده» الدال على وجودهم في الغيبة.

(١) الغيبة، ص ١٥٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ٢٢٨.

ويلاحظ عليه:

أولاً: بأن هذه الزيارة نقلها العلامة المجلسي عن كتاب الغروي العتيق، وهذا الكتاب لا يُعلم أصله ومن هو صاحبه.

وثانياً: على فرض القبول بالكتاب، فمع ذلك لا يعلم سند هذه الزيارة ولا يعلم رجوعها للمعصوم عليه السلام؛ لعدم الإشارة لذلك بحسب نقل العلامة المجلسي.

وثالثاً: على فرض التسليم بالزيارة، فلا دلالة فيها على أنّ الأئمة من ولده يكونون موجودين من زمان الغيبة، فلعلّ ولادتهم تكون بعد الظهور، ومع ذلك يصح السلام والصلاة عليهم ولو قبل ولادتهم، وهذا أمر عرّفني كما قد أشار القرآن إلى ذلك في بعض الموارد، من قبيل قوله تعالى<sup>(١)</sup>:

١- {وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا}.

٢- {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا}.

وورد مثل ذلك عن أهل البيت عليهم السلام في حق الإمام المهدي عليه السلام قبل ولادته، وقد سبق الإشارة لذلك في بعض الموارد.

النص السابع: ما نقله الطوسي عن المرأة العجوز: «وصل على وليك وولاية عهده والأئمة من ولده»<sup>(٢)</sup>.

ويلاحظ عليه:

(١) سورة مريم: الآيتان ١٥ و ٣٣.

(٢) الغيبة، ص ٢٨٠.

أولاً: إنّ سند الرواية التي وردت فيها هذه الزيارة ضعيف؛ لأنّ المرأة العجوز التي نقلت الزيارة مجهولة الحال غير معروفة، كما أنّ يعقوب بن يوسف الضراب الغساني الرواي عنها مجهول الحال كذلك.

وثانياً: على فرص التسليم بالسند، فمع ذلك يرد ما سبق وذكرناه بأنه لا دلالة في الرواية على وجود الذرية في زمن الغيبة، بل من المحتمل كون ذلك في زمن الظهور، ومع ذلك يصح الدعاء لهم قبل وجودهم بلا كلام.

النص الثامن: ما نقل السيد ابن طاووس في زيارة الإمام (عليه السلام) يوم الجمعة: «صلى الله عليك وعلى آل بيتك الطاهرين»<sup>(١)</sup>.

فلو لم يكن للإمام ذرية لم يكن هناك معنى للصلاة على آله.

ويلاحظ عليه:

أولاً: لم يذكر ابن طاووس سنداً لهذه الزيارة، ولم يسندها للمعصومين.  
وثانياً: أنّ لفظ الآل مجمل، فكما يستعمل في خصوص الأولاد فإنه يستعمل في مطلق الرحم كما قيل<sup>(٢)</sup>، فيحتمل أنّ المراد هم بنو هاشم.

وثالثاً: على فرض اختصاص الآل بالولد، فمع ذلك لا دلالة على وجود الذرية في زمن الغيبة؛ فمن المحتمل الدعاء لهم مع عدم وجودهم بالفعل باعتبار وجودهم زمن الظهور كما أشرنا لذلك.

النص التاسع: قصة الجزيرة الخضراء.

ويلاحظ عليه:

(١) جمال الأسبوع، ص ٤١.

(٢) كتاب العين، ج ٨، ص ٣٦١.

أولاً: راوي هذه القصة علي بن فاضل، ولا طريق لتوثيقه.  
 وثانياً: على فرض وثاقته، فهذه مجرد قصة لا يبعد وقوع الاشتباه والملابسة فيها، كما  
 أنّ من نقلها لم ينقلها اعتماداً واحتجاجاً بل تطرّقاً وإشارةً، ولذا قال المجلسي: "وجدت  
 رسالة مشتهرة بقصة الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض أحببت إيرادها لاشتمالها على ذكر  
 من رآه، ولما فيها من الغرائب، وإنما أفردت لها باباً لأنني لم أظفر به في الأصول المعتمدة"<sup>(١)</sup>.  
 وثالثاً: توجد بعض التناقضات في هذه القصة توجب ردّها أو التشكيك فيها لا أقل،  
 وقد تصدّى بعض المحققين لبحث ذلك كالسيد العاملي في كتابه الجزيرة الخضراء، والسيد  
 الصدر في الموسوعة المهدوية.

### النقطة الثالثة: النصوص النافية للذرية

توجد مجموعة من النصوص قد يدعى دلالتها على عدم وجود ذرية للإمام عليه السلام في  
 زمن الغيبة، منها:

النص الأول: عن الحسن بن علي الخزاز قال: دخل علي بن أبي حمزة على أبي الحسن  
 الرضا عليه السلام فقال له: أنت إمام؟ قال: «نعم». فقال له: إني سمعت جدك جعفر بن محمد عليه السلام  
 يقول: لا يكون الإمام إلا وله عقب. فقال: «أنسيت يا شيخ أو تناسيت! ليس هكذا قال  
 جعفر عليه السلام، إنما قال جعفر عليه السلام: لا يكون الإمام إلا وله عقب، إلا الإمام الذي يخرج  
 عليه الحسين بن علي عليه السلام فإنه لا عقب له». فقال له: صدقت جعلت فداك، هكذا سمعت  
 جدك يقول<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٥٩.

(٢) الغيبة، ص ٢٢٤.

ويلاحظ عليه:

أولاً: يوجد في السند علي بن سليمان بن رشيد، والحسن بن علي الخزاز، والبطائني، وليسوا ثقة.

وثانياً: أقصى ما تفيده الرواية نفي العقب وقت الوفاة، لا نفي أصل العقب، فحينما تحين من الإمام المهدي عليه السلام الوفاة لا يوجد له عقب ويكون الأمر للإمام الحسين عليه السلام من بعده، كما هو مقتضى أخبار الرجعة التي سنبحثها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

النص الثاني: عن إسماعيل بن سهل قال: حدثني بعض أصحابنا وسألني أن أكتب اسمه قال: كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه علي بن أبي حمزة وابن السراج وابن المكارم فقال له ابن أبي حمزة: إنا روينا أن الإمام لا يمضي حتى يرى عقبه؟ قال فقال أبو الحسن: «أما رويتم في هذا الحديث غير هذا؟» قال: لا. قال: «بلى والله، لقد رويتم فيه: إلا القائم»<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ عليه:

أولاً: أنه ضعيف السند من عدة جهات، كمنصور بن العباس البغدادي، وكإسماعيل بن سهل ومن ينقل عنه.

وثانياً: أقصى ما تفيده الرواية هو أن عدم العقب للإمام عليه السلام وقت مضيه ووفاته، ولا تدل على نفي الذرية مطلقاً، ويشهد لذلك الخبر السابق؛ فإن الراوي واحد والمسؤول واحد والمضمون واحد.

النص الثالث: عن الإمام الصادق عليه السلام: «وليقال المهدي في غيبته مات ويقولون بالولد منه، وأكثرهم يجحد ولادته وكونه في ظهوره، أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والرسل والناس أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

(١) اختيار معرفة الرجال، ج ٢، ص ٧٦٤؛ إثبات الوصية، ص ٢٠١.

(٢) الهداية الكبرى، ص ٣٦١.

ويلاحظ عليه:

أولاً: ضعف السند بمحمد بن أحمد بن عيسى ابن أبي خدام.  
وثانياً: أن القول بالولد راجع لقول الناس، والإمام عليه السلام يخبر عما سيقع فيه الناس في زمن الغيبة من القول بالولد، من دون نفي لوجود الذرية أو إثبات لذلك.  
وثالثاً: على فرض دلالة النص على نفي الإمام عليه السلام وجود الولد للإمام عليه السلام، فغاية ذلك نفيه الولد الذي يعتقد به الناس، وهذا لا ينفي وجود ولد مخفي عن الناس غير معلوم لديهم.

والمتحصل مما سبق: أنه لا يمكن القطع بوجود الذرية للإمام عليه السلام في زمن الغيبة، ولا يمكن القطع بنفي ذلك؛ فالنصوص السابقة غير صالحة للإثبات أو النفي، إما للضعف السندي أو الدلالي، فتبقى المسألة في خانة الاحتمال والإمكان، وهذا ما ذهب له جملة من الأعلام:

- ١- الطبرسي، قال: "وغير ممتنع أن يكون له في هذا الوقت أهل وولد، وجاز أن يكون ذلك بعد خروجه في أيام دولته، ولا قطع على أحد الأمرين"<sup>(١)</sup>.
- ٢- الميرزا النوري، قال: "ولم يصل خبر يعارض هذه الأخبار إلا حديث رواه الشيخ الثقة الجليل الفضل بن شاذان... إلا الإمام الذي يخرج على الحسين بن علي عليه السلام فإنه لا عقب له"<sup>(٢)</sup>.

(١) تاج الموالي، ص ٧٨.

(٢) النجم الثاقب، ج ٢، ص ٥٠.

### النقطة الرابعة: دعوى البنوة

لو أنّ أحداً ظهر في زمن الغيبة المهدوية وادّعى أنه ابن أو حفيد للإمام المهدي عليه السلام فهل يمكن قبول دعواه؟ وما هو الموقف المتبع تجاه هذا الادّعاء؟  
ومثال على ذلك: ما يدّعيه اليوم المسمّى بأحمد الحسن البصري من رجوع نسبه للإمام المهدي عليه السلام، فهل يمكننا القبول بهذه الشجرة التي جاء بها الرجل المذكور وما فيها من دعواه أنه الحفيد الخامس للإمام عليه السلام أم لا؟ ثم على فرض ثبوت دعواه فهل يلزمنا ترتيب الآثار التي يدّعيها بناءً على ذلك من لزوم بيعته وطاعته وغيرها؟

#### والجواب:

أولاً: قد اتّضح ممّا سبق أنه لا يوجد دليل إثباتي على وجود الذرية للإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة، وأنّ النصوص السابقة غير صالحة لإثبات ذلك، فما يرومه البعض - كالمدّعي المذكور - من الخداع والتمويه على بعض الناس وإثبات انتسابه للإمام عليه السلام من خلال هذه النصوص السابقة الذكر غير مُجدي؛ لأنها لا تصلح لإثبات ذلك، وعلى فرض صلاحيتها فهي نصوص عامّة لا تفيد المدّعي شيئاً؛ لأنها لا تنص عليه ولا على غيره بالخصوص كي يستند إليها، فلا بدّ لمن يدّعي الانتساب للإمام عليه السلام من إقامة الدليل، وليس هو هذه النصوص العامة.

وثانياً: دلّت الأدلة المعتمدة - كما قد أفتى الأعلام على ضوئها - بأنه لا يمكن إثبات النسب إلا عبر الطرق المعتمدة شرعاً وهي:

الطريق الأول: الإقرار، وذلك بأن يقرّ صاحب النسب بأنّ هذا الشخص ابن له، كأن يقرّ الإمام عليه السلام بأنّ زيداً من الناس ابن أو حفيد له.

الطريق الثاني: الشيعاء، بأن يقوم الشيعاء والاشتهار بين الناس بأنّ هذا الشخص يرجع لفلان من الناس وأنه ابن له، كأن يشيع بين الناس ويشتهر عندهم بأنّ زيداً من الناس ابن للإمام المهدي عليه السلام.

الطريق الثالث: البيّنة، بأن تقوم البيّنة الشرعية على أنّ فلاناً من الناس ابن لفلان، والمقصود بالبيّنة الشرعية شاهدان عدلان يشهدان على ثبوت النسب، كأن يأتي شاهدان عدلان ويشهدان على أنّ فلاناً من الناس يعود للإمام المهدي عليه السلام.

الطريق الرابع: الطرق العلمية الحديثة، فقد ذهب بعض الأعلام إلى إمكان ثبوت النسب بالطرق العلمية الحديثة، من قبيل تحاليل الحمض النووي DNA، إذا أوجبت الاطمئنان بذلك.

إذا أتضح ذلك نقول: بأنّ هذه الطرق المذكورة غير متوقّرة في زمن الغيبة حتى يمكن من خلالها إثبات النسب للإمام المهدي عليه السلام.

أما الطريق الأول؛ فلعدم وجود هذا الإقرار منه عليه السلام كما هو واضح، أما الطريق الثاني؛ فلعدم تصوّر الشيعاء على ذلك بعد فرض غيبته عليه السلام، أما الطريق الثالث؛ فلعدم وجود بيّنة شرعية تشهد على ذلك، أما الطريق الرابع؛ فلعدم التمكن من القيام بهذه التحاليل الجينية مع غيبة الإمام عليه السلام، وبالتالي فمن يدّعي النسب للإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة فإنّ دعواه مردودة عليه؛ لعدم إمكان تحصيل ذلك بأحد الطرق المعتمدة شرعاً، فالمدّعي المذكور دعواه مرفوضة، وأما الشهود الذين يشهدون له بذلك فشهادتهم غير مقبولة؛ لعدم توفّر شروط الشهادة في حقهم؛ إما لعدم العدالة أو لعدم كونها شهادة حسية مع غيبة الإمام عليه السلام.

وثالثاً: على فرض ثبوت النسب لشخص معيّن - كالمدّعي المذكور - فمع ذلك لا يوجد دليل على لزوم مبايعته وطاعته؛ إذ لم يقدّم دليل عام على لزوم مبايعة أبناء الأئمة عليهم السلام، كما



أنه يقيم دليل خاص ينص على أحد معيّن بالاسم في زمن الغيبة بحيث يوجب ذلك مبايعته وطاعته.

فدعوى النسب على فرض ثبوتها فهي لا تثبت للمدعي ما يريد ويطلبه، بل قد ثبت انحراف بعض أبناء الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فمنهم من كفر، ومنهم من كذب وضلّ الطريق، فهل النسب يعدّ صكّ ضمان بالصالح والصدق والتقوى؟

ورابعاً: في الحقيقة والواقع إنّ المدعي المذكور معلوم النسب، ومعروف الهوية بين عشيرته وأهل بلده، وأنه يعود إلى إحدى العشائر بالبصرة من غير السادة بني هاشم، فهو أحمد إسماعيل گويطع من إحدى مناطق البصرة من عائلة فقيرة، وكان يدرس في كلية الهندسة، ثم التحق بجوزة النجف وحضر عند السيد محمد صادق الصدر، ولكنه في عام ١٤٢٤ هـ خرج مع مجموعة من العراقيين وادّعى بعض الدعاوى والخزعبلات وروج له بعض الانتهازين، وصدّقه بعض السذج والبسطاء.

## الجهة السابعة: أحداث في الغيبة

هناك مجموعة من الأحداث التي وقعت أو ستقع في زمن الغيبة كما قد أشارت لذلك الأخبار وهنا نشير إلى بعضها:

### الحديث الأول: التشكيك والإنكار أو الجحود بالمهدي

وقد دلت على ذلك نصوص كثيرة، وإليك بعضها:

- ١- عن الأصبع بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه ذكر القائم فقال: «أما ليغيبن حتى يقول الجاهل: ما لله في آل محمد حاجة»<sup>(١)</sup>.
- ٢- عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «صاحب هذا الأمر من ولدي هو الذي يقال: مات أو هلك، لا بل في أي واد سلك»<sup>(٢)</sup>.
- ٣- عن أبي عبد الله عليه السلام فقال: «أما إنه لو قد قام لقال الناس: أنى يكون هذا وقد بليت عظامه مذ كذا وكذا»<sup>(٣)</sup>.

ولذلك يمكن القول بأن المعتقدين بالمهدي عليه السلام سينقسمون بسبب طول الغيبة من حيث الاعتقاد به إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الثابتون، وهم الذين سيثبتون على الاعتقاد به ولن يدخل الشك والارتياب في نفوسهم، فمهما طالت الغيبة عليهم فإنهم لا يزدادون إلا إيماناً وتسليماً،

(١) كمال الدين، ص ٣٠٢.

(٢) الغيبة (للنعماني)، ص ١٥٨.

(٣) نفس المصدر، ص ١٥٧.

وهؤلاء هم القلة، حتى تصفهم بعض الروايات بأنهم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود في الليل الغابر، وفي الرواية: «حتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا الأندر فالأندر»<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني: المشككون، وهم الذين سירתابون ويشككون في المهدي عليه السلام، وكلما طالت أيام الغيبة كلما ازدادت شكوكهم وتمكنت الظنون من نفوسهم.

القسم الثالث: المنكرون، وهم الذين سيجحدون بالإمام عليه السلام بسبب طول الغيبة. وتدّل على هذه الأقسام الثلاثة رواية علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «والذي بعثني بالحق بشيراً ليغيبن القائم من ولدي، بعهد معهود إليه مني حتى يقول أكثر الناس: ما لله في آل محمد حاجة، ويشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكّه، فيزيله عن ملتي ويخرجه من ديني»<sup>(٢)</sup>.

كما استفاد ذلك من رواية سدير الصيرفي عن الإمام الصادق عليه السلام: «وتأملت في مولد قائمنا وغيبته وإبطاءه وطول عمره وبلوى المؤمنين من بعده في ذلك الزمان وتولد الشكوك في قلوب الشيعة من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينه وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي قال الله (تقدس ذكره): {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ} يعني الولاية»<sup>(٣)</sup>.

### الحديث الثاني: الاختلاف والتفرق بين الشيعة

من الأحداث أيضاً الاختلاف والتفرق بين الشيعة وانقسامهم إلى فرق وأحزاب، حتى يصل الحد ببعضهم إلى أن يشتم البعض الآخر أو يلعنه، بل يصل الحد إلى أن يضرب

(١) نفس المصدر، ص ٢١٤.

(٢) كمال الدين، ص ٥١.

(٣) الغيبة (للطوسي)، ص ١٩٣.

بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً كما قد حصل ذلك في بعض القرون السابقة، ولا تزال هذه الحالة مستمرة لدى البعض إلى هذا اليوم، حيث غاب عن أذهانهم أو تجاهلوا الحبل الوثيق الذي يربط بين جميع الإمامية وهو حبل الولاية، والذي ينبغي أن يكون سبباً للتلاحم والترابط، وكذلك أغفلت دواعي الالتقاء المشتركة، ولهذا الاختلاف أسباب ودواعي عديدة لسنا الآن بصدد بيانها، وإنما كان الغرض الإشارة إلى أن هذا الاختلاف والتفرق هو من الأحداث أو التداعيات التي نتجت عن الغيبة وطول زمانها، وقد دلت الأخبار على ذلك:

الرواية الأولى: عن مالك بن زمرة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا مالك بن زمرة، كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا - وشبك أصابعه وأدخل بعضها في بعض - فقلت: يا أمير المؤمنين ما عند ذلك من خير، قال: الخير كله عند ذلك، يا مالك عند ذلك يقوم قائمنا فيقدم سبعين رجلاً يكذبون على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله)، فيقتلهم، ثم يجمعهم الله على أمر واحد»<sup>(١)</sup>.

الرواية الثانية: عن عميرة بنت نفيل عن الإمام الحسن عليه السلام: «لا يكون الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضاً، ويتفل بعضكم في وجه بعض، وحتى يشهد بعضكم بالكفر على بعض. قلت: ما في ذلك خير؟ قال: الخير كله في ذلك الزمان يقوم قائمنا فيرفع ذلك كله»<sup>(٢)</sup>.

الرواية الثالثة: عن أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام: «كيف أنت إذا وقعت البطشة بين المسجدين فيأرز العلم كما تآرز الحية في جحرها واختلف الشيعة وسمى بعضهم

(١) الغيبة (للنعماني)، ص ٢١٤.

(٢) الغيبة (للطوسي)، ص ٤٣٧.

بعضاً كذابين وتفل بعضهم في وجوه بعض؟ قلت: جعلت فداك ما عند ذلك من خير. فقال لي: الخير كله، عند ذلك ثلاثاً<sup>(١)</sup>.

الرواية الرابعة: عن عبدالكريم قال: ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام القائم، فقال: «أنى يكون ذلك ولم يستدر الفلك حتى يقال مات أو هلك في أي واد سلك» فقلت: وما استدارة الفلك؟ فقال: «اختلاف الشيعة بينهم»<sup>(٢)</sup>.

### الحديث الثالث: ظهور الدجالين والكذابين والمشعوذين

من الأحداث أيضاً ظهور الدجالين والكذابين والمشعوذين بشكل كبير للغاية، وهذا واضح لمن قرأ في التاريخ، فمن أول زمان الغيبة وإلى هذا الزمن ورايات الضلال والبدع تخرج في كل مكان، والأدعياء يغترون بالبسطاء والسذج من الناس، فتارةً يخرج البعض مدعياً المهدوية - كما قد أشرنا لبعض أولئك في الفصل الأول - وأخرى يخرج البعض الآخر مدعياً السفارة والبايية - كما قد أشرنا لذلك أيضاً في هذا الفصل - وغير ذلك من الدعاوى، وقد أشارت الأخبار لذلك، ومنها:

الرواية الأولى: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «يا مالك عند ذلك يقوم قائمنا فيقدم سبعين رجلاً يكذبون على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله، فيقتلهم، ثم يجمعهم الله على أمر واحد»<sup>(٣)</sup>.

الرواية الثانية: عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن بين يدي القائم عليه السلام سنين خداعة يُكذَّب فيها الصادق ويصدَّق فيها الكاذب ويُقَرَّب فيها الماحل»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٤٠.

(٢) الغيبة (للنعماني)، ص ١٥٩.

(٣) نفس المصدر، ص ٢١٤.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٨٦.

الرواية الثالثة: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يخرج القائم حتى يخرج اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو إلى نفسه»<sup>(١)</sup>.

الرواية الرابعة: عن المفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام في مجلسه ومعي غيري فقال لنا: «إياكم و التنويه - يعني باسم القائم - و الله ليغيبنّ سبتاً من الدهر وليخملنّ حتى يقال: مات أو هلك بأي واد سلك، و لتفيضنّ عليه أعين المؤمنين، وليكفأنّ كتكفو السفينة في أمواج البحر حتى لا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، و كتب الإيمان في قلبه وأيده بروح منه، و لترفعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أي من أي». قال المفضل: فبكيت، فقال لي: «ما يبكيك؟» قلت: جعلت فداك، كيف لا أبكي وأنت تقول: ترفع اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أي من أي! قال: فنظر إلى كوة في البيت التي تطلع فيها الشمس في مجلسه فقال: «أهذه الشمس مضيئة؟» قلت: نعم، فقال: «والله لأمرنا أضوا منها»<sup>(٢)</sup>.

#### الحديث الرابع: التوقيتات

حيث يخرج جماعة بين فترة وأخرى يحدّدون موعداً للظهور و يُسقطون بعض العلامات التي أشارت لها الروايات على بعض الأحداث أو الشخصيات، سواء كان ذلك ببساطة و بحسن نية، أم كان طلباً للظهور والشهرة، أم من أجل الترويج و كسب المال، أو غير ذلك، وقد ألف الموقتون كتباً كثيرةً في ذلك، منها:

١- اقتراب الظهور، لعبد محمد حسن، وقد حدّد وقت الظهور بيوم السبت العاشر

من محرم ١٤٢٩.

(١) الغيبة (للطوسي)، ص ٤٣٧.

(٢) الغيبة (للنعماني)، ص ١٥٢.

٢- إن المهدي المنتظر على قيد الحياة، لأحمد عبدالله زكي عميش، وقد حدّد فيه أن سنة ١٤٣٠ هي سنة ظهور المهدي.

٣- ظهور الإمام المهدي عليه السلام عام ٢٠١٥ نبوءة قرآنية، لجابر البلوشي، وقد حدّد فيه أنّ يوم السبت العاشر من محرم سنة ١٤٣٧ هو يوم الظهور؛ معتمداً في ذلك على علم الحرف.

٤- أنت الآن في عصر الظهور، لفارس فقيه، وقد حدّد فيه شخصيات عصر الظهور وطبّقها على شخصيات معاصرة.

وقد كذبت الأخبار الوقتين وحدّرت من تصديقهم، ومنها:  
عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كذب الموقتون، ما وقّتنا فيما مضى، ولا نُوقّت فيما يُستقبل»<sup>(١)</sup>.

عن محمد بن مسلم، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا محمد، من أخبرك عنّا توقّيتاً، فلا تهابن أن تُكذّبه، فإنّا لا نُوقّت لأحدٍ وقتاً»<sup>(٢)</sup>.

عن الفضيل، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: هل لهذا الأمر وقت؟ فقال: «كذب الموقّتون، كذب الموقّتون، كذب الموقّتون»<sup>(٣)</sup>.

عن عبد الرحمن بن كثير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مُهزم، فقال له: جعلت فداك، أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظر، متى هو؟ فقال: «يا مهزم، كذب الموقّتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلمون»<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيبة (للطوسي)، ص ٤٢٦.

(٢) الغيبة (للنعماني)، ص ٣٠٠.

(٣) الغيبة (للطوسي)، ص ٤٢٥.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٣٦٨.

## الحديث الخامس: انتشار الفساد

وكَلَمَا امتدت أيام الغيبة أكثر كلما انتشر الفساد بشكل أكبر وبأشكال مختلفة وأنواع متعدّدة، فمن فساد ديني وفكري وأخلاقي واجتماعي وسياسي واقتصادي وقضائي وعسكري وربما فساد كوني، وجميع هذه الأشكال للفساد قد ذكرتها الأخبار صريحاً أو تلويحاً، ومن أهم الأخبار المشيرة إلى هذا ما رواه حمّان بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام وقد ذكر عنده سوء حال الشيعة فقال: «إني سرت مع أبي جعفر المنصور وهو في موكبه وهو على فرس وبين يديه خيل ومن خلفه خيل وأنا على حمار إلى جانبه فقال لي: يا أبا عبد الله قد كان ينبغي لك أن تفرح بما أعطانا الله من القوة وفتح لنا من العز ولا تخبر الناس أنك أحقّ بهذا الأمر منّا وأهل بيتك فتغرّينا بك وبها. قال: فقلت: ومن رفع هذا إليك عني فقد كذب. فقال لي: أتخلف على ما تقول؟ فقلت: إنّ الناس سحرة -يعني يحبّون أن يفسدوا قلبك علي- فلا تمكّنهم من سمعك فإنّا إليك أحوج منك إلينا. فقال لي: تذكر يوم سألتك هل لنا ملك؟ فقلت: نعم، طويل عريض شديد، فلا تزالون في مهلة من أمركم وفسحة من دنياكم حتى تصيبوا منّا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام، فعرفت أنه قد حفظ الحديث، فقلت: لعلّ الله (عز وجل) أن يكفيك فإنني لم أخصك بهذا وإنما هو حديث رويته، ثم لعلّ غيرك من أهل بيتك يتولى ذلك، فسكت عني.

فلَمَّا رجعت إلى منزلي أتاني بعض موالينا فقال: جعلت فداك، والله لقد رأيتك في موكب أبي جعفر وأنت على حمار وهو على فرس وقد أشرف عليك يكلمك كأنك تحته، فقلت بيني وبين نفسي: هذا حجة الله على الخلق وصاحب هذا الأمر الذي يُقتدى به وهذا الآخر يعمل بالجور ويقتل أولاد الأنبياء ويسفك الدماء في الأرض بما لا يحبّ الله وهو في موكبه، وأنت على حمار، فدخلى من ذلك شك حتى خفت على ديني ونفسي، قال: فقلت: لو رأيت من كان حولي وبين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي من



الملائكة لاحتقرته واحتقرت ما هو فيه. فقال: الآن سكن قلبي، ثم قال: إلى متى هؤلاء يملكون؟ أو متى الراحة منهم؟ فقلت: أليس تعلم أن لكل شيء مدة؟ قال: بلى، فقلت: هل ينفعك علمك أن هذا الأمر إذا جاء كان أسرع من طرفة العين؟ إنك لو تعلم حالهم عند الله (عز وجل) وكيف هي كنت لهم أشدّ بغضاً ولو جهدت أو جهد أهل الأرض أن يدخلوهم في أشد ما هم فيه من الإثم لم يقدرُوا، فلا يستفزتك الشيطان، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون، ألا تعلم أن من انتظر أمرنا وصبر على ما يرى من الأذى والخوف هو غداً في زمرتنا، فإذا رأيت الحق قد مات وذهب أهله، ورأيت الجور قد شمل البلاد، ورأيت القرآن قد خلق وأحدث فيه ما ليس فيه ووجه على الأهواء، ورأيت الدين قد انكفأ كما ينكفي الماء، ورأيت أهل الباطل قد استعلوا على أهل الحق، ورأيت الشرّ ظاهراً لا ينهى عنه ويعذر أصحابه، ورأيت الفسق قد ظهر واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ورأيت المؤمن صامتاً لا يقبل قوله، ورأيت الفاسق يكذب ولا يرد عليه كذبه وفريته، ورأيت الصغير يستحقر بالكبير، ورأيت الأرحام قد تقطعت، ورأيت من يمتدح بالفسق يضحك منه ولا يردّ عليه قوله، ورأيت الغلام يعطى ما تعطى المرأة، ورأيت النساء يتزوجن النساء، ورأيت الثناء قد كثر، ورأيت الرجل ينفق المال في غير طاعة الله فلا ينهى ولا يؤخذ على يديه، ورأيت الناظر يتعوذ بالله ممّا يرى المؤمن فيه من الاجتهاد، ورأيت الجار يؤذي جاره وليس له مانع، ورأيت الكافر فرحاً لما يرى في المؤمن، مرحاً لما يرى في الأرض من الفساد، ورأيت الخمر تشرب علانية ويجتمع عليها من لا يخاف الله (عز وجل)، ورأيت الأمر بالمعروف ذليلاً، ورأيت الفاسق فيما لا يحب الله قوياً محموداً، ورأيت أصحاب الآيات يحتقرون ويحتقر من يحبهم، ورأيت سبيل الخير منقطعاً وسبيل الشرّ مسلوفاً، ورأيت بيت الله قد عطل ويؤمر بتركه، ورأيت الرجل يقول ما لا يفعله، ورأيت الرجال يتسمنون للرجال والنساء للنساء، ورأيت الرجال معيشتهم من

دبره، ومعيشة المرأة من فرجها، ورأيت النساء يتخذن المجالس كما يتخذها الرجال، ورأيت التأنيث في ولد العباس قد ظهر، وأظهروا الخضاب، وامتشطوا كما تمتشط المرأة لزوجها، وأعطوا الرجال الأموال على فروجهم، وتنوفس في الرجل وتغاير عليه الرجال، وكان صاحب المال أعز من المؤمن، وكانت الربا ظاهراً لا يعير، وكان الزنا تمتدح به النساء، ورأيت المرأة تصانع زوجها على نكاح الرجال، ورأيت أكثر الناس وخير بيت من يساعد النساء على فسقهن، ورأيت المؤمن محزوناً محتقراً ذليلاً، ورأيت البدع والزنى قد ظهر، ورأيت الناس يعتدون بشاهد الزور، ورأيت الحرام يحلل، ورأيت الحلال يحرم، ورأيت الدين بالرأي، وعطل الكتاب وأحكامه، ورأيت الليل لا يستخفى به من الجرأة على الله، ورأيت المؤمن لا يستطيع أن ينكر إلا بقلبه، ورأيت العظيم من المال ينفق في سخط الله (عز وجل)، ورأيت الولاية يقربون أهل الكفر ويباعدون أهل الخير، ورأيت الولاية يرتشون في الحكم، ورأيت الولاية قبالة لمن زاد، ورأيت ذوات الأرحام ينكحن ويكتفى بهن، ورأيت الرجل يقتل على التهمة وعلى الظنة، ويتغاير على الرجل الذكر فيبذل له نفسه وماله، ورأيت الرجل يعير على إتيان النساء، ورأيت الرجل يأكل من كسب امرأته من الفجور، يعلم ذلك ويقيم عليه، ورأيت المرأة تقهر زوجها، وتعمل ما لا يشتهي وتنفق على زوجها، ورأيت الرجل يكره امرأته وجاريتها ويرضى بالدني من الطعام والشراب، ورأيت الإيمان بالله (عز وجل) كثيرة على الزور، ورأيت القمار قد ظهر، ورأيت الشراب يباع ظاهراً ليس له مانع، ورأيت النساء يبذلن أنفسهن لأهل الكفر، ورأيت الملاهي قد ظهرت يمر بها، لا يمتها أحد أحداً، ولا يجترئ أحد على منعها، ورأيت الشريف يستذله الذي يخاف سلطانه، ورأيت أقرب الناس من الولاية من يمتدح بشتما أهل البيت، ورأيت من يحبنا يزور ولا تقبل شهادته، ورأيت الزور من القول يتنافس فيه، ورأيت القرآن قد ثقل على الناس استماعه وخف على الناس استماع الباطل، ورأيت الجار يكرم الجار خوفاً من

لسانه، ورأيت الحدود قد عظمت وعمل فيها بالأهواء، ورأيت المساجد قد زخرفت، ورأيت أصدق الناس عند الناس المفترى الكذب، ورأيت الشرّ قد ظهر والسعي بالنميمة، ورأيت أصدق البغي قد فشا، ورأيت الغيبة تستملح ويبشّر بها الناس بعضهم بعضاً، ورأيت طلب الحج والجهاد لغير الله، ورأيت السلطان يذل للكافر المؤمن، ورأيت الخراب قد أديل من العمران، ورأيت الرجل معيشتة من بخس المكيال والميزان، ورأيت سفك الدماء يستخفّ بها، ورأيت الرجل يطلب الرئاسة لعرض الدنيا، ويشهر نفسه بخبث اللسان ليتقى وتسند إليه الأمور، ورأيت الصلاة قد استخفّ بها، ورأيت الرجل عنده المال الكثير ثم لم يزرّكه منذ ملكه، ورأيت الميت ينبش من قبره ويؤذى وتباع أكفانه، ورأيت الهرج قد كثّر، ورأيت الرجل يمسي نشوان ويصبح سكراناً لا يهتم بما الناس فيه، ورأيت البهائم تنكح، ورأيت البهائم يفرس بعضها بعضاً، ورأيت الرجل يخرج إلى مصلاه ويرجع وليس عليه شيء من ثيابه، ورأيت قلوب الناس قد قست وجمدت أعينهم وثقل الذكر عليهم، ورأيت السحت قد ظهر يتنافس فيه، ورأيت المصلي إنما يصلي ليراه الناس، ورأيت الفقيه يتفقه لغير الدين، يطلب الدنيا والرئاسة، ورأيت الناس مع من غلب، ورأيت طالب الحلال يذمّ ويعتّر، وطالب الحرام يمدح ويعظّم، ورأيت الحرميين يعمل فيهما بما لا يحب الله، لا يمنعهم مانع ولا يحول بينهم وبين العمل القبيح أحد، ورأيت المعازف ظاهرة في الحرميين، ورأيت الرجل يتكلم بشيء من الحقّ ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقوم إليه من ينصحه في نفسه فيقول: هذا عنك موضوع، ورأيت الناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقتدون بأهل الشرور، ورأيت مسلك الخير وطريقه خالياً لا يسلكه أحد، ورأيت الميت يهزأ به فلا يفزع له أحد، ورأيت كلّ عام يحدث فيه من الشرّ والبدعة أكثر مما كانت، ورأيت الخلق والمجالس لا يتابعون إلا الأغنياء، ورأيت المحتاج يعطى على الضحك به ويرحم لغير وجه الله، ورأيت الآيات في السماء لا يفزع لها أحد، ورأيت الناس يتسافدون

كما يتسافد البهائم لا ينكر أحد منكراً تخوفاً من الناس، ورأيت الرجل ينفق الكثير في غير طاعة الله ويمنع اليسير في طاعة الله، ورأيت العقوق قد ظهر واستخف بالوالدين وكانا من أسوء الناس حالاً عند الولد ويفرح بأن يفترى عليهما، ورأيت النساء وقد غلبن على الملك وغلبن على كل أمر لا يؤتى إلا ما لهن فيه هوى، ورأيت ابن الرجل يفترى على أبيه ويدعو على والديه ويفرح بموتهما، ورأيت الرجل إذا مرّ به يوم ولم يكسب فيه الذنب العظيم من فجور أو بخس مكيال أو ميزان أو غشيان حرام أو شرب مسكر كثيباً حزيناً يحسب أنّ ذلك اليوم عليه وضیعة من عمره، ورأيت السلطان يحتكر الطعام، ورأيت أموال ذوي القربى تقسم في الزور ويتقامر بها وتشرب بها الخمر، ورأيت الخمر يتداوى بها ويوصف للمريض ويستشفى بها، ورأيت الناس قد استنوا في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك التدين به، ورأيت رياح المنافقين وأهل النفاق قائمة ورياح أهل الحق لا تحرك، ورأيت الأذان بالأجر والصلاة بالأجر، ورأيت المساجد محتشية ممن لا يخاف الله، مجتمعون فيها للغيبة وأكل لحوم أهل الحق ويتواصفون فيها شراب المسكر، ورأيت السكران يصلي بالناس وهو لا يعقل ولا يشان بالسكر، وإذا سكر أكرم واتقى وخيف وترك، لا يعاقب ويعذر بسكره، ورأيت من أكل أموال اليتامى يحمّد بصلاحه، ورأيت القضاة يقضون بخلاف ما أمر الله، ورأيت الولاة يأتمنون الخونة للطمع، ورأيت الميراث قد وضعت الولاة لأهل الفسوق والجرأة على الله، يأخذون منهم ويخلونهم وما يشتهون، ورأيت المنابر يؤمر عليها بالتقوى ولا يعمل القائل بما يأمر، ورأيت الصلاة قد استخف بأوقاتها، ورأيت الصدقة بالشفاعة لا يراد بها وجه الله ويعطى لطلب الناس، ورأى الناس همهم بطونهم وفروجهم، لا يبالون بما أكلوا وما نكحوا، ورأيت الدنيا مقبلة عليهم، ورأيت أعلام الحق قد درست، فكن على حذر واطلب إلى الله (عز وجل) النجاة، واعلم أنّ الناس في سخط الله (عز وجل) وإنما يمهلم لأمر يراد بهم، فكن مترقباً

واجتهد ليرك الله (عز وجل) في خلاف ما هم عليه، فإن نزل بهم العذاب وكنت فيهم عجلت إلى رحمة الله، وإن أخرت ابتلوا، وكنت قد خرجت ممّا هم فيه من الجرأة على الله (عز وجل)، واعلم أنّ الله لا يضيع أجر المحسنين وأنّ رحمة الله قريب من المحسنين»<sup>(١)</sup>.  
فمع كل هذا الفساد وهذه الفتن المنتشرة يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر كما ورد في الخبر.

#### الحديث السادس: لوعة المؤمنين

إنّ من جملة أحداث وتداعيات الغيبة هو لوعة المؤمنين واحتراق قلوبهم حزناً على الإمام عليه السلام، ولعدم تشرفهم برؤيته من ناحية، ومن انتشار الظلم والفساد من ناحية أخرى، وقد أشارت بعض الأخبار لذلك:

الرواية الأولى: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «أما والله ليغيبن إمامكم سنيماً من دهركم، ولتمحصن حتى يقال مات أو هلك بأي واد سلك، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين، ولتكفأن كما تكفأ السفن في أمواج البحر ولا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه»<sup>(٢)</sup>.

الرواية الثانية: عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «لابد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل بطانة ووليجة، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي، يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض، وكلّ حري وحران وكلّ حزين لهفان، ثم قال: بأبي وأمي سمي جدي وشبيهي

(١) الكافي، ج ٨، ص ٤١.

(٢) الإمامة والتبصرة، ص ١٢٦.

وشبيه موسى بن عمران عليه السلام، عليه جيوب النور تتوقد شعاع ضياء القدس، كم من حري مؤمنة وكم من مؤمن متأسف حيران حزين عند فقدان الماء المعين»<sup>(١)</sup>.

### الحديث السابع: قسوة القلوب

من جملة التدايعيات المترتبة على الغيبة وطول أمدها - كما يستفاد من بعض الأخبار - قسوة القلوب، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «للقائم منا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعه يجولون جولان النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

والسؤال: ما هو وجه الترابط والعلاقة بين طول الغيبة وقسوة القلوب؟

هناك عدّة احتمالات لذلك، إلا أنّ الذي نستوجهه هو أنّ نفس الارتباط والتعلق بحجة الله تعالى يوجب إشراق القلب ونورانيته، كما أنّ البعد عنه والانشغال بمشاغل هذه الدنيا والغفلة عنه يوجب في نفسه قسوة القلب، فلذلك يمكن أن تذكر عدّة أسباب لقسوة القلوب، منها:

- ١- الذنوب، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب»<sup>(٣)</sup>.
- ٢- حبّ الدنيا، ففيما ناجى الله (عز وجل) به موسى عليه السلام: «يا موسى لا تطول في الدنيا أملك فيقسو قلبك، والقاسي القلب مني بعيد»<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيبة (للطوسي)، ص ٤٥٩.

(٢) كمال الدين، ص ٣٠٣.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٣٢٩.

(٤) نفس المصدر.

٣- كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى، فعن النبي ﷺ: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلوب»<sup>(١)</sup>.

٤- البعد عن الحجة والغفلة عنه ونسيانه.

فلذلك نقول بأن هذه الغيبة الطويلة قد تؤدي بالبعض لنسيان الإمام ﷺ أو الغفلة عنه، وهذا له أثر تكويني على القلب وهو القسوة، كما أنه قد دلت بعض الأخبار على أن الاتصال بالحجة والارتباط به ينور القلب وله هذا الأثر التكويني، كما في رواية حمران بن أعين قال: دخلت على الإمام الباقر ﷺ فقلت: إنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا وتسلبوا أنفسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا فقال ﷺ: «إنما هي القلوب مرّة تصعب ومرّة تسهل، أما إن أصحاب محمد ﷺ قالوا: يا رسول الله، نخاف علينا النفاق، فقال: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكرتنا ورغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك حتى كأننا لم نكن على شيء، أفلا نخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال ﷺ: كلا، إن هذه خطوات الشيطان، فيرغبكم في الدنيا، والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء...»<sup>(٢)</sup>.

(١) وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٥٣٦، (باب وجوب حفظ اللسان).

(٢) الكافي، ج ٤، ص ٤٢٤.

## الحديث الثامن: ابتلاء الشيعة

ومن جملة الأحداث أيضاً هو وقوع الابتلاءات الشديدة والقاسية بالشيعة في زمن الغيبة، وقد أشارت الأخبار لذلك، منها:

الرواية الأولى: عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «والله لثُمَّحَصْنَنَّ، والله لتَطِيرُنَّ يَمِيناً وشمالاً حتى لا يبقى منكم إلا كل امرئٍ أخذَ اللهُ ميثاقه، وكتبَ الإيمانَ في قلبه، وأيدَه برُوحِ منه»<sup>(١)</sup>.

الرواية الثانية: عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «والله لثُمَّيَزُنَنَّ، والله لثُمَّحَصْنَنَّ، والله لتُغْرَبَلَنَّ كما يُغْرَبَلُ الزُّؤَانُ مِنَ القَمَحِ»<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أنّ الابتلاءات التي واجهت الشيعة لا تختص بزمن الغيبة، بل قد كانت موجودةً منذ إشراق نور التشيع ولا تزال مستمرةً على امتداد وجود هذا الكيان العظيم بين مدّ وجزر من فترة إلى أخرى، وإلا فهي لم تفارق الشيعة يوماً، فمنذ أيام بني أمية وإلى أيام بني العباس وحتى أيام العثمانيين وإلى هذه اللحظة والبلايا تعصف بهم بشتى الألوان وبكّل الأشكال ومن كلّ واد ومكان، وما ذاك إلا لجرّمة انتمائهم لأهل البيت عليهم السلام، وقد أخبر الأئمة عليهم السلام شيعتهم بهذه الحقيقة، فعن الأمير عليه السلام: «إِنَّ البلاءَ أسرعَ لشيعتنا من السيلِ إلى قرارِ الوادي»<sup>(٣)</sup>.

وجاء رجل إلى الإمام الباقر عليه السلام فقال: والله إني لأحبكم أهل البيت. فقال عليه السلام: «فاتخذ البلاء جلابباً، فوالله إنه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي، وبنا يبدأ البلاء ثم بكم»<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيبة (للنعناني)، ص ٣٣.

(٢) نفس المصدر، ص ٢١٣.

(٣) التمهيد، ص ٣٠.

(٤) الأمالي (للطوسي)، ص ١٥٤.



وهنا نبحث في نقطتين:

### النقطة الأولى: أنواع الابتلاءات التي واجهت الشيعة

النوع الأول: البلاء الديني، بمعنى أنّ هناك حرجاً شديداً وصعوبةً كبيرةً تواجه الشيعة وتعيقهم من ممارسة حقوقهم الدينية ومزاولة شعائرهم وطقوسهم المذهبية أو التعبير عن انتمائهم لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ويمكن أن نذكر عدّة صور لهذا البلاء:

#### الصورة الأولى: عدم القدرة على التصريح بالهوية الدينية

إنّ من أشكال البلاء الديني الذي يواجه الشيعة أو البعض منهم هو التستر وإخفاء هويته الدينية وعدم القدرة على التصريح بكونه شيعياً، لا سيما في بعض المناطق التي يغلب عليها وجود الجماعات المتغذية بالفكر الأموي والمشبعة بالأفكار الوهابية، حيث إنّ التصريح بذلك فيه إلقاء بالنفس في الضرر وتعريض لها لمواقع الخطر.

وهذا الشكل من أشكال البلاء وإن كان موجوداً في زمن معاوية قبل أربعة عشر قرناً، إلا أنه استمرّ مع الأسف إلى هذا الزمن، فلا يزال المتخلفين ومرضى القلوب من أحفاد معاوية وأبناء يزيد يرهبون ويرعبون من عرفوا أنّ اسمه علي أو حسن أو حسين أو جعفر، فضلاً عن أن يصرّح لهم بأنه شيعي، ولذلك يضطرّ البعض من الشيعة في بعض البلدان - التي تعيش حالة من الطائفية والعنصرية - للتعايش مع المخالفين، مظهرين لهم بأنهم على غير مذهب التشيع؛ حقناً لدمائهم أو حفظاً لكراماتهم وحرماتهم، كما أنّ البعض يضطرّ لإخفاء هويته حتى على أبنائه، ولا يطلعهم على ذلك إلا إذا بلغوا سنّ التكليف كما في بعض القبائل؛ وما ذاك إلا بسبب الخوف الشديد من انكشاف أمرهم ولحوق الأذى والمكروه بهم، ولذا يقول الشاعر أبو عدي بعدما شهد عليه قوم من بني أمية بمكة بأنه من مريدي علي وذاكري فضائله فهرب وانتقل إلى المدينة:

شردوا بي عند امتداحي علياً ورأوا ذاك في داءً دويماً  
 فوري لا أبرح الدهر حتى تختلي مهجتي بحب عليا  
 وبنيه لحب أحمد إني كنت أحببتهم بحب النبياء  
 حب دين لا حب دنيا وشرا الحب حب يكون دنيوياً

وهكذا الشاعر ابن هرمة الذي كان يقول:

ومهما ألام على حبهم فإني أحب بني فاطمة  
 بني بنت من جاء بالمحكمات والدين والسنة القائمة

فقد شهدوا عليه بأنه صاحب هذه القصيدة عند هارون، فأنكر ذلك، فطلبوا منه أن يشتم قائلها حتى يصدّقه، فشتم نفسه لذلك<sup>(١)</sup>.

#### الصورة الثانية: التكفير

من جملة أشكال البلاء الديني الذي يواجه الشيعة هو الإرهاب الفكري التكفير ودعاوى التحريض ضدهم، التي يدعو ويروج لها جماعات من الحاقدين من أذئاب بني أمية ممّا أدى إلى وجود حالة من البغض الشديد والتحريم للشيعة، وأدى إلى شحن النفوس وامتلاء الصدور حقداً وحنقاً عليهم، هذا ناهيك عن يلازم حملات التكفير وما يستتبعها من الويلات من استباحة الدماء والأعراض والأموال،

(١) التذكرة الحمدونية، ص ٢٣٢.

والصراعات المستمرة بين المسلمين والاقتيال الطائفي الذي لا يزال المسلمون يجرون ويلاتهم ويعيشون آلامه وآهاته، فانظر إلى ما صار إليه المسلمون اليوم في سائر البلاد الإسلامية من اليمن وإلى العراق وحتى سوريا وكذلك البحرين، بل حتى نيجيريا لم تسلم من ذلك، ولو قمت بإلقاء نظرة تاريخية على البلاد الإسلامية لوجدت أن هذا التكفير والتحريض لم ينقطع يوماً، وأن دعواته يتناسلون متوارثين لذلك، فهذا السمعاني يقول: «أجمعت الأمة على تكفير الإمامية»<sup>(١)</sup>.

#### الصورة الثالثة: الدعوة إلى البراءة

ومن جملة أشكال البلاء أيضاً ما يقوم به البعض من الدعوة للتبري من علي وأولاده الطاهرين عليه السلام. وهذا هو النهج الذي اتخذه معاوية وجماعته، حيث كانوا يدعون الشيعة إلى البراءة من علي عليه السلام، ويدعونهم إلى سبه وشتمه، ويهددونهم بالقتل إن لم يستجيبوا لذلك، وهذا هو ما أخبر به الأمير عليه السلام أصحابه: «أما إنه سيظهر عليكم من بعدي رجل رحب البلعوم، مُندحِق البطن، يطلب ما لا يجد، ويأكل ما يجد، ألا فاقتلوه ولن تقتلوه، أما إنه سيدعوكم إلى سبي والبراءة مني، أما السب فسبوني، فهو لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تبرأوا مني، فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة»<sup>(٢)</sup>. ولأجل ذلك قضى جماعة كثيرة من أتباع أهل البيت عليهم السلام شهداء للعقيدة غير مبالين بالتهديد والوعيد، مسلمين أعناقهم للسيوف ولا يبرأون من علي عليه السلام، ومعانقين للحتوف ولا يعطون العدو ما أراد من شتم وسب علي عليه السلام، فأكرم بهم من أمة ارتضعت حبّ علي عليه السلام من صدور أمهاتهم، وسرى عشقه كالدم في عروقهم، وعشعش الهيام به في قلوبهم، فكانت الشهادة

(١) الأنساب، ج ٦، ص ٣١٤.

(٢) نهج البلاغة، ج ١، ص ١٠٦.

في سبيله أحلى من العسل عندهم، فلهذا درك وعلى الله أجرك يا ميثم، ويا رشيد، ويا كميل، ويا حجر، ويا سعيد بن جبير، ويا فلان وفلان، وهاهم اليوم معاوية وزيايد وابنه والحجاج وأضرابهم يدعون الشيعة للتخلي عن علي عليه السلام عبر قنواتهم وشبكاتهم، ومن خلال كتبهم ومنشوراتهم، وبانتحاريهم ومفخخاتهم، إلا أن ذلك لا يزيد الشيعة إلا صموداً وثباتاً وإصراراً على البقاء على الحق، فإنّ علياً مع الحق والحق مع علي يدور معه أينما دار.

#### الصورة الرابعة: الحرمان من ممارسة الطقوس الدينية

ومن جملة الانتهاكات التي يتعرّض لها أتباع أهل البيت عليهم السلام منعهم من إقامة شعائرهم الدينية، وحرمانهم من ممارسة طقوسهم المذهبية، كما كان الأمويون والعباسيون يجاربون ذلك قديماً فهاهم اليوم كذلك، فإن كان إنشاد الشعر في أهل البيت عليهم السلام يعدّ ذنباً كبيراً سابقاً ويوجب ملاحقة الشعراء كالكميت والحميري وأبي عدي، فهو اليوم كذلك؛ فخدام أهل البيت عليهم السلام من علماء وخطباء وشعراء وكتاب مستهدفون من قبل الأعداء، ومحرومون من الدخول لبعض البلدان على سبيل المثال، هذا غير من أودعوا في السجون، كما أنه إذا كانت زيارة الإمام الحسين عليه السلام جرماً كبيراً أيام الأمويين والعباسيين فهي اليوم كذلك؛ فالمحاولات المستميتة والمتراامية وبكّل الأشكال لمحاربة الزيارة المقدّسة بفتاوى إرهابية، ومنشورات ودعاوى تحريضية، وبجماعات انتحارية، وعبوات وأحزمة ناسفة، وسيارات مفخّخة، إلا أنّ ذلك كلّ لم يقف مانعاً وحائلاً أمام العاشقين، فما يزيدهم غير إصرار وما يزيد الظالمين طغيانهم وعتوهم غير تحسير واندحار، هذا ناهيك عن المنع من بناء المساجد الشيعية أو المآتم الحسينية في بعض البلدان، أو لا يسمح بذلك إلا بعد جهد جهيد وعناء شديد في البعض الآخر، وما ذلك إلا رغبةً في محو الحق وإحياء الباطل كما كانت هي طريقة السلف الغابر، وينقل أنّ نصر بن علي كان ذات يوم عند المتوكّل فحدّثه بحديث النبي صلى الله عليه وآله أنه أخذ بيد الحسن والحسين عليهما السلام وقال: «من أحبني

وأحب هذين الغلامين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»، فأمر المتوكل بضربه ألف سوط، فجاء جعفر بن عبد الواحد فكلم المتوكل وشهد بأن نصرأ ليس شيعياً وإنما هو من أهل السنة، فعفي عن خمسمائة سوط وضرب خمسمائة.

#### الصورة الخامسة: الاعتداء على المقدسات

ومن جملة أشكال البلاء والمعاناة التي يقاسيها أتباع أهل البيت عليهم السلام هو الاعتداء على مقدساتهم وعلى رموزهم الدينية والانتهاك لحرماتها، ولذلك لم تسلم المراقد المقدسة من العدوان الأثم من زمن إلى آخر، ففي عام ١٩٣ أمر هارون بهدم قبر الحسين عليه السلام وقطع الصدر التي كانت عنده، ثم جاء المتوكل وهدمه وهدم الدور التي من حوله، حتى هدمه أربع مرّات: الأولى سنة ٢٣٣، ثم بناه الشيعة من جديد فهدمه سنة ٢٣٦ وأمر أن يحرث ويسقى موضع القبر حتى هجاه المسلمون وكتبوا الشتائم فيه على الحيطان والأماكن العامة، ثم أعاد الشيعة البناء من جديد فهدمه آخر مرّة سنة ٢٤٧.

وانظر إلى القبور المقدسة في بقيع الغرقد وما آل إليه حالها بعد هدمها منذ مائة سنة، وبالتحديد عام ١٣٤٤ من قبل الوهابيين، وقد أرادوا ذلك أيضاً بالمراقد الشريفة في العراق حينها إلا أنهم خزوا وخذلوا، ومع ذلك بقيت هذه المنية الخبيثة تفرع في نفوسهم حتى فجّروا مرقد العسكريين عليهم السلام قبل عشر سنوات، ولا يزال المرقد الشريف وبقية المراقد مهذّدة، بل حتى مراقد الأولياء والصالحين لم تسلم من ذلك وطالتها يد العدوان والإرهاب الزنيم، كمرقد حجر الكندي وسبع الدجيل وغيرها الكثير.

#### النوع الثاني: البلاء الاقتصادي

بمعنى أنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام قد واجهتهم ظروف اقتصادية حالكة وشديدة بسبب هذا الانتماء، وهذا البلاء له صور، منها:

### الصورة الأولى: الحرمان من العطاء

من جملة أشكال البلاء الاقتصادي الذي واجه الشيعة هو الحرمان من العطاء، وانتهاج منهج المنع والتجويع ضدّهم، وابتغاء أن يكون الفقر دثارهم، وهذا ما سلكه معاوية حينما كتب لعماله: "انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه"<sup>(١)</sup>، وهذا ما مارسه ويمارسه بعض حكام الجور على الشيعة حتى هذا اليوم.

### الصورة الثانية: التمييز والعنصرية

ومن جملة الأشكال أيضاً لهذا البلاء هو التمييز والعنصرية في الحقوق الاقتصادية؛ من الوظائف والمراكز المرموقة والتسهيلات وغير ذلك، فهناك بعض الوظائف مثلاً ممنوعة على الشيعة في بعض البلدان، كما أنّ هناك مراكز ورتب لا يمكن للشيعة أن يصل إليها، كما أنّ بعض الشركات والمؤسسات تمنع من قبول الشيعة وتوظيفهم، هذا ناهيك عن البعض الآخر الذين سرّحتهم بعض الدوائر والمؤسسات من أعمالهم حين ثور نكرة الطائفية، كما ولا ننسى بأنّ الأولوية في التسهيلات كالقروض البنكية والمنح الحكومية وغيرها تجعل لغير الشيعة.

### الصورة الثالثة: استباحة الأموال والممتلكات

ومن جملة الأشكال أيضاً -وهو أشدّ من السابقين- استباحة الأموال وانتهاك الممتلكات واختلاسها، وهذا أمر كان معهوداً من أيام الأمويين ومن تلاهم ولا يزال حتى هذا اليوم، وهذه نتيجة طبيعية من نتائج التكفير والتحريض، ولذلك انظر إلى ما تفعله الجماعات الإرهابية في هذا اليوم من الاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة، ومن نهب

(١) شرح نهج البلاغة، ج(١)، ص ٤٤-٤٦.

وسلب لأموال الشيعة وتشريدهم من بيوتهم وقراهم، حتى اضطرّ الكثير منهم إلى الهجرة مخلفين ما وراءهم من الأموال والممتلكات في أيدي المعتدين الطغاة، وهذا المنصور الدوانيقي عهد إلى عماله بمصادرة أموال العلويين وبيع رقيقهم، حتى صادر أموال الإمام الصادق عليه السلام، كما أخذ أموال الشيعة فلم يترك لأحد فضلاً، فكان مبلغ ما أخذه ثمانمائة ألف ألف درهم، كما صدر مرسوماً ملكياً من بغداد إلى مصر أن لا يقبل لعلوي ضيعة، ولا يركب فرساً، ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها، وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد، وإن كان بين علوي وأحد من الناس خصومة فلا يقبل قول العلوي ويقبل قول خصمه دون بينة.

#### الصورة الرابعة: المقاطعة والمحاصرة

كما أنّ من جملة أشكال البلاء الاقتصادي: رصد قائمة بأسماء كبار التجار من الشيعة، وتتبع أسماء الشركات والمؤسسات الشيعية ومحاصرتها ووضعها في القائمة السوداء، وتحذير الناس من الدخول فيها أو التعامل معها؛ بحجة أنّ هذا دعم للكفر وترويج للفساد، وهو ما تقوم به بعض القنوات والمواقع الإلكترونية اليوم.

#### النوع الثالث: البلاء الأمني

ونعني بذلك ما يعانيه الشيعة من عدم الشعور بالأمن والاستقرار، وما يعيشونه من حال الخوف والقلق المستمرين بسبب العداء لهم والحرب المفروضة عليهم، ويمكن ذكر عدّة صور لذلك:

#### الصورة الأولى: التهيب والوعيد

لقد مارس أعداء أهل البيت عليهم السلام سياسة التهيب والتهديد ضدّ الشيعة لأجل إضعافهم وتفريق صفوفهم ومنعهم من القيام بثورة من جهة، ولئلا تكون لديهم قوة مركزية تستقطب الجماهير إليهم من ناحية أخرى، ومن أجل إبعادهم وثنيتهم عن التفكير

المستقبلي لبناء كتلة سياسية أو حزب صادق بالحق، أو حتى من الدعوة لمذهبهم، أو الترويج لأهل البيت عليهم السلام، أو النقد والمعارضة لما يمارسه ولاية الجور، ومع أنك تجد في بعض البلدان عدداً كبيراً من الشيعة إلا أنهم يُمنعون من المشاركة في العملية السياسية أو حتى أن تكون لهم قوة سياسية أو حقوقية، ولما دخل الحجاج البصرة متقلداً سيفه قام خطيباً: "إن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نكب عيدانه بين يديه فوجدني أمرها عوداً وأصلبها مكسرة فوجهني إليكم، ألا فوالله لأعصبنكم عصب السلمة، ولألوحنكم لحو العود، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، حتى تستقيل لي قناتكم، وحتى يقول القائل انج سعد فقد قتل سعيد"<sup>(١)</sup>.

وفي خطبة له -وقد كان يريد الحج- قام في أهل العراق قائلاً: "أيها الناس إني أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابني هذا، وأوصيه بخلاف ما أوصى به رسول الله ص في الأنصار، إن رسول الله أوصى أن يقبل من محسنهم وأن يتجاوز عن مسيئهم، وإني أمرته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم، ألا وإنكم ستقولون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا مخافتني، ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصحبة، ألا وأني معجل لكم الجواب: لا أحسن الله لكم الخلافة"<sup>(٢)</sup>.

#### الصورة الثانية: المطاردة والملاحقة

قام أعداء أهل البيت عليهم السلام بملاحقة ومطاردة كل من يدعو لمذهب أهل البيت عليهم السلام أو ينطق بالحق ويكشف الباطل والزيغ ويبين فضائهم ومثالبهم، فمارسوا سياسة تكميم الأفواه بكل الأشكال، فأبى صوت يعارضهم يخدموه، وأي قلم يخالفهم يكسروه، وكل من ينطق بالحق حاكموه، وما نراه اليوم في بعض البلدان من سياسة سحب الجنسيات ومن

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد)، ج ١، ص ٣٤٣.

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٤٦.



تشريد العوائل ما هو إلا انموذج مما صنعه الأمويون والعباسيون من القمع والتشريد والملاحقة.

#### الصورة الثالثة: هدم الدور

قام الأعداء أيضاً بالاعتداء على ممتلكات من يخالفهم من الشيعة، فيحجرون على بيوتهم تارةً، ويهدمونها أخرى، ويستولون على الأراضي ظلماً وعدواناً، ويشردوا أهلها من غير ملجأ ومأوى يلتجئون إليه، كما يصنع الإسرائيليون اليوم مع الفلسطينيين، وهذه السياسة تقوم بها بعض الحكومات التي تموت غيضاً من وجود كثافة شيعية على الأرض، فتسعى جاهدةً في تغيير الهيكليّة الديموغرافية للبلاد بإشخاص الشيعة وجلب آخرين يستوطنون مكانهم؛ لتصير الأغلبية للمذاهب الأخرى ويصبح الشيعة أقلية.

#### الصورة الرابعة: انتهاك الأعراض

ومن أقسى ما واجه أتباع أهل البيت عليهم السلام هو الاعتداء على حرمتهم وانتهاك أعراضهم، فإنّ من أشدّ الأمور على الإنسان الشريف والغيور أن ينتهك عرضه ويعتدي على حريمه وعياله، ومع الأسف الشديد فإنّ العدو الأثيم لم يترك لذلك من سبيل، فحتى النساء والأطفال كان لهم من الاعتداء نصيب، فلم يأمنوا على أنفسهم؛ إذ طالتهم أيدي الإرهاب والطائفية الخبيثة، وقد كان الحجاج اللعين يعتدي على النساء ولا يبالي، ويودعهنّ في السجون ومن دون فصل بينهن وبين الرجال، وهناك اليوم أيضاً من يعتدي على النساء بالهتك، من ضرب وسلب وغيرها، وها هي سوريا والعراق واليمن والبحرين تصرخ وتستغيث بنسائها وأطفالها.

### الصورة الخامسة: السجن

فكم وكم من أتباع أهل البيت عليهم السلام قد قضوا حياتهم في السجون، حتى قيل بأنه لما هلك الحجاج وجدوا في سجنه زهاء ثمانين ألفاً، خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، ما يجب على أحد منهم قتل ولا قطع ولا صلب، ولا تزال سجون العدوان مليئةً بآلاف مؤلفة من الشيعة، وتلقق عليهم التهم الباطلة بكل بساطة، من الاتهام بالعمالة تارة، والتجسس أخرى، والتحرير ضد الحكومة الثالثة، والتحرك نحو انقلاب سياسي، وغير ذلك من اتهامات زائفة، ثم إذا ما أحد منهم تكلم ودافع أو طالب بمحاكمة عادلة أو طالب بمطالب حقوقية صار شريكاً في الجريمة، وبات السجن حليفاً له، فهذا ابن أبي عمير من أكابر الشيعة ومراجعهم في زمانه، وعاصر ثلاثة من الأئمة عليهم السلام: الكاظم والرضا والجواد، وكان من العباد، حتى قيل بأنه كان يسجد سجدةً واحدةً من بعد صلاة الفجر وحتى الزوال، حبسه هارون سبعة عشر عاماً، وذات يوم جاءوا به وهو مكبل بالقيود فأمره أن يعرّفه بأسماء الشيعة، فامتنع فأمر بضربه مائة سوط، فضرب فبلغ الألم منه مبلغاً عظيماً حتى كاد أن يسميهم، إلا أنه ذكر موقفه بين يدي الله (عز وجل).

### الصورة السادسة: التعذيب

ومن أشكال الابتلاء كذلك سياسة التعذيب القاسية، من قطع الأيدي والأرجل والألسن وسمل الأعين، وهذه السياسة لا تزال إلى اليوم، بل وبأشكال جديدة من الصعق الكهربائي وغيره، حتى راح كثيرون ضحايا لهذا التعذيب.

### الصورة السابعة: القتل

ومن جملة أشكال هذا البلاء القتل، فكم سفكت من الدماء الزاكية وازهقت من الأرواح الطاهرة ضريبة حبّها وانتمائها لأهل البيت عليهم السلام، من تلك الأيام الغابرة وإلى هذه اللحظة والشيعة يقتلون في مختلف البلدان وبشتى الطرق، فإنّ هناك من الناس من

يستأنس ويتلذذ في سفك الدماء البريئة كما قد كان الحجاج كذلك، فلم يكن يقرّ له قرار ولا يجد طعاماً لطعام إلا بقتل شيوعي أمامه وأن يرى دمه يفور قدامه، وهاهم أبناء الحجاج اليوم في سوريا والعراق والبحرين واليمن وغيرها يسرون بمسيرة أبيهم ويمارسون نفس الدور، وهذا ما أخبر به الأئمة عليهم السلام.

ومما يشير إلى جميع أنواع هذه الابتلاءات في الزمن السابق ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج بشكل مفصل بأن معاوية بعث بسر بن أرطاة إلى المدينة ومكة والطائف ونجران واليمن وقال له: "لا تنزل على بلد أهله على طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك، حتى يرو أنهم لا نجاة لهم وأنك محيط بهم، ثم ادعهم إلى البيعة لي، فمن أبي فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا رجالاً وأطفالاً، وانهب أموالهم واهتك أعراضهم..."<sup>(١)</sup>، ويبعث إلى الضحاك بن قيس: "من وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه، وكلما أصبحت في بلدة فأمسي في أخرى وانهب الأموال واقتل الأعراب"<sup>(٢)</sup>. ويبعث إلى سفيان الغامدي: "واعلم أنك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على أهل الكوفة، إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم وتفرح كل من له فينا هوى منهم، فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك، واخرب كل ما مررت به من القرى وانتهب الأموال، فإنه شبيهة بالقتل وهو أوجع للقلب..."<sup>(٣)</sup>.

وما كانت أيام العباسيين بأقل فظاعة وقسوة، فهذا هارون يرفع عقيرته متوعداً: "حتام أصبر على آل بني أبي طالب، والله لأقتلنهم، ولأقتلن شيعتهم، ولأفعلن وأفعلن"<sup>(٤)</sup>، حتى قتل الكثير وسجن الكثير ونهب أموالهم، وها هي المقابر الجماعية تنكشف يوماً بعد

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٦.

(٢) الغارات، ج ٢، ص ٤٢١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٨٥.

(٤) الأغاني، ج ٥، ص ٢٢٥.

آخر في بلاد الرافدين، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله (عز ذكره) رسوله صلى الله عليه وآله، ينصروننا ويقتلون دوننا، ويحرقون، ويُعذَّبون، ويُشردون في كلِّ البلدان، فجزاهم الله عنا خيراً»<sup>(١)</sup>. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «قُتلت شيعتنا بكلِّ بلدة، وقُطعت الأيدي والأرجل على الظنَّة، وكان من يُذكر بحبِّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره»<sup>(٢)</sup>.

### النقطة الثانية: أسرار الصمود الشيعي

يمكن إيقاع التساؤل بأنه إذا كان التشيع يجرُّ كلَّ هذه الابتلاءات فلماذا يصرُّ أهله على البقاء عليه؟ وما هي أسباب ثباتهم عليه وتمسكهم به مع ما يواجهونه من المحن القاسية والبلايا الشديدة؟

وفي الجواب يقال: توجد أسباب عدَّة لذلك، نقتصر منها على:

#### السبب الأول: قوة البرهان

من أهمِّ الأسباب التي تجذب الناس نحو التشيع وتجعل أتباعه صامدين فيه والبقاء عليه هو قوة الحجة والبرهان، وهذا ما لا تجده في بقية المذاهب الأخرى، فالمعتقدات التي يؤمن بها الشيعة من إمامة علي وأولاده الطاهرين عليهم السلام مثلاً، ومن القول بعصمتهم، أو القول بولايتهم، أو علمهم بالغيب وغير ذلك، قد قامت عليها الأدلة الواضحة، سواءً من الكتاب أم السنة أم العقل، بحيث لا يسع الإنسان المنصف وطالب الحقيقة الفرار عن هذا المذهب، بل سيكون مستعداً لتحمل المآسي ومواجهة المصاعب بكلِّ شجاعة

(١) الكافي، ج ٨، ص ٢٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٣.

وبطولة في سبيل البقاء على الحق والشبات عليه وعدم التنازل عنه، فالشيعة مصداق لقوله تعالى: {فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} (١)، فإنهم قد استمعوا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}، ولقول النبي ﷺ يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله» (٢). فقالوا بإمامة علي عليه السلام، كما أنهم قد استمعوا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}، ولقول النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض» (٣)، ولقوله: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» (٤)، ولقوله: «الخلفاء بعدي اثنا عشر خليفة»، وغيرها من أقواله ﷺ والتي وردت بالتنصيص على خلفائه بالاسم - كما سبق بيانه - فلاجل ذلك قالوا بإمامة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام كما أنهم قد استمعوا لقوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} فقالوا بعصمتهم، وهكذا بقية المعتقدات.

والخلاصة: أن مذهب أهل البيت عليهم السلام يجيب على كثير من التساؤلات ويملاً الكثير من الفراغات التي لم تستطع بقية المذاهب معالجتها، ولديه الحلول والإجابات عن أكثر المسائل تعقيداً، وهي مسألة الخلافة والإمامة، بخلاف بقية المذاهب؛ فإن ما تقدمه من نظريات في هذه المسألة ليست نظريات مقنعة، ولذا فإن كثيراً من المستبصرين الذين

(١) سورة الزمر: ١٧-١٨.

(٢) الخصال، ص ٤٩٧.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٦٨.

(٤) كمال الدين، ص ٢٣٩.

اعتنقوا مذهب التشيع قد ذكروا أنّ من أهمّ أسباب تشييعهم هو قوة الحجة والبرهان الموجودة في هذا المذهب.

#### السبب الثاني: المحبة العميقة

من جملة الأسباب التي دعت الشيعة إلى الثبات والصمود هو المحبة العميقة المغروسة في قلوبهم لأهل البيت عليهم السلام، ولها عدّة عوامل:

#### العامل الأول: العامل الإلهي

من الخصائص التي جعلها الله تعالى لأهل البيت عليهم السلام أن جعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وقلوباً تذوب في محبتهم، وتبذل النفس والنفيس دونهم، ولا تبالي في كلّ ما تلاقيه من أجلهم وفي محبتهم.

#### العامل الثاني: العامل الوراثي

امتزجت هذه المحبة بمحبة أخرى موروثة من الأبوين، انغرست في تلك النطفة وأخذت تتغذى من هذه المحبة في عالم الأرحام، كما أنها ارتضعت بعد ذلك هذه المحبة من لبن أمها بعدما خرجت إلى الدنيا.

وكما يقول الشاعر:

لا عذب الله أُمّي إنها شربت حب الوصي فغذتني في اللبن  
وكان لي والد يهوى أبا حسن فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسن

#### العامل الثالث: العامل التربوي

وهكذا ازدادت هذه المحبة يوماً بعد يوم من خلال التربية الصالحة والتعريف الصحيح بمدرسة أهل البيت عليهم السلام وبفضائلهم ومناقبهم ومحاسن أخلاقهم، التي كلّما عرف

الإنسان شيئاً منها كلما ازداد حباً لهم أكثر فأكثر، وكذلك ببيان ظلامتهم وما أصابهم من أعدائهم، فإن ذلك مما يزيد في التعلق بهم والتعاطف معهم أكثر وأكثر. وهذا هو ما روي من حث النبي ﷺ عليه بقوله: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن»<sup>(١)</sup>.

#### العامل الرابع: العامل الديني

كما أن الأدلة الكثيرة حثت على محبة أهل البيت عليهم السلام واعتبرت أن المحبة هي أجر الرسالة: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} <sup>(٢)</sup>.

فمن الطبيعي - مع اجتماع كل هذه العوامل - أن تنفذ محبة أهل البيت عليهم السلام في أعماق القلوب، وتستقر فيها، وتجعل أصحابها يتحملون كل بلاء في ذلك.

ولذا يقول الأمير عليه السلام: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني؛ وذلك أنه قضي فانقضى على لسان النبي الأبي: يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا ضحى شهداء الولاء بأنفسهم في حب علي عليه السلام، ويكشف عن شيء من ذلك ما روي من قول الأمير عليه السلام لميثم: «كيف بك إذا دعاك دعي بني أمية للبراءة مني؟ قال: والله لا أتبرأ منك يا أمير المؤمنين. قال: إذاً والله يقتلك ويصلبك. قال: إن ذلك عندي لقليل في حبك يا أمير المؤمنين. فقال: إذاً تكون معي في درجتي في الجنة»<sup>(٤)</sup>.

(١) إحقاق الحق، ج ١٨، ص ٧٤ وبعدها؛ وأيضاً ج ٩، ص ٤٤٥ عن مصادر عديدة للعامة.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) نهج البلاغة، ج ٤، ص ١٣.

(٤) اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٢٩٥.

## السبب الثالث: العلاقة الروحية

دلّت الأخبار الكثيرة على وجود علاقة تكوينية ورابطة روحية وثيقة بين أهل البيت عليهم السلام وبين شيعتهم، حيث إنّ أرواح الشيعة قد خلقت من نفس المبدأ والأصل الذي خلقت منه أرواح أهل البيت عليهم السلام، ويمكن أن نصنّف هذه الأخبار إلى عدّة طوائف:

الطائفة الأولى: النور، وهي الروايات التي أشارت إلى هذه الرابطة من خلال عنوان النور، ومنها ما عن النبي صلى الله عليه وآله: «خلقت من نور الله (عز وجل)، وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبيهم من نورهم»<sup>(١)</sup>.

الطائفة الثانية: الطينة، وهي عبارة عن الروايات التي أشارت إلى هذه الرابطة من خلال عنوان الطينة، من قبيل ما عن الإمام الكاظم عليه السلام: «خلقنا نحن وشيعتنا من طينة مخزونة، لا يشدّ منها شاذّ إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

الطائفة الثالثة: الشجرة، وهي الروايات التي أشارت إلى هذه الرابطة من خلال عنوان الشجرة، من قبيل ما عن النبي صلى الله عليه وآله: «مثلي مثل شجرة أنا أصلها، وعلي فرعها، والحسن والحسين ثمرتها، والشيعة ورقها، فأبى أن يخرج من الطيب إلا الطيب»<sup>(٣)</sup>.

إذا اتّضح ذلك نقول: بأنّ هذه الرابطة أو العلاقة التكوينية الخلقية بين أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم لها آثار عديدة، منها:

## الأثر الأول: الفرح والحزن

من الآثار المترتبة على هذه العلاقة التكوينية أنّ هناك فرحاً تكوينياً وحزناً تكوينياً يصيب الشيعة في أفراح وأحزان أهل البيت عليهم السلام، ولأجل ذلك إذا حلّ محرّم سيطر الحزن

(١) الأمالي (الطوسي)، ص ٦٥٥.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٣٧.

(٣) الأمالي (الطوسي)، ص ٣٥٣.



والأسى على قلوب المؤمنين، وكلُّ بحسب ما له من الدرجة والمرتبة الإيمانية، وكذلك العكس؛ فإذا أصاب الشيعة الآلام والهموم فإنَّ ذلك يصيب أهل البيت عليهم السلام ويتأثرون بذلك، ولذا روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا منّا، وقد خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمةً، ورضينا بهم شيعة، يصيبهم مصابنا، وتبكيهم مصائبنا، ويحزنهم حزننا، ويسرهم سرورنا، ونحن أيضاً نتألم بتألمهم، ونطلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقوننا ونحن لا نفارقهم»<sup>(١)</sup>.

وروي عنه عليه السلام: «رحم الله شيعتنا إنهم أوذوا فينا ولم نوذ فيهم، شيعتنا منّا، قد خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، يصيبهم مصابنا، وتبكيهم أوصابنا، ويحزنهم حزننا، ويسرهم سرورنا، ونحن أيضاً نتألم لتألمهم، ونطلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا ولا نفارقهم؛ لأنَّ مرجع العبد إلى سيّده ومعوّله على مولاه، فهم يهجرّون من عادانا، ويجهرون بمدح من والانا، ويواعدون من آذاننا...»<sup>(٢)</sup>.

#### الأثر الثاني: الطلب بثأرهم

إنَّ من جملة الآثار المترتبة على ذلك هو أنّ هناك حقاً للشيعة في الطلب بالثأر ممّن اعتدى على أهل البيت عليهم السلام، وهو ما جاء في زيارة عاشوراء: «وأن يرزقني طلب ثاري مع إمام هدى (مهدى) ظاهر ناطق بالحق منكم».

#### الأثر الثالث: الثبات على الولاية

إنَّ من جملة الآثار المترتبة على ذلك ثبات الشيعة على البلايا والمصائب التي تنزل بهم بسبب تشييعهم وعدم تنازلهم عن ذلك، فإنَّ هذه الرابطة التكوينية تعطيهم قوةً روحيةً على نحو المقتضي تعينهم في تحمّلهم.

(١) الخصائص الحسينية، ص ٨٩.

(٢) المنتخب (الطريحي)، ص ٢٦٨.

ولتقريب ذلك نقول: كما أنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وكما أنّ الصوم يعطي طاقةً من نور التقوى، وهكذا بقية العبادات لها آثار روحية، حيث تكسب الروح طاقةً من النور يكبح بها جماح النفس والهوى، فكذلك الأمر بالنسبة لهذه العلاقة التكوينية التي تربط الشيعة بأهل البيت (عليهم السلام)، فإنها تعينهم على البقاء والثبات مهما واجهتهم من الظروف القاسية، وهذه القوة - كما قلنا - ليست إلا معيناً على سبيل المقتضي، لا العلة التامة.

#### السبب الرابع: الجزء الأخرى

هناك حاجتان ضرورتان لدى الإنسان:

الحاجة الأولى: الأمان، فهو مخلوق يحتاج للأمان، ولذلك خلقت معه غريزة دفع الضرر المحتمل من أجل تلبية هذه الحاجة، فهو من خلالها يبحث عن الأمان، وخصوصاً الأمان الأخرى، لأنه أهم من الأمان الدنيوي؛ وذلك لأنّ أيام الدنيا قصيرة، وأما الآخرة فأيامها دائمة لا انقطاع لها. كما أنّ المخاوف الأخرى أشدّ خطراً من المخاوف الدنيوية، فالإنسان أمامه عوالم غريبة ومليئة بالمخاوف والمكاره، فمن عالم القبر إلى عالم البرزخ، وعالم الحشر، وعالم الحساب، وعالم الميزان، وعالم الصراط، وغيرها.

وقد أشارت النصوص المتواترة إلى أنّ ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ممّا يعين على تلك الأهوال ويساعد على النجاة من تلك المخاوف.

الحاجة الثانية: الكمال، فالإنسان مفضول على حبّ الكمال، ولذا فهو دائماً يبحث عمّا يجلب له السعادة واللذة، وبالأخص السعادة الدائمة وهي التي تكون في الآخرة، وقد دلّت النصوص الكثيرة بأنّ ولاية أهل البيت (عليهم السلام) من أسباب السعادة والفوز بنعيم الآخرة.

إذا اتضح ذلك، فمن الواضح والطبيعي بأنه ستهون كلّ بلايا الدنيا ومصائبها عند الإنسان الموالي ما دام يعلم بأنّ نتيجة هذه الولاية والثبات عليها هي الأمان والسعادة، فهو وإن واجه المحن والبلايا بسبب تشييعه إلا أنّ هناك أماناً وسعادةً أخرويين ينتظرانه بسبب ذلك، وأما لو تخلى عن ولائه فإنه لا مفرّ له من تلك المخاوف والأهوال الأخروية.

فقد روي عن النبي ﷺ: «من سرّه أن يلقى الله (عز وجل) وهو مقبل عليه غير معرض عنه فليوالك يا علي، ومن سرّه أن يلقى الله (عز وجل) وهو راضٍ عنه فليتوال ابنك الحسن، ومن سرّه أن يلقى الله ولا خوف عليه فليتوال ابنك الحسين، ومن سرّه أن يلقى الله وقد محاذنوبه عنه فليوال علي بن الحسين، ومن سرّه أن يلقى الله وهو قرير العين فليوال محمد الباقر، ومن سرّه أن يلقى الله يعطيه كتابه بيمينه فليوال جعفر الصادق، ومن سرّه أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليوال موسى الكاظم، ومن سرّه أن يلقى الله وهو ضاحك فليوال علي الرضا، ومن سرّه أن يلقى الله وقد رفعت درجاته وبدلت سيئاته حسنات فليوال محمد الجواد، ومن سرّه أن يلقى الله ويحاسبه حساباً يسيراً ويدخله جنات عدن عرضها السماوات والأرض فليوال علي الهادي، ومن سرّه أن يلقى الله وهو من الفائزين فليوال الحسن العسكري، ومن سرّه أن يلقى الله وقد كمل إيمانه وحسن إسلامه فليوال الحجة المهدي»<sup>(١)</sup>.

هذا ناهيك عمّا دلّ على أجر الصابرين، فإنّ الصبر على البلاء المترتب على الولاء من أعظم الصبر أجراً ومثوبةً، فلا شك بأنّ لعموم الصبر على البلاء المثوبة كما قال تعالى: {وَنَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} <sup>(٢)</sup>، فإذا كان في الدين فهو أعظم، وقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «ما أحد من شيعتنا يبتليه الله (عز

(١) الفضائل (لابن شاذان)، ص ١٦٦.

(٢) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٦.

وجل) ببلية فيصبر عليها إلا كان له أجر ألف شهيد»<sup>(١)</sup>، وعن الإمام الصادق عليه السلام:  
«حقوق شيعتنا علينا أوجب من حقوقنا عليهم. قيل له: كيف ذلك يا ابن رسول الله؟  
فقال: لأنهم يصابون فينا ولا نصاب فيهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) المؤمن (للحسين بن سعيد)، ص ١٦.

(٢) الأمالي (الطوسي)، ص ٣٠٤.

## الجهة الثامنة: وصايا أهل البيت عليهم السلام

هناك وصايا كثيرة من قبل أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم، ونحن بأمس الحاجة لها في هذا الزمن، ونشير هنا إلى المهم منها:

### الوصية الأولى: التوحد بين الشيعة

من أهمّ الوصايا التي حثّ عليها أهل البيت عليهم السلام شيعتهم هي التوحد فيما بينهم والتكاتف والتعاون والتلاحم ونبذ الفرقة والاختلاف. فمهما اختلفت وجهات النظر الفكرية إلا أنّ هناك عاملاً مشتركاً يربط الجميع وهو الولاية لهم عليهم السلام، فلا بدّ وأن يكون ذلك محطّ النظر والاهتمام ليكون دافعاً وباعثاً لترك التحزّب والتشرذم الذي أوجب الوهن والضعف فينا، فلا ينبغي أن تكون المرجعيات المتعدّدة أو الأحزاب السياسية المختلفة أو وجهات النظر المتضاربة سبباً لتفريق وتمزيق كياننا، بل لا بدّ وأن يكون الشيعة صفّاً واحداً بروح واحدة وقلب واحد، تسود بينهم المحبة والرحمة، وإليك بعض الأخبار في هذا المعنى:

١- رواية خثيمة عن الإمام الباقر عليه السلام: «يا خثيمة، أبلغ من ترى من موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيّهم جنازة ميّتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإنّ لُقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحمياً أمرنا يا خثيمة، أبلغ موالينا أنا لا نغني عنهم من الله شيئاً إلا بعمل، وأنهم لن

ينالوا ولا يتنا إلا بالورع، وأن أشد الناس حسرةً يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره»<sup>(١)</sup>.

٢- رواية عبد الله بن بكير: دخل جماعة على الإمام الباقر عليه السلام فقالوا: يا ابن رسول الله إنا نريد العراق فأوصنا، فقال أبو جعفر عليه السلام: «ليقوّ شديدكم ضعيفكم، وليعد غنيكم على فقيركم...»<sup>(٢)</sup>.

ولا بأس ببيان بعض النقاط المرتبطة بهذه الوصية:

### النقطة الأولى: حقيقة التوحد

لا شك بأنه لا يمكن التوحد الحقيقي بين جميع الناس، فهذا أمر مستحيل؛ ضرورة الاختلاف الفيسيولوجي والسكولوجي، والمكاني والزماني، وغير ذلك بينهم، بل لازم ذلك وحدة الكثير وكثرة الواحد كما يقولون وهو محال، وإنما المقصود بهذا التوحد هو التوحد الاعتباري؛ وذلك بأن يعيش الجميع متبانيين على الاتحاد، ومعتبرين كونهم نفساً واحدةً وبدناً واحداً، فيعتبر كل واحد نفس الآخر بمثابة نفسه، فإذا حصل هذا الاعتبار والتباني فسوف يترتب على ذلك آثار عديدة، منها:

الأثر الأول: حب الخير للغير (الوحدة الإحساسية الشعورية)

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٧٥.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٢٢.

إنّ من الآثار المترتبة على هذا الاعتبار والشعور هو حبّ الخير للآخرين كحبّ ذلك للنفس، وهذا هو ما حثت عليه الأخبار: «وأحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك»<sup>(١)</sup>، فحينما يعيش الإنسان مستشعراً أنّ الآخرين كنفسه فإنه سيتمنى كلّ نعمة وخير لهم، ولن يجد في قلبه ذرةً من الحسد أو الحقد لأحد، ولن يتمنى زوال نعمة عنهم أو نزول بلية بهم لأنه يراهم كنفسه، فكلّ خير ينزل بهم فهو نازل به، وكلّ سوء يحوط بهم فقد أحاط به.

#### الأثر الثاني: قضاء حوائج الآخرين (الوحدة الحاجية الغائية)

حينما يشعر الإنسان بهذا الحسّ الاعتباري فإنه لن يتواني أبداً في قضاء حوائج الناس، ولن يتردد في إسداء ما يمكن تقديمه من الخدمة لهم؛ وذلك لأنه يرى بأنّ حاجات الآخرين هي حاجة له، ومن الطبيعي بأنّ الإنسان يسعى في سدّ حوائجهم وتحصيل ما تطلبه نفسه وتلبية رغباتها وما يحقق لها كمالها، وهذا يعتبر من أسمى الأمور؛ فعن الإمام الكاظم عليه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله (عز وجل)، وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلّط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>. وعنه عليه السلام: «إنّ لله عبداً يسعون في حوائج الناس أولئك هم الأمنون يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

#### الأثر الثالث: المواساة في العيش (الوحدة المعيشية)

حينما يعيش الإنسان بهذا الشعور فسوف يدرك حياة الفقراء ويعيش آلامهم ويجد معاناتهم، ويجد نفسه هي التي تعيش الحرمان والفقر ويسعى لانتشالها من هذه الحالة، وبذلك لن يبخل بما يمكنه تقديمه ومدّ يد العون به لإخوانه، وهذه هي التربية التي ربّ

(١) الأمالي (الطوسي)، ص ٥٠٨.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ١٩٦.

(٣) نفس المصدر، ص ١٩٧.

بها الأئمة الطاهرون عليها شيعتهم، ولذا يوصي الإمام الكاظم عليه السلام علي بن يقطين: «ضمن لي الكاهلي وعباله أضمن لك الجنة»، فلم يزل ابن يقطين يجري لهم الطعام والدراهم وجميع النفقات مستغنين حتى مات الكاهلي<sup>(١)</sup>.

#### الأثر الرابع: التزاور (الوحدة التواصلية)

ومن جملة الآثار المترتبة على هذه الوحدة الاعتبارية أيضاً التزاور والتلاقي، فإن الإنسان حينما يجد الآخر كنفسه فإنه لا يرغب في مفارقة نفسه، ويجب دائماً أن يكون على صلة بها وارتباط معها، وهذا ما أكدت عليه الأخبار، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «من زار أخاه في بيته قال الله (عز وجل) له: أنت ضيفي وزائري، علي قراك وقد أوجبت لك الجنة»<sup>(٢)</sup>.  
وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «ليس شيء أنكى لإبليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض، وإن المؤمنين يلتقيان فيذكران الله ثم يذكران فضلنا أهل البيت»<sup>(٣)</sup>.  
وعنه عليه السلام: «من زار أخاه المؤمن لله لا لغيره يطلب به ثواب الله وتنجز ما وعده الله (عز وجل) وكل به سبعين ألف ملك من حين يخرج من منزله حتى يعود إليه ينادونه ألا طبت وطابت لك الجنة تبوات من الجنة منزلاً»<sup>(٤)</sup>.

#### الأثر الخامس: الدعاء (الوحدة الدعائية)

ومن جملة الآثار المترتبة على ذلك أن لا يترك المؤمن أخاه من دعائه ولا يعيش روح الأنانية والتفوق على الذات، بل ستنتقل نفسه نحو آفاق واسعة، وسيمتلك حساً غيرياً وروحاً غيرية ترغّب في إسعاد الآخرين بأية وسيلة ولو من خلال الدعاء، وهذه هي تربية

(١) اختيار معرفة الرجال، ج ٢، ص ٧٤٥.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ١٤١.

(٣) نفس المصدر، ص ١٨٨.

(٤) نفس المصدر، ص ١٧٩.



أهل البيت عليهم السلام؛ فعن إبراهيم بن هاشم قال: رأيت عبد الله بن جندب بعرفة ولم أر موقفاً كان أحسن من موقفه؛ ما زال ماداً يده إلى السماء ودموعه تسيل على خديه حتى تبلغ الأرض، فلما انصرف الناس قلت له: يا أبا محمد ما رأيت قط أحسن من موقفك. قال لي: والله ما دعوت فيه إلا لأخواني؛ وذلك لأن أبا الحسن موسى عليه السلام أخبرني: «أنه من دعا لأخيه المؤمن بظهر الغيب نودي من العرش: ولك بكل واحدة مائة ألف»، وكرهت أن أدع مائة ألف لواحدة لا أدري تستجاب أم لا<sup>(١)</sup>.

#### الأثر السادس: الإصلاح (الوحدة الإصلاحية)

ومن جملة الآثار هو أن يسعى الإنسان لإصلاح غيره كما هو حريص على إصلاح نفسه، فيحاول إنقاذ الآخرين من أي خطر أو ضرر دنيوي أو أخروي قد ينالهم؛ وذلك لأنه يراهم كنفسه تماماً، والإنسان مجبول على حب ذاته وعلى دفع الضرر عنها، سواء كان ذلك من خلال تقديم النصيحة والمشورة إليهم أم من خلال قيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما أكدت عليه النصوص، من قبيل قوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} <sup>(٢)</sup>.

#### النقطة الثانية: عوامل التوحد

هناك عدة عوامل للتوحد، يمكن أن نذكر منها:

العامل الأول: نقاط الالتقاء

(١) نفس المصدر، ص ٥٠٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

لابد وأن يركّز الاهتمام على نقاط الاشتراك والالتقاء، وليس من الصحيح أن يصبّ النظر فقط على نقاط الاختلاف والافتراق، فحينما ننظر نظرة واقعية بحق في جوانب الاشتراك والالتقاء بيننا فسوف نجد لها كثيرةً للغاية، فإنّ نقاط الالتقاء بيننا وبين المخالفين إذا كانت كثيرةً فكيف بها بيننا نحن أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، فلا نختلف في أنّ أئمتنا (عليهم السلام) منصوبون من قبل الله تعالى، وأنهم معصومون، وأنّ لديهم كلّ ما يحتاج إليه الناس من العلم والمعرفة، وأنهم خيرة خلق الله تعالى، إلى غير ذلك من المسائل الكثيرة. وأما المسائل التي نختلف فيها فهي ليست بحجم هذه المسائل من حيث الأهمية، ولا توجب الخروج من المذهب، بل هي مسائل في بعض التفاصيل المعرفية أو الفقهية التي لها مبرراتها والتي سنشير إلى بعض منها، وبناءً على ذلك فإذا أراد أتباع أهل البيت (عليهم السلام) أن يتوحدوا فيما بينهم فلا بدّ أن يلحظوا هذه الأصول والفروع الكثيرة المشتركة بينهم، ويجعلوا منها عاملاً محرّكاً ومشجعاً نحو التوحد والتلاحم، لا أن يجعلوا من بعض القضايا الخلافية الجزئية سبباً للقطيعة والتنافر.

ثم أنه كيف ندعو لمثل هذا مع المخالفين ونحن أحقّ بأن ندعو لذلك فيما بيننا أنفسنا؟! إذاً فلا بدّ من التركيز على ملاحظة المشتركات ليتيسر بذلك الوصول إلى نتائج إيجابية وتتاح مسألة تقبّل الطرف الآخر، وأما قصر النظر على مواقع الاختلاف فهذا هو ما يدعو إلى التدابر والتخاصم والهجران.

#### العامل الثاني: المصلحة العامّة

ينبغي الالتفات إلى أنّ في التوحد تحقيقاً للمصلحة العامّة للمذهب، وأما في الافتراق ففي ذلك الفساد على المذهب والمجتمع الشيعي، وفي ذلك الوهن والضعف، ولأجل ذلك فحينما نريد أن تكون لدينا قوة وكيان شيعي قوي يستطيع المطالبة بحقوقه والدفاع عن نفسه ويمارس حياته بكلّ أريحية وفي كامل حرّيته، فلا بدّ أن نكون صفاً واحداً

ونعيش بقلب وببدن واحد، فإذا كنا نطالب بذلك وأن نكون على هذا المستوى وهذا الحال مع المخالفين معنا في المذهب فكيف بنا ونحن على مذهب واحد، فمن الأجدر بنا أن نتحرك من منطلق المصلحة العامة للمذهب وعموم المؤمنين، لا أن نبحت عن مصالحنا الشخصية ومنافعنا الذاتية التي قد تؤدي بنا إلى الشتات والضعف، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} (١)، {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} (٢)، {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} (٣).

ينقل بأن صفي بن أكثم عند وفاته جمع أولاده وأعطى كل واحد منهم حزمة من الأعواد وطلب منه أن يكسرها فعجزوا جميعاً عن ذلك ثم قتل هذه الحزمة وفرق عيدانها فأعطى كل واحد منهم عوداً أن يكسره فتكسرت الأعواد ثم قال لهم أولادي إذا اجتمعتم لم يمكن لأحد كسرکم وإذا افترقتم تكسرتم كما تكسرت هذه العيدان. ولو فرضنا أن هناك بعض القضايا التي يكون إثارتها بين عوام الناس سبباً لإضلال الناس أو تشتيت الصفوف والتفريق، فلا حاجة لعرضها وطرحها على الناس، لا سيما إذا لم تكن من القضايا المهمة والماسة.

### العامل الثالث: الحوار الهادف

لا بد من الجلوس على طاولة الحوار الهادئ والهادف من أجل أن تتضح بعض الحفايا والملابسات التي أدت إلى وقوع الاختلاف، والتي يتم من خلالها تقليص نسبة الاختلاف، والتوافق على أكبر مقدار متاح، والتفاهم على أن الاختلاف قضية طبيعية ولا توجب

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣) سورة الأنفال: ٤٦.

القطيعة والهجران، ولقد دعانا الإسلام إلى التحاور مع أصحاب الديانات الأخرى: {اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (١).

وهكذا كان منهج أهل البيت عليهم السلام مع مخالفيهم، فقد استعمل أمير المؤمنين عليه السلام طريقة الحوار مع أهل الجمل وصفين والنهروان، ولم يزل يعظهم ويحذرهم ويقوم الحجة بعد الأخرى عليهم إلى أن لم يجد بداً من قتالهم وإطفاء نار الفتنة، وهكذا الحسين عليه السلام وكذلك بقية الأئمة عليهم السلام، فينبغي الدعوة المجادة للحوار الهادف والبناء بدلاً من التراشق وإلقاء التهم والتخوين وأشباه ذلك.

#### العامل الرابع: الاحترام المتبادل

لا بدّ وأن يكون بين جميع الأطراف المختلفة مبدأ الاحترام المتبادل، وذلك من خلال تصفية النفوس وتخليتها من الأمراض القلبية كالحقد والكراهية، ومن خلال تطهير الألسن والأقلام من استخدام الكلمات البذيئة والجارحة والقاسية التي لا ينبغي أن تكون بين المؤمنين، ومن خلال إذابة حالة الاحتقان والتشنج إلى بث روح الودّ والمحبة والتقدير للجميع، فمهما اختلفنا فلا بدّ وأن يكون الاحترام سائداً بيننا والرحمة قائمةً عندنا، وأن لا يسعى أحد لتسقيط الآخر أو هتك حرمة أو التشهير به وتخوينه ما دام الخلاف جزئياً لم يبلغ حدّاً يوجب الخروج عن الدين أو المذهب، ولم يشكل خطراً على الدين أو المذهب كما هو الحاصل في كثير من الاختلافات، على أنها قضايا شخصية أو جزئية لا ربط لها بذلك من قريب أو من بعيد.

(١) سورة النحل: ١٢٥.

### العامل الخامس: ترشيد ثقافة الاختلاف

حينما ندعو لثقافة الاختلاف فهذا لا يعني إتاحة المجال وفتح الأبواب لطرح كل قضية بحجة ثقافة الاختلاف وبشعار الرأي والرأي الآخر كما يتوهم البعض، حيث يروج إلى طرح كل فكرة ولو كانت واضحة الفساد والبطلان، متذرعاً بأن هذه حرية فكرية، وأنّ الحداثة والعصرنة التنويرية تقتضيان ذلك، بل لا بدّ من الاتفاق على أنّ هناك مساحةً محدّدة للاختلاف، وهناك منطقة حمراء لا ينبغي وقوع الاختلاف فيها، وإذا ما وقع فيها الاختلاف فلا بدّ من اتخاذ أساليب وإجراءات منطقية وعقلانية وشرعية معيّنة تتناسب مع حجم هذا الاختلاف وما يشيره في الوسط العام والساحة الاجتماعية.

وهنا يمكن الإشارة إلى ما فيه مساحة للاختلاف وما ليس كذلك:

#### الأمر الأول: الاختلاف العلمي

لا بدّ وأن يكون الاختلاف مستنداً إلى موازين علمية وأسس صحيحة، فيكون من قبل أطراف مختصة في مجال العلم والبحث، فإنه من غير الصحيح أن يأتي غير المختص والجاهل بالكيمياء ليخالف علماء الكيمياء أو يخالف علماء الفيزياء أو الطب أو الدين أو الفلك وغير ذلك، مدّعياً بأنه رأي ورأي آخر؛ فإنّ العقلاء لا يقبلون بهكذا خلاف، بل يسخرون به؛ لأنه ليس مبنياً على منهج علمي.

#### الأمر الثاني: المبرر العلمي

لا بدّ وأن يكون هذا الاختلاف الحاصل بين المختصين في هذا المجال مستنداً إلى أدلة ومستندات علمية وحجج مقبولة؛ حتى يكون اختلافاً علمياً مبرراً صحيحاً، وأما إذا لم يكن قائماً على دليل وحجة أو على حجة غير عقلانية يرفضها جميع العقلاء فهذا في الواقع خلاف من أجل الخلاف ليس أكثر من ذلك، وهو أمر مرفوض؛ لأنه إضاعة للوقت وهدر للطاقات.

### الأمر الثالث: الفائدة العلمية

لابد وأن يكون هذا الاختلاف ذا فائدة ومنفعة للناس، ويوجب إثراء معرفياً وتوعياً علميةً وخدمةً اجتماعيةً، وأما إذا كان هذا الاختلاف ليس ذا ثمرة علمية ولا عملية - وإنما هو مجرد ترف فكري وهدر للطاقات وإضاعة للجهود والأوقات - فهذا أمر مرفوض لدى العقلاء.

### الأمر الرابع: الأمن الاجتماعي

لابد وأن لا يكون لهذا الاختلاف خطراً أو ضرراً على الأمن الاجتماعي، وأما لو كان يربك أمن المجتمع ويوجب الفساد الاجتماعي فهو اختلاف مرفوض، فحينما يتوافق أفراد المجتمع على مسألة معينة كالإيمان بنبوة الخاتم، وأن القرآن كتاب سماوي، حتى صارت هذه المسائل محل اتفاق وتباني بين أفراد المجتمع، وقام عليها ميثاق وعقد ارتكازي بين أفراد المجتمع بأن على ذلك يتم تعايشنا، فإنه من غير المسموح لأحد أن يهدم هذا العقد، ولو فرض أن قام شخص وحارب هذه الفكرة وقام بالترويج لها بين أفراد المجتمع بغية تمزيق المجتمع ومنع استقراره فإنه قد نقض الاتفاق والعقد الاجتماعي، وشكّل ضرراً وخطراً على أمن واستقرار هذا المجتمع، فيكون اختلافه مرفوضاً ممنوعاً يلزم مجابته والتصدي له حفاظاً على أمن المجتمع. ومن هنا نقول: ليس من الصحيح الدعوة والترويج لطرح كل فكرة ومن كل شخص وبأي كيفية بقضية ثقافة الاختلاف.

وهذا هو المنهج الذي سار عليه القرآن، ففي الوقت الذي دعا فيه إلى الحوار والحكمة والموعظة الحسنة، فإنه دعا إلى محاربة أهل البدع والضلال، ولأجل ذلك نجد أنّ الأئمة عليهم السلام حاربوا المبتدعة في الدين وأصحاب الضلال، ولعنوهم وتبرؤوا منهم، ودعوا إلى ذلك، وقد أشرنا إلى بعض ذلك فيما سبق.

### النقطة الثالثة: موانع عملية التوحد

هناك عدّة موانع تعيق عملية التوحد، نذكر منها:

#### المانع الأول: المصالح الشخصية

حينما يبحث الإنسان عن مصالحه ومنافعه الشخصية، من الرغبة في الحصول على المناصب الدنيوية، أو الألقاب الوهمية، أو يطلب الظهور والشهرة، أو يبتغي المال، وغير ذلك من الأمور الوهمية، فإنه سيبدل قصارى جهده لتحقيق ذلك ولو بإثارة الاختلاف وطرح القضايا التي توجب التقاطع والافتراق، فكم شخص ظهر وادّعى دعاوى زائفة أو طرح أفكاراً شاذة أو روج لبعض الجماعات المنحرفة ممّا أدّى ذلك إلى تفريق المجتمع وتمزيقه، وما ذاك إلا بحثاً عن المنافع الذاتية والمصالح الشخصية، وهذا من أهمّ الأسباب التي أوجبت ظهور فرق متعدّدة في المذهب الشيعي على امتداد التاريخ، من الكيسانية والواقفية والمخمّسة والبايية وغير ذلك، ولا تزال الجماعات الشاذة عن الطريق تزداد يوماً بعد آخر.

#### المانع الثاني: الحسد

حينما يتمكّن الحسد من قلب الإنسان فإنه يجعل صاحبه يفكر في السبل والطرق التي يستطيع من خلالها إفشال الآخر وإعاقة نجاحه، فيعدّ العدة ويبدل قصارى جهده في المحاربة للآخرين وتسقيطهم من أعين الناس وإبعاد الناس عنهم؛ لكي تكون له الخطوة والغلبة، فيظنّ بأنه إذا كسر الآخرين وطعنهم فإنّ الساحة سوف تخلو له ويحقّق بالتالي أهدافه وما يصبو إليه، وهذا أيضاً من أهمّ الموانع التي مرّقت كيان الأمة الإسلامية وأدّت إلى تفرّق المسلمين واختلافهم، بل أدّى إلى اختلاف المجتمع الإنساني برمّته، ولذا يقول سبحانه: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(١)</sup>، {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا \* فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا<sup>(٢)</sup> .

#### المانع الثالث: الدخلاء

من جملة الموانع التي تعيق عملية توحيد الصفوف هو وجود بعض الجماعات الدخيلة التي تسعى لإثارة الفتن وإشاعة الفوضى بين الأطراف، فتحاول إثارة كل طرف على الطرف الآخر وتخلق الأكاذيب من أجل ذلك، وقد تقترح في الوسط وتثير قضايا تؤدّي إلى القلق والتوتر الاجتماعي، وليس من المستبعد أن تكون تحمل من خلفها أجندة خارجية وتتحرك من خلال توجيهات قوى عالمية واستعمارية لا يروق لها أن ترى كلمة المسلمين مجتمعة، ولا يقرّ قرارها حتى ترى نار الفرقة تسود بين المسلمين، ولأجل ذلك متى ما استدعت الظروف قامت باختلاق شخصيات وهمية على أساس أنها من رجالات الدين وحماته لتصل من خلالها إلى مآربها، وبذلت لها الأموال وهيأت لها الأسباب التي تمكّنها وتساعدتها على نيل أهدافها، فينبغي علينا الحذر من هذه الأطراف الدخيلة وتحذير الناس منها لئلا يقعوا في شركها، وقد كانت جماعة المنافقين أيام النبي ﷺ تسعى جاهدةً لتحقيق ذلك، حتى بنوا لهم مسجد ضرار، لكنّ الله تعالى فضحهم وأخزاهم: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) سورة النساء: ٥٤-٥٥.



مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ  
وَلِيُخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ<sup>(١)</sup>.

### الوصية الثانية: انتظار الفرج

ما من أحد من أهل البيت عليهم السلام إلا وقد أوصى بانتظار الفرج، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله»<sup>(٢)</sup>، وقال: «أفضل العبادة انتظار الفرج»<sup>(٣)</sup>، وعن الإمام الجواد عليه السلام: «أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج»<sup>(٤)</sup>.  
ولأهمية هذه الوصية لا بد من البحث فيها في عدة نقاط:

### النقطة الأولى: معنى انتظار الفرج

هناك عدة معاني لانتظار الفرج:

#### المعنى الأول: الانتظار العقلي

بمعنى أن يعيش المنتظر حالة الانتظار والترقب الفكري للإمام المهدي عليه السلام، وهذا يتحقق من خلال البحث والاطلاع على القضية المهدوية وما يرتبط بها، وذلك من خلال القراءة في الأخبار الواردة في المهدي عليه السلام، وفي العقيدة المهدوية، والولادة المهدوية، والغيبة المهدوية، والظهور المهدوي، والعدالة المهدوية، وغير ذلك مما يرتبط بالقضية المهدوية؛

(١) سورة التوبة: ١٠٧.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٣٩.

(٣) كمال الدين، ص ٢٨٧.

(٤) كمال الدين، ص ٣٧٧.

حتى يكون له اطلاع واسع ودراية شاملة بهذه القضية العالمية، ويمتلك الأدلة الكافية والوافية عليها.

ويمكن الاستشهاد بهذا المعنى للانتظار ببعض الروايات المشيرة إلى أنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يفكرون في الإمام المهدي عليه السلام وولادته الخفية وغيبته وحال المؤمنين في ذلك الزمان، ومنها:

ما رواه الأصبغ بن نباتة قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته متفكراً ينكت في الأرض، فقلت: ما لي أراك متفكراً تنكت في الأرض؟ أرغبة منك فيها؟ فقال: «لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوماً قط، لكنني فكرت في مولود يكون من ظهري، الحادي عشر من وُلدي، وهو المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملأت جوراً وظلماً، تكون له غيبة وحيرة يضلّ فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون» فقلت: وكم تكون الحيرة والغيبة؟ قال: «ستة أيام أو ستة أشهر أو ست سنين» فقلت: وإنّ هذا لكائن؟ فقال: «نعم، كما أنه مخلوق، وأنى لك بهذا الأمر يا أصبغ! أولئك خيار هذه الأمة مع أبرار هذه العترة» فقلت: ثم ما يكون بعد ذلك؟ فقال: «ثم يفعل الله ما يشاء، فإنّ له بداءات وإرادات وغايات ونهايات»<sup>(١)</sup>.

وهنا ينبغي الإشارة إلى بعض الأمور:

الأمر الأول: حقيقة العقل

لقد كثر ذكر العقل في القرآن الكريم وبأسماء مختلفة، فتارة يذكر باسم الحجر: {هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ} <sup>(٢)</sup>، وسمي بذلك لأنه يمنع صاحبه من ارتكاب القبيح، وتارة

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٣٨.

(٢) سورة الفجر: ٥.

يذكر باسم اللب: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (١)، وسمي بذلك لأنه هو الذي يعلم الحق من تبعه، وأخرى يذكر باسم الثهي: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النَّهْيِ} (٢)، وسمي بذلك لأنه ينتهي إلى ما أمر به، وتارة يذكر باسم الحلم: {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ} (٣)، وسمي بذلك بلحاظ أنه يوهم الإنسان ويخيّل له، وتارة يذكر باسم القلب: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} (٤)، وسمي بذلك بلحاظ أنه مركز الأحاسيس والمشاعر. وقد اختلفت الأنظار بين علماء النفس والحكمة والعرفان والتشريح في حقيقة العقل وفي موضعه من بدن الإنسان، والمهم في المقام رآيان:

### الرأي الأول: العقل المادي

فقد ذهب بعض علماء الطب وبعض علماء الفقه إلى أنّ العقل جزء مادي من بدن الإنسان، ولكن اختلفوا في موضعه إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه في رأس الإنسان، وأنه عبارة عن الدماغ الذي يتكوّن من المخ والمخيخ والبصلة السيسائية (النخاع المستطيل)، ويعتبر المخ أكبر أقسام الدماغ، وهو مركز عصبي للذاكرة والذكاء والحركات الإرادية وإحساسات الرؤية والسمع والشم والذوق واللمس، وأما المخيخ فهو مركز عصبي لتوازن الجسم ويكون خلف المخ، وأما النخاع المستطيل فيقع خلف المخ، وهو الواصل بين النخاع الشوكي وأقسام الدماغ الأخرى، وهو مركز عصبي للتنفس، ويكون الدماغ محمياً بنظام الجمجمة ومغلّف بثلاثة أغشية: الأم الجافية والأم العنكبوتية والأم الحنون.

(١) سورة الزمر: ٢١.

(٢) سورة طه: ٥٤.

(٣) سورة الطور: ٣٢.

(٤) سورة ق: ٣٧.

وقد استدّل أصحاب هذا الرأي على دعواهم بأنه إذا أصاب الدماغ آفة فسد العقل، وإذا جنّ الدماغ ذهب العقل، وبأنّ الرجل يضرب في رأسه فيزول عقله، فلولا أنّ العقل في الرأس لما زال. وتوجد رواية قد تؤيد هذا الرأي مروية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «موضع العقل الدماغ، ألا ترى الرجل إذا كان قليل العقل قيل له ما أخف دماغك»<sup>(١)</sup>. وممن ذهب لذلك السمعاني<sup>(٢)</sup>، وأحمد بن إدريس المالكي<sup>(٣)</sup>.

القول الثاني: أنه في القلب، وقد استدّل أصحاب هذا القول ببعض الآيات، كقوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} <sup>(٤)</sup>، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} <sup>(٥)</sup>، وذهب لهذا الرأي القرطبي<sup>(٦)</sup>، والألوسي<sup>(٧)</sup>.

القول الثالث: أنه في القلب والدماغ، ولذا يقول ابن تيمية: «أما تعلّقه بالدماغ فيرجع إلى أنّ مبدأ النظر والفكر في الدماغ، وأما تعلّقه بالقلب فيرجع إلى أنّ القلب مرجع الإرادة»<sup>(٨)</sup>.

#### الرأي الثاني: العقل المجرد

ذهب بعض الفلاسفة إلى أنّ العقل هو جوهر مجرد عن المادة، وتوجد عدّة أقوال لأصحاب هذا الرأي:

(١) تحف العقول، ص ٣٧١.

(٢) قواطع الأدلة في الأصول، ج ١، ص ٢٧.

(٣) الأمنية في إدراك النية، ص ١٧.

(٤) سورة الحج: ٤٦.

(٥) سورة ق: ٣٧.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ١٨٩.

(٧) روح المعاني، ج ١٧، ص ١٦٨.

(٨) الرسائل المنيرية، ج ٢، ص ٤٨.

القول الأول: أنّ العقل هو أول موجود اخترعه الباري (عز وجل)، وهو جوهر بسيط روحاني محيط بالأشياء كلّها إحاطة روحانية.

القول الثاني: ما ذهب له البعض وهو أنّ العقل هو النفس البشرية، ولذا يقول الجرجاني في تعريفه بأنه: جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله، وهي النفس النابغة التي يشير إليها كلّ أحد بقوله أنا<sup>(١)</sup>.

القول الثالث: قوة من قوى النفس الإنسانية التي فعلها التفكر والروية والنطق والتمييز والصنائع<sup>(٢)</sup>. وهذا ما ذهب له علماء الأخلاق والعرفان، ولذا قسموا قوى النفس إلى أربع قوى:

١- القوة العقلية، وهي التي من شأنها إدراك الحسن والقبح وتمييز الخير من الشرّ، وتدعو لفعل الحسن وترك القبيح، وهي المقصود بقوله تعالى: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}.

٢- القوة الغضبية، وهي التي يدفع من خلالها الإنسان الأذى عن نفسه بأية وسيلة كانت ولو بالاعتداء على الآخرين، وهذا ما يشير له قوله تعالى: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}<sup>(٣)</sup>.

٣- القوة الشهوية، وهي التي يطلب بها الإنسان لنفسه المنفعة واللذة كالطعام والشراب وغيرهما، وهي المقصودة بقوله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ}<sup>(٤)</sup>.

٤- القوة الوهمية، وهي القوة التي تتفاعل مع القوى الثلاث، فلو سخرت في خدمة القوة العقلية لأبدع الإنسان في مجالات العلوم والابتكارات، ولو سخرها في خدمة القوة البهيمية الشهوية لأبدع في المكائد والحيل لتحصيل شهواته، ولو سخرها في خدمة القوة

(١) التعريفات، ج١، ص١٩٦.

(٢) رسائل إخوان الصفاء، ص٢٨٨، رسالة ٣.

(٣) سورة المائدة: ٣٠.

(٤) سورة آل عمران: ١٤.

الغضبية لأبدع في العدوان والطمع والجشع، فإذا سيطرت القوة الشهوية على النفس سمّيت بهيمية، وإذا سيطرت عليها القوة الغضبية سمّيت سبعية، وإذا تحكّمت فيها القوة العقلية سمّيت ملكية إلهية.

وبالتالي يتضح لنا طريق المصالحة بين هذه الآراء المختلفة في حقيقة العقل، فنقول: بأنّ مركز الإرادة والتفكير هو في هذه القوة، وأما الدماغ فهو مركز المعلومات والإشارات، وهو مستقبل للإشارات الخارجية ومصدر للأوامر إلى جميع الحواس.

#### الأمر الثاني: مراتب العقل

ذكر الحكماء بأنّ للعقل عدّة مراتب فينتقل من مرتبة إلى أخرى حتى بلوغ الكمال، وهذه المراتب هي:

المرتبة الأولى: العقل الهولاني، وهي عبارة عن مجرّد الاستعداد والقابلية الموجودة لدى العقل لقبول الصور العلمية، وسمّيت بذلك لأنّ العقل فيها يشبه المادّة الأولى للأشياء وهي الهولي، فالطفل مثلاً أول ما يولد ويخرج من بطن أمّه يكون عقله عقلاً هولانياً، بمعنى أنّ عقله صفحة بيضاء لا يوجد فيها شيء إلا الاستعداد لتلقّي المعارف، كالاستعداد الموجود في البذرة لتتحوّل إلى نبتة، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (١).

المرتبة الثانية: العقل بالملكة، وهي عبارة عن المرتبة التي يبدأ فيها العقل بإدراك وتعقل الأمور البديهية، فيصبح الطفل مثلاً مدركاً للموجودات التي حوله، كمفهوم الوجود والأب والأم والشمس، وبعض الكليات كقضية أنّ الكل أكبر من جزئه.

(١) سورة النحل: ٧٨.

المرتبة الثالثة: العقل بالفعل، وهي المرتبة التي يأخذ فيها العقل بالتحليل والاستنتاج والتركيب، فيصل من البديهيات التي خزنت في ذهنه إلى أمور تحليلية، ويتمكن في هذه المرتبة من القيام بالعمليات الحسابية واستنتاج القضايا الكلية، وأنه إذا وجدت العلة وجد معلولها، كقضية أن النار محرقة مثلاً.

المرتبة الرابعة: العقل المستفاد، وهي أعلى مراتب العقل، وهي مرتبة تجرد النفس الإنسانية حتى ترتبط بعالم العقل، حيث يمكنها أن تتطور في الكمال حتى تتجرد تجرداً تاماً فتصبح مرتبطةً بعالم العقل، فتحضر لديها جميع المعقولات والأمر بالفعل، فتتكشف حينها جميع الحقائق، ولا يصل إلى هذه المرتبة إلا الأوحدي من الناس الذي تجردت نفسه عن عالم الدنيا الفانية كالمعصومين ومن يلونهم.

#### الأمر الثالث: أهمية العقل

لا شك ولا ريب بأن للعقل أهميته الكبرى في حياة الإنسان، وتكمن هذه الأهمية من عدة زوايا:

الزاوية الأولى: التكريم، والعقل هو الأساس والمعيار الذي على وفقه نال الإنسان الكرامة، وبه حصل التفضيل والتمييز له على غيره من المخلوقات كالحوانات والنباتات، وبسببه صار هذا الكون كله -من جرّته وإلى مجرّته- مسخراً تحت خدمة الإنسان، ولذا يقول (عز وجل): {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (١).

الزاوية الثانية: التكليف، والعقل هو الأساس الذي عليه قام تكليف الإنسان، وبمقدار ما أعطي الإنسان من نعمة العقل بمقدار ما يكون تكليفه ومحاسبته، ولذا

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

ورد في الأثر: «لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل أدبر فأدبر.. ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحبّ، أما إني إياك أمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب»<sup>(١)</sup>. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

**الركيزة الثالثة: التكامل، والعقل هو الطريق الذي من خلاله يتمكن الإنسان من التحليق والمسير في مدارج الكمال الحقيقي، ولا يمكنه العروج نحو الحق تعالى من دون العقل، فالعرفاء لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من المقامات الشامخة لولا هذه النعمة التي استثمروها بالتفكر والتدبر في آيات الله تعالى، ولولا استغلالهم لهذه النعمة العظيمة لما كانت عباداتهم أكثر إخلاصاً وخشوعاً من غيرهم، فعن الأمير عليه السلام: «إنّ لكلّ شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته لربه»<sup>(٣)</sup>.**

**الركيزة الرابعة: الحضارة، العقل هو أساس التقدّم والتطوّر الذي وصل إليه العالم اليوم، وما كان الإنسان ليبلغ هذه الحضارة وهذا الازدهار العظيم في كلّ مجالات وميادين الحياة وفي شتى العلوم - كعلم الفلك والطب والفيزياء والكيمياء والتكنولوجيا وغيرها - لولا هذه النعمة العظيمة التي زوّده وحباه الله (عز وجل) بها.**

#### الأمر الرابع: علامات العاقل

هناك مجموعة من العلامات والدلالات التي يستدلّ بها على عقل الإنسان واستفادته من نعمة العقل، نشير إلى بعض منها:

(١) الكافي، ج ١، ص ١٠.

(٢) نفس المصدر، ص ١١.

(٣) البحار، ج ١، ص ٩٦.



### العلامة الأولى: اتباع الحق

من أهمّ علامات الإنسان العاقل أنه باحث عن الحقّ، طالب للحقيقة ومريد لها، فإذا علم طريق الحقّ اتّبعه، ولم يكن متردداً في قبوله والأخذ به، ولا معانداً له أو مستكبراً عن قبوله والتسليم به، ولا جاحداً له بعد معرفته به، ولذا يقول سبحانه: {فَبَشِّرْ عِبَادِ\* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}.

### العلامة الثانية: إعمار الآخرة

الإنسان العاقل هو الذي لا يربط قلبه بدار فانية زائلة ثم يزول عنها ولا يبلغ منها منيته، بل يتجافى عن الدنيا مشغولاً في الإعمار للآخرة، وما الدنيا عنده إلا مزرعة لتلك الدار الباقية، ولذا عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من علامات العاقل التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزوّد لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور»<sup>(١)</sup>. وعنه عليه السلام: «العاقل من زهد في دنيا دنية فانية، ورغب في جنة سنية خالدة»<sup>(٢)</sup>.

### العلامة الثالثة: غلبة العقل على الشهوة

من علامات العاقل أن يغلب عقله شهوته، ولا تتمكّن منه الشهوات الباطلة، ولا تستطيع نفسه الأمانة وأهوائه ووساوس الشيطان من التغلب عليه، بل إنه بنور عقله يطرد ظلمة شهوته ووسوسة الشيطان من صدره، فعن الأمير عليه السلام: «من كمل عقله استهان بالشهوات»<sup>(٣)</sup>. وعنه عليه السلام: «العاقل من عصى هواه في طاعة ربّه»<sup>(٤)</sup>.

(١) البحار، ج ٧٤، ص ١٧٦.

(٢) غرر الحكم، ص ٣٦١١.

(٣) مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ٢١٢.

(٤) غرر الحكم، ص ٧٥٩٥.

### العلامة الرابعة: الاستفادة من التجارب

العاقل هو الذي يستفيد من التجارب السابقة، ويعتبر من الدروس والمواعظ التي مرّ بها، فعن أمير المؤمنين: «العاقل من وعظته التجارب»<sup>(١)</sup>.

### العلامة الخامسة: التفكير

الإنسان العاقل هو الذي يستثمر هذا المخزون الكبير المفاض عليه - وهو العقل - بالتفكير والتدبر فيما يعود عليه بالنفع والخير، فعن الإمام الكاظم عليه السلام: «لكل شيء دليل، ودليل العاقل التفكير، ودليل التفكير الصمت»<sup>(٢)</sup>.

ولأجل ذلك تجد في القرآن الكريم حثاً شديداً على التدبر والتفكير في أكثر من ثلاثمائة آية، ومن أهم ما ينبغي على الإنسان التفكير فيه هو الحقائق العظيمة والمعارف العقائدية التي تبني عليها حياته ومسيرته الدنيوية والأخروية؛ فإنّ بهذه المعارف يسمو ويتكامل الإنسان، ومن هنا تجد التأكيد في القرآن على التفكير في آيات الله (عز وجل) ودلائله؛ لتتجلى لدى المتأمل العظمة والقدرة الإلهية، ولذا يقول سبحانه: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} <sup>(٣)</sup>.

إذا اتضح ذلك نقول: بأنه ينبغي على الإنسان العاقل أن يستثمر العقل في التفكير في الإمام المهدي عليه السلام، ويتزوّد من المعارف المهدوية، ويحيط بكلّ ما يرتبط بهذا الشأن، فإنها تعدّ من أهمّ القضايا، وهي الأمل المنتظر لدى الشعوب، فينبغي على العاقل أن يعطي

(١) الفقيه، ج ٤، ص ٣٨٩.

(٢) تحف العقول، ص ٣٨٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١.

مساحةً في عقله لهذه الفكرة المقدّسة، ويبحث بشكل حثيث في أصل العقيدة المهدوية وكلّ ما له صلة بذلك بمقدار ما لديه من قدرة وطاقّة، فإذا كان كذلك صح أن يقال عنه بأنه من أهل الانتظار العقلي والفكري للإمام عليه السلام.

### المعنى الثاني: الانتظار القلبي

بمعنى أن يعيش المنتظر حالة الانتظار والترقب القلبي للإمام عليه السلام، فلا يكون في غفلة عن الإمام أو نسيان له، ولا تمرّ عليه السنون أو الشهور أو الأيام وهو في بعد روي عن الإمام عليه السلام كما هو حال كثير ممّن نسوا إمامهم، بل يكون قلبه دائماً مشغولاً بالإمام ومرتبطاً به، وهو في حالة انقطاع كامل لمولاه وانجذاب تامّ إليه، حتى يجد في قلبه حرارة ولوعة الغيبة وغيصة البعد، ويعيش حالة التتيم والشوق والوله للقاء به، حتى يرى أثر ذلك واضحاً جلياً عليه، فمن حسرات وارية إلى دموع جارية، وفي هذا المعنى بعض الروايات:

الرواية الأولى: عن سدير الصيرفي قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا الصادق، فرأيناه جالساً على التراب، وعليه مسحٌ خيبريٌّ مطوّقٌ بلا جيب، مقصر الكمين، وهو يبكي بكاء الواله الشكلي، ذات الكبد الحرّي، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغيّر في عارضيه، وأبلى الدموع محجريه، وهو يقول: «سيدي! غيبتك نفت رقادِي، وضيقت عليّ مهادي، وأسرت مني راحة فؤادي. سيدي! غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد، يفني الجمع والعدد، فما أحسّ بدمعة ترقى من عيني، وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا، وسوالف البلايا، إلا مُثل لعيني عن عواير أعظمها وأفظعها، وتراقى أشدها وأنكرها، ونوائب مخلوطة بغضبك، ونوازل معجونة بسخطك». قال سدير: فاستطارت عقولنا ولها، وتصدّعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل والحادث الغائل، وظننّا أنه سمة لمكروهة قارعة، أو حلّت به من الدهر بائقة، فقلنا:

لا أبكى الله -يا ابن خير الورى- عينيك، من أيّ حادثة تستنزف دمعتك، وتستمطر عبرتك؟ وأية حالة حتمت عليك هذا المأتم؟ فزفر الصادق عليه السلام زفرةً انتفخ منها جوفه، واشتدّ منها خوفه، وقال: «ويلكم! إني نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، الذي خصّ الله (تقدّس اسمه) به محمداً والأئمة من بعده (عليه وعليهم السلام)، وتأملت فيه مولد قائمنا وغيبته، وإبطاؤه وطول عمره، وبلوى المؤمنين به من بعده في ذلك الزمان، وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربيعة الإسلام من أعناقهم، التي قال الله (تقدّس ذكره): {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ}، يعني الولاية، فأخذتني الرقة، واستولت عليّ الأحزان...»<sup>(١)</sup>.

الرواية الثانية: عن الإمام الرضا عليه السلام: «لابدّ من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كلّ بطانة ووليّة، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي، يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض، وكلّ حرب وحران، وكلّ حزين لهفان... ثم قال: بأبي وأمي سمي جدي وشبيهي وشبيهه موسى بن عمران عليه السلام، جيوب النور تتوقّد شعاع ضياء القدس، كم من حرّ مؤمنة وكم من مؤمن متأسّف حيران حزين عند فقدان الماء المعين»<sup>(٢)</sup>.

وهنا ينبغي أن نتطرّق للبحث في بعض الأمور:

الأمر الأول: حقيقة القلب

اختلف العلماء في حقيقة القلب في لسان النصوص على رأيين:

الرأي الأول: أنّ المراد بالقلب هو ذلك اللحم الصنوبري الشكل، المودع في الجانب الأيسر من الصدر، والمكوّن من الأذنين الأيمن والأيسر، والبطينين الأيمن والأيسر،

(١) كمال الدين، ص ٣٥٢.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٩.

والصمّامات، والذي ينبض سبعين مرة في الدقيقة، ومائة ألف مرة في اليوم، وثلاثة مليارات مرة خلال سبعين عاماً تقريباً، والذي يضخ ثمانية آلاف جالون من الدم يومياً لسائر أنحاء الجسم، والذي حجمه بمقدار قبضة اليد، والذي بموته يموت الإنسان، ولذا يتصوّر أصحاب هذا الرأي بأنّ الحبّ والبغض والخوف والشوق... هي من صفات هذا القلب المادي، كما أنّ السمع للأذن، والإبصار للعين، والتذوّق للسان، والشمّ للأنف.

الرأي الثاني: أنّ المراد بالقلب هو تلك اللطيفة الربانية التي أفاضها الله (عز وجل) على الإنسان، وهي المعبر عنها بالروح تارةً، وبالنفس أخرى، فالقلب والروح والنفس حقيقة واحدة، وهي تلك النفحة الإلهية التي ببركتها دبّت الحياة وصار الإدراك لدى الإنسان، وإنما سمّيت هذه الروح بالقلب تجوّزاً؛ وذلك لوجود علاقة خاصة بين الروح والقلب المادي الذي في الجانب الأيسر من الصدر، وهي أنّ الروح أول ما تتعلّق وتتعلّق بهذا القلب المادي وتسري منه لبقية البدن، كما أنّ آخر جزء في البدن تبقى فيه الحياة - كما يقال - هو القلب، فقد يموت الدماغ ولكن القلب ينبض، فإذا مات القلب ماتت بقية الأعضاء، فعلى هذا يكون المقصود بالقلب في النصوص هو هذه اللطيفة الربانية، والتي هي عرش الأوامر التي يصدرها الإنسان، ويكون الحبّ والخوف والشوق وغيرها من صفات القلب بمعنى الروح، لا القلب بمعنى اللحم الصنوبري.

#### الأمر الثاني: حالات القلب

قد تسأل فتقول: ما هو السبب في وجود الانتظار القلبي لدى البعض من الناس وعدم وجود ذلك لدى البعض الآخر؟ فلماذا البعض من الناس يعيش شوقاً شديداً للقاء بالإمام المهدي عليه السلام، والبعض الآخر لا يجد لذلك أثراً في قلبه؟ ولماذا البعض يتفجّع ويتوجّع بقلبه حسرةً لغيبة الإمام عليه السلام وفراقه، والبعض الآخر لا يستطيع أن يعيش هذه الحالة، مع أنّ الكلّ مؤمن بالقضية المهدوية؟

إنَّ السَّرَّ في ذلك يعود إلى الحالة التي يعيش فيها القلب، فإنَّ هناك حالتين للقلب، وقد ذكرهما القرآن الكريم:

الحالة الأولى: السلامة، فقد وصف القرآن الكريم بعض القلوب بأنها قلوب سليمة، كما في قوله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} (١).

الحالة الثانية: المرض، وقد وصف القرآن بعض القلوب بأنها قلوب مريضة، كما في قوله تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} (٢).

وعليه فلا يخلو القلب من إحدى هاتين الحالتين، فإما أن يكون سليماً وإما أن يكون مريضاً، وحينما يكون القلب مريضاً فمن الصعب أن يتوجّه إلى الحقائق القيّمة فيعيش مثلاً حالة الانتظار القلبي ويعيش التفجّع والتوجّع لغيبة الإمام عليه السلام، أو يجد الشوق واللهفة للقاءه عليه السلام؛ وذلك بسبب تأثير هذه الحالة المرضية عليه.

وقد أشارت الآيات القرآنية إلى بعض الأمراض القلبية المانعة للإنسان من التوجّه إلى الحقائق وبلوغ معالي المقاصد، فمن تلك الأمراض:

المرض الأول: اللهو، قال تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ \* مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ \* لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ} (٣).

يعتبر اللهو من الأمراض القلبية الخطيرة التي تمنع الإنسان وتحرمه من الوصول إلى كثير من الحقائق، فحينما يكون القلب لاهياً في الاشتغال بملذّات الدنيا وشهواتها والتعلّق التام بها فإنه لن يجد لديه سبيلاً وطريقاً للتوجّه للحقائق القيّمة والتعلّق بها،

(١) سورة الشعراء: ٨٩.

(٢) سورة البقرة: ١٠.

(٣) سورة الأنبياء: ١-٣.

وبالتالي فلن تكون لديه الفرصة للتوجه القلبي للإمام المهدي عليه السلام والتعلق به والارتباط معه.

المرض الثاني: القسوة، قال تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (١).

إنَّ القسوة كذلك تعدّ من الأمراض القلبية الفتاكة بالإنسان والتي تحجب النور عنه، وهي أشدّ خطراً من مرض الغفلة، فإذا كان القلب مبتلى بداء القسوة -والعياذ بالله- نتيجة كثرة الذنوب والمعاصي ويسبب حبّ الدنيا وشهواتها، فإنه لن يتمكن من السير والسلوك نحو طريق النور وبوابة الحقائق والقيم، فلا يسعه بالتالي التوجه القلبي للإمام عليه السلام والارتباط به، ولن يكون له نصيب من الشوق إليه أو التفجع له.

المرض الثالث: الغشاوة، قال تعالى: {حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (٢).

إنَّ الغشاوة هي عبارة عن حجاب وغطاء من الظلام يخيم على القلب نتيجة تمادي الإنسان في طغيانه واسترساله في عالم الذنوب والمعاصي وعدم تلاحقه لنفسه، حيث يتولد من ذلك ونتيجة تراكم الذنوب حجابٌ من الظلمة يصعب معه عودة الإنسان ورجوعه إلى طريق الهدى، وهذه الغشاوة تعتبر مرضاً ثقيلاً أشدّ ضرراً وخطراً من المرضين السابقين، ويصعب علاجه، ولذا فمن ابتلي بهذا المرض لا يجد إقبالاً على الحقائق بل يجد في نفسه إدباراً وإعراضاً عنها، ومن هنا فلا تكون لدى صاحب هذا المرض الرغبة في التعلق بالإمام عليه السلام والانجذاب إليه، بل إنه في حالة من الإدبار والنفور عن ذلك.

(١) سورة الزمر: ٢٢.

(٢) سورة البقرة: ٧.

المرض الرابع: الأكنة، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (١).

إن الأكنة عبارة عن الحجب والغشاوات والظلمات المتراكمة على القلب، فبعدما كانت على القلب غشاوة واحدة أصبحت الآن غشاوات وظلمات بعضها فوق بعض؛ نتيجة استكبار الإنسان وإصراره على التمرد والطغيان، وإذا بلغ الإنسان هذه الدرجة من المرض فإن قلبه يصبح قلباً ميتاً لا حياة فيه، والقلب الميت لا يمكن أن تلج فيه الحقائق، فلا يمكن لصاحب هذا القلب أن يرغب في علاقة قلبية بالإمام المهدي عليه السلام أو الارتباط معه، بل ولا يخطر في باله شيء من هذا القبيل.

#### الأمر الثالث: خصائص القلب السليم

بعدما عرفنا بأن القلب السليم هو الذي بإمكانه أن يعيش حالة الانتظار القلبي للإمام عليه السلام، فحري بنا أن نعرف بعض خصائص هذا القلب لنرى من خلالها من أي الصنفين قلوبنا، ولقد أشارت بعض الآيات القرآنية إلى جملة من الخصائص للقلب السليم:

الخصيصة الأولى: قوة الإيمان، قال تعالى: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ} (٢).

إن من أهم الخصائص التي يتميز بها صاحب القلب السليم هي قوة الإيمان، حيث إن الله تعالى قد زوده بنور الإيمان وأفاض عليه نور اليقين، ولأجل ذلك فلا يمكن للشبهات والأوهام أن تؤثر عليه، بل هو على إيمان راسخ وعقيدة صلبة ثابتة، وهذا

(١) سورة الأنعام: ٢٥.

(٢) سورة المجادلة: ٢٢.



بمخلاف صاحب القلب المريض؛ فإنه يعيش في حالة تذبذب وتشتت فكري، وتتلاعب به الشبهات والأوهام كما هو الحال بالنسبة للمشركين والمنافقين.

الخصيصة الثانية: الخشية، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (١).

من جملة الخصائص للقلب السليم أنه يعيش حالة الوجل والخوف من الله تبارك وتعالى؛ نتيجة هذه المعرفة الشديدة بعظمة الله (عز وجل) والعلاقة الوثيقة معه، فإذا ذكر الله سبحانه أو تليت عليه آياته خفق قلبه واضطرب من خشية الله تعالى، بمخلاف صاحب القلب المريض؛ فإن قلبه لا يلين ولا ينكسر مهما شاهد من آيات ربه؛ لأن قلبه أشد قسوة من الحجر.

الخصيصة الثالثة: الطمأنينة، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (٢).

ومن خصائص القلب السليم أنه في حالة من السكينة والطمأنينة؛ لقربه من الله تعالى واشتغاله بذكره، فلا يعيش قلقاً بسبب محن وابتلاءات هذه الدنيا، فمهما واجهته البلايا والمصائب إلا أنه مطمأن بذكر الله تعالى.

والمتحصّل هو: أنّ صاحب القلب السليم يكون على علاقة وثيقة وقوية بالله تعالى، فلأجل ذلك يتولى سبحانه إصلاح قلبه وتقويمه.

#### الأمر الرابع: آليات القلب السليم

حان الأوان لمعرفة الآليات التي تصير القلب سليماً معافى، وهنا يمكن الإشارة إلى

بعض الآليات:

(١) سورة الأنفال: ٢.

(٢) سورة الرعد: ٢٨.

الآلية الأولى: التخلية، والمقصود بها أن يطرد الإنسان من قلبه كل صفة ذميمة وتؤدي لإصابته بالمرض القلبي، فيطرد من قلبه حبّ الدنيا والشهوات الباطلة، ويزيل منه الحسد، والعجب، والرياء، والغرور، والتكبر، وغيرها.

الآلية الثانية: التحلية، والمقصود بها أن يسعى الإنسان لأن يغرس في قلبه كل صفة حميدة، فيستبدل تلك الصفات الرذيلة ويضع بدلاً عنها أصدادها من الصفات المحمودة، كحبّ الآخرة، والغبطة، والتواضع، والإخلاص، وغيرها.

الآلية الثالثة: التجلية، والمقصود بها أن الإنسان بعدما ينجح في الآليتين السابقتين يصبح القلب مستعداً ومتهيئاً بشكل تامّ لتلقي الفيوضات والإشراقات القلبية التي بها يصل إلى معالي المقاصد ويبلغ أسمى الحقائق.

ومن هنا سيمكنه أن يعيش حالة الانتظار القلبي ويكون قريباً بقلبه من الإمام عليه السلام، فالغيبة حضور بالنسبة إليه، ويسلك حينها في مدارج المنتظرين بقلوبهم للإمام عليه السلام، ومن هذه المدارج:

الأول: التوجّه والالتفات، بمعنى أن يبدأ القلب بالتوجّه والالتفات القلبي للإمام عليه السلام.

الثاني: التعلّق والحبّ، بمعنى أن يتعلّق قلبه بالإمام عليه السلام وينجذب إليه، فيعيش حالة الحبّ له عليه السلام والهيام فيه.

الثالث: التفجّع والتوجّع، بمعنى أن يعيش القلب حالة الألم والتفجّع والتحصّر لغيبة الإمام عليه السلام وفراقه.

الرابع: الشوق والوله، بأن يعيش القلب حالة الاشتياق والوله الشديدين للقاء المولى عليه السلام، فلا يقرّ له قرار من دون الارتواء بمعين اللقاء.

### المعنى الثالث: الانتظار القولي

بمعنى أن يعيش المنتظر حالة الانتظار والترقب القولي للإمام المهدي عليه السلام من خلال الالتزام بالمأثور عنهم عليهم السلام من الأدعية والزيارات الخاصة بالإمام عليه السلام، والدعاء له بتعجيل الفرج، فدائماً يكون المنتظر في دعاء لمولاه، بل وأول من يبتدئ بالدعاء له هو عليه السلام، فلا يدعو لنفسه بشيء قبل أن يخص إمامه بالذكر والدعاء، ولو دعى لنفسه بشيء فدعوته لا بد أن تكون مرتبطة بشأن الإمام عليه السلام، كأن يدعو لنفسه بالثبات على طريق الحق، وكأن يدعو لنفسه بأن يكون من أعوانه وأنصاره عليه السلام، ويمكن أن نذكر نماذج لهذا النوع من الانتظار بحسب ما أشارت له الأخبار:

#### النموذج الأول: الدعاء بمعرفة الحق

ففي رواية زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إِنَّ لِلْغُلَامِ غَيْبَةَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ» قال: قلت: ولم؟ قال: «يَخَافُ» وأوماً بيده إلى بطنه ثم قال: «يَا زَرَّارَةَ، وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ، وَهُوَ الَّذِي يُشَكُّ فِي وِلَادَتِهِ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَاتَ أَبُوهُ بِلَا خَلْفٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ حَمَلٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ وَلَدٌ قَبْلَ مَوْتِ أَبِيهِ بِسِنْتَيْنِ، وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) يَجِبُ أَنْ يَمْتَحِنَ الشَّيْعَةَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرْتَابُ الْمَبْطُلُونَ يَا زَرَّارَةَ». قال: قلت: جعلت فداك، إن أدركت ذلك الزمان أي شيء أعمل؟ قال: «يَا زَرَّارَةَ، إِذَا أَدْرَكَتَ هَذَا الزَّمَانَ فَادْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي...»<sup>(١)</sup>.

وقد تقول بأن هذه المعرفة موجودة لدى كل مؤمن، فإن كل مؤمن يعرف الله تعالى بأنه خالقه وربّه ومليك أمره والمستحق للعبودية وحده، ويعرف نبيّه عليه السلام بأنه رسول من الله

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٣٧.

تعالى هداية خلقه وأنه معصوم من الخطأ والذنب، وأن قوله وفعله وتقريره حجة، وأن محبته لازمة وطاعته واجبة، ويعرف الحجة وإمام الزمان بأنه الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وأنه الغائب المنتظر الذي يملأ الله تعالى به الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملأت ظلماً وجوراً، فما هي الفائدة من هذا الدعاء؟ فهل هذا إلا من قبيل تحصيل الحاصل، كأن يدعو المسلم الله تعالى بأن يوقفه للإسلام أو أن يوقفه الله تعالى للإيمان؟

ويمكن الجواب عن ذلك بعدة أجوبة:

**الجواب الأول:** المعرفة التفصيلية، وذلك بأن يقال بأن ما لدينا من المعرفة بالله تعالى ونبيه (صلى الله عليه وآله) وحجته (عليه السلام) هي معرفة إجمالية وليست معرفة تفصيلية، فنحن نطلب من خلال هذا الدعاء أن نصل إلى ما يمكن الوصول إليه من المعرفة التفصيلية؛ لأن ما لدينا من المعرفة ليس إلا جزءاً لا يتجزأ من قطرة صغيرة في بحار لا تنفذ من الماء المعين، فمهما بلغ الإنسان من المعرفة بالله تعالى فلا يزال قاصراً وعاجزاً عن بلوغ كمال المعرفة، وهكذا الحال بالنسبة للنبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) فليس لدينا من المعرفة بهما إلا المعرفة الإجمالية.

**الجواب الثاني:** المعرفة اليقينية، وذلك بأن يقال بأن ما لدينا من المعرفة بالله تعالى ونبيه (صلى الله عليه وآله) وحجته (عليه السلام) هي معرفة قولية تصوّرية أو ظنية، ولم تبلغ مستوى اليقين والتصديق القلبي، بل حتى ولو وصلت إلى حدّ اليقين فإنّ لليقين مراتب ودرجات، ولذا طلب النبي إبراهيم (عليه السلام) الزيادة في ذلك: {قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي} (١).

وكما أشار القرآن الكريم لبعض تلك المراتب:

١- علم اليقين، {كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ}.

٢- عين اليقين، {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}.

٣- حق اليقين، {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}.

الجواب الثالث: المعرفة الترابطية، وذلك بأن يقال بأن المراد بالمعرفة هي المعرفة الحقيقية التي لا تتحقق إلا من خلال المعصوم، فالمقصود هو الربط بين معرفة الله تعالى ومعرفة المعصوم، وكأنه إشارة إلى الترابط بين الأصول الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والإمامة، فإن المعرفة الحقيقية لا تتأني للإنسان إلا من خلال المعصوم عليه السلام وهدايته، ولذا ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: «من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم»، فهم من عرف الله (عز وجل) حق المعرفة، وهم من وحده حق التوحيد، فلا يسع الإنسان العاجز بلوغ المعرفة الحقّة إلا إذا عرف المعصوم حق المعرفة، فأخذ المعصوم حينها بمجامع قلبه نحو معرفة الله تعالى الحقّة التي يترتب عليها التوحيد الحقيقي، والولوج في عالم الخشية والحبّ والتسليم والشوق.

وقد تعاود السؤال ثانياً فتقول:

كيف عُلقّت في هذا الدعاء معرفة الحجة على معرفة الرسول، ومعرفة الرسول على معرفة الله تعالى، فصارت معرفة الله (عز وجل) هي العلة لمعرفة الرسول عليه السلام، ومعرفة الرسول هي العلة لمعرفة الحجة عليه السلام، مع أنّ المفروض هو العكس بأن تكون معرفة الرسول والحجة هي الطريق لمعرفة الله تعالى؛ فإنه سبحانه إنما بعث الأنبياء وجعل الحجج على العباد من أجل أن يستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكرونها منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ؟

ويمكن الجواب عن ذلك بالتالي:

الجواب الأول: المعرفة الإلّئية، وذلك بأن يكون المقصود هو أنّ من لم يعرف الله تعالى فهذا كاشف عن عدم معرفته للرسول عليه السلام، وأنّ من لم يعرف الرسول عليه السلام فهذا كاشف

عن عدم معرفته للحجة عليه السلام، وهذا واضح بناءً على الكشف الإتي، أي كشف المعلول عن علته، فيما أنّ معرفة الله تعالى معلولة لمعرفة الرسول صلى الله عليه وآله، وهي معلولة لمعرفة الحجة عليه السلام، فإذا انعدم المعلول وهو معرفة الله تعالى انعدمت علته وهي معرفة الرسول صلى الله عليه وآله، وانعدام معرفة الرسول صلى الله عليه وآله دالّ على انعدام علتها وهي معرفة الحجة عليه السلام، فيكون معنى الدعاء في الحقيقة هو: (يا ربّ لأنك لم تعرّفني حجتك فلم أصل لمعرفة رسولك، ولأنك لم تعرّفني رسولك لم أصل لمعرفتك)، ومن الواضح بأنّ إسناد سبب عدم المعرفة في الموارد الثلاثة إليه سبحانه وتعالى لكونه ربّ العالمين وسبب كلّ شيء ومن بيده الأمور كلّها.

الجواب الثاني: المعرفة الغيبية، وذلك بأن يكون المقصود هو أنّ هناك نوعين من

المعرفة:

النوع الأول: من الخلق إلى الحقّ، بمعنى أنّ هناك نحواً من المعرفة بالله تعالى تكون من خلال حججه، حيث يدلّون عباده عليه، وينبّهونهم إلى ميثاق فطرته، ويرشدونهم إلى آياته ودلائله، ويدفعون عنهم الشبهات والشكوك التي يلقيها في نفوسهم إبليس ومردته، حتى يوصلونهم إلى معرفته تعالى والإيمان به، وهذه المعرفة تكون معرفة عقلية معتمدةً على الحجج والدلائل، وكما أنّ الرسول صلى الله عليه وآله هو الطريق لحصول هذه المعرفة بالله تعالى من الخلق فإنّ الحجة عليه السلام هو الطريق أيضاً لإيصال الخلق إلى معرفة الرسول صلى الله عليه وآله؛ حيث إنه هو الحافظ للشريعة والعالم بها والداعي إليها والذاب عنها، فيدعو الناس إلى الإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله والتصديق به، ويقيم عليهم الحجج والدلائل على صدقه وحقانيتها، ويدفع عنهم شبهات وتشكيكات إبليس وأنصاره، فمعرفة الحجة عليه السلام هي الطريق للمعرفتين، وهي إنّما تتمّ من خلال التصديق به بعد الاطلاع على حججه وآياته، فإنه ما من حجة في الأرض إلا وله حجج وآيات، فإن حصلت المعرفة به من خلاله توصل الإنسان بعد ذلك إلى المعرفتين الأخريين، وإلا فقد ضلّ عن الدين.

النوع الثاني: من الحق إلى الخلق، بمعنى أنّ هناك نحواً من المعرفة بالله تعالى لا يتحقق إلا به سبحانه، وكما في دعاء أبي حمزة: «بك عرفتك وأنت دللتني عليك»، وهذه هي أعلى درجات المعرفة، وهي المعرفة الشهودية الغيبية، فمن وصل إلى هذه المعرفة فإنه سيصل إلى المعرفة الحقّة بالرسول ﷺ وبمقاماته معرفة تصديقية يقينية، وإذا وصل إلى هذه المعرفة في حق النبي ﷺ فإنه سيصل إلى مثلها في حق الحجة ﷺ، فتكون لديه معرفة حقيقية تصديقية بالحجة ﷺ، فيكون عنده حال الشهادة والغيب واحد، والحضور والغيب واحد، فكأن معنى الدعاء: (يا ربّ أوصلني إلى الإيمان الحقيقي بالغيب حتى تزول عني الشكوك والظنون ويكون في قلبي اليقين بك وبرسولك وبحجتك، وإن لم أدرك ذلك بالحواس فلم أحضر زمان رسولك ﷺ ولم أشاهد حجتك في غيبته، إلا أنك إذا عرفتني نفسك بالمعرفة الشهودية فإني سأصل لمعرفة رسولك وحجتك أيضاً بهذه المعرفة وإن لم أعش في زمانيهما، ولن تستطيع الشكوك والأوهام مني بعد ذلك، وإلا فمن دون هذه المعرفة فإني سأبقى في حيرة وضياح وتشتت فكري وقلبي وتشكيك، ولن أصل إلى نتيجة). وبكلمة أخرى: إنّ هذا الدعاء هو عبارة عن طلب الهداية من الله تعالى بالإيمان بالغيب، خصوصاً في زمن الغيبة وعدم رؤية الرسول والحجة، حيث يصعب على الإنسان الإيمان بما لم يشهده ويعاينه، خصوصاً في زمان كثرت فيه الفتن والتشكيكات، فلذا جاء الدعاء في هذا المعنى، وذلك بأن تصل من خلال الله تعالى إلى معرفة رسوله ﷺ وحجته ﷺ؛ وذلك لغيبتهما وعدم إدراك زمانهما.

### النموذج الثاني: الدعاء بالثبات على الحق

ومما يلزم على الإنسان المؤمن الالتزام به في زمن الغيبة الدعاء بالثبات على الحق، فبعدما يعرف الحق ويزداد يقيناً به يطلب الثبات عليه، وأن لا تتمكّن من نفسه الشكوك والظنون التي قد تفقده إيمانه كما قد حصل للكثير من الناس، حيث كانت عاقبتهم سيئة

وخاتمهم شقية - والعياذ بالله - بعدما كانوا من خيار الناس، وقد أشار القرآن الكريم إلى نماذج عديدة لذلك، من أبرزها بلعم بن باعورا: {وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (١).

ويكفيك في ذلك ما سبق البحث فيه من الفرقة الواقفية وأدعياء السفارة من الشلمغاني وأضرابه الذين كانوا في بداية أمرهم من الصالحين الأخيار، إلا أنه كانت عاقبة أمرهم سوءاً وخسراناً، ولذا جاء عن عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام: «ستصيبكم شبهة فتبكون بلا علم يرى ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق» قلت: وكيف دعاء الغريق؟ قال: تقول: «يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك» فقلت: يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي على دينك، فقال: «إن الله (عز وجل) مقلب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» (٢).

### النموذج الثالث: الدعاء بتعجيل الفرج

ويعتبر هذا من حقوقه عليه السلام على شيعته ومحبيه، ومن هنا حثت الأخبار الكثيرة على ذلك، فعن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد في التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: «وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتتها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا باب السؤال عما لا

(١) سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦.

(٢) كمال الدين، ص ٣٥١.



يعنيكم ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج؛ فإن ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى»<sup>(١)</sup>. ولذا ينبغي على المؤمن أن لا ينسى إمامه في دعواته في كل يوم، بل ينسى الدعاء لنفسه ويقدم الدعاء لإمام زمانه، وهكذا يكون في قنوت صلواته، ولذا كانت سيرة بعض الأعلام على الدعاء للإمام الحجة عليه السلام في قنوت كل صلاة بدعاء الفرج الوارد بحسب بعض الأخبار عن الإمام الرضا عليه السلام.

#### النموذج الرابع: الدعاء بالحفظ والنصرة

من حقوق الإمام عليه السلام أن ندعوه بالحفظ والحياطة من الله تعالى، وبالنصرة والتأييد، كما قد ورد ذلك في بعض الأدعية كدعاء زمن الغيبة المنقول عن السفير الثاني، حيث ورد فيه: «اللَّهُمَّ أعذه من شرّ جميع ما خلقت وبرأت وذرأت وأنشأت وصوّرت، واحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، بحفظك الذي لا يضيع من حفظته به»<sup>(٢)</sup>.

#### النموذج الخامس: الندبة

حريّ بالمؤمن أن يعيش حالة التفجع والتحسر على غيبة إمام زمانه، وعدم الفوز بلقىاه، فكم هي لوعة وحسرة يجدها المؤمن الحقيقي الذي نفذت البصيرة في قلبه أن يمضي من عمره أربعون عاماً ولم يحظى بلقىا إمامه، بل كيف يمكنه أن يصبر يوماً عن ذلك فضلاً عن أعواماً عديدة، ولذلك تجد أنّ الصفوة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن بمقدورهم أن يمرّ عليهم يوم من دون رؤية النبي صلى الله عليه وآله، كما أشار القرآن لقصة ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وآله الذي ما كان يستطيع مفارقة النبي صلى الله عليه وآله حتى جاء باكياً وهو يقول: يا رسول الله

(١) الغيبة (للطوسي)، ص ٢٩٣.

(٢) كمال الدين، ص ٥١٣.

قد علمت أني لا أطيق مفارقتك فكيف إذا جاء يوم القيامة وكنت أنت في أعلى درجات الجنة ولم أكن معك؟! فنزل قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (١).

وهكذا كان أصحاب الأمير عليه السلام كمالك الأشتر والأصبع بن نباتة ورشيد الهجري وغيرهم، فكيف بنا نحن اليوم نعيش طوال هذه القرون في حرمان عن التشرف بلقيا ولي الله الأعظم ومن دون الفوز برؤية إمام زماننا عليه السلام، كم نحن محرومون حقاً وما ذاك إلا بسبب أعمالنا وتقصيرنا، وعلى أي حال فإن كانت لدينا الحسرة من ذلك وفي قلوبنا الألم والتفجع بسبب ذلك فعلينا بندبة الإمام عليه السلام من خلال قراءة دعاء الندبة ولو في كل جمعة على أقل التقادير.

#### النموذج السادس: الزيارة

إن من صور الترقب والانتظار القولي للإمام عليه السلام هو زيارته عليه السلام كما نزور بقية المعصومين عليهم السلام، وهو وإن لم يكن له مكان محدد معلوم نزوره فيه إلا أننا نستطيع زيارته في الأماكن التي تباركت وتشرفت بنزوله وحلوله فيها، كدار أبيه العسكري عليه السلام بسامراء، بل وكذلك في كل مرقد المعصومين عليهم السلام، فمما لا شك فيه بأنه عليه السلام يزور أجداده في تلك البقاع، وكذلك في المشاعر المقدسة أيام الحج فإنها محط تشریفه كما دلت الآثار، بل يمكننا زيارته في كل مكان؛ فإن وجوده النوري فوق المكان والزمان وقوانين المادة، وهذا ما تفيده بعض الآثار، ولذا في إمكاننا زيارته حتى ونحن في بيوتنا؛ فإن سلامنا يصل إليه وصوتنا لا يخفى عليه، ومن أفضل الزيارات التي ينبغي زيارته بها الزيارات المنصوصة، من قبيل زيارة آل ياسين.

(١) سورة النساء: ٦٩.

## النموذج السابع: الاستغاثة به

ومن مظاهر الانتظار القولي بأن الإنسان المؤمن إذا ألمت به ملة أو نزلت به نازلة توجه إلى الله تعالى بإمام زمانه واستغاث به ﷺ في تفريج كربته ودفع بليته، فإن ذلك دليل التعلق والارتباط به ﷺ والاعتقاد القوي فيه، ومن هنا جاءت صلاة الاستغاثة بالمهدي ﷺ.

## شبهة وجواب:

ذكرنا من جملة نماذج الانتظار القولي الدعاء للإمام ﷺ بتعجيل الفرج، إلا أن هناك من يقول بأن هذا الدعاء لا يفيد الإمام ﷺ ولا يعجل في وقت ظهوره، وإنما أثر هذا الدعاء هو التفريج عنا وإزاحة ما بنا من الكرب والبلاء، وكشف ما بنا من الهم والغم ليس إلا.

وللإجابة على هذه الشبهة ينبغي البحث في مرحلتين:

## المرحلة الأولى: المقتضي والممانع

والمقصود بذلك هو هل أن هناك مقتض لإجابة الدعاء بتعجيل الفرج أم لا؟ وهل أن ما دل من النصوص على الدعاء عموماً أو تعجيل الفرج خصوصاً يدل على أن هذا الدعاء قابل للإجابة، أم أن الأدلة في نفسها تدل على العكس وعدم شمول الإجابة لمثل ذلك، أو أنها لا دلالة فيها على شيء من الإثبات أو النفي؟  
ومن أجل الجواب يمكن أن نقول بأن الأدلة الدالة على مطلوبية الدعاء تصنف إلى أصناف:

الصنف الأول: الأدلة المطلقة، وهي الأدلة التي دلت بإطلاقها على مطلوبية الدعاء، وأنه مشمول بالإجابة، وذلك من قبيل:

- ١- قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (١).
  - ٢- قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (٢).
  - ٣- عن النبي ﷺ قال: «من فتح له من الدعاء منكم فتحت له أبواب الإجابة» (٣).
  - ٤- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة» (٤).
  - ٥- عنه عليه السلام قال: «ما كان الله ليفتح باب الدعاء ويغلق عليه باب الإجابة» (٥).
  - ٦- عن معاوية بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يا معاوية، من أعطي ثلاثة لم يحرم ثلاثة: من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية، فإن الله تعالى يقول في كتابه: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}، ويقول: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}، ويقول: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}» (٦).
- الصنف الثاني: الروايات الخاصة، وهي الأدلة التي دلت على مطلوبية الدعاء بتعجيل الفرج، ومنها:

(١) سورة البقرة: ١٨٦.

(٢) سورة غافر: ٦٠.

(٣) كنز العمال، ج ٤، ص ٦٨.

(٤) نهج البلاغة، ج ٤، ص ٣٣.

(٥) عدة الداعي، ص ٤٣.

(٦) الحصال، ص ١٠١.

١- عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ من حقوقنا على شيعتنا أن يضعوا بعد كلّ فريضة أيديهم على أذقانهم ويقولون ثلاث مرات: يا ربّ محمد عجل فرج آل محمد، يا ربّ محمد احفظ غيبة محمد، يا ربّ محمد انتقم لابنة محمد عليها السلام»<sup>(١)</sup>.

٢- عن أحمد بن إسحاق، عن الإمام السكري عليه السلام قال: «وليغيبنّ غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبته الله (عز وجل) على القول بإمامته ووقفه للدعاء بتعجيل فرجه»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن الإمام المهدي عليه السلام: «وأكثرُوا الدعاء بتعجيل الفرّج فإن ذلك فرجكم»<sup>(٣)</sup>.

الصنف الثالث: الأدعية، وهي ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في الدعاء له بذلك، ومنها:

١- دعاء زمن الغيبة: «اللَّهُمَّ عجل فرجه وأيده بالنصر، وانصر ناصريه واخذل خاذليه، ودمر على من نصب له وكذب به، وأظهر به الحق وأمت به الباطل، وانقذ به عبّادك المؤمنين من الذل»<sup>(٤)</sup>.

«اللَّهُمَّ إنا نسألك أن تأذن لوليّك في إظهار عدلك في عبّادك وقتل أعداءك في بلادك حتى لا تدع للجور يا رب دعامة»<sup>(٥)</sup>.

٢- دعاء العهد: «اللَّهُمَّ أرني الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة واكحل ناظري بنظرة مني إليه، وعجل فرجه، وسهل مخرجه، وأوسع منهجه، واسلك بي محجته».

فمقتضى هذه الأصناف الثلاثة أن يقال بمطلوبية الدعاء بتعجيل الفرّج، وأنّ هذا الدعاء مؤثّر في التعجيل، لا أنه ليس له أثر في ذلك كما قيل، نعم لو كان هناك مانع عقلي

(١) مكّيال المكارم، ج ٢، ص ٩.

(٢) كمال الدين، ص ٣٨٥.

(٣) الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٤) كمال الدين، ص ٥١٣.

(٥) نفس المصدر، ص ٥١٤.

أو نقلي من الإجابة بحيث يرفع اليد به عن مقتضى هذه الأدلة لكان لذلك وجه، إلا أن المانع مفقود؛ إذ لا مانع عقلي ولا نقلي ولا تكويني من ذلك، فليست قضية تعجيل الفرج مشمولةً لأحد هذه الموانع، ويمكن التمثيل لهذه الموانع بالتالي:

**المانع العقلي:** كأن يطلب الإنسان أن يكون شريكاً للباري (عز وجل)، أو أن يكون له نفسان مثلاً، فهذا ممتنع عقلاً، فلا معنى لطلبه فضلاً عن استجابته.

**المانع النقلي:** وذلك كأن يطلب الإنسان أن يكون نبياً أو إماماً، مع أن هذا الباب قد انسَدَ بختم النبوة وتحديد الأئمة، ولذا يقول سبحانه في بيان ختم النبوة: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} <sup>(١)</sup>، فلا معنى لطلب ذلك أو استجابته.

**المانع التكويني:** وذلك كأن يطلب الإنسان ما يخالف السنن التكوينية، كأن يطلب من الله تعالى أن يجعله خالداً في الدنيا لا يموت أبداً، مع أن السنّة الكونية الإلهية اقتضت بفناء الدنيا ومن فيها: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} <sup>(٢)</sup>، فلا يصح الدعاء بذلك، وهو خارج عن سنّة الإجابة.

إذا اتضح ذلك نقول: بأن الدعاء للإمام المهدي عليه السلام بتعجيل الفرج ليس داخلاً تحت واحد من هذه الموانع، والنتيجة: أنه ما دام المقتضي موجوداً والمانع مفقوداً إذاً فالدعاء بتعجيل الفرج مؤثر في ذلك.

#### المرحلة الثانية: الإشكالات

يمكن أن يقال بأن هناك عدّة إشكالات أو محاذير تمنع من القبول بفكرة تأثير الدعاء في تعجيل الفرج، ومنها:

(١) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٢) سورة الرحمن: ٢٦.

الإشكال الأول: أنّ الاستفادة ممّا دلّ على الصبر وانتظار الفرج أنّ مسألة الظهور متعلّقة بالقضاء الإلهي وما تختاره المشيئة الإلهية ولا ربط للدعاء بها، فلا يعجل الدعاء في الظهور، وقد ورد: «فصبرني على ذلك حتى لا أحبّ تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت، ولا كشف ما سترت، ولا البحث عمّا كتمت، ولا أنازعك في تدبيرك، ولا أقول لم وكيف وما بال ولي الأمر لا يظهر وقد امتلأت من الجور، وأفوض أموري كلّها إليك»<sup>(١)</sup>.

والجواب:

أولاً: لا دلالة في أخبار انتظار الفرج على عدم تأثير الدعاء في التعجيل؛ إذ غاية ما تفيده هو الحثّ على الانتظار والترغيب في الصبر، كما أنّ هذه الفقرة من دعاء الغيبة لا دلالة فيها على أكثر من ذلك.

وثانياً: لا شكّ ولا ريب بأنّ مسألة الظهور ترجع للإرادة الإلهية وما تختاره المشيئة الربّانية، إلا أنّ ذلك لا يعني عدم تأثير الدعاء؛ فإنّ دور الدعاء هو دور المقتضي، وأما الإرادة الإلهية فهي العلة التامة للظهور المهدوي، فالدعاء يعجل في الإرادة الإلهية بالظهور.

الإشكال الثاني: جرت السنّة والعادة بأنّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام هم الذين يدعون للناس، وليس العكس بأن يكون الناس هم الذين يدعون للأنبياء والأئمة عليهم السلام أو أنهم يطلبون من الناس الدعاء لهم؛ فإنّ الموجود الأخس هو الذي يحتاج للأشرف لا العكس، ولذا طلب ثعلبة من النبي صلى الله عليه وآله الدعاء له بالرزق الكثير كما أشار لذلك قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} <sup>(٢)</sup>.

(١) كمال الدين، ص ٥١٢.

(٢) سورة التوبة: ٧٥-٧٦.

وحماد بن عيسى طلب من الإمام الكاظم عليه السلام الدعاء له بالدار والزوجة والولد والخادم والحج خمسين سنة، فدعا له، قال: فلما اشترط خمسين سنة علمت أني لا أحج أكثر، فلما أراد أن يحج الحادية والخمسين وهو في موضع الإحرام دخل يغتسل فجاء الوادي فحملة فغرق<sup>(١)</sup>.

والجواب:

أولاً: إنَّ الدعاء بتعجيل الفرج دعاء لأنفسنا في الواقع من أجل الخلاص والفرار من هذا الواقع المأساوي والمرير الذي نعيشه بسبب ظلم بعضنا بعضاً وبغي بعضنا على بعض، ومن أجل النجاة ممَّا نكابده من الأسى والجوى، وما نعانيه من المصائب والبلايا، حيث عمَّ الفساد أرجاء هذه الدنيا، وانتشر وشاع الظلم والعدوان فيها، فحينما نطلب من الله تعالى تعجيل فرج المولى عليه السلام فإنَّ ظهوره بالتالي سيكون فرجاً لنا وخلصاً ممَّا نحن فيه من البلايا والمحن والظلم.

وثانياً: على فرض وجود أثر يعود بالنفع للإمام عليه السلام فلا ضير في ذلك ما دام أنَّ المؤثر الحقيقي هو الله تعالى، ولأجل ذلك تجد في النصوص تكليف الأئمة عليهم السلام بعض شيعتهم بالدعاء لهم، ومنها:

١- عن أبي هاشم الجعفري قال: بعث إلي أبو الحسن عليه السلام في مرضه وإلى محمد بن حمزة، فسبقني إليه محمد بن حمزة فأخبرني محمد ما زال يقول: «ابعثوا إلى الحائر، ابعثوا إلى الحائر» فقلت لمحمد: ألا قلت له: أنا أذهب إلى الحائر؟ ثم دخلت عليه وقلت له: جعلت فداك أنا أذهب إلى الحائر. فقال: انظروا في ذلك... إلى أن قال - فذكرت ذلك لعلي بن بلال فقال: ما كان يصنع الحائر، هو الحائر! فقدمت العسكر فدخلت عليه فقال لي: «اجلس»

(١) قرب الإسناد، ص ٣١٠.



حين أردت القيام، فلما رأيته أنس بي ذكرت له قول علي بن بلال، فقال لي: ألا قلت له: «إن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت ويقبل الحجر، وحرمة النبي والمؤمن أعظم من حرمة البيت، وأمره الله (عز وجل) أن يقف بعرفة، وإنما هي مواطن يحب الله أن يذكر فيها، فأنا أحب أن يدعى لي حيث يحب الله أن يدعى»<sup>(١)</sup>.

٢- أن الإمام الصادق عليه السلام مرض فأمر من عنده أن يستأجروا له أجييراً يدعو له عند قبر الحسين عليه السلام، فوجدوا رجلاً.. فقال: ولكن الحسين إمام مفترض الطاعة وهو إمام، فقال الصادق: «هو كما قال، ولكن أما عرف أن لله تعالى بقاعاً يستجاب فيها الدعاء؟! فتلك من تلك البقاع»<sup>(٢)</sup>.

وثالثاً: إن مسألة الدعاء للإمام عليه السلام لا تختص بتعجيل الفرج، بل ورد في الأدعية الدعاء له بالحفظ والنصر وغير ذلك، من قبيل:

- ١- دعاء الندبة: «وصل عليه صلاة لا غاية لعدددها ولا نهاية لمددها ولا نفاذ لأمددها، اللهم وأقم به الحق، وادحض به الباطل، وأدل به أوليائه، وأذل به أعداءك»<sup>(٣)</sup>.
- ٢- دعاء الافتتاح: «اللهم وصل على ولي أمرك القائم المؤمل والعدل المنتظر، وحقه بملائكتك المقربين، وأيده بروح القدس يا رب العالمين، اللهم اجعله داعي إلى كتابك، والقائم بدينك، استخلفه في الأرض كما استخلفت الذين من قبله، مكّن له دينه الذي ارتضيته له، أبدله من بعد خوفه أمناً، يعبدك لا يشرك بك شيئاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي، ج٥، ص ٥٦٧.

(٢) عتة الداعي، ص ٤٨.

(٣) المزار، ص ٥٨٣.

(٤) مصباح المنتهجد، ص ٥٨٠.

٣- عن الإمام الهادي عليه السلام: «إذا انصرفت من صلاة مكتوبة فقل: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن كتاباً وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً... اللهم وليك الحجة فاحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، وامدد له في عمره، واجعله القائم بأمرك، المنتظر لدينك، وأره ما يحب وتقرّ به عينه في نفسه وذريته وأهله وماله وشيعته»<sup>(١)</sup>.

فهل يقال بأن هذه الأدعية لا أثر لها إلا لخصوص الداعي؟!

الإشكال الثالث: أنّ يوم الظهور يوم معلوم محدد عند الله تعالى لا مجال فيه للتغيير والتبديل، وهو مندرج في اللوح المحفوظ، لا لوح المحو والإثبات القابل للتغيير بالدعاء، وقد حددت الأخبار بعض الأمور المرتبطة بهذا اليوم، ككونه يوم عاشوراء، وأنه يكون يوم الجمعة، وفي سنة فردية، بل إنّ العلامات المحددة للظهور تدلّ على أنه لا بدّ من تحقق العلامات أولاً ثم الظهور، ممّا يشير إلى أنّ هذا اليوم محسوم أمره، فلا أثر للدعاء في تقديمه.

والجواب:

أولاً: سيأتي في الفصل القادم بأنّ العلامات تنقسم إلى قسمين: حتمية وغير حتمية، وقد ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد اثنتين وأربعين علامة، والحتمي منها خمس أو ست علامات كما عن الإمام الصادق عليه السلام: «خمس قبل قيام القائم من العلامات: الصيحة، والسفياي، والخسف بالبيداء، وخروج اليماني، وقتل النفس الزكية»<sup>(٢)</sup>.

فغير الحتمي -وهو الأكثر- على فرض أنه لم يتحقق بعد فمع ذلك يكون للدعاء دور في تعجيله بتعجيل الظهور، أو يكون للدعاء دور في عدم تحقّقه ما دام قابلاً للتغيير، فإنّ

(١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣٢٧.

(٢) كمال الدين، ص٦٤٩.

ما كان في لوح المحو والإثبات دلت النصوص على أنه قد لا يتحقق ببركة بعض الأعمال، فقد ورد عن النبي ﷺ: «لا يردّ القضاء إلا الدعاء»<sup>(١)</sup>. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «الدعاء يردّ القضاء المبرم بعدما أبرم إبراهيم إبراماً، فأكثرُوا من الدعاء»<sup>(٢)</sup>. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتنمي الأموال، وتيسر الحساب، وتنسى في الأجل»<sup>(٣)</sup>. وعن الإمام الرضا عليه السلام: «يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيره الله ثلاثين سنة ويفعل الله ما يشاء»<sup>(٤)</sup>.

وثانياً: على فرض أن جميع العلامات حتمية فقد تكون تحققت، وعلى فرض عدم تحققها فيكون دور الدعاء تعجيلها بتعجيل الظهور.

الإشكال الرابع: لو كان الدعاء مؤثراً في التعجيل لأستجيب ذلك؛ ضرورة أن عموم الشيعة لأكثر من ألف سنة وهم يدعون الله تعالى ليلاً ونهاراً بتعجيل الفرج ولم يستجب لهم ذلك، مع أنه سبحانه وعد الداعين بالجواب، مما يدل على أنه لا أثر للدعاء في القضية، وإنما الأثر للداعي نفسه، فيزاح ببركته كربيه وينجلي همّه.

والجواب:

أولاً: قد ذكرنا فيما سبق بأنّ للدعاء شروطاً وموانع، فلعلّ هناك خللاً في بعض ذلك أدى إلى تأخير الإجابة.

وثانياً: إنّ مسألة الظهور المهدوي مسألة عالمية لا تختص بجماعة من الناس، ولذلك فلا بدّ وأن يكون الدعاء والطلب بحجم هذه المسألة العالمية، وأن تكون هناك رغبة

(١) الدعوات، ص ٢١.

(٢) نفس المصدر، ص ١٧.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ١٥٠.

(٤) نفس المصدر، ص ٤٠٧.

صادقة من عموم المؤمنين والمسلمين بل البشرية جمعاء بهذا المنقذ العالمي، ولأجل ذلك يستفاد من بعض الأخبار بأنَّ الإمام عليه السلام لا يظهر إلا بعد إياس الناس عن جميع الحكومات والمنظمات ووصول الفساد إلى حال يعجز عن انتشاله الجميع، فينادي الكل حينها بهذا المنقذ والمخلص العالمي.

#### المعنى الرابع: الانتظار العملي السلوكي

ولهذا المعنى تشير رواية أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام، قال ذات يوم: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله (عز وجل) من العباد عملاً إلا به؟» فقلت: بلى، فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا -يعني أئمة خاصة- والتسليم لهم، والورع، والاجتهاد، والطمأنينة، والانتظار للقائم... ثم قال: إنَّ لنا دولةً يجيء الله بها إذا شاء... ثم قال: من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا... هنيئاً لكم أيتها العصاة المرحومة»<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن يقال بأنَّ الانتظار العملي يتحقّق بعدة أمور، منها:

الأمر الأول: التوبة النصوح، وهي من أبرز العلامات، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا}.

والتوبة النصوحة الحقيقية تتوقف على ستة أنواع:

(١) الغيبة (للنعماني)، ص ٢٠٧.

النوع الأول: الندم على ما مضى، وهي أول درجة من درجات التوبة، فلا بد للتائب من مراجعة نفسه وتذكر جميع ذنوبه والندم عليها، فقد ورد عن النبي ﷺ: «الندم توبة»<sup>(١)</sup>. وعنه ﷺ: «من ندم فقد تاب، ومن تاب فقد أناب»<sup>(٢)</sup>.

ويمكننا أن نقول بأن هناك عدة صور للندم:

الصورة الأولى: الندامة القلبية، وذلك بأن يعيش المذنب حالة تأنيب الضمير ووخزه، والحسرة القلبية، والتألم النفسي على ما اقترفه من الخطايا، وأن يجد في نفسه الخجل من هتكه حرمة المولى تبارك وتعالى.

الصورة الثانية: الندامة اللسانية، وذلك بأن يقرّ الإنسان المذنب لله تعالى بذنوبه ومعاصيه، ويبرز ندامته وتأسفه على تفريطه بلسانه، ويطلب منه سبحانه العفو عنه والمغفرة له، ويكثر من الاستغفار وقراءة أدعية التوبة ومناجاة التائبين، ولذا ورد أن: «الندم استغفار، والإقرار اعتذار، والإنكار إصرار»<sup>(٣)</sup>.

الصورة الثالثة: الندامة العينية، وذلك بأن تتجلى الندامة والحسرة من القلب إلى العين فتبرز العين ندامتها وحسرتها بدموعها الغزيرة التي تسيل من خشية الله تعالى، وأسفاً على ما ضاع من العمر في الطغيان والتعدي على حدوده تعالى، فقد ورد عن النبي ﷺ: «من بكى على ذنبه حتى تسيل دموعه على لحيته حرم الله ديباجة وجهه على النار»<sup>(٤)</sup>.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٨٠.

(٢) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص١١٨.

(٣) نفس المصدر.

(٤) روضة الواعظين، ص٤٥٢.

النوع الثاني: العزم على عدم العودة إلى الذنوب، والبدء في مرحلة جديدة من التغيير وإصلاح المسير فيما بقي من الأيام بطاعة الله تعالى، وأما إذا عاش حالة الندامة والحسرة ولم تكن لديه العزيمة وصدق النية على الإقلاع عنها فلا جدوى من هذه التوبة؛ لأنها ليست توبةً نصوحاً.

ويمكننا القول بأنّ للعزم ثلاث ركائز:

الركيزة الأولى: الدوام، بمعنى أنه لا بدّ وأن يكون العزم على الإقلاع عن الذنوب بشكل دائم ومستمرّ وطيلة العمر، لا أن يكون هذا العزم مؤقتاً ومحدّداً بوقت معيّن. وقد ورد عن الصادق عليه السلام في قوله: {تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا} قال: «يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه»<sup>(١)</sup>.

الركيزة الثانية: العمومية، بمعنى أنه لا بدّ للتائب من هجران جميع الذنوب، وعندما نلاحظ الذنوب باعتبارها تعدّد على حقّ المولى فإنها كلّها كبيرة، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «اعترفوا بنعم الله ربّكم وتوبوا إلى الله من جميع ذنوبكم فإنّ الله يحبّ الشاكرين من عباده»<sup>(٢)</sup>.

الركيزة الثالثة: الكلية، بمعنى أنه لا بدّ للتائب أن يوافق باطنه ظاهره، فيكون عزمه على التوبة عزمًا جوائزيًا وجوارحيًا بجميع وجوده الباطني والظاهري، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «التوبة النصوح هو أن يكون باطن الرجل كظاهره وأفضل»<sup>(٣)</sup>.

النوع الثالث: إعادة الحقوق لأهلها، فإنّ من أشدّ الأمور خطراً على الإنسان في الدنيا والآخرة ظلم العباد والاعتداء على حقوقهم وحرمانهم، فقد يتجاوز الله تعالى عن حقوقه

(١) الكافي، ج٢، ص٤٣٢.

(٢) مهج الدعوات، ص٢٢٧.

(٣) معاني الأخبار، ص١٧٤.

التي فرّط العبد فيها ولكنه لا يتجاوز عن حقوق العباد؛ لأن مقتضى العدالة الإلهية إعادة الحقوق لأهلها، والمظالم لأربابها، وقد روي أنّ شيخاً من النخع جاء إلى الإمام الباقر عليه السلام فقال: يا بن رسول، إني لم أزل والياً من زمان الحجاج إلى يومي هذا، فهل لي من توبة؟ فسكت الإمام عليه السلام، فأعاد الشيخ سؤاله، فقال عليه السلام: «لا توبة لك حتى تؤدّي إلى كلّ ذي حقّ حقه»<sup>(١)</sup>.

النوع الرابع: إعادة حقوق الله تعالى، فالتائب الحقيقي عليه أن يعتمد إلى مراجعة نفسه والنظر فيما ضيّعه من حقوق الله (عز وجل) وواجباته من الصلوات والصيام والحقوق الشرعية، وغير ذلك من الواجبات الشرعية، فيستغفر الله تعالى ويبادر بقضائها.

النوع الخامس: إذابة اللحم، أي أن يسعى للتغيير الكلي، فكما أنّ عليه السعي للتجديد والتغيير في بنائه النفسي، فعليه أيضاً السعي للتغيير والتجديد في بنائه الجسدي بالصوم المندوب الذي هو طريق للتغيير الروحي والبدني، فلا بدّ أن ينسلخ التائب من ذلك البدن الذي قد استهلكه في معصية الله تعالى ويستبدله ببدن طاهر ناشئ في طاعته سبحانه.

النوع السادس: إذاقة البدن ألم الطاعة، فالإنسان حينما يكون غارقاً في بحر الذنوب والمعاصي فإنه يتلذذ بها، فعليه حينما يعلن التوبة الحقيقية أن يذيق بدنه ألم الطاعة كما أذاقه حلاوة المعصية، وذلك من خلال إتيان المستحبات كالنوافل وقراءة القرآن وغير ذلك من المندوبات.

وإلى هذه المعاني الستة يشير أمير المؤمنين عليه السلام في بيانه حدّ الاستغفار... قال: «الاستغفار اسم واقع لمعان ست: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود أبداً، والثالث أن تؤدّي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم، والرابع أن تؤدّي حقّ الله في كلّ

(١) الكافي، ج ٢، ص ٣٣١.

فرض، والخامس أن تذيب اللحم الذي نبت على السحت والحرام؛ حتى يرجع الجلد إلى عظمه، ثم تنشئ فيما بينهما لحمًا جديدًا، والسادس أن تذيب البدن ألم الطاعات كما أذقته لذات المعاصي»<sup>(١)</sup>. وقد ذكر الأعلام إلى أن المعنى الأول والثاني شرطان في تحقق التوبة، وأما الثالث والرابع فهما شرطان في قبولها، وأما الخامس والسادس فهما شرطان في كمالها.

الأمر الثاني: المبايعة في صبيحة كل يوم، ومعاهده على النصره والمؤازرة والاستعداد التام لنصرته والدفاع عنه وطلب التوفيق من الله لذلك من خلال المواظبة على قراءة دعاء العهد، حيث جاء فيه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَدُّدُ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هَذَا وَمَا عَشْتُ مِنْ أَيَّامِي عَهْدًا وَعَقْدًا وَبَيْعَةً لَهُ فِي عُنْقِي لَا أَحُولُ عَنْهَا وَلَا أَزُولُ أَبَدًا»<sup>(٢)</sup>، وكذلك ما جاء في زيارته كل صباح: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَدُّدُ لَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ، عَهْدًا وَعَقْدًا وَبَيْعَةً لَهُ فِي رِقْبَتِي»<sup>(٣)</sup>.

الأمر الثالث: التقرب والتودد إليه، وذلك بالأعمال الصالحة وإهداء ثوابها إليه، من قبيل الصدقة بنية سلامته، والحج نيابة عنه، وختم القرآن وإهداء ثواب ذلك إليه، وزيارة المشاهد الشريفة عنه، والمواظبة على ذلك ولو يومياً فيما يتأتى فيه ذلك، والصلاة على النبي وآله، وغير ذلك.

#### المعنى الخامس: الانتظار العيني

وذلك بأن تعيش العين حالة الانتظار من خلال الدموع والبكاء، ولأجل ذلك أشارت بعض الأخبار إلى أن الأئمة عليهم السلام كانوا يبكون عندما يفكرون في غيبة الإمام المهدي عليه السلام،

(١) تحف العقول، ص ١٩٧.

(٢) المصباح للكفعمي، ص ٥٥١.

(٣) مصباح الزائر، ص ٢٣٤.



وينبغي الالتفات إلى أن البكاء في الواقع ليس أمراً سلبياً ولا أسلوباً ضعيفاً كما يتوهم البعض، بل هو أمر مطلوب في بعض الموارد ويعتد عادةً إيجابيةً، ومن تلك الموارد ما يلي:

#### المورد الأول: البكاء من خشية الله تعالى

إن البكاء من خشية الله تعالى أمر محمود ومرغوب فيه، ويعتبر عن مدى معرفة العبد بالله تعالى، ولأجل ذلك مدح الله تعالى في كتابه الباكين من خشيته وقال: {وَيَجْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} (١).

وعلى ذلك كانت سيرة الأولياء، ولذا يقول طاووس اليماني: رأيت زين العابدين عليه السلام يطوف من العشاء إلى السحر، فلما لم ير أحداً رمق السماء بطرفه وقال: «إلهي غارت نجوم سماواتك ونامت عيون أنامك وأبوابك مفتوحة للسائلين. وهو يبكي ويقول: وعزتك وجلالك..» (٢)، وقد دلت الأخبار على أن العين الباكية في دار الدنيا خشيةً من الله تعالى فإنها آمنة من فزع وهول القيامة، ولذا ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث؛ عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غصت عن محارم الله» (٣).

#### المورد الثاني: البكاء عند تلاوة القرآن

ينبغي للإنسان المؤمن أن يعيش حالة البكاء عند تلاوة القرآن، سواءً كان هو التالي له أو كان منصتاً لتلاوة غيره، فلا بد أن يعيش مع آيات القرآن الكريم بتدبر وخشوع، فإن من تدبر في آيات القرآن لم يتمالك نفسه حتى تسيل دموعه بسبب ذلك، ولذا أثنى

(١) سورة الإسراء: ٩.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٢٩١.

(٣) الكافي، ج ٤، ص ٨٠.

الله تعالى في كتابه على الباكين عند تلاوة القرآن وقال: {إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} (١).

#### المورد الثالث: البكاء لرحمة الله تعالى

إن من أهم الأسباب التي توجب نزول الرحمة الإلهية بالعبد أن يظهر العبد فقره التام لربه، وأن لا ملجأ لديه ولا مأوى يأويه سوى رحمة الله تعالى، وينبغي إظهار هذا الافتقار بالبكاء حتى تصير دموعه على خديه؛ ليكون ذلك عاطفاً للرحمة عليه، وقد أشار القرآن الكريم لحال بعض الفقراء الذين كانوا يبكون رجاء رحمة الله تعالى، حيث قال: {لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ} (٢).

#### المورد الرابع: البكاء شكراً لله تعالى

إن من موارد البكاء الم محمود أن يبكي الإنسان فرحاً بنعمة الله تعالى وشكراً لعطائه (عز وجل)، خصوصاً حينما يكون منتظراً لأمر ما من وقت بعيد فيرى جواب الله تعالى له بعد طول انتظار، فإنه سيبكي بكاء الفرح والشكر، كما بكى جملة النصارى حينما وجدوا النبي ﷺ الذي كانوا يرتقبونه لما وعدهم به الإنجيل، وكما يقول سبحانه: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} (٣)، وكأني بالإمام زين العابدين عليه السلام حينما وجد رأس عدوه سجد لله تعالى باكياً، وكما ينقل بأنه كان مع أصحابه على مائدة إذ قال لهم: «معاشر إخواننا

(١) سورة مريم: ٥٨.

(٢) سورة التوبة: ٩٢.

(٣) سورة المائدة: ٨٣.

طيبوا نفساً واكلوا فإنكم تأكلون وظلمة بني أمية يحصدون». قالوا: أين؟ قال: «في موضع كذا يقتلهم المختار وسيأتي بالرأس -يعني رأس عبيدالله وشمر- يوم كذا»، فلما كان في ذلك اليوم أتى بالرأس، فأراد أن يقعد للأكل وقد فرغ من صلاته، فلما رآهم سجد وقال: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني رأسيهما، الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوي، وجزى الله المختار خيراً»<sup>(١)</sup>.

والذي يبدو من بعض الأخبار أنّ الناس حينما تكتحل نواظرهم بالطلّة البهيّة المنتظرة لصاحب العصر (روحي فداء) فإنّ عيونهم ستذرف دموع الشكر والفرح، ولذا جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «يدخل المهدي الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له، ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب فلا يدري الناس ما يقول من البكاء»<sup>(٢)</sup>.

#### المورد الخامس : البكاء على النفس

لابد للإنسان المؤمن أن يبكي على نفسه المسكينة التي فرطت في جنب الله (عز وجل)، والتي ضيّعت حقوقه تعالى، ويبكي على مصيرها المجهول والأحوال التي أمامها والتي لا تطيقها ولا تقوى على تحمّلها؛ فلعلّ ذلك يكون سبباً في التخفيف عليها يوم الفرع الأكبر، ولذا في الخبر أنه: «أوحى الله إلى موسى عليه السلام ابك على نفسك ما دمت في الدنيا»<sup>(٣)</sup>. وكذلك: «أوحى الله إلى عيسى عليه السلام ابك على نفسك بكاء من قد ودّع الأهل، وقلّ الدنيا وتركها لأهلها، وصارت رغبته فيما عند إلهه»<sup>(٤)</sup>، وجاء في دعاء أبي حمزة: «وأعني بالبكاء على نفسي، فقد أفنيت بالتسويق والآمال عمري، وقد نزلت منزلة الآيسين من

(١) اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٣٤١.

(٢) الإرشاد، ج ٢، ص ٣٨٠.

(٣) عذّة الداعي، ص ١٥٦.

(٤) الكافي، ج ٨، ص ١٣٢.

خيري، فمن يكون أسوأ حالاً مني إن أنا نقلت على مثل حالي إلى قبري، لم أمهده لرقدي ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي، ومالي لا أبكي وما أدري إلى ما يكون مصيري وأرى نفسي تخادعني وأيامي تختالني وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت، فمالي لا أبكي، أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكر ونكير إياي، أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً، حاملاً ثقلي على ظهري ..»<sup>(١)</sup>.

#### المورد السادس : البكاء لغيبة ولي الله تعالى

حينما يفقد الإنسان عزيزاً على قلبه فيحق له البكاء للوعة الفراق، كما قد بكى النبي يعقوب حزناً لفراق يوسف {وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ}<sup>(٢)</sup>، وهكذا نحن اليتامى حريّ بنا أن نبكي حزناً لفراق إمام زماننا وغيبته عتاً؛ فإن بكائنا عليه هو مظهر من مظاهر انتظاره، ولعلّه يكون سبباً في عطفه علينا وتعجيل الفرج بنا، وقد أشارت الأخبار لهذا النوع من الانتظار كما قد بينا ذلك سابقاً.

#### المورد السابع : البكاء لرحيل ولي الله تعالى

ومن الموارد التي يكون البكاء فيها محموداً البكاء لرحيل ولي من أولياء الله تعالى، حتى ورد بأن بقاع الأرض تبكي لفراقه، فعن النبي ﷺ: «إذا مات المؤمن ثلم في الإسلام ثلماً لا يسد مكانها شيء، وبكت عليه بقاع الأرض التي كان يعبد الله فيها»<sup>(٣)</sup>، ولا سيما إذا كان هذا الولي من سادة الخلائق محمد وأهل بيته، خصوصاً سيد الشهداء ﷺ، ولذا جاء عن الإمام الصادق ﷺ: «البكاؤون خمسة؛ آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين (صلوات الله عليهم)، فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه

(١) مصباح المتعجب، ص ٥٩١.

(٢) سورة يوسف: ٨٤.

(٣) الدعوات، ص ٢٣٥.

مثل الأودية، وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره..، وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن..، وأما فاطمة فبكت على رسول الله ﷺ حتى تأذى بها أهل المدينة..، وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين أربعين سنة..<sup>(١)</sup>.

### النقطة الثانية: ثواب الانتظار

لقد حُتت النصوص الكثيرة على انتظار الفرج، ووردت أخبار كثيرة في فضل وثواب المنتظر للفرج، منها:

#### الأول: الجهاد مع النبي ﷺ

لا بد أن يعلم المؤمن بأن من آثار انتظاره الحقيقي للفرج أن يُكتب له أجر وثواب المجاهد بين يدي رسول الله ﷺ، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «المنتظر للثاني عشر كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله ﷺ يذب عنه»<sup>(٢)</sup>.

#### الثاني: الشهادة في سبيل الله تعالى

روي عن النبي ﷺ قوله: «فوق كل ذي برّ برّ حتى يقتل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ»<sup>(٣)</sup>. وهذا مؤشّر على عظم ثواب وأجر الشهادة، وهو أمر طبيعي؛ حيث إنّ الشهيد قد بذل أعلى ما يمتلكه في سبيل الحقّ تعالى ولأجل الدين، فليس هناك أعظم أجراً وأكثر ثواباً من الشهادة في سبيل الله تعالى، وقد جاء في الأخبار أنّ المنتظر للفرج له ثواب الشهيد في سبيل الله (عز وجل)، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام: «والمنتظر

(١) الخصال، ص ٢٧٢.

(٢) كمال الدين، ص ٣٣٥.

(٣) الكافي، ج ٥، ص ٥٣.

لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله»<sup>(١)</sup>. وعن الحرث بن المغيرة قال: كنا عند أبي جعفر عليه السلام فقال: «العارف منكم هذا الأمر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم آل محمد عليه السلام بسيفه... ثم قال: بل والله كمن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله بسيفه... ثم قال: بل والله كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله في فسطاطه»<sup>(٢)</sup>.

### الثالث: الرجعة

قد يخشى المنتظر للفرج أن يأتيه الأجل قبل خروج الإمام المهدي عليه السلام فيحرم من الفوز بالنصرة له والحياة في دولته، إلا أن ذلك في غير محله؛ فإن المنتظر الحقيقي للفرج يرجع مرة أخرى للحياة، وذلك أن من آثار انتظار الفرج أن المنتظر للفرج لو جاءه الموت قبل ظهور الإمام عليه السلام فإنه يرجع مرة أخرى للدنيا أو يخير في قبره بين الرجوع ليفوز بنصرة الإمام عليه السلام أو البقاء، وهذا ما دلّت عليه الأخبار، منها:

١- عن المفضل بن عمر قال: ذكرنا القائم ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام: «إذا قام أتى المؤمن في قبره فيقال له: يا هذا، إنه قد ظهر صاحبك، فإن تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم»<sup>(٣)</sup>.

٢- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إن المؤمن ليخير في قبره إذا قام القائم فيقال له: قد قام صاحبك فإن أحببت أن تلحق به فالحق، وإن أحببت أن تقيم في كرامة الله فأقم»<sup>(٤)</sup>.

(١) الخصال، ص ٦٢٥.

(٢) مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٣٨.

(٣) الغيبة (للطوسي)، ص ٤٥٩.

(٤) دلائل الإمامة، ص ٤٧٩.

## الرابع: درجة أهل البيت يوم القيامة

من المعلوم بأن للجنة درجات ومراتب، ولذا جاء في القرآن الكريم ذكر بعض تلك الدرجات والمراتب، ومنها:

الفردوس<sup>(١)</sup>، عدن<sup>(٢)</sup>، المأوى<sup>(٣)</sup>، الخلد<sup>(٤)</sup>، النعيم<sup>(٥)</sup>.

إلا أنه مما لا شك ولا ريب فيه أن جنة عدن هي أعلى درجات الجنة وأرفع مراتبها، وهي التي يسكنها النبي وأهل بيته عليهم السلام كما في بعض الأخبار، فعنه عليه السلام: «من يريد أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فليتولّ علي بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة»<sup>(٦)</sup>.

وعلى كل حال، فإن المنتظر للفرج يفوز بهذه الدرجة، حيث يكون في جوار محمد وآل بيته عليهم السلام، وأي شيء في القيامة أعظم من ذلك؟ فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو يأتّم به في غيبته قبل قيامه، ويتولى أوليائه ويعادي أعداءه، ذلك من رفقائي وذوي مودّتي وأكرم أمّتي عليّ يوم القيامة»<sup>(٧)</sup>. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «للقائم منّا غيبة أمدّها طويل، كأني بالشيعّة يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معي في

(١) (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) الكهف: ١٧.

(٢) (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤِمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة: ٧٢.

(٣) (وَلَقَدْ رَأَى نُزُلَهُ الْآخَرَى \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) النجم: ١٣-١٥.

(٤) (قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا) الفرقان: ١٥.

(٥) (وَأَجْعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) الشعراء: ٨٥.

(٦) المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ١٧٨.

(٧) کمال الدین، ص ٢٨٦.

درجتي يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «طوبى لشيعتنا المتمسكين بجلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم ثم طوبى لهم، وهم الله معنا في درجاتنا يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

#### الخامس: النداء الإلهي

قد يراود الإنسان أحياناً ويحوم في ذهنه بعض الأفكار المليئة بخيال الأمنيات، من قبيل أنه لو كنت بين يدي ملك عظيم وأعطاني حرية الاختيار والطلب، وأنه سيلبي لي جميع رغباتي فسوف أطلب منه كذا وكذا، وأقدم أهمّ الأمور والمطالب التي أريدها، وهذا التفكير في الواقع قد يكون له سبب واقعي حقيقي، وليس مجرد فكرة عابرة، بل هي فكرة لها واقعية وهي أننا في كلّ آناات ولحظات حياتنا نعيش في حضرة ربّ العالمين والذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه تصير الأمور، فبوسعنا فعلاً أن نطلب منه كلّ ما نتمناه ونبتغيه، فإن رأى ذلك في خيرنا وصلاح أمرنا فلن يبخل بعطائه علينا، وإن لم يكن فيه خير لنا فلا ضير في أن يمنع ذلك عنا، إلا أنّ الأعظم من ذلك والشعور الأكبر لذّة وأنساً من ذلك حينما يأتينا نداء ربّ العالمين من دون أن نفكر في ذلك فعلاً، كم هو فوز عظيم ومقام كريم للعبد حينما يكون قريباً من ربّه (عز وجل) ويحظى بنداائه وبشارته، فمهما بلغ العبد مقاماً ونال كرامةً فليس ذلك أفضل وأعظم من أن يناديه جبار الجبابرة وملك الملوك وربّ العالمين، وهل علمت بأنّ انتظار الفرج يوجب لك ذلك كلّهُ؟

فعن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان؛ إنّ أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري (جل جلاله) فيقول: عبادي وإمائي آمنتم بسرّي وصدقتم بغيبتي فأبشروا بحسن

(١) نفس المصدر، ص ٣٠٣.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٦١.



الثواب مني فأنتم عبادي وإمائي حقاً، منكم أتقبل وعنكم أعفو ولكم أغفر، وبكم أسقي عبادي الغيث وأدفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي» قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله، فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: «حفظ اللسان ولزوم البيت»<sup>(١)</sup>.

السادس: أجر الصائم القائم

لقد دلّت الآثار الكثيرة على الأجر والثواب الكبيرين اللذين ينالهما الصائم القائم، وكذلك المنتظر للفرج يستحقّ أجر الصائم والقائم، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «واعلموا أنّ المنتظر لهذا الأمر له مثل أجر الصائم القائم»<sup>(٢)</sup>.

### النقطة الثالثة: أسباب التركيز على انتظار الفرّج

هناك عدّة أسباب أعطت انتظار الفرّج هذه الأهمية في تراث أهل البيت عليهم السلام وأوجبت هذا الحثّ الشديد والتأكيد على ذلك، منها:

السبب الأول: التقية، فهناك جملة من الشيعة يطالبون الأئمة عليهم السلام بين حين وآخر بالثورة والخروج على حكام الجور والأخذ بالثأر؛ نتيجة ما يواجهونه من الظلم والاضطهاد، إلا أنهم عليهم السلام أعرف بتكليفهم ومناسبة الظروف لذلك وعدم مناسبتها، ومن هنا كانوا يسألون شيعتهم ويصبرونهم ويحثونهم على انتظار الفرّج، وأنّ الإمام القائم هو الذي تكون على يديه نهاية حكم الطواغيت، وأنهم مأمورون بالصبر والتقية، ولذلك ورد التأكيد الشديد على انتظار الفرّج، وإليك بعض الشواهد:

(١) نفس المصدر، ص ٣٣٠.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٢٢٢.

الشاهد الأول: عن أبي بكر الحضرمي قال: دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله عليه السلام وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان، فقلنا: ما ترى؟ فقال: «اجلسوا في بيوتكم، فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح»<sup>(١)</sup>.

الشاهد الثاني: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كونوا أحلاس بيوتكم والبدوا ما ألدنا، فإذا تحرك متحركنا فاسعوا إليه ولو حبواً، والله لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد على العرب شديد»<sup>(٢)</sup>.

الشاهد الثالث: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كفوا ألسنتكم والزموا بيوتكم فإنه لا يصيبكم أمر تخصون به أبداً ولا يصيب العامة ولا تزال الزيدية وقاءً لكم أبداً»<sup>(٣)</sup>.

الشاهد الرابع: عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له، إن أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقية» ف قيل له: يا ابن رسول الله، إلى متى؟ قال: «إلى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا أهل البيت، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا...»<sup>(٤)</sup>.

السبب الثاني: التشكيك، فكان الأئمة عليهم السلام يعلمون بطول أمد الغيبة وما سيؤول إليه حال الناس من الجحود لهذا الأمر ورجوع البعض عن القول به والتشكيك فيه، ومن هنا أكدوا على قضية الانتظار وأنه مهما طالت الأيام وامتدت الأعوام فلا ينبغي أن يستولي اليأس على قلوب المؤمنين بسبب ذلك، وأن في ثباتهم وتحملهم وانتظارهم للفرج المثوبة العظمى والجزاء الأوفر، وإليك بعض الشواهد:

(١) الغيبة (للمعماني)، ص ٢٠٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٠٤.

(٤) كمال الدين، ص ٣٧٢.

الشاهد الأول: عن الصقر بن أبي دُلف قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنَّ الإمام بعدي ابني علي وبعده ابنه الحسن» ثم سكت، قلت: يا ابن رسول الله، فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى بكاءً شديداً وقال: «القائم المنتظر» قلت: لم سمي القائم؟ قال: «لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته» فقلت: ولم سمي المنتظر؟ قال: «لأنَّ له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، ويستهزئ بذكره المجاهدون»<sup>(١)</sup>.

الشاهد الثاني: عن أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «يا أبا الجارود إذا دارت الفلك وقال الناس: مات القائم أو هلك بأي واد سلك، وقال الطالب: أنى يكون ذلك وقد بليت عظامه، فعند ذلك فارجه، فإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً على الثلج»<sup>(٢)</sup>.

الشاهد الثالث: عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قتل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير»<sup>(٣)</sup>.

#### السبب الثالث: استشعار الحضور

على الشيعة على أن يعيشوا دائماً على قرب من ولي الله تعالى وحقته في الأرض، وأن يكونوا على صلة دائمة به وتعلق مستمر معه، وأن يكون حال الحضور وحال الغيبة عندهم سواء، فيعيشون كأنهم مع الإمام عليه السلام، فلا فرق بين حضوره عليه السلام وغيبته، فإنَّ المنتظر دائماً يكون قريباً من الإمام عليه السلام وحاضراً معه، حتى أنَّ هذا الاستشعار يوجب الاستشعار بحضور النبي صلى الله عليه وآله كذلك، فكما أنَّ الإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله من الغيب فكذلك

(١) نفس المصدر، ص ٣٧٨.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٢٦.

(٣) الغيبة (للنعماني)، ص ١٧٦.

الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام بالنسبة لنا نحن الذين لم ندرك أيامه وحضوره، ولذلك يعتبر هذا الإيمان من أعظم الإيمان وأكثر أجراً من الإيمان النابع عن المشاهدة والحضور، وإليك بعض الشواهد:

الشاهد الأول: عن النبي صلى الله عليه وآله: «يا علي واعلم أنّ أعظم الناس يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي وحجب عنهم فأمنوا بسواد في بياض»<sup>(١)</sup>.

الشاهد الثاني: عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: (اللَّهُمَّ لَقْنِي إِخْوَانِي) مرتين، فقال من حوله أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟! فقال: (لا، إنكم أصحابي، وإخواني قوم في آخر الزمان، آمنوا ولم يروني، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم لأحدهم، أشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا، أولئك مصاييح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة»<sup>(٢)</sup>.

#### السبب الرابع: نصره الدين

إن المنتظر للفرج ينعكس انتظاره في الواقع الخارجي بالتمهيد لظهور الإمام عليه السلام والسعي في إقامة العدل ونصرة الدين وإحياء الحق، ويكون له دور في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس كما يتوهم البعض من أنّ الانتظار يعني الجمود والقعود، لتنتشر المفاسد والمظالم؛ ليكون ذلك سبباً في تعجيل الظهور، بل هذا تصوّر ساذج وخاطئ لانتظار الفرّج، وقد دلّت بعض الأخبار على أنّ للمؤمن ثواب المجاهدين في نصره الدين وأنه شريك معهم ولو قبل ولادته ومجيئه للدنيا؛ وما ذاك إلا لأنّ قلبه على ذلك، ولأنه يسير على هذا النهج ويمضي قدماً نحو الحفاظ على تلك المسيرة الحثيثة في نصره الدين.

(١) كمال الدين، ص ٢٨٨.

(٢) بصائر الدرجات، ص ١٠٤.

فغن أمير المؤمنين عليه السلام لما قتل الخوارج يوم النهروان قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف وقتلنا معك هؤلاء الخوارج، فقال عليه السلام: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد شهدنا في هذا الموقف أناس لم يخلق الله آباءهم ولا أجدادهم بعد»، فقال الرجل: وكيف يشهدنا قوم لم يخلقوا؟ قال: «بلى، قوم يكونون في آخر الزمان يشركوننا فيما نحن فيه ويسلمون لنا، فأولئك شركاؤنا فيما كنا فيه حقاً حقاً»<sup>(١)</sup>.

شبهة وجواب:

قد يقول قائل: ذكرتم في السبب الأول بأن السبب في الحث والترغيب على الانتظار هو الصبر والتقية، بينما ذكرتم في السبب الرابع نصره الدين، وهذا سببان لا يجتمعان، فإن التقية تعني القعود، والنصرة تعني الحركة!

فيقال له: بأن ما ذكر في السبب الأول كان من ناحية المعصومين عليهم السلام وأنهم بينوا للناس أن تكليفهم في تلك الفترة وبجسب ذلك الظرف هو التقية والصبر وعدم الخروج على السلطان الظالم، وهذا لا يعني عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة الدين في المجالات الأخرى مع عدم وجود تقية، فإن الأئمة عليهم السلام في نفس الوقت الذي مارسوا فيه التقية قاموا بنصرة الدين أيضاً، وهذا يعني إمكان تطبيق ذلك في زماننا أيضاً، فحتى لو مارسنا التقية في بعض الأمور فإن ذلك لا يمنع من إقامة المعروف بالمقدار الممكن والمتاح.

(١) المحاسن، ج١، ص٢٦٢.

### الوصية الثالثة: الرجوع للعلماء

ومن جملة الوصايا الهامة من قبلهم عليهم السلام والتي نحن في أمس الحاجة لها فعلاً هي الرجوع إلى العلماء والأخذ عنهم وعدم الخروج عليهم والاستقلال بالرأي دونهم، خصوصاً حينما تظهر الفتن والدعاوى. وسوف نبحث في هذه الوصية من خلال عدة نقاط:

#### النقطة الأولى: الأدلة على لزوم تقليد الفقهاء

ذكرت مجموعة من الأدلة على مشروعية تقليد الفقهاء، بعضها يمكن للفقهاء الاستدلال بها، والبعض الآخر يمكن للفقهاء والعامي الاستدلال بها، وهنا نشير إلى عمدتها:

الدليل الأول: القرآن، فقد استدل ببعض الآيات على مشروعية التقليد، والمهم منها قوله تعالى: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} (١).

وتقريب الدلالة يتوقف على مقدمات:

المقدمة الأولى: وجوب التفقه، فقد دلت الآية المباركة على لزوم الخروج من أجل التفقه في الدين، كما هو الظاهر من (لولا) التحريضية.

المقدمة الثانية: وجوب الإنذار، فدلت الآية المباركة على وجوب الإنذار من قبل هؤلاء المتفقهين بعد التفقه، كما هو ظاهر قوله {وَلِيُنذِرُوا} والإفتاء هو مصداق للإنذار.

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

المقدمة الثالثة: وجوب الحذر، فيما أنّ الإنذار واجب فالغاية المطلوبة منه -وهي الحذر- واجبة، وإلا لكان إيجاب الإنذار دون وجوب الحذر لغواً، والحذر إنما يتحقق بالأخذ بفتوى الفقيه، وهذا معناه وجوب التقليد.

المقدمة الرابعة: الإطلاق، والآية لم تقيّد وجوب الحذر والتقليد بحصول العلم بالإنذار وعدمه، وهذا معناه حجية الفتوى ولزوم الأخذ بها على كلّ حال. يقول السيد الخوئي: "فدلالة الآية على حجية الفتوى وجواز التقليد مما لا مناقشة فيه"<sup>(١)</sup>. فالنتيجة: ثبوت الحجية لفتوى الفقيه.

الدليل الثاني: السنة، ويمكن تقريب ذلك في مقدمتين:

المقدمة الأولى: دلّت مجموعة من النصوص التي يمكن دعوى تواترها الإجمالي على مشروعية التقليد، ويمكن تصنيفها إلى عدّة طوائف:

الطائفة الأولى: أخبار الإرجاع، وهي عبارة عن الأخبار التي دلّت على إرجاع الأئمة عليهم السلام الناس إلى بعض الأصحاب، من قبيل:

١- رواية أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته وقلت: من أعامل؟ وعمّن آخذ؟ وقول من أقبل؟ فقال: «العمري ثقّي، فما أدّى إليك فعني يؤدّي، وما قال عني فعني يقول، فاسمع له وأطع، فإنه الثقة المأمون». قال: وسألت أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك فقال: «العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك فعني يؤديان، وما قال لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان»<sup>(٢)</sup>.

(١) تنقيح في شرح العروة (التقليد)، ج١، ص٦٧.

(٢) الكافي، ج١، ص٢٦٥.

٢- رواية ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنه ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم، ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كذا ما يسألني عنه. فقال: «ما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فإنه سمع من أبي، وكان عنده وجيهاً»<sup>(١)</sup>.

٣- قول الإمام المهدي عليه السلام: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليكم»<sup>(٢)</sup>.

الطائفة الثانية: الأخبار المصرحة بالإفتاء، وهي التي أمر فيها الإمام عليه السلام بعض الأصحاب بالإفتاء صريحاً، من قبيل:

١- قول الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام لأبان: «يا أبان، اجلس في مجلس المدينة وافت الناس؛ فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك»<sup>(٣)</sup>.

٢- عن معاذ بن مسلم النحوي عن أبي عبد الله عليه السلام قال لي: «بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس» قال: قلت: نعم، وقد أردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج، إني أقعد في المسجد فيجيء الرجل يسألني عن الشيء فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، ويجيء الرجل أعرفه بحببكم ومودتكم فأخبره بما جاء عنكم، ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو فأقول: جاء عن فلان كذا وجاء عن فلان كذا، فأدخل قولكم فيما بين ذلك، قال: فقال لي: «اصنع كذا فإني كذا أصنع»<sup>(٤)</sup>.

الطائفة الثالثة: الأخبار العامة، وهي الأخبار الناهية عن الفتوى بغير علم، والقضاء بالرأي، والاستحسان، فتدل بالالتزام على مشروعية الرجوع للمفتي، كالرواية عن الباقر عليه السلام:

(١) اختيار معرفة الرجال، ج١، ص١٦٣.

(٢) كمال الدين، ص٤٨٤.

(٣) رجال النجاشي، ص١٠، رقم٧.

(٤) اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٢٥٢.



«من أفقى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه»<sup>(١)</sup>.

والمتحصل من جميع هذه الأخبار هو حجية فتوى الفقيه.

المقدمة الثانية: بما أن فتوى الفقيه حجة فهذا دال على جواز أو وجوب الأخذ بها، وإلا لكانت حجيتها لغواً.

والنتيجة: حجية فتوى الفقيه ولزوم الرجوع إليه.

الدليل الثالث: العقل، ويمكن للعامة الاعتماد عليه في مشروعية التقليد. وتقريبه في مقدمات:

المقدمة الأولى: لا إشكال ولا ريب في وجود مجموعة من التكليف والأحكام الواجبة والمحرمة التي يلزم امتثالها وتفريغ الذمة عنها.

المقدمة الثانية: لا يخلو حال المكلف تجاه هذه التكليف من أحد أمور ثلاثة؛ فإما أن يكون مجتهداً أو محتاطاً أو مقلداً.

المقدمة الثالثة: لا إشكال في عدم قدرة جميع المكلفين على الطريق الأول وهو الاجتهاد؛ للزوم اختلال نظام الناس في توجههم جميعاً لذلك من جهة، وصعوبة الاجتهاد على الكل من جهة أخرى، كما أنه لا إشكال في عدم قدرة الجميع على الاحتياط؛ فمضافاً لما في ذلك من العسر والخرج فإنه يحتاج لخبرة وإحاطة بمواضع الاحتياط غير مقدورة للعامة عادةً. والنتيجة: مع تعدد الطريقين الأولين يتعين الطريق الثالث وهو التقليد.

الدليل الرابع: السيرة العقلائية، وتقريب ذلك في مقدمات:

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٢.

المقدمة الأولى: جرت سيرة العقلاء على رجوع الجاهل إلى العالم في كل مجالات الحياة، فالجاهل في الطب يرجع إلى أهل الاختصاص والخبرة في الطب، والجاهل في الهندسة يرجع إلى أهل الاختصاص والخبرة في الهندسة، وهكذا بقية الأمور بلا استثناء.

المقدمة الثانية: إنّ هذه السيرة كانت معاصرةً للشارع وليست سيرة حادثّة؛ إذ على هذا الديدن جرى العقلاء في كل زمن، ومن تلك الأزمان عصر الشارع.

المقدمة الثالثة: إنّ الشارع المقدّس قد أمضى هذه السيرة، وهذا ما يشهد له أحد

أمرين:

الأمر الأول: ما تقدّم من النصوص الدالة على المشروعية.

الأمر الثاني: على فرض التشكيك في دلالة جميع ما تقدّم من النصوص، فيمكن الاعتماد على سكوت الشارع وعدم رده عن هذه السيرة، فإنه كافٍ في إحراز الإمضاء؛ إذ لو كانت هذه السيرة غير مرغوبة عنده لردع عنها؛ لأنها منافية لأغراضه، والحكيم لا ينقض غرضه.

والنتيجة: حجية هذه السيرة، فيثبت بها جواز التقليد.

والمتحصّل من كلّ ما تقدّم: أنه لا إشكال في قيام الأدلة التامة على مشروعية التقليد،

سواء على نحو الجواز لمن كان متمكناً من الاجتهاد أم الاحتياط، أم على نحو الوجوب لمن لم يتمكن من ذلك.

### النقطة الثانية: مناصب المرجعية الدينية

**المنصب الأول: الإفتاء،** وهو عبارة عن حجية فتوى الفقيه في حقّ العائمي، فلو عمل العائمي بها فهو معذور أمام الله تعالى، ويدلّ على هذا المنصب روايتا أبان بن تغلب ومعاذ النحوي المتقدمين.

**المنصب الثاني: القضاء،** وهو عبارة حجية حكم الفقيه في مقام فضّ النزاعات وحلّ الخصومات بين الناس، بحيث يجب تنفيذه ولا يجوز رده، بل ويحرم على فقيه آخر نقضه ما لم يحرز خطؤه في المستند، كما في قوله عليه السلام: «اجعلوا بينكم رجلاً ممتنّاً قد عرف حلالنا وحرماننا فإني قد جعلته عليكم قاضياً، وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر»<sup>(١)</sup>.

### المنصب الثالث: إقامة الحدود والتعزيرات

وهو عبارة عن الحقّ الثابت للفقيه في إقامة الحدود أو التعزيرات على من يستحق ذلك.

والفرق بين الحدود والتعزيرات: أنّ الحدود عبارة عن كلّ ذنب حدّد الشارع له حدّاً معيّناً من العقوبة، وهذه الحدود عددها ستة عشر حدّاً؛ أشدها القتل كما في الارتداد عن فطرة وزنى المحصن، وأقلها الجلد خمسة وسبعون جلدةً كما في حدّ القيادة. وأمّا التعزيرات فهي عبارة عن كلّ ذنب لم يحدّد الشارع له مقداراً معيّناً من العقوبة وأوكل تشخيص ذلك إلى الفقيه بحسب ما يشخصه من المصلحة، فقد تكون العقوبة الحبس، وقد تكون الحرمان من الطعام والشراب.

(١) تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٣٠٣.

وقد وقع الخلاف بين الأعلام في ثبوت هذا المنصب للفقهاء في زمن الغيبة وعدمه، فالبعض خصّص ذلك بالإمام، والبعض الآخر عمّمه للفقهاء المبسوط اليد.

المنصب الرابع: الولاية، وقد وقع الخلاف بين الأعلام في حدود هذا المنصب إلى عدة آراء:

#### الرأي الأول: الولاية العامة

وهي عبارة عن ثبوت حق التصرف للفقهاء في كل ما ثبت فيه ذلك للمعصوم عليه السلام، إلا ما استثني بالدليل من قبيل الجهاد الابتدائي أو الطلاق - كما يرى ذلك السيد الخميني -، وبناءً على ذلك فيمكن للفقهاء إصدار حكمه في كل ما يشخص وجود المصلحة فيه، من قبيل سنّ قوانين لإصلاح الوضع التعليمي أو الاقتصادي أو المرور أو غير ذلك، ولذا قال عليه السلام: "فالفقيه العادل جميع ما للرسول والأئمة عليهم السلام ممّا يرجع إلى الحكومة والسياسة، ولا يعقل الفرق؛ لأنّ الولي - أي شخص كان - هو المجري لأحكام الشريعة، والمقيم للحدود الإلهية، والأخذ للخراج وسائر الضرائب، والمتصرف فيها بما هو صلاح المسلمين، فالنبي صلى الله عليه وآله يضرب الزاني مائة جلدة، والإمام عليه السلام كذلك، والفقيه كذلك، ويأخذون الصدقات بمنوال واحد، ومع اقتضاء المصالح يأمرّون الناس بالأوامر التي للوالي وتجب إطاعتهم"<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً: "فتحصل ممّا مرّ: ثبوت الولاية للفقهاء من قبل المعصومين عليهم السلام في جميع ما ثبتت لهم الولاية فيه من جهة كونهم سلاطين على الأمة، ولا بدّ في الإخراج عن هذه الكلية في مورد من دلالة دليل دالّ على اختصاصه بالإمام المعصوم عليه السلام"<sup>(٢)</sup>.

وقال في مقام التخصيص لهذه الولاية: "فلو قلنا بأنّ المعصوم عليه السلام له الولاية على طلاق زوجة الرجل أو بيع ماله أو أخذه منه ولو لم تقتضه المصلحة العامة لم يثبت ذلك للفقهاء،

(١) البيع، ج ٤، ص ٦٢٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٦٥٣.

ولا دلالة للأدلة المتقدمة على ثبوتها له حتى يكون الخروج القطعي من قبيل التخصيص<sup>(١)</sup>.

وقال: "ثم إنَّ المتحصّل من جميع ما ذكرناه أنّ للفقهاء جميع ما للإمام عليه السلام إلا إذا قام الدليل على أنّ الثابت له عليه السلام ليس من جهة ولايته وسلطنته بل لجهات شخصية تشریفاً له، أو دلّ الدليل على أنّ الشيء الفلاني وإن كان من شؤون الحكومة والسلطنة لكن يختص بالإمام عليه السلام ولا يتعدى منه، كما اشتهر ذلك في الجهاد غير الدفاعي وإن كان فيه بحث وتأمل<sup>(٢)</sup>."

وقال أيضاً: "مسألة ٢: في عصر غيبة ولي الأمر وسلطان العصر عليه السلام كان نوابه العامة وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى والقضاء قائمين مقامه في إجراء السياسات وسائر ما للإمام عليه السلام إلا البدأة بالجهاد<sup>(٣)</sup>."

ويقول المحقق النراقي الذي تبنى الولاية العامة: "فهل يبقى لأحد شكّ في أنّ له فعل كلّ ما كان للسلطان في أمور رعية تلك الناحية إلا ما استثناه؟ وما أظنّ أحداً يبقى له ريب في ذلك ولا شكذ ولا شبهة، ولا يضترّ ضعف تلك الأخبار بعد الانحجار بعمل الأصحاب، وانضمام بعضها ببعض، وورود أكثرها في الكتب المعتمدة<sup>(٤)</sup>."

#### الرأي الثاني: الولاية بمقدار ما ثبت للوالي

وهي عبارة عن ثبوت حق التصرف للفقهاء بمقدار ما ثبت ذلك للوالي، وهذا ما اختاره المحقق النائيني اعتماداً على مقبولة ابن حنظلة، حيث ورد فيها «جعلته عليكم حاكماً»،

(١) نفس المصدر، ص ٦٥٤.

(٢) نفس المصدر، ص ٦٦٤.

(٣) تحرير الوسيلة، ج ١، ص ٤٨٢.

(٤) عوائد الأيام، ص ٥٣٧.

ولذا قال ما حاصله: "فوظيفة الوالي هي الأمور النوعية الراجعة إلى تدبير الملك والسياسة وجباية الخراج والزكوات وصرفها في المصالح العامة من تجهيز الجيوش وإعطاء حقوق ذوي الحقوق. وبعبارة أخرى: كلما يكون وظيفة السلطان في مملكته ومنه جعل القاضي في خطة ولايته... وأما وظيفة القضاة فعبارة عن قطع الخصومات وحبس الممتنع وجبره على أداء ما عليه، والحجر عليه في التصرف في أمواله إذا كان دينه مستغرقاً، ومباشرة بيع أمواله إذا امتنع هو بنفسه عن بيعها... إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ مرجع الخلاف في ثبوت الولاية العامة للفقهاء إلى الخلاف في أنّ المجعول له هل هو وظيفة القضاة أو أنه منصوب لوظيفة الولاية؟ فإن ثبت كونه والياً فيجوز له التصدي لكل ما هو من وظائف الولاية التي عرفت أنّ منها وظيفة القضاة... فالعمدة فيما يدل على هذا القول هو مقبولة عمر بن حنظلة وفيه أنه عليه السلام قال: «فإني جعلته عليكم حاكماً»، فإن الحكومة بإطلاقها يشمل كلتا الوظيفتين، بل لا يبعد ظهور لفظ الحاكم فيمن يتصدى لما هو وظيفة الولاية... وبالجملة فرواية ابن حنظلة أحسن ما يتمسك به لإثبات الولاية العامة للفقهاء... ثم لو بنينا على عموم ولاية الفقيه ببركة دلالة مقبولة ابن حنظلة فلا إشكال في أنّ له الولاية على كل ما علم بأنه من وظائف الولاية أو كان مشكوكاً، فله جباية الخراج والمقاسمة فضلاً عن مطالبة الأحماس والزكوات، وله التصدي لإقامة الجمعة... وكذلك له التصدي لإقامة الحدود والتعزيرات وأمثالهما مما يشك في كونه من وظيفة القضاة...<sup>(١)</sup>.

#### الرأي الثالث: الولاية الحسبية

وهي عبارة عن ثبوت حق التصرف للفقهاء في موارد خاصة، وهي التي يحرز عدم رضا الشارع بتركها، فيثبت حق التصرف فيها للفقهاء بمقتضى كونه القدر المتيقن المأذون له في ذلك، فما يتوقف عليه حفظ الأنفس والأعراض والأموال يحق للفقهاء التصرف فيه

(١) المكاسب والبيع، ج ٢، ص ٣٣٤ - ٣٣٨.

لإحراز عدم رضا الشارع بتركه وإهماله، وذلك من قبيل الولاية على أموال اليتيم، وعلى الأوقاف، وغير ذلك، يقول الشيخ الأعظم: "وبالجملة إقامة الدليل على وجوب طاعة الفقيه كالإمام عليه السلام إلا ما خرج بالدليل دونه خرط القتاد"<sup>(١)</sup>.

ويقول: "وعلى أي تقدير فقد ظهر ممّا ذكرنا: أنّ ما دلّ عليه هذه الأدلة هو ثبوت الولاية للفقيه في الأمور التي يكون مشروعيتها إيجابها في الخارج مفروغاً عنها بحيث لو فرض عدم الفقيه كان على الناس القيام بها كفاية، وأما ما يشك في مشروعيتها كالحدود لغير الإمام وتزويج الصغيرة لغير الأب والمجد وولاية المعاملة على مال الغائب بالعقد عليه وفسخ العقد الخياري عنه وغير ذلك فلا يثبت من تلك الأدلة مشروعيتها للفقيه، بل لا بدّ للفقيه من استنباط مشروعيتها من دليل آخر، نعم الولاية على هذه وغيرها ثابتة للإمام عليه السلام بالأدلة المتقدمة المختصة به، مثل آية: {أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنۢ أَنفُسِهِمْ}، وقد تقدّم أنّ إثبات عموم نيابة الفقيه عنه عليه السلام في هذا النحو من الولاية على الناس ليقترن في الخروج عنها على ما خرج بالدليل دونه خرط القتاد"<sup>(٢)</sup>.

ويقول السيد الخوئي: "إنّ ما استدلّ به على الولاية المطلقة في عصر الغيبة غير قابل للاعتماد عليه، ومن هنا قلنا بعدم ثبوت الولاية له إلا في موردين وهما الفتوى والقضاء"<sup>(٣)</sup>.

ويقول: "فيستنتج بذلك أنّ الفقيه هو القدر المتيقن في تلك التصرفات، وأما الولاية فلا، أو لو عبّرنا بالولاية فهي ولاية جزئية تثبت في مورد خاص، أعني الأمور الحسبية التي لا بدّ من تحقّقها في الخارج"<sup>(٤)</sup>.

(١) نفس المصدر، ج ٣، ص ٥٥٣.

(٢) نفس المصدر، ص ٥٥٧.

(٣) التنقيح في شرح العروة الوثقى، ج ١، ص ٣٥٥.

(٤) نفس المصدر، ص ٣٥٩.

### الرأي الرابع: الولاية النظامية

وهي عبارة عن ثبوت حق التصرف للفقير في كل مورد يكون مما هو داخل في النظام العام وتقتضيه المصلحة، فليس عموم ما كان ثابتاً للمعصوم ولا خصوص ما يجرز عدم رضا الشارع في تركه وإهماله، وإنما تثبت الولاية في كل ما كان من شؤون النظام، ومنشأ هذا الاختلاف راجع إلى نفس الأدلة الدالة على الولاية ومقدار ما تدل عليه، حيث اختلف في هذه الأدلة؛ فمنها العقلي ومنها النقل، وقد ذكر الشيخ الأعظم في كتاب البيع عشرة أدلة مع المناقشات المذكورة فيها.

### النقطة الثالثة: موارد تقليد المرجع

ذكر الأعلام جملة من الموارد التي يصح فيها التقليد وجملة من الموارد التي لا يصح فيها ذلك، وهناك موارد وقع الخلاف بينهم فيها، وهنا نشير إلى ذلك:

#### الأمر الأول: الموارد التي يصح فيها التقليد:

١- الأحكام الفقهية، ولا إشكال ولا ريب في إمكان الرجوع للفقير في المسائل الفقهية الفرعية كما قد دلت الأدلة السابقة على ذلك.

٢- الموضوعات الشرعية المستنبطة، وهي عبارة عن الموضوعات التي حددها الشارع وذلك من قبيل الصلاة والصوم والزكاة وغير ذلك، ولا إشكال في جواز التقليد فيها؛ لأنّ الشك في الموضوعات المستنبطة هو شك في الأحكام الشرعية، وقد دلت الأدلة على جواز التقليد في الأحكام. وللتوضيح أكثر بالمثل نقول: إذا بنى الفقير على عدم صحة صلاة الرجل إذا كانت أمامه امرأة تصلي إلا أن يكون الفاصل بينها عشرة أذرع، فمعنى ذلك



أن الصلاة اسم للأجزاء والشرائط والتي منها عدم كون الصلاة خلف امرأة تصلي دون عشرة أذرع.

٣- أصول الفقه في الصغريات، وهي عبارة عن المسائل الأصولية كالبراءة والاستصحاب وغيرها، فهل يمكن للعامة تقليد الفقيه فيها وتطبيقها على الشبهات الموضوعية التي يقع فيها من قبيل إذا شك المكلف في نجاسة الماء أم لا؟ وهل يمكنه إجراء أصالة الطهارة أو استصحاب الطهارة أو البراءة عن حرمة الشرب؟  
فالجواب: لا إشكال في إمكان ذلك؛ لأنه من التقليد في الأحكام الفرعية، فتشمله الأدلة الدالة على مشروعية التقليد.

#### الأمر الثاني: الموارد التي لا يجوز فيها التقليد

١- أصول الدين، ولا خلاف في أنه لا يصح التقليد في أصول الدين؛ وذلك لأن المطلوب فيها هو تحصيل اليقين وعقد القلب، وأما التقليد فهو مرتبط بالجنبه العملية؛ إذ هو الاستناد إلى فتوى الغير في مقام العمل، على أنه عادة لا يؤدي إلى حصول اليقين؛ لأنه ليس إلا الأخذ بقول الغير والاعتماد عليه.

٢- الموضوعات الصرفية، ولا خلاف بينهم بأنه لا تقليد في الموضوعات الصرفية، فلو اعتقد الفقيه بأن هذا المائع الخارجي خمر فلا يصح تقليده في ذلك؛ لأن تطبيق الكبريات على صغرياتها ليس من وظائف الفقيه ليتبع فيها نظره، فإنها من الأمور الحسية التي يتساوى فيها نظر الفقيه والعامة. نعم يمكن الأخذ بقوله من باب إخبار الثقة، وهذا لا يفرق فيه بين كون المخبر فقيهاً أم لا، بل المناط على الوثاقة.

٣- أصول الفقه في الكليات، وهي عبارة عن المسائل الأصولية من قبيل أصالة البراءة والاستصحاب والطهارة وغيرها، فهل يمكن للعامة تقليد الفقيه فيها؟ فيقلد الفقيه مثلاً في جريان الاستصحاب في الشبهات الحكمية، فإذا وقع في شبهة حكمية أجرى

الاستصحاب، من قبيل إذا شك المكلف في وجوب صلاة الجمعة في زمن الغيبة، أو وجوب الخمس مثلاً، فيبني على الوجوب؛ وذلك باستصحاب الوجوب الثابت حال الحياة، أو يجري البراءة عن الوجوب مثلاً، وهنا ذهب الأعلام لعدم الجواز؛ لعدم إمكان استنباط الحكم الكلي من دون معرفة مقدماته والفحص في الأدلة، فلا ثمره من التقليد في الأصول بالنسبة للعالمي.

#### الأمر الثالث: الموارد التي وقع الخلاف فيها

١- الموضوعات العرفية المستنبطة، وهي عبارة عن الموضوعات المعلومة لدى العرف أو في اللغة وليست مخترعة من قبل الشارع، وذلك من قبيل مفهوم الغناء، فهل هو الصوت المشتمل على الترجيع مطرباً أم لا، أو أنه خصوص المطرب؟ وهل هو خصوص الكلام الباطل أو يشمل حتى الكلام غير الباطل؟ وهنا اختلف الأعلام، فذهب البعض -كصاحب العروة- إلى عدم التقليد فيها؛ لأنها ليست راجعة للنظر والاستنباط، بل هي أمور حسية، فنظر الفقيه والعالمي فيها واحد. وذهب البعض الآخر -كالسيد الخوئي- إلى التقليد فيها؛ لأنّ الشك فيها شك في الحكم الشرعي، ولا ريب في الرجوع للفقيه في الأحكام الشرعية.

#### النقطة الرابعة: خصائص المرجعية الدينية

##### الخاصية الأولى: العراقة

تعتبر المرجعية من الأمور الأصيلة والعريقة في مذهب التشيع، وليس كما يحاول البعض إيهام العوام به وأنّ المرجعية لم يكن لها وجود إلا منذ مائة وخمسين سنة تقريباً، وذلك أيام السيد اليزدي، ثم بعد ذلك أخذت المرجعية الشيعية تبرز يوماً بعد آخر حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم، بل الصحيح أنّ الفقهاء والمراجع كانوا موجودين من عصر

الأئمة عليهم السلام، وكان الأئمة يُرجعون إلى الفقهاء أمثال زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وأبان بن تغلب، وأبي بصير، ومحمد بن أبي عمير، وصفوان بن يحيى، ويونس بن عبد الرحمن، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، وأحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، وسعد بن عبد الله، وغيرهم، واستمرت إلى أيام الغيبة الصغرى مع السفراء الأربعة، ثم كانت أول مرجعية في زمن الغيبة الكبرى لابن أبي عقيل العماني، وفي قول آخر لابن قولويه، ثم الشيخ الصدوق، فالشيخ المفيد، فالمرتضى علم الهدى، ثم الشيخ الطوسي، وقد كانت الحوزة العلمية آنذاك في بغداد حتى هجم المغول عليها فاضطرَّ الشيخ الطوسي إلى الهجرة إلى النجف الأشرف عام ٤٤٨؛ فأسس فيها الحوزة، وكان المرجع الأعظم آنذاك، ثم جاء السيد ابن زهرة الحلبي والقاضي ابن البراج حتى تلا ذلك مجموعة من علماء الحلة، فأصبحت الحوزة العلمية والمرجعية الكبرى هناك، واستمرَّ ذلك زهاء القرنين، فمن ابن إدريس والمحقق فالعلامة ثم فخر المحققين الحلبيين، ثم المقداد السيوري، كما أنه في تلك الحقبة ظهرت العلماء في جبل عامل وخرج من هناك أبرز العلماء كالشهيد الأول والشهيد الثاني، وغيرهما نخبة من المراجع والأعلام كالشيخ حسين بن عبد الصمد وابنه الشيخ البهائي والمحقق الكركي والحرَّ العاملي وغيرهم، كما ظهرت في تلك الفترة وأيام الدولة الصفوية مجموعة من المراجع في أصفهان كالشيخ المجلسي الأب والمجلسي الابن، ثم عادت حوزة النجف متألِّقة من جديد بمراجع عظام أيام المقدَّس الأردبيلي، وتلاه السيد بحر العلوم والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، ثم الشيخ الأعظم الأنصاري فالآخوند الخراساني، وهكذا، كما ظهرت في تلك الفترة الحوزة العلمية في كربلاء وخرَّجت مجموعة من المراجع كالمحدث البحراني صاحب الحقائق والوحيد البهبهاني، وهكذا، حتى رجعت أخيراً وعلى يد الشيخ عبد الكريم الحائري الحوزة العلمية في قم المقدَّسة، وخرَّجت الكثير من المراجع العظام، ولا تزال المرجعيات الشيعية المركزية إلى اليوم بين النجف الأشرف وقم المقدَّسة.

## الخاصية الثانية: التورّع عن الإفتاء

اتّسم مراجعنا العظام بميزة هامة للغاية وهي التورّع عن الإفتاء؛ وذلك لخطورة الفتوى وعظم المسؤولية فيها، حيث إنّ أعمال العباد ستكون في عنق الفقيه وهو محاسب ومسؤول أمام الله تعالى عن كلّ فتوى يفتيها، كما لم يكونوا طلاب ألقاب ولا شهرة؛ لأنهم يدركون بأنّ هذه أمور وهمية زائفة ومصيرها إلى الزوال، ومن تتبّع سيرة هؤلاء الصفاة وجد أنهم لم يتصدّوا للإفتاء إلا إذا لم يكن لهم مفرّ من ذلك ووجدوا أنفسهم محصورين في ذلك، وأنّ واجب التكليف قد وظّفهم بذلك، وليس كما قد يسعى له البعض من الناس من استرخا ص للفتوى واقتحامها من دون ورع ولا مبالاة.

ولأجل ذلك يوصي ابن طاووس ابنه في كشف الحجة لشجرة المهجة قائلاً له: "فرّ من الفتيا فرارك من الأسد".

ولأجل ذلك أيضاً ينقل بأنه كانت الزعامة الشيعية بعد كشف الغطاء لصاحب الجواهر، ودامت مرجعيّته أربعة أعوام من عام ١٢٦٢ إلى عام ١٢٦٦ هجري، وعند اقتراب أجله اجتمع نخبة طلابه عنده لترشيح مرجع من بعده، فوقع اختيارهم على نجله الشيخ عبد الحسين، إلا أنّ الشيخ النجفي كان يرى من هو أجدر من ابنه، فقال لهم: أين بقية العلماء الشيخ الأنصاري؟ فلما دخل عليه الشيخ الأنصاري، قال: الآن طاب لي الموت، هذا مرجعكم من بعدي، ثم لما جاءوا إلى الشيخ الأنصاري اعتذر ولم يقبل بالتصدي لذلك، وقال: بأني أرى سعيد العلماء وهو الملا محمد سعيد المازندراني أفضل وأعلم مني، فقد كان أدقّ وأكثر إحاطةً مني حينما كان زميلاً لي في الدرس، فارجعوا إليه، ولما رجعوا للمازندراني اعتذر عن قبولها، وقال: أنا توقّفت عن التدريس ثلاثة أعوام واشتغلت بالقضاء، فأرى بأنّ الشيخ الأعظم أفضل وأعلم مني، ثم لما رجعوا للشيخ الأعظم وأخبروه بذلك أجهش بالبكاء حتى لم يجد بُدّاً من قبول المرجعية.

ثم بعد وفاة الشيخ الأعظم اجتمع أبرز تلامذته - مثل الميرزا الرشتي والميرزا الآشتياني والنهاوندي وغيرهم - للتشاور في المرجع الخلف للشيخ الأعظم، فأجمعوا أمرهم على ترشيح المجدد الشيرازي، فأجابهم بأني لا أرى في نفسي الاستعداد لتحمل هذه المسؤولية وتأمين حاجات الأمة، وأرى الشيخ حسن نجم آبادي فقيه هذا العصر وأكثر أهلية مني لتحملها، إلا أن الأخير اعتذر كذلك ورد الأمر للمجدد الشيرازي، حتى اضطر لقبولها مقسماً بأنه لم يخطر بباله يوماً أن يصبح مرجعاً.

ولأجل ذلك أيضاً تجد الوحيد البهبهاني بعدما كان مرجعاً للطائفة يسحب رسالته العملية ويرجع العوام لغيره؛ معتذراً بأنه لم يبق صالحاً للمرجعية وأن هناك من هو أفضل منه، وقيل بأن سبب اعتذاره ما أصيب به في آخر حياته من داء النسيان، وهذا ابتلاء وامتحان من الله تعالى يمتحن به من يشاء من عباده ليرى فيهم الورع والتقوى في الفتوى.

#### الخاصية الثالثة: الزهد في الدنيا

إن من خصائص المرجعية الرشيدة الزهد في الدنيا والنزاهة عن حطامها، وليس كما يروج البعض ويغرر به البسطاء من الناس، ويطعن في المراجع، بأنهم يصرفون الحقوق الشرعية في مصالحهم الشخصية، وأنهم يعيشون حياة الملوك بأموال الفقراء والمحرومين من الناس، فكل ذلك لا واقع له، فإن من تتبّع سيرة السلف الصالح من مراجعنا عرف حياة الزهد التي كانوا يعيشونها وأنهم يواسون أفقر الناس، كما كان يعيش بذلك أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول: «لوشئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يقودني جشعي أو يغلبني هواي إلى تخير الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا عهد له بالشعب ولا طمع له في القرص».

يقال: في ذات يوم جاء أحد التجار من مقلدي الشيخ الأنصاري في زيارته، فلما رآه على هذه الحال رق قلبه لحاله، فقدم له مبلغاً لشراء دار ليستريح من الإجار وتنقله كل عام

من مكان لآخر، ثم ذهب إلى الحج، فأخذ الشيخ المبلغ وبنى به مسجد التُّرك في حي الحويش بالنجف الأشرف، فلما رجع التاجر وجد الشيخ على حالته السابقة، فسأله إن كان اشترى له داراً؟ فأجابه الشيخ: لقد اشتريت. فجاء به وأراه المسجد، فقال له: يا مولاي قدّمتُ المبلغ لشراء الدار. فقال له الشيخ: وأي دار أحسن من هذه.

وينقل في حياة الشيخ الآخوند بأنه كان متواضعاً في ملبسه ومطعمه ومسكنه، ولما تبوأ منصب المرجعية لم يتغيّر شيء من نمط حياته، وكان يعيش معه أولاده الثلاثة مع زوجاتهم في تلك الدار الصغيرة، وفي أحد الأيام شكاه ابنه الأكبر من ضيق المكان، فأجابه بأنه لو أريد منه تقسيم بيوت المدينة على المستحقين فلن يصلنا أكثر من هذا البيت. ولذا يشترط جملة من الأعلام في المرجع الزهد وعدم حبّ السلطة والجاه كالإمام الخميني، وهذا دخيل في العدالة التي يشترطها السيد الحكيم والصدر في المرجع الديني.

#### الخاصية الرابعة: الحرص على وحدة الأمة الإسلامية

ومن سمات المرجعية الهامة هي الحرص الشديد على توحيد صفوف المسلمين، والتأليف بين القلوب، وخلق روح المحبة والوئام بين عموم الناس مع اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، وهذا ما يجده من قرأ في حياة المراجع العظام للشيعة، وكيف لا يكون كذلك وهذه هي وصية القرآن والنبي وأهل بيته عليهم السلام، ومن أروع وأعجب الصور التي تحكي هذا المشهد ما فعله المجدد الشيرازي حينما هاجر من النجف واستقرّ بسامراء وهاجر معه مئات من الأعلام وطلبة العلوم الدينية وأسّس حوزة سامراء آنذاك، وبنى المدينة وشيّد عمرانها واستقرّ هناك حتى وافته المنية؛ وقد كان مبتغاه من ذلك -على ما قيل- تأليف القلوب بين الشيعة وغيرهم، حيث عرفت سامراء بكثرة المخالفين والنواصب فيها ممّا أدى إلى اشتعال نار الفتن الطائفية حينها، فأراد بكلّ الأشكال إخماد هذه النار المقيتة ولو من خلال السكن في وسط المجتمع المخالف والتعايش معهم، فهدأت حينها النفوس

واستقرت الأوضاع. ولا ينسى الأكراد -إلى اليوم- فتوى السيد الحكيم بجرمة سفك الدم الكردي وحرمة مقاتلتهم، وأنهم مسلمون تجمعهم مع العرب روابط الأخوة الدينية، حينما سعت جماعة البعث جاهدةً منه لإصدار فتوى تبيح دماء الأكراد، فشجعت هذه الفتوى الأكراد بالوقوف في وجه هذا العدوان الذي استهدفهم، وفشل النظام البائد من نيل بغيته، وهكذا كان لفلسطين ومقاومتها نصيبها من دعم وتأييد المرجعية الشيعية التي شجبت العدوان الصهيوني، وهكذا اليوم ألق نظرةً إلى العراق وكيف تمكنت المرجعية الرشيدة من لم شمله وتوحيد صفه وقطع أيدي الطائفية الخبيثة التي كانت ترغب في تمزيق المجتمع العراقي وبث الفتنة في أهله.

#### الخاصية الخامسة: الاستقلالية

ومن أبرز خصائص المرجعية أنها مستقلة، لا تخضع لجهة حكومية أو وزارية معينة، ولا تتبع لحزب معين أو لمؤسسة ما، بل هي كيان مستقل بنفسه ومنفصل عن كل ذلك، وهذا مما يكسبها قوةً من الجاذبية والتأثير في نفوس الناس، بل إن الحكومات والأحزاب هي التي تخضع لأوامر المرجعية، ولذا قيل: (إذا رأيت العلماء على أبواب الملوك فقولوا بثس العلماء وبثس الملوك، وإذا رأيت الملوك على أبواب العلماء فقولوا نعم العلماء ونعم الملوك).

ولذلك ينقل بأنه في عام ١٢٨٧ هجري زار الشاه ناصر الدين القاجاري العتبات المقدسة في العراق، فلم يخرج المجدد الشيرازي لاستقباله، ولم يقبل منه هدية، مما اضطر الشاه أن يرسل وزيره إليه معاتباً وطالباً منه زيارته، وبعد الإلحاح الشديد والوسائط المتكررة قبل أن يلتقي به في الحضرة العلوية، وتم الاجتماع بينهما هناك. وكذلك لما ذهب إلى الحج في العام نفسه كان الشريف عبد الله الحسيني شخصية مكة، فأخبر الشريف بوروده، فعين وقتاً لملاقاة المجدد، فردّ المجدد حينما علم بذلك قائلاً: "إذا رأيت العلماء

على أبواب الملوك فقولوا: بثس العلماء وبثس الملوك، وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فقولوا: نعم العلماء ونعم الملوك".

ومما ينقل في ذلك أيضاً بأن السيد الإمام حينما كان في باريس صارت تفد عليه التجار وأصحاب الثروات حينما أدركوا قرب أجل النظام وضرورة الانسجام مع الحكم القادم، فعرضوا عليه الأخماس لضمان مستقبلهم، فلم يقبلها منهم وقال: "أصلحوا أمركم، فأنا لا آخذ منكم شيئاً".

ولقد حاول النظام البعثي بكل الأشكال أن يصدر السيد الخوئي فتوى ضد الثورة الإسلامية في إيران، فامتنع عن ذلك.

وهذه المواقف - وغيرها كثير - كلها شاهدة على استقلالية المرجعية الدينية وعدم ارتباطها بأي جهة معينة.

#### الخاصية السادسة: الجماهيرية

ومن جملة الخصائص التي تحظى بها المرجعية الدينية خاصة الجماهيرية، فإنّ للمرجع الديني قوة تأثير سريعة ونفاذة على الجماهير، بحيث لا تبالي هذه الجماهير في الاستجابة لأوامر المرجعية ولو على بذل النفس والنفيس، وببركة هذه الجماهيرية صارت المرجعية قوة تهابها وترتبك منها القوى العظمى والحكومات المتغطرسة والأنظمة المتعجرفة، وهذه الجماهيرية إنما اكتسبتها المرجعية لما تمثله في زمن الغيبة من نيابة عن المعصوم من جهة، ومن كونها تنطلق من منطلق الشريعة والدفاع عن الحقوق والمصالح العامة للناس من جهة أخرى، ولذا يمكنك أن تراجع التاريخ قليلاً لتتأمل في ثورة العشرين وكيف تمكنت المرجعية الدينية من دحر الاحتلال والاستعمار الإنجليزي من الأراضي العراقية حينما تسابق الروس والإنجليز للاحتلال، فأسرعت بريطانيا بإرسال ستة عشر لواءً عسكرياً، فأصدر المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي فتواه الشهيرة والتاريخية في وجوب



التصدي لدحر الغزاة عن أرض العراق على جميع القادرين، وأن ذلك سائغ لهم بكل الوسائل بما فيها القتال، كما أصدر فتواه من عدم جواز قبول المسلم بحكم غير المسلم عليه، وقد شارك في هذه النهضة كذلك فقهاء عظام آخرون، حتى حمل جمع منهم السلاح جنباً إلى جنب مع طلابهم ووقفوا في جبهات القتال. كما أن ثورة التنباك لا تزال في ذاكرة التاريخ خالدةً حينما أصدر المجدد الشيرازي فتواه بجرمة استعمال التنباك والتتن، وأن من استعمله كان كمن حارب الإمام المهدي عليه السلام، فكانت قبلة في وجه الشاه ناصر الدين القاجاري وحكومته التي اتفقت آنذاك مع شركة إنجليزية باحتكار التبغ الإيراني وتوليها لزراعته وبيعه وتصديره لمدة خمسين عاماً، وبعد هذه الفتوى اضطرت الحكومة لإلغاء الاتفاقية؛ حيث وجدت المقاطعة العامة من الناس وترك الأهالي التدخين.

وهذا هو الحشد الشعبي المليوني الرهيب المقاوم في العراق والمحامي عن حرمان المسلمين ومقدساتهم ضد جماعات داعش التي عثت في الأرض فساداً واحتلت مساحات كبيرة منها، حتى لم تتمكن الحكومة من مجابتهها، ولقد ناشدت بعض القوى السياسية الجيش والشعب للدفاع إلا أنها لم تتمكن من تحريك ساكن، بل إن بعض العساكر أخلت مواقعها وثكناتها العسكرية وسهلت للجماعات الإرهابية التسلط، إلا أن فتوى المرجعية التي ستبقى خالدةً في التاريخ استطاعت أن تنتج هذا الحشد الشعبي والذي تمكن من أن يغير العملية المعقدة على الساحة بعدما أوشكت العراق برمتها على أن تقع فريسةً بأيدي الوحوش الإرهابيين، وبدأت تتحرر المدن والقرى العراقية من الدواعش وجماعات القاعدة بعدما حُزوا وسُحقوا من الحشد والقوات المسلحة في أرض الفلوجة والموصل، كل هذا نتيجة صدور هذه الفتوى السديدة من المرجعية الرشيدة التي قصمت ظهور الإرهابيين ومن يساندهم ويروج لهم.

## الخاصية السابعة: القداسة

مما تتميز به المرجعية أيضاً سمة القداسة، حيث إن المرجعية تمثل امتداداً للوجود المعصومي، إلا أن هذا التمثيل المصاحب لعنصر العلم والتقوى المندمجين فيها أكسبها ذلك، ومن هنا حاول البعض إذابة هذه القدسية وتبخيرها بأشكال متعددة، سواءً من خلال الاتهامات المترامية للمرجعية وتخوينها، أم من خلال اختلاق مرجعيات وهمية لتشويه صورة المرجعية، أم من خلال طرح بعض الشبهات عبر أبوابها الإعلامية للضرب في قداسة ونزاهة المرجعية، أم من خلال إثارة القلاقل بين المرجعيات عبر بعض الوسطاء، أو غير ذلك، ولكن هيئات هيئات ما دام أن الله تعالى يوقر لهذا المذهب الحق في كل عصر مجموعة من المراجع العظام والذين هم على درجة عالية من العلم والوعي وقدر رفيع من الورع والتقوى.

## النقطة الخامسة: المرجعية فوق الشبهات

توجد مجموعة من الشبهات حول المرجعية نشير لبعضها:

## الشبهة الأولى: المرجعية العربية

البعض ممن يريدون إشعال الفتنة في أوساط الشيعة الإمامية وإثارة الخلافات بينهم يصرخون ويضربون عبر قنواتهم ومنتدياتهم على وتر المرجعية العربية، فيهتفون قائلين: يا شيعة العراق، ويا شيعة الخليج، حتى متى وإلى متى تقلّدون العجم وترجعون إلى الفرس المجوس عبدة النار!! فالنبي ﷺ عربي، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، والسنة جاءت باللغة العربية، فما أدري العجم باللغة العربية حتى يتمكنوا من فهم القرآن والسنة كي ترجعوا إليهم!! فمنذ قديم الزمن وإلى هذا اليوم ولأكثر من ألف سنة وأنتم تأخذون

دينكم وأحكامكم من العجم، أما أن الأوان لأن تستقلّوا بأنفسكم وتتركوا هذه التبعية العمياء لهم؟ أما أن الأوان لتترف رايات المرجعيات العربية في العراق والخليج وسوريا ولبنان؟

### والجواب عن ذلك:

أولاً: إنّ هذه الشبهة تحمل روح التكفير والحقد الدفين على الموحدين لله (عز وجل) والمسلمين، وهذا أمر غير جائز في الشريعة الإسلامية، فلا يسوغ لإنسان يدعي الإسلام أن يكفر مسلماً يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله فيقول عنه بأنه مجوسي أو من عبدة النار، فإنّ ذلك كلّه مخالف للكتاب والسنة، حيث يقول الله (عز وجل): {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} (١).

وعن النبي ﷺ: «ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله» (٢).

ثانياً: إنّ هذه الشبهة تدعو إلى فكرة جاهلية مقبلة رفضها وحاربها الإسلام وهي فكرة العنصرية والتمييز العرقي والقومي، حيث إنها تدعو إلى تمييز العرب على العجم، وتحرض على احتقار أمة برمتها وامتهان كرامة حضارة إنسانية بكاملها، ليس إلا لعدم كونها أمة عربية، وهذه النعرات الجاهلية المقبلة تتصادم وروح الشريعة الإسلامية الداعية إلى المساواة بين الجميع وعدم التفرقة بين الناس بالقومية أو اللون أو النسب أو المال، بل المعيار والأساس في التفاضل بالعلم والعمل وتقوى الله (عز وجل) كما قال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، وكما قال النبي ﷺ: «أيها الناس ألا إنّ ربكم واحد وإنّ أباكم

(١) النساء: ٩٤.

(٢) صحيح البخاري، ج ٧، ص ٨٤.

واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود، إلا بالتقوى»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: لماذا لا يزال المنادون بالمرجعية العربية إلى اليوم يرجعون إلى غير العرب ويأخذون عنهم دينهم وأحكامهم؟! أليس البخاري أعجمي من بلاد أوزبكستان اليوم؟ أليس مسلم بن الحجاج النيسابوري أعجمي من نيشابور شرقي إيران اليوم؟ أليس الترمذي من ترمذ وهي مدينة في جنوب أوزبكستان؟ أليس ابن ماجه قزويني وهي من مدن إيران؟ أليس النسائي صاحب السنن من بلدة سنا وهي اليوم في أوزبكستان؟ وغيرهم الكثير ممن يرجعون إليهم من غير العرب، فلماذا يرجعون إليهم ويقلدونهم دينهم ويأخذون الأحكام عنهم مع أنهم ليسوا عرباً ولم ينزل القرآن بلغتهم ولم تأتي السنة بلسانهم.

ورابعاً: لقد ذكر علماؤنا أحد عشر شرطاً للمرجع الديني مستفادة من الأدلة الدالة على مشروعية التقليد، وليس من بينها القومية العربية، وهي: الإيمان، العدالة، الذكورة، البلوغ، الاجتهاد، الأعلمية، طهارة المولد، الحياة، الحرية، الضبط بالمقدار المتعارف، عدم الإقبال على الدنيا والزهد فيها. فمن توقرت فيه فهو المرجع عربياً كان أم أعجمياً.

خامساً: حينما نرجع إلى تاريخ المرجعية يتضح بأن هذه الشبهة خاوية لا واقع لها؛ لأنّ التاريخ يشهد بوجود مراجع من العرب على امتداد التاريخ الشيعي وقد رجعت لهم الشيعة الإمامية بمفترق قومياتهم ولغاتهم، كالشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والمحقق الحلي، والعلامة الحلي، وابنه فخر المحققين، وهكذا دواليك لم تزل المرجعية العربية في

(١) مسند أحمد، ج ٥، ص ٤١١.

العراق مستمرة إلى زمان كاشف الغطاء وإلى السيد محسن الحكيم حتى جاء السيد الشهيد محمد باقر الصدر، ولا تزال مرجعية الحكيم باقية في النجف الأشرف. وهكذا الحال بالنسبة إلى لبنان، فقد خرج الكثير من علماء الشيعة ومراجعهم من تلك البلاد، فهذا الشهيد الأول، والشهيد الثاني، والمحقق الكركي، والشيخ البهائي، وأبوه قبله، والحرّ العاملي وغيرهم الكثير. وكذلك الحال بالنسبة للخليج، فقد خرج العديد من المراجع في البحرين والقطيف والأحساء، ويمكن لمن أراد الوقوف على هذا أن يرجع إلى كتاب لؤلؤة البحرين وكتاب أنوار البدرين وكتاب مطلع البدرين وكتاب منتظم الدرّين، كلّها تراجم لعلماء هذه المنطقة العريقة والبلاد الطيبة.

وسادساً: ينبغي على الشيعة الإمامية - وبالخصوص طبقة الشباب منهم - الحذر من هذه الدعايات وعدم الانجرار والانسياق معها؛ فإنه لا هدف من ورائها إلا تمزيق الكيان الشيعي، وإثارة الخلافات فيه؛ من أجل تفريق صفوفه وكسر منابع القوة والقدرة لديه، فعلينا بالتمسك بمرجعياتنا والالتفاف حولها، فهي صمّام الأمان وحصون المذهب في زمن الغيبة.

#### الشبهة الثانية: المرجعية والخمس

هناك شبهة ترددها بعض القنوات المعادية لمذهب أهل البيت عليهم السلام بغية التشكيك في المرجعيات الدينية ونزاهتها، وزعزعة الثقة بين الناس والمراجع، فهم يقولون: لا يوجد دليل من القرآن أو السنة على أنّ الخمس حق وملك للمرجع، فلماذا يا شيعة الخليج تضيعون أموالكم وتهدرونها بدفعها للمراجع في قم المقدّسة أو النجف الأشرف؛ ليصرفوها في مصالحهم وأغراضهم الشخصية؟ ولماذا تخرجون مئات الملايين من ثرواتكم إلى إيران والعراق ليأكلها علماءكم بالباطل؟

والجواب عنها:

أولاً: دليل الخمس

لقد قامت الأدلة الصحيحة على وجوب فريضة الخمس مطلقاً، سواءً في زمن حضور المعصوم أم في زمن غيبته، ويمكن الإشارة بشكل مختصر إلى بعضها: فمن القرآن قوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}.<sup>(١)</sup>

ومن السنة ما ورد في قول سُماعة: «سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس فقال في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير ففيه الخمس»<sup>(١)</sup>.

وهكذا قام الإجماع بين المسلمين قاطبة على لزوم الخمس، لكنهم اختلفوا في بعض الجزئيات والتفاصيل، فلا معنى لأن يأتي شخص في هذا اليوم وينكر وجوب الخمس أو يشكك في ذلك أو أن يتذرع في عدم دفعه للخمس بعدم صرف المراجع له في موارده أو إهدارهم له وعدم حسن تصرفهم فيه، فإن ذلك لا يسوغ الجحود والعصيان.

ثانياً: مالك الخمس

إنّ اتهام المراجع بتملكهم للأخماس أو أنهم يقولون بملكيتهم للخمس اتهام عار عن الصحة، فلا يوجد أحد من الأولين أو الآخرين من العلماء أو العوام يدعي أنّ الخمس حقّ أو ملك شخصي للمراجع، وإنما اختلف العلماء في مالك الخمس ومستحقّه على رأيين: الرأي الأول: وهو نظرية مشهور العلماء القائلة بأنّ الخمس يقسم إلى ستة أقسام، ودليلهم على ذلك هو الآية المتقدمة.

وتقريب الاستدلال بها على ذلك في مقدمات:

(١) الكافي، ج ١، ص ٥٤٥.

المقدمة الأولى: دلّت الآية بظاهرها على أنّ الخمس لستة أقسام: لله وللرسول ولذوي القربى - أي الإمام - ولليتامى وللمساكين ولأبناء السبيل.

المقدمة الثانية: أنّ السهام الثلاثة الأولى تدفع وتعطى للإمام عليه السلام كما أشارت لذلك النصوص، كما في قول الإمام الرضا عليه السلام حين سئل عن الآية: فما كان لله فلمن هو؟ فقال: «لرسول الله صلى الله عليه وآله، وما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله فهو للإمام»<sup>(١)</sup>.

المقدمة الثالثة: إنّ السهام الثلاثة الأخرى والتي تمثّل نصف الخمس تعطى لليتامى والمساكين وأبناء السبيل من بني هاشم خاصة، كما دلّت النصوص على ذلك، فيقيّد بها إطلاق الآية، ولذا روى الشيخ الطوسي بإسناده: «الخمس على خمسة أشياء... والنصف لليتامى والمساكين وأبناء السبيل من آل محمد الذين لا تحلّ لهم الصدقة ولا الزكاة؛ عوضهم الله مكان ذلك الخمس»<sup>(٢)</sup>.

والنتيجة: أنّ نصف الخمس حقّ للإمام عليه السلام، ونصفه حقّ للفقراء من بني هاشم.

الرأي الثاني: ما ذهب له بعض العلماء كالسيد الخميني، وحاصله أنّ الخمس من قبيل أموال بيت المسلمين التي جعلت صلاحية التصرف فيها للرسول وللإمام من بعده بحسب ما يشخصانه من مصالح وشؤون المسلمين، فهو للمنصب وليس للشخص، واستدلّ لهذا القول بمقدمات:

المقدمة الأولى: أنّ قوله: {مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}، وقوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ

(١) نفس المصدر، ص ٥٤٤.

(٢) تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ١٢٧.

وَالرَّسُولِ<sup>(١)</sup>، قد ورد فيهما نفس التعبير الوارد في آية الخمس {لله والرسول}، فيكون الأنفال والفيء والخمس كله بحكم واحد.

المقدمة الثانية: أنّ الأنفال والفيء ملك لمنصب الحاكمية والإمامة كما هو الظاهر من الآيات والروايات، وليست ملكاً شخصياً لله والرسول.

المقدمة الثالثة: مقتضى النظر في مجموع الآيات والروايات أن يقال بأنّ آية الخمس تدلّ على أنّ ملكية الخمس لمنصب الإمامة، وحيث إنّ هذا المنصب يكون لله أولاً وبالذات ثم للرسول ثم للإمام، جاء التعبير عن ذلك بأنّ الخمس لله وللرسول ولذي القربى؛ إشارة إلى مصداق هذا المنصب وأنه ينتقل بنحو طولي بين العناوين الثلاثة، وأما الأصناف الثلاثة الأخرى - أي اليتامى والمساكين وابن السبيل - فقد ذكرت لبيان مصارف هذا الحقّ وأنه ليس مجعولاً لمنافع الإمام الشخصية، بل من أجل الصرف في شؤون الولاية والحاكمية.

والنتيجة: أنّ الخمس ملك لمنصب الإمامة.

والغرض من ذلك أنه على كلتا هاتين النظريتين لا يكون الخمس ملكاً أو حقاً شخصياً للمرجع، فمن يدّعي خلاف ذلك فهو مفتر كذاب.

ثالثاً: صرف الخمس

لا بدّ من بيان من له الحقّ في صرف الخمس، فهل هو المرجع الديني أم المقلّد، وهل للمقلّد الصرف من دون أخذ الإذن والإجازة من المرجع؟

والجواب عن ذلك يتّضح من خلال الرأيين السابقين، فبناءً على الرأي الثاني من أنه ملك للحكومة الإسلامية ومنصب الإمامة فلا يحقّ للمخمس أن يتصرّف فيه بذاته، بل



لا بد أن يدفعه للمرجع؛ فهو نائب الإمام عليه السلام والقائم بمنصب الحاكمية، فهو الذي له الحق في صرفه في موارد.

وأما بالنسبة للرأي الأول فقد افترق الأعلام إلى قولين:

**القول الأول:** لزوم دفع الخمس بكامله إلى المرجع؛ فإن صرف الخمس في موارد من صلاحياته خاصة، أو لا بد من الإذن في الصرف.

**القول الثاني:** بالنسبة للنصف الأول وهو حق الإمام، يلزم دفعه للحاكم الشرعي أو الاستئذان منه في التصرف فيه بمقتضى قاعدة الاقتصار في الخروج عن حرمة التصرف في ملك الغير على المقدار المتيقن وهو مورد الاستئذان من الحاكم الشرعي؛ لعدم إحراز رضا الإمام بالتصرف في حقه.

وأما النصف الثاني وهو حق السادة فللمالك مباشرة التقسيم بنفسه من دون مراجعة الحاكم الشرعي؛ لما ورد في الزكاة من ثبوت ولاية التعيين للمالك، معللاً بأنه أعظم الشريكين، وهذا التعبير جاء في الخمس أيضاً، فبعد ملاحظة أن أربعة أخماس المال للمالك، ومع التنزل فهذا مال مشترك مع السادة، لا حاجة في مثله إلى مراجعة الشريك ومطالبته بالقسمة بناءً على الشركة بالمالية أو الكلي في المعين.

نعم، بناء على الإشاعة والشركة الحقيقية يطالب الشريك بالقسمة إن كان شخصاً خاصاً، وإن كان عنواناً كلياً - كما في المقام - فيراجع وليه وهو الحاكم الشرعي. وأما الإعطاء والدفع إلى الفقير فلا يحتاج لإجازة الحاكم الشرعي؛ فإن هذا ملك لجامع السادة.

**والنتيجة:** أننا حينما ندفع الخمس إلى المراجع فليس هذا لأجل أن الخمس ملك شخصي لهم، بل لأنهم وكلاء عن الإمام عليه السلام، وقد تقدمت الرواية الدالة على ذلك: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا..».

### رابعاً: صرف المرجع للخمس

كيف يتصرف المرجع في الخمس؟ هل يصرفه في مصالحه الشخصية كما يزعمون أم أنه يصرفه في مصالح المسلمين؟

والجواب عن ذلك: بناءً على ما تقدّم فإنّ نصف الخمس يصرفه المرجع على الفقراء من بني هاشم؛ لأنه حقهم وليس له الحق في غير ذلك، وأما النصف الآخر فإنه يصرفه في كلّ مورد يحرز فيه رضا الإمام عليه السلام، من قبيل الصرف على المشاريع العلمية - كبناء ودعم الحوزات العلمية التي تضمّ مئات الآلاف من طلبة العلوم الدينية - وتشييد المساجد والحسينيات، وتزويج العزاب من المؤمنين، وسدّ حاجة المحتاجين، وكلّ عمل فيه حفظ الدين والمذهب.

بل وكل ما يشخصه المرجع من مصالح المسلمين - بناءً على الرأي الثاني - ولو كان للدعم العسكري للجيوش الإسلامية أو غيرها من الأمور.

خامساً: لو كان مراجعنا يصرفون الأثمان في أغراضهم ومصالحهم الشخصية لوجدنا لهم بيوتاً فخمة ومؤسسات ضخمة وشركات كبرى ومزارع وديساتين، ولرأينا بهارج وزخارف الدنيا باديةً وظاهرةً عليهم، لكننا حينما نتأمل حياتهم نجدّها على العكس تماماً من هذه الأكاذيب التي يروّجون لها، فراجع تاريخ مراجعنا تجد حياة التقشّف والزهد التي كانوا يعيشونها، وقد تقدّم الحديث في هذا فلا نعيد.

سادساً: إنّ ما ذكر لا يبرّر الامتناع عن دفع الحقّ الشرعي ولا يسقطه عن صاحبه يوم القيامة، بل هو مسؤول عن ذلك ومحاسب عليه، فعليه تفريغ ذمّته، والمرجع هو المحاسب يوم القيامة لو صرف الخمس في غير محلّه.

بل على فرض عدم الاطمئنان من صرف المرجع للخمس في مورده فيمكن لصاحب الخمس أخذ الإذن في صرفه في مورده، أما الامتناع من دفعه بهذه الاتهامات الباطلة فغير مبرر، ولا يناسب من يدعي الولاء لأهل البيت عليهم السلام، فهل من يوالي أهل البيت عليهم السلام ويدعي حبهم يأكل حقاً جعله الله (عز وجل) لهم؟ فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا الصَّدَقَةَ أَنْزَلَ لَنَا الْخَمْسَ، فَالْصَّدَقَةُ عَلَيْنَا حَرَامٌ، وَالْخَمْسُ لَنَا فَرِيضَةٌ، وَالْكَرَامَةُ لَنَا حَلَالٌ»<sup>(١)</sup>، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنَ الْخَمْسِ شَيْئاً حَتَّى يَصِلَ إِلَيْنَا حَقّاً»<sup>(٢)</sup>، وعن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام أصلحك الله، ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ دَرهماً، وَنَحْنُ الْيَتِيمُ»<sup>(٣)</sup>.

#### الشبهة الثالثة: المرجعية الموسوعية

ومن جملة الشبهات المطروحة حول المرجعية الدينية هي شبهة الموسوعية، وحاصلها: بأن المرجع الديني لا بد وأن يكون موسوعياً شمولياً حاوياً لشتى العلوم والفنون، وأما من يقتصر على علم الفقه والأصول فليس مؤهلاً ولا صالحاً للمرجعية؛ لأن العالم اليوم يعيش حالة من التطور والتقدم، ولذا فنحن بحاجة إلى مرجعية عصرية حضارية تواكب الحضارة ومتطلبات هذا العصر وحاجات الأمة الإسلامية، وتستطيع إبداء الرأي والنظر في مختلف وشتى المجالات القانونية والسياسية والاقتصادية.

(١) الفقيه، ج ٢، ص ٤١.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٥٤٥.

(٣) الفقيه، ج ٢، ص ٤١.

والجواب عن ذلك:

أولاً: لا يوجد دليل على اشتراط موسوعية المرجع وإحاطته بجميع العلوم كالسياسة والفلسفة والاقتصاد، فالقرآن بجميع آياته، والسنة بجميع أبوابها ورواياتها، والعقل كذلك وإجماعات العلماء، ليس فيها لذلك عينٌ ولا أثر، وليس فيها مستند واضح لهذه الدعوى. وأما ما قد يستدل به بأن المرجع له مقام النيابة عن الإمام عليه السلام والقيام مقامه فلا بد أن يكون شمولياً كما هو الحال بالنسبة للإمام عليه السلام، ففيه:

١- قد أشرنا سابقاً إلى اختلاف الآراء في كون الفقيه نائباً عاماً عن الإمام عليه السلام أم لا، فلا تشترط هذه الموسوعية كما هو واضح والحال هذه.

٢- لو سلمنا بالنيابة العامة فلا دليل على لزوم إحاطة الفقيه بشق هذه الفنون؛ لأنه إن كان المقصود بالموسوعية هو التخصص في جميع هذه الفنون -مضافاً إلى أنه ينبغي أن يحيط المرجع بشق العلوم؛ لأن الإمام المعصوم عليه السلام عالم بكل شيء، وإلا فما الفرق بينه وبين غيره- فهذا أمر متعذر في نفسه، وفي هذا الزمن خاصة مع توسع العلوم وتشعبها. وإن كان المقصود بالموسوعية قدرة الفقيه على إبداء رأيه ونظره في كل مسألة ابتلائية لدى الناس -سواء كانت مسألة سياسية أم اقتصادية أم غير ذلك- فهذا أمر مسلم، ولكنه لا يدل على لزوم التخصص في كل هذه الفنون، بل يكفي الإحاطة بالمصادر الشرعية ومقدمات الاستنباط، فإنها كفيلة في تحقيق ذلك، وهذا واضح في تاريخ مرجعياتنا.

وأما الاستدلال بآية النفر، وأن الدين واسع يعم جميع العلوم ومرافق الحياة، فلا بد أن يكون التفقه في جميع هذه العلوم كي يصدق على المرجع الديني عنوان الفقيه الشامل الذي يلزم الناس الرجوع اليه.

فجوابه: أنه لا شك ولا ريب في أن الدين عامٌ وواسع لكل القضايا، لكن التفقه في الدين لا يستلزم التخصص في بقية العلوم، بل يكفي الإحاطة بالمصادر الشرعية - كما

قلنا- لإبداء الرأي، ويؤيد ذلك أنّ المسلمين الأوائل الذين امتثلوا لهذا الأمر الإلهي وخرجوا إلى المدينة، لم يتعلموا عند النبي ﷺ ولا من جاء بعده في كل شيء، بل كلُّ بحسبه وسعته. ويمكن الرجوع في هذا لأسباب نزول الآية لفهم ما نقول<sup>(١)</sup>.

وأما الاستدلال بما ورد في بعض الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء»<sup>(٢)</sup>، وأنّ الأنبياء كانوا موسوعيين وكانت لديهم قيادة الأمم، فكذلك من يقوم مقامهم لا بد أن يكون موسعياً مثلهم.

فجوابه: ليس المقصود من الحديث وراثه الحكم والمنصب، وإنما وراثه العلم، وهذه الوراثة لا تستوجب أن تكون وراثه لجميع ما حواه الأنبياء. ولو سلمنا جدلاً بأنّ المقصود هو وراثه المقام والمنصب فلا دلالة في الروايات على لزوم أن يكون المرجع حاوياً لجميع العلوم والمعارف، بل غايته أن يعلم بما يرجع إلى القضاء بين الناس وإقامة الحدود وبيان الحلال والحرام لهم وما يصلح شؤونهم في سائر الموارد، وهذا لا يستلزم العلم التام والإحاطة الشاملة بكل العلوم، بل يكفي فيه الإحاطة بالمصادر الشرعية.

والنتيجة: لا يوجد دليل على هذه الدعوى، فتسقط برمتها.

وثانياً: إنّ الأدلة الدالة على الرجوع للفقهاء دلّت على عكس ما يدّعيه صاحب هذه الشبهة، فهي خالية من اشتراط الموسوعية في الفقيه، ومقتضى إطلاقها عدم دخالة هذا القيد في المرجع الديني، ومن تلك الروايات:

١- ما روي عن الإمام العسكري عليه السلام: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فعلى العوام أن يقلّدوه»<sup>(٣)</sup>.

(١) التبيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٣٢٣؛ مجمع البيان، ج ٥، ص ١٤٤.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٤.

(٣) الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٦٣.

٢- قول الإمام المهدي عليه السلام: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليكم»<sup>(١)</sup>.

وأما على مستوى السيرة التشريعية فحينما نتتبع حياة أصحاب النبي والأئمة عليهم السلام، ومن كان بلغ درجة الفقاهاة منهم وله صلاحية الفتوى، لم نجد موسوعياً، وحتى العلماء الذين جاؤوا من بعدهم لم يكونوا كذلك.

ثالثاً: حينما نسال مشهور علمائنا عن العلوم التي يتوقف عليها الاجتهاد، تجد كلماتهم واضحة في عدم مدخلية كل العلوم في الاجتهاد والمرجعية، وإنما ذكروا علم اللغة، والكلام بمقدار معرفة حكمة الله وعصمة الرسول، والأصول، وتفسير آيات الأحكام، والمنطق، والرجال، والدراية، والحديث. بينما ذكر السيد الخوئي توقف الاجتهاد على علمي الأصول والرجال فقط.

رابعاً: ذكرنا فيما سبق المناصب المؤكدة للفقهاء، وحينما نلاحظها لا نجدها بحاجة إلى دراسة غير الفقه، وهي: الإفتاء، والقضاء بين الناس، وإقامة الحدود والتعزيرات، والولاية العامة أو الخاصة بالأمر الحسبية، على اختلاف العلماء فيها.

#### الشبهة الرابعة: المرجعية وولاية الفقيه

يدعي البعض بأن من أسباب تخلف الشيعة وتراجعهم عدم القول بولاية الفقيه العامة، فإن العلماء الذين لا يرون ثبوت الولاية المطلقة للفقهاء تسببوا في الوضع المرير والحالة البائسة التي يعاني منها الشيعة؛ لأن عدم القول بالولاية المطلقة يحدّد صلاحيات الفقيه بالإفتاء وبيان الحلال والحرام فقط، ويمنعه من الدخول في السياسة والاقتصاد وغيرها، ويؤدي إلى عدم اهتمامه بشؤون الأمة وما يقدمها ويطورها.

(١) كمال الدين، ص ٤٨٤.

بينما القول بالولاية العامة فهذا يعني أنّ الفقيه لا ينحصر في بيان الحلال والحرام، بل تكون له نظرة ورؤية حضارية، وتكون له صلاحية في تولّي الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية، بل قد يتحمّم عليه القيام بدولة وحكومة إسلامية وتولّي قيادة الجيش الإسلامي وتدبير شؤونه وسدّ ثغوره، كما يعطيه صلاحيات اجتماعية هامة للرفق بالأمة الإسلامية كإنشاء المؤسسات وبناء الشركات، وبهذا يتكامل المجتمع وتسمو الأمة ويزدهر مذهب أهل البيت عليهم السلام.

#### والجواب عن ذلك:

أولاً: إنّ ولاية الفقيه العامة لم تكن بهذا الوضوح وهذه الصراحة قبل زمان المحقق النراقي المتوفى سنة ١٢٤٥، فهو أول من طرحها بهذا الشكل الواسع بعد أن طرحها قبله المحقق الكركي المتوفى سنة ٩٤٠ بصورة مقتضبة. فهل عاش التشيع في تلك الفترة الزمنية ضعفاً وتراجعاً؟ كلا، بل كل يوم يزداد التشيع قوة وعلواً، وهذا واضح لكل من تتبّع المراحل التاريخية التي مرّت على التشيع، وهذا إنما يدلّ على الدور المُشرّف الذي قام به أساطين المذهب خلال هذه الفترات لحفظ الكيان الشيعي، وإلا فكيف استطاع التشيع أن يبقى مستمراً إلى هذا العصر وبهذا التماسك والقوة مع كلّ المحاولات المستميتة من النواصب وأعداء التشيع وقوى الاستعمار وعملائهم لمحاربتة لولا هذه الجهود الحثيثة والمسعى المشكورة التي بذلها مراجع الدين وفقهاء المذهب، فأين هذا الدمار وأين هذا الانهيار وأين هذا التخلف الذي يطبل به البعض في هذه الأيام؟

ثانياً: لا يوجد فقيه ينكر ثبوت الولاية للفقيه، وإنما الخلاف في السعة والضيق، وهل هي عامة أم خاصة، وقد أشرنا لذلك فيما سبق.

فمنهم من يقول بثبوت الولاية العامة وأنّ كلّ ما كان ثابتاً للإمام المعصوم عليه السلام فهو ثابت للفقهاء إلا ما قام الدليل على استثنائه، والبعض الآخر يقول بالولاية الحسبية، وهي الخاصة ببعض الموارد التي يعلم بعدم رضا الشارع بتركها، كالولاية على القصر والأوقاف والخمس وأشباه ذلك، حيث من المقطوع به بأنّ الشارع الأقدس لا يرضى بأن يترك اليتيم أو المجنون من دون ولي يدير شؤونه وأمواله، وكذلك لا يرضى بأن يترك الوقف من دون متصرّف فيه وقائم عليه، وهكذا الأمر بالنسبة للخمس، والقدر المتيقن للتصدّي لهذه الأمور هو الفقيه الجامع للشرائط.

وعلى أيّ حال سواء قيل بالولاية العامة أم الحسبية فلا يمكن تخلف الأمة وضياع المذهب، فما دام للفقهاء الولاية على كلّ أمر يحرز عدم رضا الشارع بتركه فبالتالي فإنّ كلّ أمر يؤدي إلى ضياع المذهب -ولو لعدم القيام بحكومة إسلامية مثلاً- فإنه يمكن للفقهاء القائل بالولاية الحسبية أن يعالج هذه المشكلة ويقوم بتشكيل حكومة إسلامية ولو من باب الحسبة، وبالتالي يمكننا القول بأنّ الخلاف بين النظريتين أقرب ما يكون إلى الخلاف المصداقي الراجع لتشخيص الفقيه في ما لا يرضى الشارع بتركه، بل إنه حتى لو لم نقل بولاية الفقيه الجزئية فإنه إذا آل أمر الإسلام أو المذهب إلى الضياع والدمار فلا شك ولا ريب بأنّ هناك أحكاماً أولية وثانوية تمكّن الفقيه من الإفتاء والحكم بما يوجب الحفاظ على الإسلام والمذهب.

وما نريد قوله هو أنّ القول بأنّ سبب تأخر الشيعة هو إنكار ولاية الفقيه العامة بعيد عن الواقع بمراتب.

ثالثاً: هناك شواهد تاريخية تؤكّد أنّ الفقهاء هم حصون هذا الدين، وأنّ دورهم في حفظ الإسلام والمذهب لا ينكره إلا مكابر، فمثلاً: دورهم الذي يشهد به القاضي والداني



في وحدة العراق وبقاء الحكم الإسلامي فيها إبان الاحتلال الإنجليزي، وطردهم المستعمرين منها، ونشر معالم الدين في أرجائها، مع أنّ القائمين على ذلك والمنادين في ثورتها لم يكونوا من القائلين بالولاية العامة للفقهاء ولم ينقل عنهم ذلك، كالميرزا محمد تقي الشيرازي الذي أفتى بالجهاد ضدّ الانجليز وشارك بنفسه مع مجموعة من العلماء، وهكذا السيد محسن الحكيم لم يكن من القائلين بالولاية العامة ومع ذلك فقد حارب المدّ الشيوعي وكافح عن الإسلام، وها هي المرجعية في العراق اليوم متمثلة في السيد السيستاني (دام ظلّه) الذي لا يقول بالولاية العامة للفقهاء، ومع ذلك أياديه واضحة في التوازن السياسي والاجتماعي في العراق، بل المنطقة برمتها.

#### الشبهة الخامسة: المراجع هم أعداء الإمام المهدي عليه السلام

وهذه الشبهة يطرحها ويروج لها جماعة أحمد القاطع، وحاصلها: بأنّ علماء الدين والمراجع هم أعداء الإمام المهدي عليه السلام، ولذلك فإنه حينما يخرج يقوم بمحاربتهم فيقتل جمعاً كبيراً منهم؛ لأنهم يخالفونه ويقومون بمواجهته ومحاربتة، فلا بدّ وأن يطهر الأرض منهم، ومن هنا فلا يمكننا الاعتماد في زمن الغيبة على هؤلاء العلماء والأخذ عنهم، بل لا بدّ من التحرّز منهم وتجنّبهم لكي لا نشاركهم في المخالفة والمحاربة للإمام عليه السلام وقت ظهوره، واستدلوا لذلك ببعض الروايات، من قبيل:

١- ما نسب للإمام الباقر عليه السلام: «وإذا خرج هذا الإمام المهدي فليس له عدوّ مبین إلا الفقهاء خاصة، هو والسيف إخوان، ولولا السيف بيده لأفتى الفقهاء بقتله، ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطيعون ويخافون ويقبلون بحكمه من غير إيمان بل يضمرون خلافه»<sup>(١)</sup>.

(١) ينابيع المودة (للقدوزي)، ج ٣، ص ٢١٤.

٢- ما رواه أبو الجارود عنه عليه السلام: «ويسير إلى الكوفة فيخرج منها ستة عشر ألفاً من البترية، شاكين في السلاح، قرّاء القرآن، فقهاء في الدين، قد قرحوا جباههم وشمروا ثيابهم، وعمّهم النفاق، وكلّهم يقولون: يا ابن فاطمة ارجع لا حاجة لنا فيك. فيضع السيف فيهم على ظهر النجف عشية الاثنين من العصر إلى العشاء، فيقتلهم أسرع من جزر جزور، فلا يفوت منهم رجل ولا يصاب من أصحابه أحد، دماءهم قربان إلى الله»<sup>(١)</sup>.

٣- ما رواه أبو الجارود أيضاً عنه عليه السلام: «إذا قام القائم سار إلى الكوفة فيخرج منها بضعة عشر ألف نفس يدعون البترية، عليهم السلاح فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم»<sup>(٢)</sup>.

٤- رواية مالك بن زمرة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «يا مالك بن زمرة، كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا» - وشبك أصابعه وأدخل بعضها في بعض -؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما عند ذلك من خير؟ قال: «الخير كله عند ذلك - يا مالك -، عند ذلك يقوم قائمنا فيقدم سبعين رجلاً يكذبون على الله وعلى رسوله فيقتلهم، ثم يجمعهم الله على أمر واحد»<sup>(٣)</sup>.

#### والجواب عن ذلك:

أولاً: إنّ هذه الروايات كلّها ضعيفة سنداً ما عدا الرابعة منها، فالأولى مرسلة أو مرفوعة، وأما الثانية والثالثة ففي سندها مجاهيل وضعفاء، ويكفي لضعفها أنّ فيها أبا الجارود. وأما الرابعة فحتى لو تمت سنداً فهي لا تصلح للإثبات في مثل هذه القضايا التي تحتاج إلى التواتر أو الاستفاضة، ولا أقل من الاحتفاف بالقرائن القطعية بالصدور.

(١) دلائل الإمامة للطبري، ص ٤٥٥.

(٢) الإرشاد، ج ٢، ص ٣٨٣.

(٣) الغيبة (للنعماني)، ص ٢١٤.

والحاصل أنّ هذه الروايات لا تثبت ما يريد المستدلون بها.

ثانياً: على فرض صحتها سنداً إلا أنها ضعيفة دلالةً، فالرواية الثانية والثالثة تتحدثان عن البترية وهي فرقة من الزيدية، فلا ربط لها بالإمامية الاثني عشرية فضلاً عن ارتباطها بعلماء الإمامية ومراجع الدين.

وأما الرواية الرابعة فلا دلالة فيها على ما يريد المدعي؛ فإنها تقول بأن الإمام عليه السلام يقتل سبعين رجلاً يكذبون على الله وعلى الرسول، ولم تذكر أنهم علماء أو مراجع وفقهاء من الشيعة كما يحاول أصحاب الشبهة إثباته؛ فإنّ (رجلاً) تصدق على الشيعي وغيره، كما أنّ كلمة (يكذبون على الله ورسوله) تصدق على كلّ كاذب عليهما، فما هو الوجه لتخصيصها وإسقاطها على علماء وفقهاء الشيعة؟!

وأما الرواية الأولى فهي وإن ذكرت عنوان الفقهاء إلا أنه عنوان واسع يشمل فقهاء الشيعة وغيرهم، فما هو الوجه في تخصيصها بفقهاء الشيعة؟! بل يمكن أن يقال -بقرينة الرواية السابقة- أنّ المقصود هم البترية أو أصحاب الرأي والذين يفتنون بلا علم.

ثالثاً: على فرض دلالة هذه الروايات لما يحاول المدعي إثباته، فإنها معارضة بروايات متواترة أو مستفيضة تحث على رجوع الشيعة إلى العلماء والتمسك بهم، وهي أصح وأشهر، فتكون هي المقدّمة، وتسقط تلك المعارضة لها عن الحجية، فلاحظ مثلاً:

١- ما جاء في جواب الإمام عليه السلام على مسائل إسحاق بن يعقوب: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا..»<sup>(١)</sup>.

٢- ما روي عن الإمام العسكري عليه السلام: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه، فعلى العوام أن يقلّدوه»<sup>(٢)</sup>.

(١) كمال الدين، ص ٤٨٣.

(٢) الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٦٣.

٣- ما روي عن الامام الهادي عليه السلام: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا من العلماء الداعين عليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب الذين يمسكون قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك السفينة سكانها، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، أولئك هم الأفضلون عند الله (عز وجل)»<sup>(١)</sup>.

٤- عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها، وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله، وثلم في الإسلام ثلماً لا يسدها شيء؛ لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصون سور المدينة»<sup>(٢)</sup>.

٥- عن النبي صلى الله عليه وآله: «سيأتي زمان على الناس يفرّون من العلماء كما يفرّ الغنم من الذئب، ابتلاهم الله بثلاثة أشياء: الأول يرفع البركة من أموالهم، والثاني سلّط الله عليهم سلطاناً جائراً، والثالث يخرجون من الدنيا بلا إيمان»<sup>(٣)</sup>.

وغيرها من الروايات الكثيرة والواضحة في الحثّ على التمسك بالعلماء والرجوع إليهم، فكيف يتناسب ذلك مع هذه الدعاية التي تشوّه صورة العلماء وتحذر منهم؟!

رابعاً: ينبغي علينا الحذر من الانسياق والانجرار نحو هذه الأبواق المأجورة من قبل قوى الاستعمار، فإنّ الهدف الأساس من هذه الأصوات هو إبعاد الناس عن الدين بتشويه صورة العلماء وإثارة الفتن في الأوساط الدينية؛ بغية تنفيذ الناس منهم، وزويهم عن الدين.

(١) تفسير الإمام العسكري، ص ٣٤٤.

(٢) الكافي، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٣) جامع الأخبار، ص ١٥١.

الشبهة السادسة: رأي الفقيه لا يفيد الظن

أن رأي الفقيه لا يفيد إلا الظن، والشارع نهى عنه وقال: إنه لا يغني عن الحق شيئاً<sup>(١)</sup>، إذن فالشارع نهى عن اتباع رأي الفقيه.

والجواب:

أولاً: إن الآيات الناهية عن اتباع الظن هي خاصة بالظن في المعارف العقائدية ولا تشمل الأحكام الفقهية، وهذا ما تشير إليه الآية المقصودة، فإنها تتحدث عن التوحيد والنبوة وغيرها من المعارف فلا يصلح الاستدلال بها لإثبات عدم حجية فتوى الفقيه.

ثانياً: على فرض التسليم بإطلاقها، فمع ذلك هي مقيّدة بما دلّ من الأدلة التي تقدّمت على لزوم التقليد والأخذ برأي الفقيه.

ثالثاً: على فرض التنزل عن الأمرين السابقين، فيمكن القول بأن هذه الآية مجملة، فكما يحتمل نظرها إلى الظن في الأحكام الشرعية، يحتمل نظرها إلى ما كان لدى عرب الجاهلية من اتباع آبائهم في عبادة الأصنام، كما يحتمل أنها ناظرة إلى خصوص التقليد في الأصول، ومع الإجمال يسقط الاستدلال.

الشبهة السابعة: الأولوية

لا إشكال في عدم جواز التقليد في المسائل الاعتقادية، إذن فمن باب أولى عدم جوازه في الفقه؛ لأنّ العقائد أصعب من الفقه.

والجواب:

يمكن القول بأنّ المسائل العقديّة على قسمين:

(١) سورة يونس: ٣٦.

القسم الأول: أصول المعارف، وهي التي يلزم تحصيل العلم واليقين بها؛ لكونها شرطاً في حصول الإيمان، وهذه لا يمكن التقليد فيها.

القسم الثاني: فروع المعارف، وهي التي لا يلزم تحصيل العلم بها؛ لتحقيق الإيمان بدونها، إلا أنّ العلم بها يوجب الكمال والمثوبة.

إذا اتضح ذلك نقول: لا يصحّ هذا القياس الفاسد في الإشكال؛ لأنّ المسائل العقائدية التي يلزم فيها تحصيل العلم واليقين قليلة، ولقلّتها يمكن للمكلف تحصيل العلم بها، وهذا بخلاف المسائل الفقهية، فهي كثيرة جداً يصعب تحصيل العلم بها جميعاً إلا للفقهاء المختصين.

#### الشبهة الثامنة: روايات النهي عن الأخذ من غير المعصوم

توجد روايات تنهى عن الأخذ من غير المعصوم، كرواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: {اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} فقال: «أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون»<sup>(١)</sup>.

#### والجواب:

إنّ هذا الخبر وغيره من الأخبار المستدلّ بها في المقام لا ربط لها بالتقليد، بل هي ناظرة إلى من يتصدى للفتوى برأيه وبالأخذ بالطرق الفاسدة كالقياس والاستحسان وغيرها، ومن المعلوم أنّ الفقهاء الحقيقيين لا ينطبق عليهم ذلك؛ ضرورة أنهم يستندون في فتاواهم إلى المصادر المعتمدة شرعاً.

(١) الكافي، ج ١، ص ٥٣.

الشبهة التاسعة: التقليد لم يكن موجوداً في زمن المعصومين

إنّ مسألة التقليد مسألة مستحدثة، ولم يكن لها وجود في زمن المعصومين عليهم السلام ولا في زمن الغيبة الصغرى، بل ولا حتى بداية الغيبة الكبرى، ويشهد لذلك عدّة أمور:  
 الأمر الأول: أنّ الكتب الفقهية لقدماء الأعلام كانت عبارة عن روايات أهل البيت عليهم السلام، مثل (من لا يحضره الفقيه) و (الفقه الرضوي).  
 الأمر الثاني: عدم وجود هذه المسائل العقلية والأصولية والفلسفية في كلمات القدماء من الأصحاب، ولم تظهر إلا في زمن متأخر.  
 الأمر الثالث: عدم وجود ذكر لمسألة التقليد في كتب الأقدمين.

والجواب عن ذلك:

أولاً: قد ذكرنا فيما سبق وجود التقليد من عصر النص كما دلّت الروايات على ذلك، كروايات الإرجاع للفقهاء من الأصحاب التي تقدّمت.  
 ثانياً: أنّ القدماء من الأصحاب كانت فتواهم بنفس مضمون الأخبار من دون تغيير عادةً كـ (من لا يحضره الفقيه)، ومع تشعب الفروع والمسائل اضطرّ الفقهاء للتفريع، فصارت كتب الفتاوى ذات تفريعات الفقيه على الأصول كما في كتب الشيخ الطوسي ومن جاء بعده.

ثالثاً: كانت المسائل الأصولية موجودة من أيام النص، وقد كتب بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام في مباحث الألفاظ وغيرها، وكذلك من قارب عصر النص، ولكن مع مرور الأيام واتّسع علم الفقه استدعت الحاجة إلى توسعة علم الأصول.

الوصية الرابعة: التقية

وسوف نبحث في هذه الوصية من خلال عدّة نقاط:

النقطة الأولى: الأدلة على مشروعية التقية

يمكن أن نذكر عدة أدلة على مشروعية التقية:

الدليل الأول: دللت بعض الآيات على مشروعية التقية مع غَض النظر عن كونها على نحو الوجوب أو الجواز، ومع غَض الطرف عن حدود هذه المشروعية، ومنها: { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً }<sup>(١)</sup>.

وتقريب دلالة الآية على جواز التقية يبني على مقدمتين:

المقدمة الأولى: دللت الآية على حرمة موالاة المؤمنين للكافرين.

المقدمة الثانية: استثنت الآية ما إذا كان إظهار الموالاة للكفار من باب التقية.

وقد قال بعض أعلام العامة بمشروعيتها، كالألوسي، والمراغي<sup>(٢)</sup>.

الدليل الثاني: توجد مجموعة من الروايات عند الفريقين تدل على مشروعية التقية:

الرواية الأولى: عن النبي ﷺ: «رفع عن أمتي تسعة؛ الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا يطيقون، وما لا يعلمون، وما اظطروا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في كتب العامة بلفظ: «رفع الله من أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه»<sup>(٤)</sup>.

وتقريب دلالته ببيان مقدمتين:

(١) سورة آل عمران: ٢٨.

(٢) تفسير الألوسي، ج ٣، ص ١٢١؛ تفسير المراغي، ج ٣، ص ١٣٦.

(٣) التوحيد، ص ٣٥٣؛ الخصال، ص ٤١٧.

(٤) فتح الباري، ج ٥، ص ١٦١؛ كنز العمال، ج ٤، ص ٢٢٣٣.



المقدمة الأولى: إنّ الحديث دلّ على ارتفاع المؤاخذه والعقوبة عن الأمة الإسلامية في عدة أمور، ومنها التي تصدر عنهم تحت الإكراه.

المقدمة الثانية: إنّ التقية في الغالب تكون بسبب الإكراه والخوف. والنتيجة: جواز التقية ما دامت عن إكراه.

الرواية الثانية: عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «التقية في كل ضرورة وصاحبها أعلم بها حين تنزل به»<sup>(١)</sup>.

الرواية الثالثة: عن أبي جعفر عليه السلام قال: «التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم فقد أحله الله له»<sup>(٢)</sup>.

الرواية الرابعة: عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء لما لا يطيق»<sup>(٣)</sup>.

وتقريب الدلالة في مقدمتين:

المقدمة الأولى: دلّت على حرمة على تعريض المؤمن نفسه للإذلال والامتهان بما لا يطيق ولا يتحمل.

المقدمة الثانية: مقتضى إطلاق الرواية أنه لو وقع الإنسان في موقع التقية فلا يسوغ له أن يعرض نفسه للإذلال، ولا زمه مشروعية التقية له من أجل الخلاص من الذلّ والبلاء. والنتيجة: جواز التقية.

الدليل الثالث: العقل

وتقريب ذلك في مقدمات:

(١) الكافي، ج٢، ص٢١٩.

(٢) نفس المصدر، ص٢٢٠.

(٣) سنن الترمذي، ج٤، ص٥٢٢، ح٢٢٥٤.

المقدمة الأولى: تنقسم مدركات العقل إلى قسمين:

القسم الأول: مدركات العقل النظري، وهي عبارة عن القضايا التي يدرك العقل أنها مما ينبغي أن تعلم، وأول هذه القضايا هي قضية استحالة اجتماع النقيضين.  
القسم الثاني: مدركات العقل العملي، وهي القضايا التي يدرك العقل أنها مما ينبغي أن تعمل، وهي ترجع إلى باب التحسين والتقبيح العقليين، وأساس هذه القضايا لدى المشهور هي قضية حسن العدل وقبح الظلم، وكل القضايا ترجع لها، خلافاً للشهيد الصدر الذي يقول بأنها قضية طولية وبشرط المحمول، وأن هناك قضايا أسبق منها مثل قضية شكر المنعم وحق الطاعة.

المقدمة الثانية: إن من جملة القضايا التي يؤمن بها الإنسان هي قضية لزوم دفع الضرر المحتمل، وقد بحثوها هل هي قضية عقلية كما ذهب لذلك السيد الخوئي حيث يقول: "والعقل يستقل بلزوم دفع الضرر المحتمل بمعنى العقاب"<sup>(١)</sup>، أم أنها قضية فطرية كما ذهب لذلك السيد الحكيم حيث يقول: "وحرمة المعصية إما بملاك فطري دفع الضرر المحتمل أو عقلي بناءً على القول بالحسن والقبح العقليين بملاك شكر المنعم"<sup>(٢)</sup>.  
وبناء على الأول فإنها ترجع لمدركات العقل العملي وأنها مما ينبغي أن تعمل، فيلزم على الإنسان أن يدفع الضرر عن نفسه ولا يوقع الضرر بها، فإن دفع الضرر حسن؛ لأنه عدل، وإيقاع النفس في الضرر قبيح؛ لأنه ظلم.

المقدمة الثالثة: قسّم الفقهاء الضرر إلى قسمين:

- ١- الضرر الدنيوي، كالمتعلق بالنفس والعرض والمال.
- ٢- الضرر الأخروي، كالعقاب على مخالفة الشارع.

(١) التنقيح في شرح العروة الوثقى، ج١، ص١٣٥.

(٢) مستمسك العروة الوثقى، ج٤، ص٤٠.

المقدمة الرابعة: إذا كان عدم العمل بالتقية يؤدي الى تلف النفس أو العرض أو المال فإن العقل يدرك لزوم التقية وصيانة النفس وحفظها من الوقوع في الهلكة.  
والنتيجة: مشروعية التقية.

الدليل الرابع: سيرة العقلاء  
وتقريب ذلك في مقدمتين:

المقدمة الأولى: جرت سيرة العقلاء على مرّ العصور على العمل بالتقية في مواقع الخطر والضرر حفظاً للنفس وللنظام العام للحياة.  
المقدمة الثانية: أنّ هذه السيرة حجة أمضاها الشارع.  
والنتيجة: مشروعية التقية.

الدليل الخامس: سيرة المتشرّعة  
وتقريب ذلك في مقدمتين:

المقدمة الأولى: جرت سيرة المتشرّعة -عموماً- على التقية؛ حفظاً للنفس وكرامتها، والذي يظهر من القرآن بأنّ هذه السيرة كانت موجودةً حتى لدى الأمم السابقة، كما في قوله تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} (١).

وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا} (٢).

(١) سورة غافر: ٢٨.

(٢) سورة الكهف: ١٩.

وعن الصادق عليه السلام: «ما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف أن كانوا يشهدون الأعياد ويشدون الزنانير فأعطاهم الله أجرهم مرتين»<sup>(١)</sup>.  
المقدمة الثانية: إن هذه السيرة كاشفة عن رأي الشارع، فهي حجة.

#### الدليل السادس: الإجماع

وقد ادعى غير واحد من العلماء من الفريقين قيام الإجماع على مشروعية التقية، كما ذكر المحقق النراقي<sup>(٢)</sup> من أعلامنا.  
وقال القرطبي: «أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان»<sup>(٣)</sup>.

#### النقطة الثانية: أقسام التقية

يمكن تقسيم التقية إلى عدة أقسام كما يستفاد ذلك من خلال الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، وهي:

#### النوع الأول: التقية الخوفية

وهي التي يكون الباعث إليها الخوف، والهدف منها دفع الضرر، سواء كان الخوف والضرر على النفس أو المال أو العرض أم غير ذلك، ومن هذه التقية ما صدر من عمار بن ياسر بقول ما طالبه به المشركون؛ حفاظاً على حياته. وقد دلت الروايات على أن الأئمة عليهم السلام كانوا يستخدمون التقية الخوفية في كثير من حياتهم؛ لأجل الظروف الصعبة التي كانوا يعيشونها، إلى درجة أنهم لم يكنوا يخالفون السلطة في الصوم والحج، ففي الرواية عنه

(١) الكافي، ج ٤، ص ٢١٨.

(٢) مستند الشيعة، ج ١٤، ص ١٩٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٨٠.

عنه قال: «دخلت على أبي العباس بالحيرة فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في الصيام اليوم؟ فقال: ذاك إلى الإمام إن صمت صمنا وإن أفطرت أفطرتنا، فقال: يا غلام علي بالمائدة، فأكلت معه وأنا أعلم -والله- أنه يوم من شهر رمضان، فكان إفطاري يوماً وقضاؤه أيسر علي من أن يضرب عنقي ولا يعبد الله»<sup>(١)</sup>.

#### النوع الثاني: التقية المداراتية

وهي التي يكون الباعث إليها الرغبة في التآليف بين القلوب وتوحيد الصفوف والتقليل من شقة الخلاف، وهذه التقية تكون بين الإمامية وأصحاب المذاهب الأخرى من المسلمين كما يستفاد ذلك من النصوص الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)، ومنها قول الإمام الصادق (عليه السلام): «صلّوا في عشائهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنازتهم، ولا يسبقونكم إلى شيء من الخير، فأنتم أولى به منهم»<sup>(٢)</sup>.

#### النوع الثالث: التقية الكتمانية

وهي التي يكون الباعث إليها حفظ الدين من الاندثار والانمحاء في دولة الباطل فيما لو أذيعت تعاليمه وأحكامه المخالفة لهوى السلطة الظالمة، وعليه فلا بد من كتمانها إلا عن المختصين، لاسيما إذا كان أهل الحق هم القلة القليلة، وقد دلّت على ذلك جملة من الروايات، ومنها قول الإمام الصادق (عليه السلام): «إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانتته من غير أهله، فأقرئهم السلام وقل لهم: رحم الله عبداً اجتتر مودة الناس إلى نفسه، حدّثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون، والله ما الناصب لنا حرباً بأشدّ علينا مؤونة من الناطق بما نكره»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي، ج٤، ص٨٣.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص٢١٩.

(٣) نفس المصدر، ص٢٢٢.

### كتمان اسم الإمام المهدي عليه السلام

من جملة الموارد التي وقع البحث في كونها من موارد التقية الكتمانية هو: التصريح باسم الإمام عليه السلام، فقد وقع الخلاف بينهم في جواز التصريح باسمه وحرمة ذلك في زمن الغيبة، وهل هذا من التقية الكتمانية أم لا؟ فتوجد عدة أقوال في ذلك:

القول الأول: ما ذهب له مشهور المحدثين من حرمة التسمية مطلقاً، بلا فرق بين الغيبة الصغرى أو الكبرى، ولذا يقول الصدوق: "والذي أذهب إليه النهي عن تسميته عليه السلام" (١).

القول الثاني: اختصاص الحرمة بزمن الغيبة الصغرى فقط.

القول الثالث: أنّ الحرمة تدور مدار الخوف والتقية في أي زمن، ولذا يقول الحر العاملي: "والأحاديث في التصريح باسم المهدي محمد بن الحسن عليه السلام وفي الأمر بتسميته عموماً وخصوصاً، تصريحاً وتلويحاً، فعلاً وتقريراً، في النصوص والزيارات والدعوات والتعقيبات والتلقين وغير ذلك، كثيرة جداً... وهو دال على ما قلناه في العنوان، يعني تحريم التسمية وقت التقية وجواز ذلك مع عدم الخوف..." (٢).

ولتحقيق ذلك لابد من البحث في الروايات، ويمكن تقسيمها لطوائف:

الطائفة الأولى: ما دل على حرمة التسمية مطلقاً من دون فرق بين ناحية الزمان والمكان، ومن هذا قول أبي عبد الله عليه السلام: «صاحب هذا الأمر لا يسميه باسمه إلا كافر» (٣).

الطائفة الثانية: ما دل على حرمة التصريح باسمه إلى أن يقوم ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ومن هذا قول الإمام الهادي عليه السلام لعبد العظيم الحسيني: «... ومن

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٤٩.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٤٤٦.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٣٣٣.

بعدي ابني الحسن، فكيف للناس بالخلف من بعده؟» قلت: فكيف ذلك؟ قال: «لأنه لا يرى شخصه ولا يحلّ ذكره باسمه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً»<sup>(١)</sup>.

الطائفة الثالثة: ما دلّ على عدم جواز التسمية، معللاً بالخوف من وقوع الطلب، ومن هذا ما ورد عن الحميري عن محمد بن عثمان العمري: «وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك»<sup>(٢)</sup>.

الطائفة الرابعة: ما دلّ على النهي عن التسمية في محفل من الناس، ومن هذا ما رواه الصدوق عن علي بن عاصم الكوفي يقول: خرج في توقيعات صاحب الزمان: «ملعون ملعون من سماني في محفل من الناس»<sup>(٣)</sup>.

الطائفة الخامسة: ما دلّ على وقوع التسمية منهم عليهم السلام أو من أصحابهم، ومن هذا ما جاء في عدة روايات تذكر الإمام العسكري عليه السلام باسم «أبي محمد الحسن بن علي العسكري»<sup>(٤)</sup>.

وبعد ملاحظة مجموع هذه الأخبار يتضح طريق التوفيق بينها، وأن الروايات المطلقة في الطائفتين الأولى والثانية يمكن تقييدها بالطائفة الثالثة المعللة بحال الخوف من وقوع الطلب، وهذا إنما يتصور في زمن الغيبة الصغرى، وأما مع عدم الخوف - كما في زمن الغيبة الكبرى - فلا ضير في ذلك، وتشهد لذلك الروايات المصرحة بالاسم، فلاحظ.

(١) كمال الدين، ص ٣٧٩.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٣٠.

(٣) كمال الدين، ص ٤٨٢.

(٤) نفس المصدر، ص ٤٣٢، و ص ٦٥٢.

القسم الرابع: التقية الجهادية

قد يدعى وجود قسم رابع للتقية وهو عبارة عن حرمة الخروج بالسيف من قبل الشيعة على الحاكم الجائر إلى ظهور الإمام عليه السلام، وتوجد روايات عديدة يدعى دلالتها على ذلك، وقد عقد الحرّ العاملي لهذا في وسائل الشيعة ج ١٥ باباً ذكر فيه ١٧ رواية، ومثله المحدث النوري في مستدرک الوسائل ذكر فيها ٢٢ رواية، وسوف نقتصر على ذكر بعض الروايات:

الرواية الأولى: عن سدير عن الإمام الصادق عليه السلام: «يا سدير الزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أنّ السفياي قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك»<sup>(١)</sup>.

الرواية الثانية: معتبرة أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: «كلّ راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله (عز وجل)»<sup>(٢)</sup>.

الرواية الثالثة: معتبرة العيص بن القاسم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وانظروا لأنفسكم فوالله إنّ الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرجها ويحيى بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها. والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها ثم كانت الأخرى باقية يعمل على ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة إذا ذهب فقد والله ذهبت التوبة، فأنتم أحقّ أن تختاروا لأنفسكم. إن أتاكم آتٍ منّا فانظروا على أيّ شيء تخرجون، ولا تقولوا خرج زيد؛ فإن زيدا كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد، ولو ظهر لوفى بما

(١) الكافي، ج ٨، ص ٢٦٤.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ٢٩٥.



دعاكم إليه، إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه، فالخارج منا اليوم إلى أي شيء يدعوكم؟ إلى الرضا من آل محمد؟ فنحن نشهدكم أننا لسنا نرضى به، وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد، وهو إذا كانت الرايات والألوية أجدر أن لا يسمع منا، إلا من اجتمعت بنو فاطمة معه، فوالله ما صاحبكم إلا من اجتمعوا عليه. إذا كان رجب فأقبلوا على اسم الله، وإن أحببتم أن تتأخروا إلى شعبان فلا ضير، وإن أحببتم أن تصوموا في أهاليكم فلعل ذلك يكون أقوى لكم، وكفاكم بالسفياني علامة»<sup>(١)</sup>.

الرواية الرابعة: معتبرة عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «خمس علامات قبل قيام القائم؛ الصيحة، والسفياني، والخسف، وقتل النفس الزكية، واليماني. فقلت: جعلت فداك إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أنخرج معه؟ قال: لا»<sup>(٢)</sup>.

الرواية الخامسة: في نهج البلاغة: «الزموا الأرض واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجل الله لكم؛ فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته بسيفه، فإن لكل شيء مدّة وأجلاً»<sup>(٣)</sup>.

الرواية السادسة: عن أبي المرهف عن أبي جعفر عليه السلام: «الغبرة على من أثارها، هلك المحاصير. قلت: جعلت فداك وما المحاصير؟ قال: المستعجلون، أما إنهم لن يردوا الأمر

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٦٤.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ٣١٠.

(٣) نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٥٦.

يعرض لهم ... يا أبا المرهف أتري قوماً حبسوا أنفسهم على الله لا يجعل لهم فرجاً؟ بلى والله ليجعلن الله لهم فرجاً»<sup>(١)</sup>.

ولكن قد أجيب عن هذه الروايات وغيرها بعدة أجوبة:

الجواب الأول: بأن أغلبها مخدوشة سنداً، وما يخلو من النقاش السندي لا يتجاوز أخبار الآحاد.

الجواب الثاني: بأنها مشوبة برائحة التقية؛ حيث إن الأئمة عليهم السلام لم يرغبوا في أن يظهر عنهم الدعوة للخروج على طواغيت زمانهم، فكانوا يضطرون للتقية أحياناً في إصدار مثل هذه الأخبار.

الجواب الثالث: من المحتمل جداً أن تكون هذه الروايات ناظرة إلى الخروج باسم المهدي من آل محمد؛ حيث خرج العديد من الذين يدعون الناس لأنفسهم باسم المهدي من آل محمد، وكأن هذه الأخبار تحذر من هذه الجماعات، وأن الخروج لا يكون إلا مع الإمام المعصوم، أو المأذون من قبله سواءً بإذن خاص كالمختار وزيد الشهيد، أم بإذن عام كالفقيه مثلاً بناءً على شمول الإذن لمثل ذلك.

الجواب الرابع: أنّ هذه الروايات ناظرة إلى الحالة الغالبة لهذه الثورات من الخيبة والفشل وعدم تحقيقها لنتائج ومصلحة للإسلام، وهذا لا يعني شمولها للثورات المدروسة والتي تعود بالنفع للأمة الإسلامية، ويشهد لذلك الثورات التي حظت بمباركية المعصومين عليهم السلام كثورة المختار وزيد الشهيد وفتح وغيرها.

الجواب الخامس: لا شك في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قد دلّ على ذلك القرآن والسنة، بل والعقل كذلك، عند القدرة والمكنة من إقامة ذلك، وبالتالي إما أن تحمل هذه الأخبار المانعة من الخروج على فرض عدم القدرة وعدم توفّر شرائط الأمر

(١) الكافي، ج ٨، ص ٢٧٣.

بالمعروف والنهي عن المنكر، أو أنها تُردّ؛ لمخالفتها للأدلة القطعية على لزوم إقامة المعروف مع القدرة، والتي تأتي عن التخصيص بمثل ذلك.

### النقطة الثالثة: الموارد التي لا تجوز فيها التقية

#### المورد الأول: ما يفسد الدين

إذا استلزمت التقية فساداً في الدين وتزلزلاً في أركان الإسلام ومحوراً للشعائر وتقوية للكفر فهنا لا تجوز؛ لأنّ حفظ الدين أهمّ عند الشارع من حفظ النفوس والأموال والأعراض، وهذا أمر يصعب على العاقل تشخيصه، بل هو يعود لنظر الفقيه، ويمكن التمثيل لذلك بالتقية في الفتوى كهدم الكعبة أو قبر النبي ﷺ كما مثل السيد الخميني، ويشهد لذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «فكلّ شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية ممّا لا يؤدّي إلى الفساد في الدين فإنه جائز»<sup>(١)</sup>.

#### المورد الثاني: الدماء

كما لو أمر الحاكم الظالم مؤمناً بقتل آخر أو يقتله هو، فهنا لا يجوز التقية بأن يقتل المؤمن أخاه حفاظاً على نفسه، وهذا ما دلّت عليه جملة من الروايات، كما في رواية الإمام الباقر عليه السلام: «إنما جعل التقية ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فليس تقية»<sup>(٢)</sup>.

#### المورد الثالث: شرب المسكر والمسح على الخفين ومتعة الحج

دلّت على هذا بعض الأخبار، ومنها:

١- عن الصادق عليه السلام: «والتقية في كلّ شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين»<sup>(٣)</sup>.

(١) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٦٨.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٢٠.

(٣) نفس المصدر، ص ٢١٧.

٢- عن زرارة قال: قلت له: في مسح الخفين تقية؟ فقال: «ثلاثة لا أتقي فيهن أحداً: شرب المسكر، والمسح على الخفين، ومتعة الحج» قال زرارة: ولم يقل: الواجب عليكم أن لا تتقوا فيهن أحداً<sup>(١)</sup>.

ويمكن ذكر عدّة احتمالات في المقصود بهذه الأخبار:

الاحتمال الأول: أنّ عدم جواز التقية في هذه الموارد حكم خاصّ بالإمام عليه السلام كما قد فهم زرارة ذلك.

الاحتمال الثاني: أنّ عدم جواز التقية في هذه الموارد خاصّ بالإمام عليه السلام وعلية الشيعة الذين يكون ارتكابهم لهذه الأمور فيه توهين للدين.

الاحتمال الثالث: أنّ عدم التقية في هذه الموارد حكم عامّ وليس مختصاً بالإمام عليه السلام أو بعلية الشيعة، إلا أنّ غاية ما تفيد هذه الأخبار هو عدم وجوب التقية في هذه الموارد لا حرمتها، فالمكلف مخير بين التقية وعدمها.

الاحتمال الرابع: أنّ عدم جواز التقية في هذه الموارد حكم ظرفي مخصوص بتلك الفترة، ففي زمن الإمام الصادق عليه السلام لم يكن يسع الظالم الالتزام بشرب الخمر والنبيذ أو المسح على الخفين أو ترك متعة الحج مع قيام الدليل الكتابي عليها.

الاحتمال الخامس: أنّ عدم التقية في هذه الموارد بمعنى عدم ترتب الأثر الوضعي الشرعي عليها كالأجزاء مثلاً، كما في من مسح على الخفين تقية لا يجزئ بمسحه، ومن حجّ إفراداً تقية بدلاً من التمتع لا يجزئ بحجّه.

ولعلّه لأجل ذلك احتاط بعض الأعلام وجوباً أو استحباباً في الاجتزاء بالمسح على الخفين تقية.

(١) نفس المصدر، ج ٣، ص ٢٢٠.

المورد الرابع: البراءة من علي بن أبي طالب عليه السلام

توجد مجموعة من الروايات دلت على حرمة التقية في التبرّي من أمير المؤمنين عليه السلام، وقد امتنع بسبب ذلك خواص أصحابه من البراءة منه عليه السلام، أمثال حجر بن علي وأصحابه، ورشيد الهجري، وميثم التمار، وكميل بن زياد، فمن هذه الروايات:

الرواية الأولى: ما رواه الطوسي بسنده عن محمد بن ميمون عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ستدعون إلى سبّي فسبوني، وتدعون إلى البراءة منّي فمدّوا الرقاب؛ فإني على الفطرة»<sup>(١)</sup>.

الرواية الثانية: ما رواه الطوسي أيضاً بسنده عن علي بن علي أخي دعبل الخزاعي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «ألا إنكم ستعرضون على سبّي، فإن خفتم على أنفسكم فسبوني، ألا وإنكم ستعرضون على البراءة منّي فلا تفعلوا؛ فإني على الفطرة»<sup>(٢)</sup>.

الرواية الثالثة: ما جاء في نهج البلاغة: «أما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي، فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تبرأوا منّي فإني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة»<sup>(٣)</sup>.

الرواية الرابعة: ما ذكره المفيد في الإرشاد، قال: استفاض عن أمير المؤمنين أنه قال: «إنكم ستعرضون من بعدي على سبّي فسبوني، فمن عرض عليه البراءة منّي فليمدد عنقه؛ فإن برء منّي فلا دنيا له ولا آخرة»<sup>(٤)</sup>.

(١) الأمالي، ص ٢١٠.

(٢) الأمالي، ص ٣٦٤.

(٣) نهج البلاغة، ج ١، ص ١٠٥.

(٤) الإرشاد، ج ١، ص ٣٢٢.

وقد اختلفت كلمات الأعلام في توجيه هذه الأخبار إلى عدة أقوال:

القول الأول: أنها تدلّ على التخيير بين اختيار القتل وترك التقية وبين البراءة تقيّةً، وهذا ما تبناه السيد الخوئي، حيث قال: "هل يستفاد من تلك الروايات المستفيضة وجوب اختيار القتل وعدم جواز التبرّي وإظهاره باللسان للصيانة عن القتل أو أنه لا يستفاد منها ذلك؟ الثاني هو الصحيح؛ وذلك لعدم دلالتها على تعيّن اختيار القتل حينئذ؛ لأنها إنما وردت في مقام توهم الحظر؛ لأنّ تعريض النفس على القتل حرام، وبهذه القرينة يكون الأمر بمدّ الأعناق واختيار القتل ظاهراً في الجواز دون الوجوب"<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: أنّ العمل على أخبار التقية، وهذا ما تبناه السيد الإمام، حيث قال: "ولا يخفى أنّ رفع اليد عن تلك الروايات المشتملة على تكذيب ما نسب إلى عليّ عليه السلام وعن أخبار التقية، وعن قوله تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}، وحكم العقل بلزوم حفظ النفس، واهتمام الشارع به، لا يمكن بمثل تلك الروايات التي لا تفيد علماً ولا عملاً ولم نجد فيها ما يسلم سنداً... مضافاً إلى استشمام رائحة الكذب والاختلاف منها؛ ضرورة أنّ السبّ والشتم واللعن أشدّ من التلفّظ بالبراءة، ممّا لا يقدر فيهم ولا ينقصهم... وأما قضية ميثم... قضية في واقعة"<sup>(٢)</sup>.

القول الثالث: التفصيل بين كبار وخواصّ الشيعة فلا يجوز لهم التقية، وبين العوام فعليهم التقية، وهذا ما اختاره بعض الأعلام المعاصرين، حيث قال: "والإنصاف أنّ أقرب طريق للجمع بينهما هو ما أشرنا إليه من التفصيل بحسب الأزمان والأشخاص، فالذي هو علم للأمة ومقياس للدين وبه يقتدي الناس ويعرف قربه من أهل البيت عليه السلام يرجح له استقبال المحتوف وتحمل المضارّ البالغة حدّ الشهادة في سبيل الله، بل قد يجب له إذا

(١) كتاب الطهارة، ج ٤، ص ٢٦٢.

(٢) الرسائل، ج ٢، ص ١٨٤.

كان ترك ذلك ضرراً على الدين ... أما في مثل أعصار الصادقين والأعصار المتأخرة عنها كانت الرخصة أحب إليهم؛ لعدم وجود خطر من هذه الناحية على الإسلام والمسلمين ... وأما في زماننا هذا يتفاوت الحال بالنسبة إلى الأشخاص والظروف والحالات ...<sup>(١)</sup>.

#### النقطة الرابعة: شبهات حول التقية

توجد مجموعة من الشبهات يطرحها أتباع المذهب المخالف على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في التقية، نذكر الأهم منها:

#### الشبهة الأولى: التقية مثل النفاق

يزعم البعض من الناس بأن التقية والنفاق شيء واحد، ولذا يعيب على الشيعة ويقول بأنهم يستعملون النفاق فيظهرون خلاف ما يبطنون، وكما في الحديث النبوي: «من خالفت سريره علانيته فهو منافق كائناً من كان»<sup>(٢)</sup>. وقد ذم الله تعالى المنافقين في كتابه في سورة كاملة بأنهم مرضى قلوب ومذبذبون، وأن الله لعنهم وأنهم خالدون في النار<sup>(٣)</sup>. فكل ما جاء في القرآن من الذم والوعيد للمنافقين فهو ينطبق على الشيعة تماماً.

#### الجواب عن هذه الشبهة:

أنّ الجهل والحق الدفين هو الذي أعمى صاحب هذه الشبهة وأدى به لهذه المهاترات، فإنه يمكن من خلال بيان الفوارق بين النفاق والتقية سواء من حيث الإيمان أو من حيث المشروعية أو من حيث السبب والدافع أو من حيث العقوبة والمثوبة وغيرها من الجهات، فهنا نذكر هذه الفوارق:

(١) القواعد الفقهية، ج١، ص٤٣٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٦٩، ص٢٠٧.

(٣) سورة التوبة: ٦٨.

الفرق الأول: من حيث الإيمان، فإنّ التقية هي ثبات القلب على الإيمان وإظهار خلافه باللسان أو الفعل؛ لضرورة مقبولة شرعاً وعقلاً، أما النفاق فهو عكس ذلك تماماً، فهو ثبوت القلب على الباطل وإظهار الحق باللسان فقط، وهذا فرق بينه القرآن، فأشار إلى ما فعله مؤمن آل فرعون، وكذلك عمار بن ياسر، مع أنهما كانا يزاوران التقية.

الفرق الثاني: من حيث المشروعية، فإنّ التقية أمر مشروع دلّت عليه الآيات والروايات الكثيرة إما جوازاً أو وجوباً بحسب الموارد، كما في قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ} (١)، وقوله: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} (٢).

وأما النفاق فهو كالكفر أمرٌ رفضه الشارع ولم يجعل فيه رخصة لأحد، كما في قوله: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئْتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} (٣). فالتقية أمر مطلوب ومحبوب شرعاً، أما النفاق فهو أمر مبغوض ومرفوض شرعاً، فكيف يجعلان شيئاً واحداً ومن باب واحد.

الفرق الثالث: من حيث السبب، فإنّ التقية هدفها الحفاظ على النفس والمال والعرض، أو من باب الودّ والمحبة، فهي إما خوفاً أو لمصلحة ما، بخلاف النفاق فهو نتيجة مرض قلبي وسلوك يعبر عن مرض نفسي وخبث سريري، {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} (٤).

الفرق الرابع: من حيث الهداية، فإنّ المتقي يحظى بهداية وعناية ربّانية خاصة، بخلاف المنافق فإنه بعيد غاية البعد عن الهداية الإلهية، فالنور مشرق في قلب المتقي، والظلام

(١) سورة النحل: ١٠٦.

(٢) سورة آل عمران: ٢٨.

(٣) سورة النساء: ٨٨.

(٤) سورة البقرة: ١٠.



مُحَيِّمٍ فِي قَلْبِ الْمُنَافِقِ، فَكَيْفَ نَجْعَلُهُمَا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، يَقُولُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ التَّقِيَّةِ: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى \* وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا} (١).

وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ عَنْهُمْ: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا \* مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} (٢).

الفرق الخامس: من حيث النتيجة، فإنَّ المتقي مصيره إلى الجنة وأجره محفوظ عند الله تعالى من الشواب الكبير، بخلاف المنافق فإنَّ القرآن واضح في أنَّ جزاءه جهنم، كما قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} (٣).

#### الشبهة الثانية: التقية مع المشركين

يقول المخالفون بأنَّ التقية التي شرَّعها الله (عز وجل) هي التي تكون مع المشركين، كما في قصة أصحاب الكهف ومؤمن آل فرعون وعمار بن ياسر وغيرها، ولم نجد تقيَّةً تكون فيما بين المسلمين أنفسهم، ولا دليل على مشروعيتها بين المسلمين.

#### ويمكن الجواب عن ذلك بعدة أجوبة:

أولاً: إنَّ هذه الآيات موردتها الاتِّقاء من الكافر، وهذا لا يعني اختصاص التقية بهذه الموارد، وكما يقال في الأصول: "المورد لا يخص الوارد"، فصحيح أنَّ تقيَّة أهل الكهف أو مؤمن آل فرعون أو عمار أو غيرهم، كانت مع المشركين، ولكن ما دلَّ على مشروعيتها التقية في هذه الموارد لا تختص بموردتها، وهذا نظير ما ذكر في آية الخمس، فمع كونها نازلة

(١) سورة الكهف: ١٣-١٤.

(٢) سورة النساء: ١٤٢-١٤٣.

(٣) سورة النساء: ١٤٥.

في غنائم غزوة بدر إلا أنها عامة لجميع الغنائم، وهنا يقال كذلك، فإن الغرض من تشريع التقية - عند الابتلاء بالكفار - ليس إلا صيانة النفس إذا ابتلى المسلم بمن لا يتردد في قتله أو نهب ماله أو التنكيل به، فهنا يتفق العقل والنقل على لزوم التقية.

ثانياً: توجد بعض النصوص العامة التي تدل على مشروعية التقية عند الضرورة أو الخوف، وهي بإطلاقها تشمل الخوف من المسلم، كما في حديث الرفع، وقوله تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} (١).

ثالثاً: ذهب جمع من العامة إلى مشروعية التقية، ومنهم:

١- الشافعي، كما ذكر الفخر الرازي في تفسير الآية (٢).

٢- المراغي في تفسير الآية (٣).

٣- عمل السلف بالتقية فيما بينهم، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم (٤). وذكر ابن حجر أن العلماء حملوا الوعاء الذي لم يبثته على الأحاديث التي تبين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وأنه كان يكتفي عن بعضه ولا يصرح به؛ خوفاً على نفسه منهم (٥). وكان أبو حنيفة يتقي القاضي ابن أبي ليلى كما أخرج الخطيب البغدادي (٦). وذكر الطبري أن المأمون دفع وجوه القضاة والمحدثين في زمانه إلى الإقرار بخلق القرآن قسراً حتى وإن استلزم ذلك قتل الجميع، ولما أبصر أولئك المحدثون حدّ السيف مشهراً عمدوا إلى

(١) سورة البقرة: ١٩٥.

(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٨، ص ١٣.

(٣) تفسير المراغي، ج ٣، ص ١٣٦.

(٤) صحيح البخاري، ج ١، ص ٤١.

(٥) فتح الباري، ج ١، ص ١٧٣.

(٦) تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٧٩.

مصانعة المأمون في دعواه وأسروا معتقدهم في صدورهم، وبرروا ذلك بعمل عمار بن ياسر<sup>(١)</sup>.

رابعاً: أنّ الواقع الذي عاشه الشيعة من الظلم والترهيب والمطاردة هو الذي فرض عليهم ذلك، فلم يكن لدى الأمويين والعباسيين غاية إلا ملاحقة الشيعة، فقد روى المدائني أنّ معاوية كتب نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقام الخطباء في كلّ صورة وعلى كلّ منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاء أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليها زياد بن سمية وضمّ إليه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدبر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردّهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيّنة أنه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره. فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة، حتى إنّ الرجل من شيعة علي (عليه السلام) ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة؛ ليأتمن عليه.

وأضاف ابن أبي الحديد: فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض، ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولي عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولّى

(١) تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٢٠٦.

عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من البغض من علي عليه السلام وعيبيه والطعن فيه والشنأ له، حتى إن إنساناً وقف للحجاج - ويقال إن جدّه الأصمعي - فصاح به: أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني علياً وإني فقير وبائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا، وهكذا استمرت السلطات الغاشمة بقتل وإبادة الشيعة ولأبسط الأمور، فهذا ابن السكيت يسأله المتوكل: أيهما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فلما أجاب قائلاً: "والله إن قنبر خادم علي عليه السلام خير منك ومن ابنك" أمر بقطع لسانه، فقطع...<sup>(١)</sup>.

وإلى هذا العصر لا زال الأمر كما في السابق وإن خفت وتيرته ظاهراً.

#### الشبهة الثالثة: التقية أصل من أصول الدين

يقول المخالفون بأن الشيعة يعتبرون التقية أصلاً من أصول الدين، ويعولون في هذا على المروي عن الإمام الباقر عليه السلام: «التقية ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له»<sup>(٢)</sup>. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له»<sup>(٣)</sup>. وغير ذلك من الروايات الدالة على أنّ الدين يبني ويقوم على مبدأ التقية والعمل بها، فمن لم يؤمن ولم يعمل بالتقية فهو خارج عن الدين.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٤.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٢١٩.

(٣) نفس المصدر، ص ٢١٧.

ويمكن الجواب عن ذلك:

أولاً: بالنقض، فقد روى المخالفون ما هو أوضح دلالة على اشتراط تحقق الإسلام بها، ومن لم يعمل بها خارج عن الدين، ففي المروي عن النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»<sup>(١)</sup>. ومع ذلك لم يلتزموا بأنّ تارك الحج أو الصوم أو الزكاة عمداً كافر، بل ذهبوا إلى أنه مرتكب كبيرة ولا يخرج عن الإسلام، مع أنّ ظاهر هذه الرواية ابتناء الإسلام وجوداً وعدمياً على الأمور الخمسة، ومع ذلك لا يرتّبون الكفر على تاركها عمداً ما عدا الصلاة.

ثانياً: توجد روايات عديدة بمثل هذا اللسان ولكن لا يراد فيها نفي الحقيقة، وإنما المراد بها نفي الكمال، فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «يا هشام لا دين لمن لا مروءة له»<sup>(٢)</sup>. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله، ولا دين لمن دان بفرية باطل، ولا دين لمن دان ببحود شيء من آيات الله»<sup>(٣)</sup>. وغيرها من الأخبار، اللام فيها لام الكمال، وهكذا في هذا المقام في «لا دين لمن لا تقية له»؛ فالمراد من اللام لام الكمال وليس لازم الحقيقة، بمعنى لا دين كامل إلا مع التقية.

ثالثاً: إنّ هذه التعابير الشديدة الواردة في لسان أهل البيت (عليهم السلام) في التشديد بأمر التقية يعود لسببين رئيسيين:

السبب الأول: هو الحرج والخوف الشديد الذي كان يعاني منه الشيعة من قبل أعدائهم، حيث قتلوهم ونكّلوا بهم - كما تقدّم - حفاظاً على حياة وكرامة أتباعهم،

(١) صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٧ صحيح مسلم، ج ١، ص ٣٤.

(٢) الكافي، ج ١، ص ١٩.

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٧٣.

فحرصاً منهم عليهم يؤكّدون على مبدأ التقية ويشدّدون فيه، حتى لا يتهاون بعض الشيعة فيها ويظنّ بأنها غير لازمة. ومن هذا مثلاً: ما عن الإمام العسكري عليه السلام أنّ الإمام الرضا عليه السلام جفا جماعة من الشيعة وحجبهم فقالوا: يا ابن رسول الله، ما هذا الجفاء العظيم والاستخفاف بعد الحجاب الصعب؟ قال: «لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأنتم في أكثر أعمالكم مخالفون، ومقصذرون في كثير من الفرائض، وتتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا تجب التقية، وتتركون التقية حيث لا بدّ من التقية»<sup>(١)</sup>.

السبب الثاني: هو ما صدر من بعض الشيعة من التذمّر والاعتراض على أهل البيت عليهم السلام في عدم الخروج على الظالم في زمانهم، حيث تشير الروايات إلى أنّ جماعة من الشيعة كانوا يطالبون الأئمة عليهم السلام بالثورة في وجوه الظالمين ويدخون عليهم في ذلك، ظناً منهم بأنّ هذا هو التكليف وهذه هي الوظيفة، حتى أنّ البعض كان يتصوّر عدم علم الإمام بواجبه ووظيفته الشرعية، فمن هنا جاءت هذه الروايات لتوضّح للناس بأنّ الإمام عليه السلام أعرف بواجبه وتكليفه، كما أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا يمنعون الشيعة من الدخول في أيّ ثورة، كقول الإمام الصادق عليه السلام لسدير: «يا سدير الزم بيتك وكن حليماً من أحلاس، واسكن ما سكن الليل والنهار...»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: أنّ جميع العلماء الشيعة المتقدّمين والمتأخّرين الذين كتبوا في علم الكلام والمعتقدات<sup>(٣)</sup> لم يذكروا أنّ التقية أصل من الأصول. فهذه الشبهة ليست إلا محض افتراء وبهتان.

(١) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٧.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ٢٦٤.

(٣) الاعتقادات للشيخ الصدوق، تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد، الملخّص في أصول الدين للسيد المرتضى، الاقتصاد

خامساً: لابدّ من تحديد ضابطة أصول الدين وفروعه؛ حتى نعرف هل التقية من الأصول أم الفروع؟

الشبهة الرابعة: التقية رخصة لا عزيمة

مما يعترض به على الشيعة: القول بأنّ التقية رخصة لا عزيمة<sup>(١)</sup>.

ويمكن الإجابة بعدة أجوبة:

الجواب الأول: أنّ القوم أضافوا لجهلهم جهلاً؛ فإنّ التقية عند الشيعة واجبة لا رخصة فيها إلى أن يخرج القائم عليه السلام، فمن تركها قبل خروجه فقد خالف الله ورسوله والأئمة<sup>(٢)</sup>، بل هي شعارهم، ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه؛ لتكون سجيته مع من يحذره»<sup>(٣)</sup>.  
بينما قال أصحاب أبي حنيفة بأنها رخصة، وتركها أفضل<sup>(٤)</sup>، وهكذا قال ابن حرزم<sup>(٥)</sup>.  
وهناك من العامة - كالفخر الرازي<sup>(٦)</sup> - من قالوا بوجوب التقية وأنها عزيمة في بعض الموارد، اعتماداً على بعض الأدلة<sup>(٧)</sup>، فهذا ليس من مختصات الإمامية.

فيما يجب على العباد للشيخ الطوسي، المسلك في أصول الدين للمحقق الحلي، تجريد الاعتقاد للخواجة نصير الدين الطوسي، وغيرها.

(١) فتح الباري، ج ١٢، ص ٣١٧؛ تفسير الفخر الرازي، ج ٤، ص ١٠٧.

(٢) الاعتقادات، ص ١١٤.

(٣) الأمالي (للطوسي)، ص ٢٩٣.

(٤) تفسير البحر المحيط، ج ٣، ص ١٩١.

(٥) المحلى، ج ٨، ص ٣٣٠.

(٦) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٠، ص ١٢٢.

(٧) فقه السنة (الشيخ سيد سابق)، ج ٣، ص ٤٧٣.

الجواب الثاني: أنّ القول بأنّ الشيعة قائلون بالعزيمة ووجوب التقية مطلقاً هو جهل برأي الشيعة فيها، فإنهم يقسمون حكمها إلى خمسة أقسام:

- ١- الواجبة، وهي التي يلزم من تركها هلاك النفس أو المال أو العرض.
- ٢- التقية المستحبة، وهي التي يؤدي تركها للضرر التدريجي، ويكون استعمالها موجِباً للتحرّز من الضرر ولو مستقبلاً، كالتقية المداراتية.
- ٣- التقية المباحة، وهي ما تساوى فيها التحرّز من الضرر وعدم التحرّز منه في نظر الشارع.

٤- التقية المحرّمة، وهي ما يترتب على تركها مصلحة عظيمة، وعلى فعلها مفسدة جسيمة، كالتقية في الدماء.

٥- التقية المكروهة، وهي التي يكون عدم فعلها أفضل من فعلها.

الجواب الثالث: على فرض أنّ الشيعة يقولون بلزوم التقية، فهذا راجع إلى الدليل، وإلا فيمكن الإشكال على المخالفين القائلين بأنها رخصة بأنّ منهم من ذهب إلى أنها عزيمة، وقد عرفت هذا.

الجواب الرابع: أنّ الروايات التي تدلّ على أنّ التقية شعار الشيعة، إنما تدلّ على أنّ الظلم سوف يستمرّ حتى يظهر الإمام عليه السلام.

الشبهة الخامسة: زمن التقية قد انتهى

يزعم البعض بأنّ وقت التقية قد انتهى ولا توجد تقية في هذا العصر؛ وذلك لعدّة أسباب:

السبب الأول: أنّ التشيع قد أصبح اليوم في وضع أقوى ومختلف عمّا كان عليه في زمن بني أمية وبني العباس.



السبب الثاني: لم تترك وسائل الإعلام الحديثة مجالاً لإخفاء وتغييب الحقائق عن الآخرين، فقد أصبح كل شيء اليوم مكشوفاً وواضحاً.

السبب الثالث: توجد اليوم منظمات حقوقية وقوانين دولية تحفظ للإنسان حرية التعبير وحقوقه الفكرية، وتحقق له مع ذلك الأمن والاستقرار وتمنع الآخرين من التعدي عليه.

#### والجواب عن ذلك:

أولاً: يمكن أن تقسم أدلة التقية بلحاظ زمانها إلى قسمين:  
القسم الأول: الأدلة المطلقة، وهي التي لم تحدّد زماناً معيناً للتقية، فتدلّ على استمرار وبقاء حكم التقية لكل الأزمان، فمثلاً: الإمام الصادق عليه السلام قال: «كلما تقارب هذا الأمر كان أشدّ للتقية»<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني: الأدلة المؤقتة، وهي التي دلّت على استمرار حكم التقية إلى حين قيام القائم عليه السلام، كقول الإمام الرضا عليه السلام: «وإن أكرمكم عند الله أعمالكم بالتقية» قيل: يا ابن رسول الله، إلى متى؟ قال: «إلى قيام القائم، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا»<sup>(٢)</sup>.

وعليه فلا معنى للقول بانتهاء أمد التقية في هذا العصر.

ثانياً: إنّ هذه الأسباب المذكورة لا تصلح لردّ أدلة التقية أو التوقف فيها أو التصرف فيها بتقييد أو غيره؛ لأنّ هذه الأسباب ليست هي علة الحكم بالتقية ليدور الحكم مدارها وجوداً وعدماء، بل هي استحسانات، فكلّ ما ذكر من أسباب لا يبرّر ترك التقية وانتهاء أمدها، وعلى فرض أنّ هذه الأسباب مستفادة من مضمون أدلة التقية التي دلّت

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٢) كمال الدين، ص ٣٧١.

على أنّ السبب هو الخوف -مثلاً- فمع ذلك لا يُحرز أنّ الخوف هو علة الحكم، بل لعله مجرد حكمة، وعلى فرض كونه علة فلا يُعلم كونه علة تامّة.

ثالثاً: لو سلّمنا بأنّ السبب هو الخوف، سواء على المذهب أم على الناس، فمع ذلك لا يزال الخوف موجوداً حتى مع قوة التشيع اليوم، وهذا أمر لا ينكره إلا مكابري، فكم من الشيعة لا يزالون يُقتلون وآخرون يتعرّضون لشتى ألوان الأذية والاعتداء! ولو فرض أنّ بعض الأشخاص في مأمن عن ذلك كلّ فهذا لا يبرّر لهم ترك التقية؛ لأنهم يعرّضون غيرهم ممّن لا يتوقّر لديه هذه الأسباب للوقوع في الضرر والخطر. إذن حكم التقية لوحظ فيه الكيان الشيعي وعموم المؤمنين وليس أفراداً منه.

رابعاً: يتّضح ممّا أشرنا له في أقسام التقية أنها لا تنحصر في التقية الخوفية كي يقال بسقوط حكمها بارتفاع الخوف في مكان أو زمان ما، بل هناك أقسام أخرى للتقية لا يدور الأمر فيها على وجود الخوف وعدمه.

هذا ختام الكلام في هذا الجزء من الكتاب.

والحمد لله ربّ العالمين.

## الفهرس

٧..... الفصل الرابع: الغيبة المهدوية.....

### الجهة الأولى: حقيقة الغيبة

٨ ..... المهدوية.....

٨..... النقطة الأولى: معنى الغيبة المهدوية.....

١٢..... النقطة الثانية: مكان الغيبة المهدوية.....

١٨..... النقطة الثالثة: شبهة السرداب.....

٢٣..... النقطة الرابعة: المتصلون بالإمام عليه السلام في الغيبة.....

### الجهة الثانية: تعدد الغيبة

٢٩..... النقطة الأولى: أقسام الغيبة.....

٣٢..... النقطة الثانية: لماذا غيبتان؟.....

٣٤..... النقطة الثالثة: تاريخ الغيبتين.....

٣٩..... النقطة الرابعة: لماذا انقطعت الغيبة الصغرى.....

### الجهة الثالثة: سبب الغيبة المهدوية

٤١..... النقطة الأولى: أقوال العلماء.....

٤٣..... النقطة الثانية: الروايات.....

٤٧..... النقطة الثالثة: شبهات على سبب الغيبة.....

## الجهة الرابعة: الفائدة المهدوية في زمن الغيبة

- ٥٩.....
- ٥٩..... النقطة الأولى: شبهة وجواب.....
- ٦٠..... النقطة الثانية: الفوائد المهدوية.....
- ٦١..... الفائدة الأولى: الفائدة الوجودية.....
- ٦٣..... الاحتمال الأول: العلة الغائية.....
- ٦٥..... الاحتمال الثاني: الرحمة.....
- ٦٧..... الاحتمال الثالث: وساطة الفيض.....
- ٦٧..... الأمر الثالث: الإشكالات.....
- ٧٧..... الفائدة الثانية: وساطة الفيض.....
- ٨١..... الأمر الأول: ما هو معنى الوساطة في الفيض في هذه النصوص؟.....
- الأمر الثاني: ما هو السبب في وجود وسائط للفيض الإلهي؟ ولماذا لا يصدر الفيض منه  
(عز وجل) بصورة مباشرة ومن دون حاجة إلى واسطة؟.....
- ٨٤.....
- ٨٥..... الأمر الثالث: إشكالات على الوساطة في الفيض.....
- ٩٣..... الفائدة الثالثة: الفائدة الإشرافية.....
- ٩٤..... الدليل الأول: الهداية الأمرية:.....
- ١٠٠..... الإشكالات على ما تقدم:.....
- ١٠٦..... الدليل الثاني: الولاية التكوينية.....
- ١٠٧..... الأمر الأول: آراء الأعلام في ثبوت الولاية التكوينية.....
- ١٠٨..... الأمر الثاني: حقيقة الولاية التكوينية.....
- ١١٠..... الأمر الثالث: الأدلة على الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام.....

- ١٢٦..... الأمر الرابع: حدود الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام
- ١٢٨..... الأمر الخامس: الإشكالات على الولاية التكوينية
- ١٣٨..... الإشكالات العامة
- ١٤١..... الفائدة الرابعة: التوسل والاستغاثة
- ١٤٢..... الأمر الأول: أقسام التوسل
- ١٤٣..... الأمر الثاني: طرق التوسل
- ١٤٥..... الأمر الثالث: غايات التوسل
- ١٤٧..... الأمر الرابع: آليات التوسل بالإمام المهدي عليه السلام
- ١٤٩..... الإشكالات على التوسل
- ١٥٩..... الفائدة الخامسة: مقام الشهادة
- ١٦٠..... الأمر الأول: أقسام الشهادة
- ١٦٣..... الأمر الثاني: عمومية الشهادة الأعمالية
- ١٦٥..... الأمر الثالث: الغاية من الشهادة
- ١٦٧..... الأمر الرابع: طرق الشهادة للمعصوم
- ١٧٠..... الفائدة السادسة: العناية والرعاية
- ١٧٣..... صور الرعاية

#### الجهة الخامسة: السفارة في زمن الغيبة

- ١٨٥..... النقطة الأولى: معنى السفارة
- ١٨٦..... النقطة الثانية: هوية السفراء
- ١٨٧..... النقطة الثالثة: الدليل على السفارة
- ١٩٨..... النقطة الرابعة: مهام السفراء

- النقطة الخامسة: طريقان متوهمان لإثبات السفارة.....٢٠٦
- الطريق الأول: الاستخارة.....٢٠٦
- الطريق الثاني: الرؤيا.....٢١٧
- النقطة السادسة: صفات السفراء.....٢٣٣
- النقطة السابعة: أدعاء السفارة.....٢٣٧
- النقطة الثامنة: انقطاع السفارة.....٢٤٦
- النقطة التاسعة: إشكالات السفارة.....٢٤٩

#### الجهة السادسة: الذرية في زمن الغيبة

- أولاً: النصوص الدالة على وجود الذرية.....٢٦٤
- النقطة الثالثة: النصوص النافية للذرية.....٢٧٢
- النقطة الرابعة: دعوى البنوة.....٢٧٥

#### الجهة السابعة: أحداث في الغيبة

- الحديث الأول: التشكيك والإنكار أو الجحود بالمهدي.....٢٧٩
- الحديث الثاني: الاختلاف والتفرق بين الشيعة.....٢٨٠
- الحديث الثالث: ظهور الدجالين والكذابين والمشعوذين.....٢٨٢
- الحديث الرابع: التوقيعات.....٢٨٣
- الحديث الخامس: انتشار الفساد.....٢٨٥
- الحديث السادس: لوعة المؤمنين.....٢٩٠
- الحديث السابع: قسوة القلوب.....٢٩١
- الحديث الثامن: ابتلاء الشيعة.....٢٩٣

- النقطة الأولى: أنواع الابتلاءات التي واجهت الشيعة..... ٢٩٤
- النقطة الثانية: أسرار الصمود الشيعي..... ٣٠٥

### الجهة الثامنة: وصايا أهل البيت عليهم السلام

- الوصية الأولى: التوحد بين الشيعة..... ٣١٥
- النقطة الأولى: حقيقة التوحد..... ٣١٦
- النقطة الثانية: عوامل التوحد..... ٣١٩
- النقطة الثالثة: موانع عملية التوحد..... ٣٢٥
- الوصية الثانية: انتظار الفرج..... ٣٢٧
- النقطة الأولى: معنى انتظار الفرج..... ٣٢٧
- النقطة الثانية: ثواب الانتظار..... ٣٧١
- النقطة الثالثة: أسباب التركيز على انتظار الفرج..... ٣٧٥
- الوصية الثالثة: الرجوع للعلماء..... ٣٨٠
- النقطة الأولى: الأدلة على لزوم تقليد الفقهاء..... ٣٨٠
- النقطة الثانية: مناصب المرجعية الدينية..... ٣٨٥
- النقطة الثالثة: موارد تقليد المرجع..... ٣٩٠
- النقطة الرابعة: خصائص المرجعية الدينية..... ٣٩٢
- النقطة الخامسة: المرجعية فوق الشبهات..... ٤٠٠
- الفهرس..... ٤٤٩